منبر الإسلام

مع العدد

- المنتخب من السنة النبوية
- "الفردوس" مجلة الطفل المسلم

عدد ممتاز

الثمن ١٠ قروش

العدد ١٢ • السنة ٣٠ • ذو الحجة ١٣٩٢ • يناير ١٩٧٣

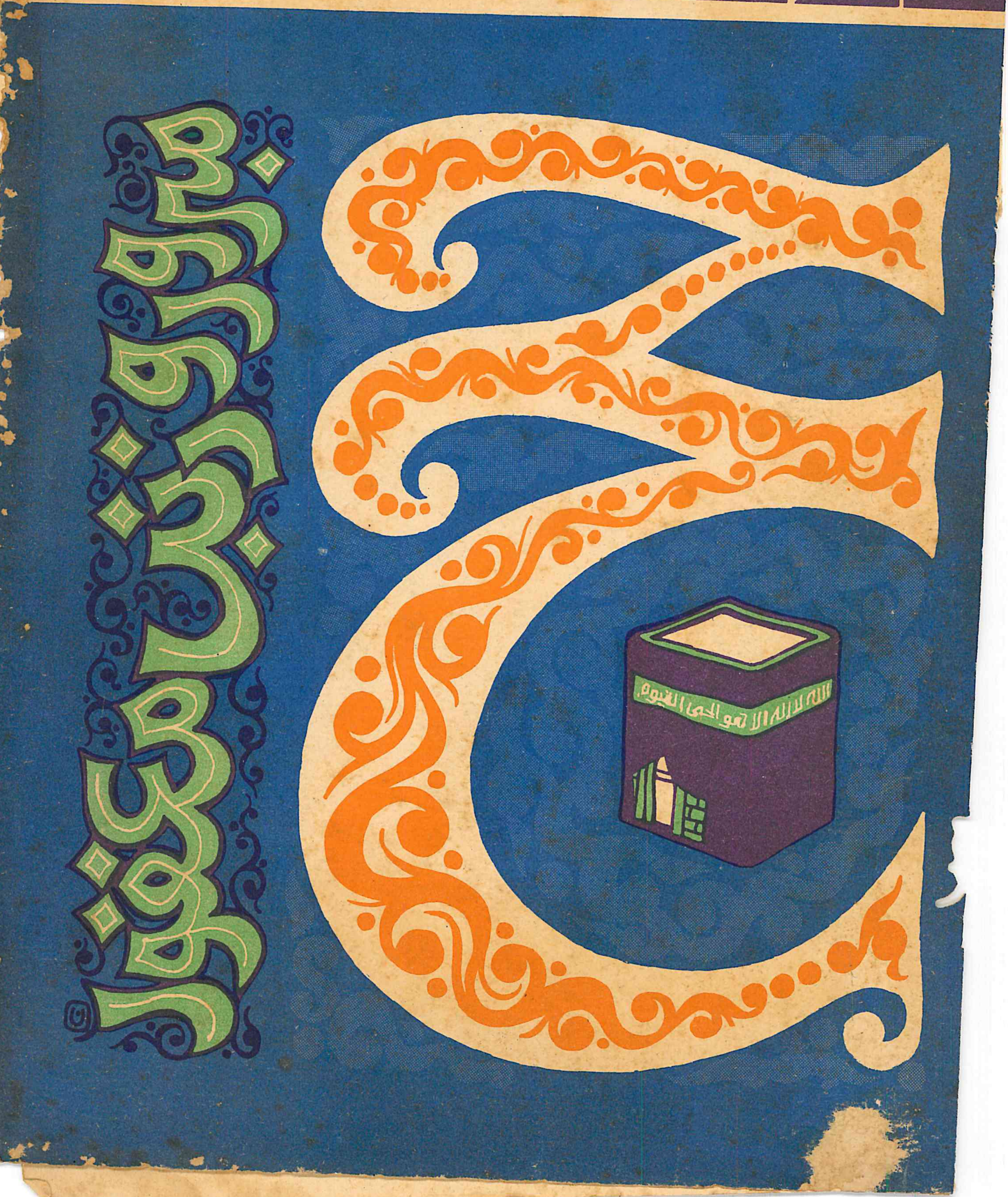

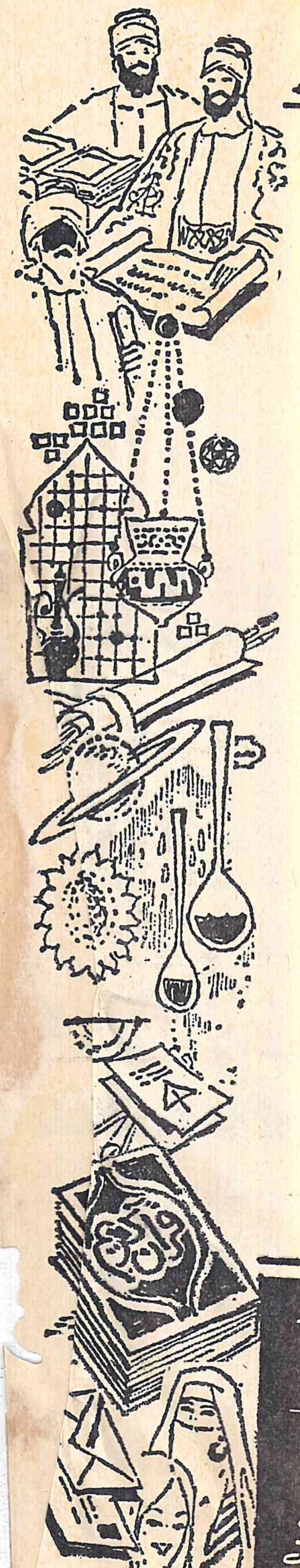

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- نص رسالة السيد الرئيس محمد انور السادات الى المؤتمر الاسلامى بداكار والتى تلاها السيد محمد توفيق عويضه امين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ورئيس الوفد المصرى الاسلامى ١٩٧٢/١٢/٧
- نص الخطاب الهام الذى القاه السيد الرئيس محمد انور السادات امام اعضاء مجلس الشعب ٧٢/١٢/٢٨
- المذاهب الفقهية . . فضيلة الدكتور عبدالحليم محمود
- تفسير سورة القمر . . الاستاذ احمد حسين
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون . . . . فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى
- ذكر الله . . . . الاستاذ فتحى رضوان
- وفى الدنيا عقاب . الدكتور احمد الحوفى
- من احكام الشريعة الاسلامية وآدابها . . فضيلة المفتى الشيخ محمد خاطر
- من معانى القراءات واسرارها . . . فضيلة الشيخ عبدالفتاح القاضى
- الحج والعمرة ودعاء الرسول . . . فضيلة الشيخ أحمد عبد المحسن المنشاوى
- الليالى العشر . . . . . فضيلة الشيخ رجب العايدى
- يوم عرفة بين التاريخ والتشريع . . . . فضيلة الشيخ محمد أبو العلا
- مناجاة العبد . . . فضيلة الشيخ فراج دردير
- افريقيا وحضاراتها الاصيلة الدكتور احمد شلبى
- الاصول الاسلامية فى حضارة عصر النهضة . الدكتور حامد ربيع
- فريضة الحج والتعبئة للمعركة . . . . فضيلة الشيخ عبد الرحمن العدوى
- الخمر بين الدين والطب الدكتورة ابتسام عبد الحليم
- وفى عصرنا صديق اسمه يوسف . . . . .
- قصة مصرية مسلسلة . الاستاذ عبد المنعم الصاوى

العنوان : ٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير
خلف عمارة بحرى - القاهرة ت ٢٨١٥٦
تلغرافيا : الإسلام - القاهرة

الاشتراكات

١٠٠ قرش فى جمهورية مصر العربية
٨٠ قرشا للعمال والطلبة
الاشتراكات تدفع مقدما

يضاف إلى هذا قيمة البريد خارج جمهورية مصر العربية وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى
تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

معالم الطريق

نص رسالة

السيد الرئيس

محمّد أنور السّادات

إلى المؤتمر الإسلامي بداكار

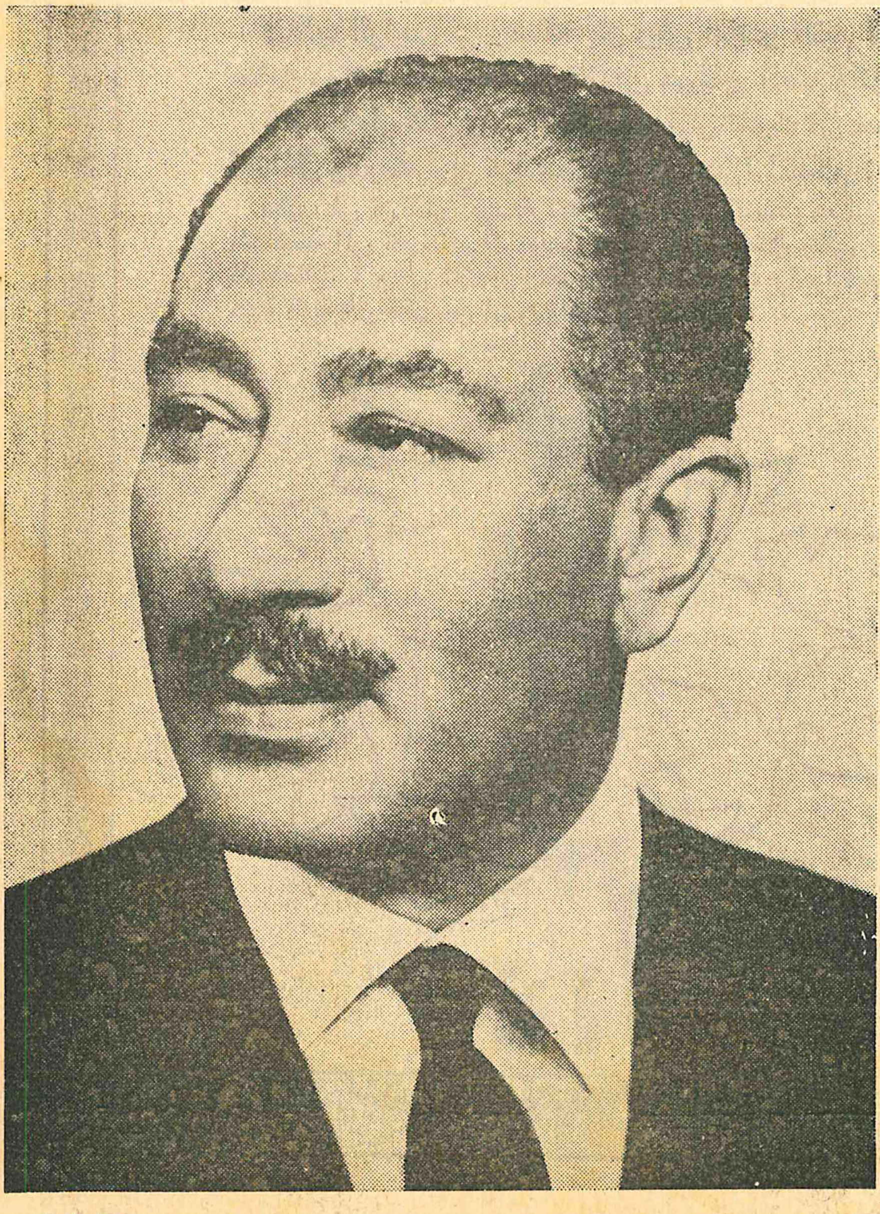

والتي تلاها

السيد

محمد توفيق عويضة

أمين عام

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

ورئيس الوفد المصري الإسلامي

٧ / ١٢ / ١٩٧٢

وقد أذيعت هذه الرسالة من

أجهزة الإعلام بداكار ٤ مرات متتالية

الإسلام دعا الى العلم والعمل منذ ١٤ قرنا

أعلن الرئيس أنور السادات فى رسالته للمؤتمر الاسلامى الذى افتتح فى داكار (١٩٧٢/١٢/٧) — وتلاها السيد محمد توفيق عويضة أمين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ورئيس وفد مصر فى المؤتمر :

ان العالم مخدوع بالقوة المادية وهو أعزل من سلطان الروح الذى يرشده ويهديه ،وأن من الحق الذى لاجدال فيه أن للعلماء المسلمين فضلا عظيما على نهضة أوروبا .

كما أعلن سيادته : أن مصر وشقيقاتها تناضل بشرف وصبر لاسترجاع حقوقها المسلوبة ، واسترداد مقدساتها المغتصبة ، واعادة الفلسطينيين المشردين الى وطنهم .

وطالب الرئيس فى رسالته بأن يولى المؤتمر القيم الروحية عنايته ، وأشاد بآثارها البعيدة المدى فى خير العالم وانهاضه .

وفيما يلى نص رسالة الرئيس التى نشرت فى صحافة السنغال وأذيعت أربع مرات متتالية من أجهزة الاعلام :

يطيب لى أن أنتهز فرصة انعقاد مؤتمركم لابعث بتحياتى الودية الخالصة الى أخى السيد رئيس جمهورية السنغال والى الحكومة السنغالية ، والى الشعب السنغالى الشقيق ، راجيا لهم جميعا حياة طيبة فى ظلال من الامن والرخاء والسلام .

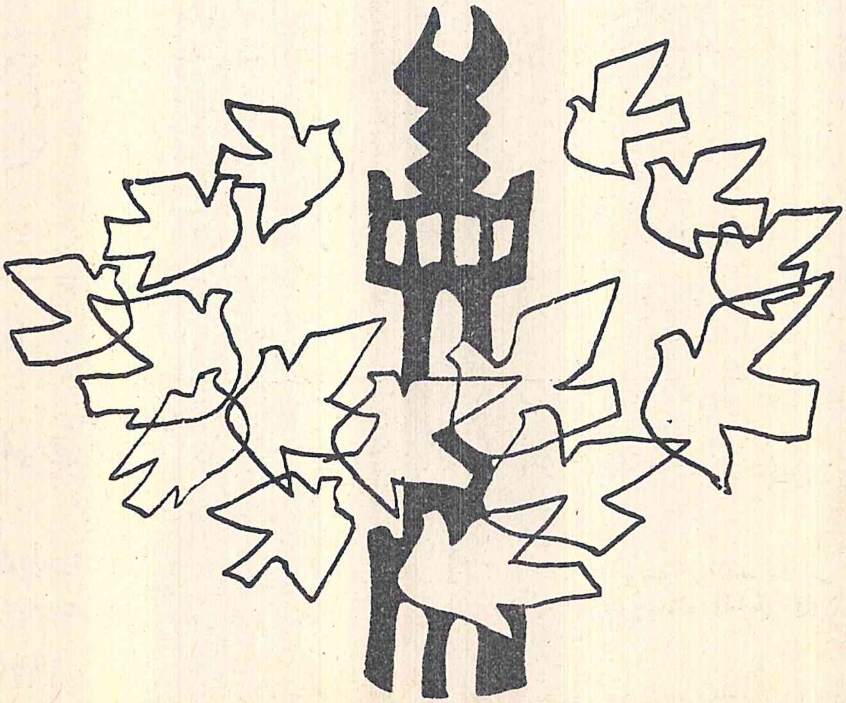

للعلماء المسلمين فضل عظيم على نهضة أوروبا

ولن أنسى أن أشيد بمواقف جمهورية السنغال المجيدة فى تأييدها الكامل لجمهورية مصر العربية وشقيقاتها فى النضال الشريف الصابر لاسترجاع حقوقنا المسلوبة ، واسترداد مقدساتنا المغصوبة واعادة اخوتنا الفلسطينيين المشردين الى وطنهم وديارهم . هذا الامر الذى تعمل مصر من أجله ليلا ونهارا هو شغلنا الشاغل .

وانه ليسرنى أن أرسل الى مؤتمركم الموقر تحيتى القلبية داعيا الله العلى القدير أن يرعى مؤتمركم ، وأن يوفق جهودكم ، لتثمر ما نبتغيه جميعا للاسلام وللمسلمين من عزة وقوة وازدهار تتفق وتعاليمه السامية ، ومثله العالية ، وتاريخه المجيد ، وسماحته العظمى التى أفاءت ظلالها على المسلمين وعلى غير المسلمين أحقابا طوالا فى أماكن شتى من العالم ، وهذه حقيقة لا يستطيع انكارها باحث ، ولا يشك فى صدقها منصف .

واسمحوا لى فى هذا المقام أن أهيب بمؤتمركم الموقر أن يولى القيم الروحية عنايته العظيمة ، مشيدا بآثارها البعيدة المدى فى خير العالم ، وانهاضه وتعاونه الصادق ، وفى مسالمة بعضه البعض ، فى هذه الفترة العصيبة التى يجتازها العالم فى غفلة أو تغافل عن الحق والخير والعدل ، مخدوعا بالقوة المادية التى تطغيه ، وهو أعزل من سلطان الروح الذى يرشده ويهديه ، ويعصم الناس أفرادا وجماعات من الزلل والغواية والعدوان .

واذا كان الموضوع الذى انعقد من أجله مؤتمركم هو الاسلام والعصر الحديث ، فانه بذلك يكشف عن عبقرية الاسلام ، وعن آثاره العظيمة فى تاريخه الحافل الطويل ، ويجلو هذه النواحى فى العالم المعاصر الذى يتسابق فى مجال العلم والابتكار وما يكفل رفاهية الناس وسعادتهم ، لان الاسلام قد دعا الى العلم والعمل ، وحض على التفكير والتدبير منذ أربعة عشر قرنا ، كما يتضح من مئات الايات القرآنية الكريمة ، ومن الاحاديث النبوية الشريفة ، ومن جهود العلماء المسلمين الاولين فى كل فرع من فروع العلم والمعرفة والثقافة والابتكار ، حتى أنه من الحق الذى لا جدال فيه أن للعلماء المسلمين فضلا عظيما على نهضة أوروبا وانتشالها من ظلمات العصور الوسطى ، كما يتحدث بذلك التاريخ وكما يعترف العلماء الدارسون .

تحية ثانية لمؤتمركم ، ودعوات قلبية لكم بالتوفيق والسداد فى نصرة الحق ، وعزة الاسلام ، وخير المسلمين ، وسلام البشر ■

نص الخطاب الهام
الذى ألقاه السيد الرئيس
محمد أنور السادات
فى مجلس الشعب

٢٨ / ١٢ / ١٩٧٢

فى خطاب بالغ الاهمية عرض فيه الرئيس انور السادات امام اعضاء مجلس الشعب واللجنة المركزية ، بعض خطوات العمل المقبلة قال الرئيس : أن علينا جميعا أن نتنبه وأن نسمع صوت النداء ، وأن نلبى داعى الواجب المقدس . وقد مررنا بفترة عصيبة ، وآن لنا أن نخلص انفسنا من اسارها وأن نجند كل حيوية فينا ، وأن نقبل التحدى ، بل وأن نتقدم نحن بالمبادأة ،

وفى خطابه الهام ، ضغط الرئيس السادات على ثلاث نقط اساسية عبر عنها بقوله :

● اولا : أن تحرير الارض هو التزامنا الاساسى ، ويجب أن تتجه اليه كل الاعمال ، بل كل النوايا .

● ثانيا : أن قواتنا المسلحة لا يمكن أن تؤدى دورها الا اذا كانت هناك - قبل السلاح - جبهة داخلية متماسكة وصلبة

● ثالثا أننا لن نسمح بنغمة طائفية من اى نوع ، ولا باستقطاب يمزق الوطن - خصوصا بين الشباب - بدعاوى اليسار المغامر او اليمين الرجعى .

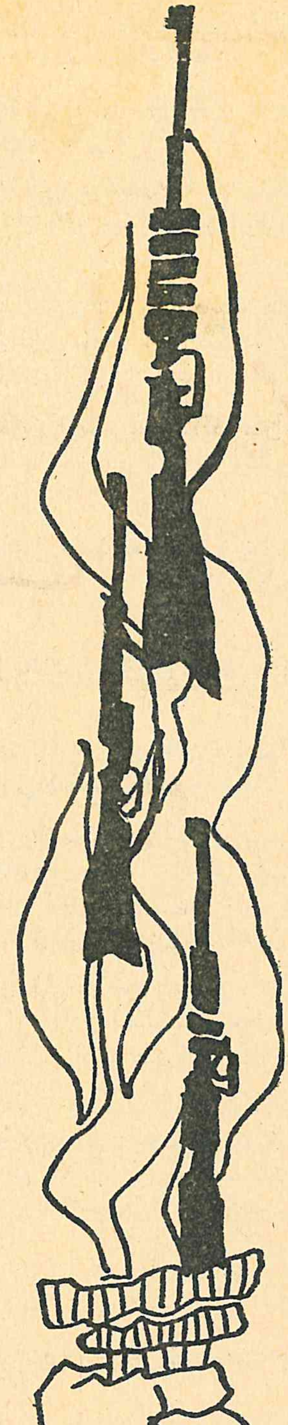

تحرير الارض هو التزامنا الاساسى ويجب ان تتجه اليه كل الاعمال بل كل النوايا ٠

فيما يلى نص خطاب الرئيس السادات :

باسم الله

قبل أن أبدأ حديثى أريد أن اهنىء الاخوة والاخوات الذين انتخبوا وانضموا الى مجلس الشعب وأقول انها أمانة أعانكم الله جميعا على تحملها ٠

أيها الاخوة والاخوات أعضاء مجلس الشعب ٠

لقد جاءت اللحظة التى أصبح فيها محتما على هذه الامة أن تهب واقفة ، وأن تتماسك صفا واحدا ، وأن تؤكد من جديد كل القيم الغالية فى تاريخها وتراثها ، وأن تثبت لنفسها وللعالم كله انها على أتم الاستعداد لخوض أعنف وأقسى اختبار مرت به فى حياتها العظيمة المجيدة ٠

لقد جاءت اللحظة التى لا ينبغى أن « يعلو فيها صوت على صوت المعركة » حتى يكون ما نسمعه ، ويكون ما نلبيه ، هو نداء التحرير ولا شىء غيره ولا شىء قبله ولا شىء بجانبه ٠

جاءت اللحظة التى نعطى فيها للوطن حقه ووفاءه ، ونقدم فيها للامة العربية ما هو واجبنا ومسئوليتنا ونشهد فيها الدنيا على أن هذه الارض أرض عزة وأرض كرامة وأرض حق لا يضيع وأرض تضحية لا تعرف التردد ٠

جاءت اللحظة التى يجب أن يتبدد فيها من فوق أرضنا وسمائنا كل ضباب لينجلى وجه الحقيقة نتبقى وحدها بيننا تفرض علينا ما لابد أن تفرضه وتحرك عملنا الايجابى الى حيث ينبغى له أن يتحرك وتوجه خطانا بالامل والقوة معا الى نصرنا الموعود باذن الله ٠

جاءت هذه اللحظة

وعلينا جميعا أن نتنبه وأن نسمع صوت النداء وأن نلبى داعى الواجب المقدس ٠

مررنا بفترة عصيبة

لقد مررنا بفترة عصيبة وآن لنا أن نخلص أنفسنا من اسارها ، وأن نجند كل حيوية فينا ، وأن نقبل التحدى ، بل وأن نتقدم نحن بالمبادأة اليه ٠

ولقد كانت للفترة العصيبة أسبابها الموضوعية حتى لا نظلم أنفسنا بغير مقتضى ٠

من ذلك أن الازمة التى نواجهها طالت بأكثر مما قدرنا وقدر غيرنا وذلك لاسباب لم تكن ارادتنا هى المتحكمة فيها دائما ٠

ومن ذلك أيضا أن حرب العدو النفسية علينا لم تهدأ لحظة لان العدو كان يعرف أن النصر والهزيمة يبدآن من داخل أى مجتمع ٠

ومن ذلك أيضـــا أن العالم من حولنا كان يحفل بمتغيرات كانت ملاحقتها تجربة مضنية لنا ولغيرنا من الشعوب المناضلة ٠

ونستطيع بســهولة أن نرد بعض ما واجهناه فى الفترة العصيبة الماضية الى هــذه الاسباب وتفاعلاتها ٠

ولكن يبقى السؤال الذى سيفرض نفسه علينا بعد ذلك وهو :

– هل نترك الظروف لتفرض هى على ارادتنا ٠ أو نتقدم نحن لكى نفرض ارادتنا على الظروف ؟

ولا أخالكم جميعا الا معى فى القول بأنه ليس أمامنا من سبيل أو وسيلة أو رجاء – الا أن نتقدم نحن لكى نفرض ارادتنا على الظروف ٠ مهما كان ينتظرنا وهو صعب ٠ ومهما كان يتربص بنا وهو خطير » !

أخا لكم جميعا ٠ وأخال كل فرد من أفراد شعبنا٠ رجالا ونساء ٠ شيبا وشبابا ٠ أخالكم جميعا معى فى حتميةوضرورة أن نفرض ارادتنا على الظروف ٠

ما واجهناه فى الفترة العصيبة الماضية كانت له أسبابه ٠ ولكن أسبابه مهما كانت يجب أن تتوقف هذه اللحظة ٠ بالصدق مع النفس وليس بـالاكراه ٠ بالايمان وليس بالقسر ٠ بالثقة المستنيرة وليس بالغيبية العمياء ٠

كانت له أسبابه ٠٠

ومهما كانت أسبابه فانه يجب أن ينتهى هــذه اللحظه ٠

لقد واجهنا موجات من الشك والقلق وكان ذلك كما قلت من طبيعة الظروف ٠

- **عدو شرس لا يخفى مطامعه فى التوسع ٠**
- **قوة عظمى هى الولايات المتحدة تتواطأ معه الى آخر المدى وتحول الارض التى يحتلها الى ترسانة سلاح متطور ومتقدم ٠**
- **ظروفنا فى الحصول على ما نحتاج اليه من السلاح محكومة بما أعرف وتعرفون ولكنا لا نكف عن**

المحاولة ولا نتردد أمام باب نتصور أن وراءه ما قد نحتاج اليه .

■ **وأمتنا العربية تتنازعها تيارات واعتبارات عطلت حشد كامل امكانياتها الطائلة الهائلة تلك الامكانيات القادرة على ترجيح الميزان .**

■ **والعالم من حولنا مشغول يجتاز عصرا لم يسبق له مثيل فى سرعة ما يتلاحق فيه من متغيرات . وكان يجب أن نحزم أمرنا على المواجهة .**

عدونا الشرس لن يفهم الا لغة القوة .

والمتواطئون معه لن يفهموا بالمنطق والاقناع .

وحصولنا على ما نريد من السلاح يجب أن تكون له الاولوية الاولى .

وأمتنا العربية لابد أن تستيقظ .

والعالم كله لا يستطيع أن يتناسى أو يتهرب من مسئوليته .

ولكن كيف يحدث ذلك . لن يحدث ذلك كله أبدا الا بنا وباستعدادنا للنضال والتضحية .

ومهما كانت الاسباب فان هذه اللحظة يجب أن تكون فاصلة .

لقد واجهنا ما يمكن لى أن اسميه بدقة نوعا من « الردة » عن قيم تمسكنا بها فى تاريخنا الطويل العريق .

من ذلك أن مجلسكم الموقر يذكر أننى طلبت تأليف لجنة تحقيق برلمانية تقوم باستظهار الحقائق فى محاولات احداث فتنة طائفية فى مصر .

وقد شكل مجلسكم الموقر بالفعل لجنة تحقيق قامت بجهد يستحق التقدير وأظهر تقريرها والمناقشات التى تلته حرص جماهير شعبنا على الوحدة الوطنية . والحقيقة هى التى كنت أريد لها أن تتجلى بأكبر قدر من الوضوح حينما طلبت الى مجلسكم الموقر أن يبحث المسألة من جميع جوانبها بغير تخوف وبدون حساسيات أؤمن من أعماق قلبى أنه لا داعى لها فى بلد كان دوره الاسلامى القيادى حقيقة لا تنازع وكان الوجود المسيحى من قبل الاسلام ومن بعده فيه اخاء ووطنية غير قابلة للاستغلال أو التحريض .

ولقد أحال الى مجلسكم الموقر تقرير لجنته وما دار حول هذا التقرير من مناقشات طالبا منى أن أواجهه بحكم المسئولية الدستورية والسياسية ومقتضيات المصلحة الوطنية العليا :

سوء الفهم
وسوء القصد

وبالفعل فان هذا الامر كان فى الفترة الاخيرة من أهم شواغلى بالامس فقط كنت فى الازهر الشريف

لقد اخترت ان نفتح الابواب ونمـــارس الديموقراطيـــة وكنت اعرف ان الممارسة لها اعباؤهـــا وتكاليفهـــا .

منارة الاسلام المضيئة ، وكنت فى البطريركية القبطية قلعة المسيحية العتيدة فى الشرق ، واستطيع بعدها أن أذكر لمجلسكم الموقر ولجماهير شعبنا وأمتنا ما يلى :

أولا : اننى واثق كل الثقة من حسن وعى وتقدير الجميع للظروف التى نمارس فيها نضالنا ، وفى الضرورة القصوى والحيوية لوحدة الامة ، بل اننى واثق من ذلك كله ، فى كل الظروف ، فلا حرب بغير الوحدة الوطنية ، ولا سلم بدونها .

ثانيا : ان تاريخنا كله يؤكد للجميع اننا عشنا على مر العصور شعبا واحدا متجانسا متماسكا ، وأهمية تجربة التاريخ هنا ان المستقبل لا ينشأ فى عزلة عن الماضى ، ومن ثم فان هذه الامة التى عاشت الحياة ، بحلوها ومرها ، بخطرها وأمنها ، أمة واحدة .. سوف تعيش المستقبل بكل ما يحمله لها .. وبكل ما تحمله له أمة واحدة .

ثالثا : اننى أعرف انه كانت هناك دواع لسوء فهم لابد أن نزيل أسبابه، وفى نفس الوقت فانى أعرف انه كانت هناك محاولات بسوء قصد لابد ان نواجهها بمنتهى الحزم .

ولقد كان سوء القصد فى هذا المجال جزءا من الحملة الموجهة الى شعبنا كله فى معركة المصير التى يخوضها اليوم .. ولم تكن بعيدة عن تدبير أعدائنا وأصدقائهم الذين عجزوا عن قهر ارادة شعبنا على خطر المواجهة .. وكان قصدهم ان يوجهوا اليه ضربة من الوراء .

رابعا : اننى على يقين كامل بأنه مهما كانت المحاولات من الخارج فان وعى جماهير شعبنا معززا بسلطة الدولة النابعة من ارادة شعبها ، هذا الوعى المعزز بسلطة الدولة قادر على أن يبت ويحسم بما يضمن المساواة الكاملة لكل المواطنين فى ظل من سيادة القانون .. ان ذلك وحده هو الذى يشكل خطا فاصلا بين الحق والباطل وبين الاصالة والزيف .

خامسا : ان هذا الوطن كان وما يزال وسوف يظل

عمره كله مؤمنا برسالات السماء .. مخلصا فى ذلك ومؤمنا .. عارفا بالحق متوسلا بالهدى . متوجها الى الله .. حاملا لكتبه المقدسة ولقد كان هذا الوطن دائما قلعة من القلاع الحصينة فى الدفاع عن الدين قبل الاسلام وبعده ، بل ان الدين كان لديه فى عصور طويلة وعاء للوطنية ذاتها .

الشباب أصحاب المستقبل

أيها الاخوة والاخوات اعضاء مجلس الشعب .

لعلى أقول اننا لم نواجه شكوك الردة عن بعض قيمنا فحسب وانما واجهنا أيضا بعض مشاكل التقدم .

ذلك اننى بحكم كل وثائق الثورة الاصيلة وتجاربها الغنية أردت ان نمارس ما كنا نحلم به وندعو اليه من ديمقراطية حقيقية وكان ذلك استلهاما لمعانى الميثاق وبيان ٣٠ مارس وحصيلة تجربة ١٤ مايو سنة ١٩٧١ .

ولم تكن هذه ارادتى وحدى وانما كانت مطلبا شعبيا ملحا بل وكنت أراه مطلبا حيويا .

ولقد كنت أعرف أن الممارسة لها أعباؤها وتكاليفها .

كانت لكم فى هذا المجلس مناقشات مشهودة ، تابعتها بالتقدير والاعجاب،وأعتقد بأمانة أنها ساهمت فى التوجيه والتصحيح . وعندما كان هناك من يبدى الخشية من آثار هذا الانفتاح ومن مخاطره كنت أقول : فلنمارس ولا نخش شيئا .

وتنوعت الاراء والاجتهادات خارج مجلسكم فى كل مجال ، ولم يكن هناك مجال لم تتناوله المناقشات ، من قضايا التنمية الى قضايا المعركة . وعندما كان هناك من يبدون الخشية من اثار هذا الانفتاح ومن مخاطره فلقد كنت أقول مرة اخرى فلنمارس ولا نخش شيئا .

وكنت اتابع عن قرب مناقشات الشباب فى الجامعات وما يعقدونه من مؤتمرات وما يبدون من آراء وعندما كان هناك من يبدون الخشية من أن يتحول الانفتاح الى انفلات كنت أقول أيضا : فلنمارس ولا نخش شيئا .

وكنت اضيف فيما يتعلق بالشباب أنهم أصحاب المستقبل فكيف يجوز لنا ان نعزلهم عن قضاياه .

ولقد بدا هذا الجو لاخرين خارج وطننا محيرا وراحوا يفسرونه على غير الحقيقة ويتصورون من بعض التطورات ذخيرة يمكن ان تنفعهم فى الحرب النفسية .

جربوا ذلك فى المظهر السطحى للتوتر الطائفى العابر . كانوا يحاولون اثارته من الخارج ولما بدت بعض الظواهر على السطح حاولوا استخدامها لتعميق المشكلة وأعادوا توجيهها الينا ضمن ذخيرة الحرب النفسية علينا علنا نتأثر أو نهتز .

وجربوا ذلك أيضا فى المناقشات المفتوحة التى دارت وتدور فى وطننا وحاولوا اظهارنا وكأننا وطن انقسم على نفسه .. اى أنهم استخدموا ممارستنا الديمقراطية لتكون ذخيرة فى الحرب النفسية علنا نتأثر أو نهتز .

جربوا ذلك أيضا فى معانات شباب الجامعات لاقدار وطنهم وتصوروا ان يكون قلق شبابنا ذخيرة فى الحرب النفسية علنا نتأثر او نهتز .

وأقول لحضراتكم وأمام مجلسكم الموقر .

اننا لا تأثرنا ولا اهتزت فينا شعرة واحدة . فلقد كنا نعرف ما نفعله . ونقدر طبيعة ما نحاوله . ونرى التدبير المقصود ولا نخشاه وقد كنا بين أمرين :

اما ان نقفل علينا الابواب ونذارى .

أو نفتح الابواب ونمارس .

وكان رأيى ان نمارس ولم أغير رأيى فى ان الحرية هى السبيل الى المشاركة الشعبية كأوسع وأقوى ما تكون المشاركة ثم ان الضمان الحقيقى للحرية هو المزيد من الحرية .

أيها الاخوة والاخوات اعضاء مجلس الشعب .

على ان ذلك يتطلب منا ان نكون على حذر وان نتنبه الى مزالق لا يحق لنا سواء بالنسبة لواجب تحرير الارض أو حق الممارسة الديمقراطية أن ننحرف اليها .

التحرير : التزامنا الاساسى

أريد أن تنبه الى مايلى على مرآى ومسمع منكم وعلى مرأى ومسمع من جماهير شعبنا . وعلى مرأى ومسمع من جماهير امتنا العربية .

اولا – ان قضية تحرير الارض العربية المحتلة هى التزامنا الاساسى . وعليها وفى سبيلها .. يجب أن تتجه كل الاعمال .. بل كل النوايا

لا طريق غير استرداد الحق بالقوة ..

ثانيا – ان قواتنا المسلحة لا يمكن أن تؤدى دورها الا اذا كانت هناك – قبل السلاح – جبهة داخلية متماسكة وصلبة تؤمن بهدفها .. وتعرف طريقها لتحقيقه مهما كانت التكاليف ..

ثالثا – ان الوحدة الوطنية هى الدعامة الوحيدة للجبهة الداخلية المتماسكة والصلبة .

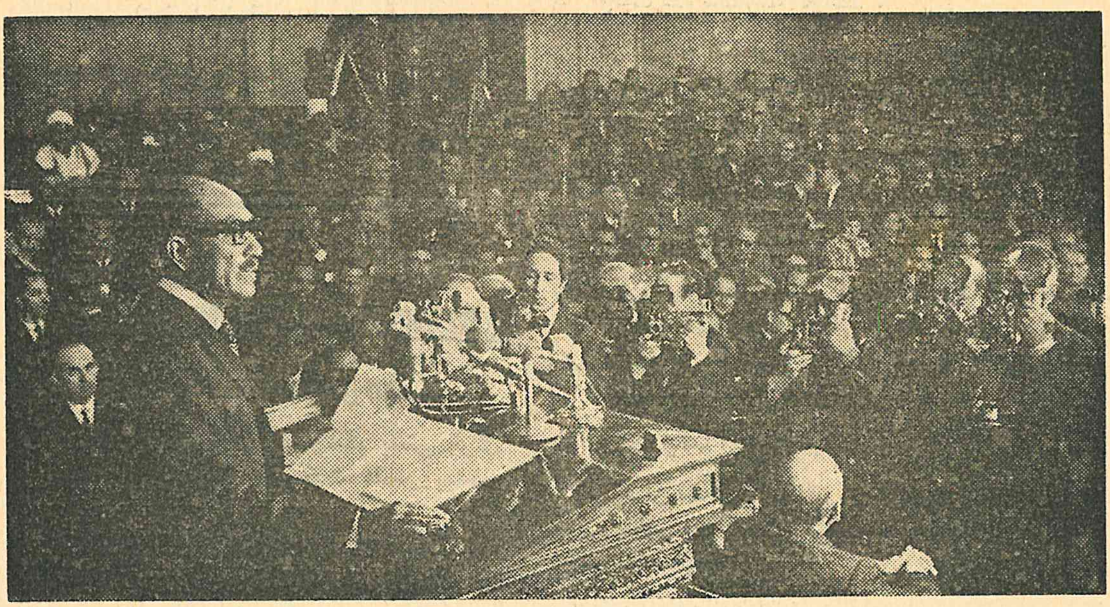

● الرئيس يعلن فى خطابه الهام أمام أعضاء مجلس الشعب « انا على استعداد فى كل الاوقات أن أصحح وأن أقوم بحيث يتكامل العمل الوطنى » ..

وهنا وبدءا من الان أرفع صوتى لاقول بوضوح اننى لن أسكت .. ولن تسمحوا . ولن يسمح شعبنا بنغمة طائفية من أى شخص ومن أى مصدر ولاى سبب ثم اننى أيضا لن اسكت ولن تسمحوا ولن يسمح شعبنا باستقطاب يمزق قوى الوطن ـ خصوصا بين الشباب بدعاوى اليسار المغامر أو اليمين الرجعى .

ان لدينا منهاجا استخلصناه من وسط تجاربنا الثورية .. ومن قلب النضال المستمر .. وهو تحالف قوى الشعب العامل وسيطرته على وسائل الانتاج وديمقراطيته النابعة من ذلك اجتماعيا .

وقوى هذا التحالف محددة . معروفة والواجبات الملقاة على كل منها محددة ومعروفة أيضا ..

هناك الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية ..

كل هؤلاء جميعا يعرفون مكانهم . ويعرفون دورهم ..

وكل هؤلاء موجودون فى مواقع عملهم .. فى الحقول فى المصانع . فى أجهزة الخدمة العامة .. على الجبهة .. فى الجامعات ومراكز البحث والتفكير .. فى كل مجال ونشاط ..

ثم أن كل هؤلاء موجودون فى القيادة السياسية للتحالف وهى الاتحاد الاشتراكى

وكل هؤلاء موجودون هنا فى هذا المجلس الموقر الذى يمثل السلطة التشريعية ..

ثم أن كل هؤلاء موجودون ايضا يتابعون أعمال الحكومة التى تتحمل مسئولياتها لتحقيق سياسة يعرفونها لانها نابعة منهم .

هكذا قلنا ونقول انها دولة مؤسسات .. وأقول لكم أن هذا هو الضمان الحقيقى للاستمرار . ومن واجبنا جميعا أن نسهر وأن نراقب .

مع تحالف قوى الشعب

وفيما يتعلق بى .. وبمسئولياتى السياسية والدستورية .. فانى أقول لحضراتكم أننى لا أعتبر نفسى حكما فوق كل السلطات وانما اعتبر نفسى منحازا . وبالكامل لتحالف قوى الشعب العامل ومواثيقه ومبادئه ومطالبه ..

وفيما يتعلق بالاشكال التنظيمية والتنفيذية . فاننى بكل وضوح مع تنظيم الاتحاد الاشتراكى بقدر ما يحسن التعبير عن الناس . ومع الوزارة بقدر ما تحسن خدمتهم .. أو فاننى فى كل الاوقات على استعداد أن أصحح وأن أقوم بحيث يتكامل العمل الوطنى . وتنسجم مؤسساته بمعيار تحقيق الاهداف العظمى لقوى التحالف الشعبى الكبير .

● انني مع الاتحاد الاشتراكى بقدر حسن تعبيره مع الناس ومع الوزارة بقدر ما تحسن خدمتهم ... وعلى استعداد للتصحيح والتقويم .

أيها الاخوة والاخوات أعضاء مجلس الشعب

ان الواجب يفرض على أن أصارحكم بأننى طوال الفترة العصيبة التى مررنا بها كنت أشعر ببعض الاسف .

كنت أترك كل شىء يسير فى مجراه الطبيعى تحت شعار « فلنمارس » ... ولم تكن بى خشية من أية ظواهر تبدو على السطح .. ولكن ما شعرت به من أسف كان مبعثه أننى حذرت منه فى وقت مبكر . بل وكان تحذيرى قاطعا هنا فى هذا المجلس الموقر حين التقيت بكم قبل شهور عند افتتاح دورتكم ..

تحذير السادات

لقد قلت أمامكم بالحرف الواحد :

ان شعوبا قبلنا واجهت مثل ما نواجه اليوم .. وسمعت صيحة النذير تقول لها ليس أمامكم الا العرق والدم والدموع .. والصيحة التى يجب أن تملأ آذاننا نحن اليوم هى أنه ليس أمامنا الا العرق والدم والامل .. لانه لم يعد هناك مجال فى نضالنا للدموع ، فالذى نخوضه اليوم ليس حربا بالمعنى القديم للحروب .. وانما الذى نخوضه هو صراع الحياة والموت نفسه ، ونتيجته ليست مجرد النصر والهزيمة .. وانما نتيجته ، كما قلت أمام حضراتكم وأمام شعبنا أكثر من مرة ، هى : نكون أو لا نكون ..

وقلت أمام حضراتكم بالحرف الواحد :

ان الخطر كبير من حيث أن العدو الذى يتربص بنا لا يشتبك معنا على نزاع حدود أو مغانم تكون له أو تكون لنا . انما الصدام على ارضنا بكل ما فيها ومن فيها .

وقلت أيضا :

ولكن الخطر على جسامته ليس هولا لا يقهر .. وانما على العكس من ذلك تماما فان هزيمته ممكنة ويساعد عليها أن هذا الخطر رغم جسامته مضاد لمنطق الطبيعة .. مضاد لمنطق التاريخ .

واستطردت أمام حضراتكم :

اى أن الخطر جسيم ..

ولكن هزيمته ممكنة ..

وقلت لكم بالحرف الواحد :

ان هزيمة الخطر ليست معجزة مستحيلة .. وانما هى مسألة قابلة للتحقيق عندما يتوافر المناخ الملائم لها ، والمناخ الملائم لها هو مناخ الوطنية التى تجعل من كل انسان كتلة حية من أرض وطنه .. وتجعل من كل كتلة أرض حياة تنبض وتهب وتقاتل ..

وقلت أيضا :

والوطنية بهذا المعنى ليست مجرد نبرة حماسية .. وانما هى وبهذا المعنى رباط مقدس بين الارض والانسان فى كل شىء .. فى الحياة .. وفى الحرية .. وفى الكرامة .. وفى الشرف .

وقلت أيضا أمام حضراتكم :

لابد أن نتذكر دائما أن كل شىء يبدأ بنا .. وان كل شىء ينتهى بنا .. كل شىء يبدأ بايماننا .. وكل شىء ينتهى بتصميمنا ..

قلت ذلك كله هنا تحت هذه القبة .. وانكم لتذكرون .

ايها الاخوة والاخوات اعضاء مجلس الشعب

أعود أمام حضراتكم لاكرر مرة أخرى أن الجبهة الداخلية هى الاساس .. والوحدة الوطنية هى الجبهة الداخلية .. وعلى هذه القاعدة الصلبة الصامدة نستطيع أن نواجه مسئوليات شاء الله تعالى بحكمته أن يجعلها قدرنا ونحن نعتبر ذلك شرفا وتشريفا .. لان الامم العظيمة تبنيها التجارب العظيمة .. بل والمحن العظيمة ..

علينا أن نتذكر

وعلينا أن نتذكر فى كل الظروف :

أولا : أننا لا نواجه اسرائيل وحدها وانما نواجه ورائها مددا أمريكيا لا ينقطع ، لان الولايات المتحدة كما علمتنا التجارب تستخدم اسرائيل كرأس جسر للارهاب ضد أمتنا العربية .. وكعازل يقطع وحدتها .. وكوسيلة لاستنزاف طاقاتها ..

وثانيا : اننا تمسكنا ونتمسك بالصداقة العربية السوفيتية ونعتقد أنها أدت وتؤدى دورا كبيرا فى مساعدتنا على مواصلة نضالنا ضد الاستعمار والامبريالية وان كان علينا أن نقدر لكل صديق ظروفه وحدوده .

ثالثا : اننا لا نواجه الخطر وحدنا وانما تواجهه معنا كل أمتنا العربية ، واذا كانت الوحدة العربية حقيقة تاريخية ومصيرية لا شك فيها فاننا لا نستطيع أن نغفل عن الواقع العربى وأوضاعه الراهنة .. وعلينا الا نيأس وأن لا نكف اطلاقا عن مواصلة العمل بهدف التحريك واعادة الحشد والتوجيه على المستوى القومى .

رابعا : ان القوة الرئيسية فى المعركة هى القوة الذاتية للشعب المصرى .. وهذا قدره وهو أيضا مبعث فخاره واعتزازه .

خامسا : ان الشعب المصرى يواجه ما يواجه مدعما باتحاد ينتمى اليه يضم الجمهورية العربية السوريه والجمهوريه العربية الليبية .

سادسا : ان هذا الدعم سوف يتخذ لنفسه بعدا آخر بالوحدة الكاملة بين مصر وليبيا .. وهى وحدة لا تفرضها المعركة وحدها وانما يفرضها المنطق التاريخى للوحدة العربية وظروفها .

سابعا : ان المعركة .. والمعركة وحدها سوف تكون الاختبار الحقيقى تجاه كل ما نحارب ضده .. وتجاه كل ما نحارب دفاعا عنه .

ومن هنا أيها الاخوة فاننى أقول لكم بأعلى صوت .. وبكامل المسئولية .. ان باب المعركة هو باب المستقبل .. وليس هناك طريق آخر .

أيها الاخوة والاخوات أعضاء مجلس الشعب ..

لقد كان فكرى فى بداية الامر يتجه الى أن أرد على تكليفكم لى بمواجهة محاولة اثارة فتنة طائفية فى وطننا بخطاب الى مجلسكم الموقر أطمئنكم فيه على ما تحققت منه فى مسعاى لتأكيد وتعزيز الوحدة الوطنية .

وخطر لى أن محاولة اثارة الفتنة الطائفية فى وطننا فى هذا الوقت حلقة من سلسلة ، فهى ليست موضوعا عارضا مستقلا بذاته .. وانما هى جزء من كل ، ومن هنا كان قرارى أن أجىء الى مجلسكم الموقر وأن أتحدث اليكم فيما هو أوسع واشمل .

خطواتنا المقبلة

ولعلى انتهز هذه الفرصة لاحدد أمامكم بعض خطواتنا المقبلة :

أولا : اننى طلبت من الوزارة أن تستعد لاحتمال نشوب القتال وليس لمجرد الاعداد للحرب .. فلقد أبلغتكم الوزارة هنا بأن خطة اعداد الدولة للحرب قد تمت .. وهى الان جاهزة .

وكخطوة أكثر تقدما فاننى طلبت أن يكون هناك استعداد لنشوب القتال .

ثانيا : ان ذلك سوف يقتضى اجراءات توجه كل شىء للمعركة .. ولقد طلبت أن تبدأ الدولة بنفسها وأن تتخذ ما يتحتم عليها أن تتخذه من اجراءات لضرورة ذلك أولا .. ثم ليكون منه قدوة لاية تضحيات تطلب من الشعب .

ثالثا : اننى سوف أنشىء فورا فى كل محافظة من محافظات الجمهورية لجنة عليا لشئون المعركة تضم المحافظ وأمين الاتحاد الاشتراكى ورئيس المجموعة البرلمانية الاقليمية والمستشار العسكرى للمحافظة ومدير الامن فيها .

مبادرات مصرية جديدة تحقق قومية المعركة وخطة لتحرك دولى يضع العالم امام مسئولياته .

وبهذا فان السلطة التنفيذية .. والسلطة السياسية .. والسلطة الشعبية .. وجهة الاختصاص العسكرى .. وجهة الاختصاص فى الامن الداخلى .. تكون جميعها ممثلة فى هذه اللجنة العليا .

رابعا : سوف تكون هناك لجنة على مستوى الجمهورية .. أتولى بنفسى عملها .. وتشمل جميع السلطات وتضمن مشاركتها .. وسوف يكون عملى فى ممارسة مسئوليتى بها من الاتحاد الاشتراكى باعتباره مقر تحالف قوى الشعب العاملة .

خامسا : سوف تكون لهذه اللجنة العامة لجنة دائمة فى حالة انعقاد مستمر .

سادسا : اننا سوف نطرح خطة عمل على مستوى دولة الاتحاد تضمن لجبهة القتال عمقا وفاعلية وكفاءة تستطيع جميعها أن تؤمن لنا معركة ذات نفس طويل .

سابعا : اننا سوف نقوم بمبادرات جديدة نأمل أن تصل الى تحقيق قومية المعركة الى أبعد حد ممكن ومستطاع .

ثامنا : اننا وضعنا خطة لتحرك دولى يضع العالم بما فيه القوى العظمى أمام مسئوليات لم يعد ممكنا تناسيها أو نسيانها .

أيها الاخوة والاخوات أعضاء مجلس الشعب : لقد جاءت لحظة نقول فيها لانفسنا ولغيرنا :

لن تصدنا عقبة ، ولن ترهبنا قوة ، ولن يقهرنا عدو ..

سوف نشق طريقنا وسط النار والعاصفة وسوف نفدى بالعرق حريتنا ، وسوف نفدى بالدم شرفنا ، وسوف نضع أعلامنا - باذن الله وتوفيقه - حيث يجب أن ترتفع أعلامنا ..

والسلام عليكم ورحمة الله ..

المذاهب

فضيلة الأستاذ
الدكتور
عبد الحليم محمود
وزير الأوقاف
وشئون الأزهر

لقد طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام كما أحبه الله سبحانه وتعالى ، طبقه بمختلف مواقفه ، طبقه بكلامه ، وطبقه بعمله ، وطبقه بمشاعره .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسيرون حسبما يرسم ، ويتخذونه قدوة ، ويعملون كما يعمل ، وبذلك تواترت سنته صلى الله عليه وسلم العملية ، وكانوا رضى الله عنهم يشرحون هذه السنة ، وكانوا يروون ما تحدث به صلى الله عليه وسلم فى مواقفه المتنوعة .

ولقد حفظ بعض الصحابة ما لم يحفظه الاخرون ، ثم تفرقوا فى البلاد فى الأمة الاسلامية ، وحفظت الامة الاسلامية فى مخلف البلاد عن هؤلاء الصحابة الكثير ، وأخذوا يروون ما حفظوا . ونشأ قوم اتجهوا الى جمع هذه الاحاديث فى صحاح وفى مسانيد ، وتحروا فيها الصدق ، نافين عنها كل ما يمكن أن يناله الشك ، وقاموا فى سبيل ذلك بمالم يصل الى مثله المؤرخون الحديثون من أساليب النقد ، وتحرى الصحة ..

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم له أوضاع تسير على نسق واحد فى بعض المسائل وتختلف فى بعضها الاخر :

انه صلى الله عليه وسلم كان يلتزم سلوكا واحدا فيما هو فرض كالقراءة والركوع والسجود والجلوس للتشهد فى الصلاة ، وكصيام شهر رمضان ، والامساك الكامل فيه عن الطعام والشراب .. وهكذا .

أما فيما يتعلق بالسنن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يلتزم بصورة حتمية سلوكا واحدا ، وانما كان يأتى فى بعض الاحيان ما لم يأته فى أحيان أخرى ،

ومن أمثلة ذلك ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم بعد تكبيرة الاحرام قبل قراءة الفاتحة .

وما كان يقوله صلى الله عليه وسلم من دعاء فى سجوده .

وهل كان صلى الله عليه وسلم فى وقوفه بين يدى الله للصلاة يرخى ذراعيه أويقبضهما واضعا اليمنى على اليسرى ... وهكذا .

ومثل هذه الامور تحدث فى أعمال العبادة كما تحدث فى البيع والربا والاجارة وغيرها من أعمال التعامل بين الناس .

ومذاهب الفقهاء تدور فى هذا الفلك : انه لا اختلاف بينهم فى الركوع والسجود مثلا ، ولكن الاختلاف بينهم فى غير الفروض الواجبة الاداء .

ولكن هذه الامور الهينة التى ليست بفروض ولا واجبات قد استغلتها جهات يسرها التفرقة بين

الفقهية

المسلمين ، وجهات أخرى مهمتها التفرقة بين المسلمين ، حتى تصرفهم الفرقة عن الاخذ فى مهام الحياة الكبرى ، وحتى تضعفهم هذه الفرقة فتصرفهم عن الاصلاح الحقيقى للمجتمع .

ولقد اخترع لهم أعداء الإسلام مسائل للاختلاف :

فمسألة : « السدل والقبض » : والسدل : هو ارخاء اليدين فى الصلاة، والقبض هو وضع اليد اليمنى على اليسرى حينما يكون الانسان واقفا بين يدى الله ـ

لقد اختلف فيها بعض العلماء فى بعض الاقطار الى درجة حادة ، ويعجبنى موقف عالم مستنير وقف فى جلسة احتد فيها النقاش حدة سيئة فقال :

ياعلماء الاسلام ، أسألكم بالله : اذا وقف الانسان فى الصلاة ومد يديه تماما أمامه ، هل تفسد صلاته ؟

قالوا : لا

فقال: فاذا رفع يديه تماما الى أعلى هل تفسد صلاته ؟

فقالوا : لا

وأخذ يسألهم : فاذا أرخاها ؟ فاذا ضمها الى بعضها ؟

وهكذا أخذ يسألهم عن الاوضاع المختلفة لليدين ويقولون : انها لا تفسد الصلاة .

فقال لهم فى النهاية : علام اختلافكم يا علماء الاسلام ، علام شقاقكم ونزاعكم واختلافكم ؟ ـ انها فتنة ، فجنبوا الاسلام عنها ، وجنبوا المجتمع شرها .

وهدأ الجميع ، وعرفوا أن حدتهم فى الخلاف انما تقوم على غير أساس صحيح ..

وعلى كل حال ، فان منشأ الاختلاف بين الفقهاء هو استناد بعضهم الى ماروته الاحاديث من حالات رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر السنن ، واستناد البعض الان الى ماروته الاحاديث من حالات أخرى :

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفا من البحر أو رشفا من الديم

وكل مذاهب الفقه انما هى آراء فى مدرسة واحدة هى المدرسة الاسلامية ، أو هى مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بيد أن ضيق الافق عند بعض المتأخرين هو الذى جعلهم يقيمون من هذه الاراء « مذاهب » منفصلة منفصلة الاتباع ، ينتصر كل منهم لمذهبه .

ويوشك هذا الانفصال أن يزول الان فى واقع المسلمين ، وليس له على كل حال الحدة التى كانت له فى الماضى ..

واذا كانت المذاهب آراء مجتهدين فى مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يشبه أن يكون بدهيا ، فان الذى مازال غامضا نوعا ما فى أذهان بعض الناس انما هو أمر : « الاجتهاد » :

ولقد حاول البعض أن يشيع بين الناس أن باب الاجتهادقد أغلق ، وأن المجتهدين هم هؤلاء الذين نبغوا فى الماضى من أمثال الامام مالك والامام الشافعى رضى الله عنهم .

وأخذ آخرون يجادلونهم فى ذلك ، يرون أن باب الاجتهاد مازال مفتوحا ، ولكنهم يتحدثون عن الاجتهاد وكأنه ميسر لكل من يريد ـ

والواقع أنه لا يتأتى لشخص مستنير ذى بصيرة مضيئةأن يقول انفضل الله قد اقتصر على عددمحدود من الناس هم المجتهدون السابقون ، وذلك أنه من البديهى أن كل من تتوافر فيه شروط الاجتهاد يمكن أن يكون مجتهدا .

أما شروط الاجتهاد فهى :

١ ـ معرفة متمكنة للغة العربية ، ولقد كان الامام مالك رضى الله عنه ، وكان الامام الشافعى رضى الله عنه ، وكان غيرهما من المجتهدين ، من فحول اللغة العربية الافذاذ .

٢ ـ حفظ القرآن الكريم حفظا متقنا ، وفهمه فهما لا يقل عن فهم كبار المفسرين . ويتضمن ذلك معرفة أسباب النزول فى الايات التى كان لهاأسباب نزول ، وذلك أنه وان كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فان معرفة أسباب النزول تساعد على فهم الجو الذى نزلت فيه الاية كما تساعد على التعمق فى فهمها .

٣ ـ معرفة الاحاديث معرفة لا تقل عن معرفة

المحدثين ، وخصوصا الاحاديث التى تتصل بالاحكام ، وذلك أن الاحاديث الخاصة بالاحكام تفسر الكثير مما لا تفصله بعض الايات القرآنية .

٤ - معرفة السنة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسنة العملية متواترة لان الذين لازموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة ، ثم الذين لازموه فى المدينة كانوا كثرة كثيرة . ولقد شاهدوا ما فعله رسول صلى الله عليه وسلم وتابعوه عمليا فيما قام به ، ونقلوا ذلك لمن شاهدوهم من بعد ، وهكذا ..

٥ - معرفة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورة واضحة

وهذه الامور التى ذكرناها يقرنا عليها كل من كان عنده صورة للاجتهاد : ماهو ؟ وكيف يكون ؟ ...

وهى وان كانت متعددة فان بعضها يدخل فى بعض ، وبعضها يفسر ببعض ، وبعضها أسباب وبعضها نتائج ، وكل منها يساعد على فهم الاخر : فهى - اذن - ميسورة ولكن لابد من اتقانها .

ولكن الامر الهام الذى نحب بتوفيق الله تعالى أن نأخذ فى الحديث فيه الان هو : هدف الاجتهاد .

يظن بعض الناس أن هدف الاجتهاد انما هو تيسير الامور ، أو اختراع رأى ، أو ابتداع فكرة ، أو ابداء رأى شخصى ..

لو كان الامر كذلك لما كان هناك من حاجة الى شروط ، أوكد فى التحصيل ، أو جهد فى المعرفة - كلا ، ان الاجتهاد ليس كذلك ..

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه الشيخان :

«من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » رواه مسلم ..

وعن ابراهيم بن عبد الرحمن العذرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » رواه البيهقى ..

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » رواه فى « شرح السنة وقال النووى فى « أربعينه » هذا حديث صحيح رويناه فى «كتاب الحجة » باسناد صحيح .

ان هدف الاجتهاد أمران :

الامر الاول : هو الاجتهاد فى المسائل التى كانت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم للوصول الى ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه المسألة أو تلك . انه بذل الجهد للوصول الى حكم يقينى فى مسألة أو فى مسائل كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا لا يتصل من قرب أو من بعد بالابتداع أو الاختراع أو الرأى الشخصى .

وأما الامر الثانى : فهو الاجتهاد فى مسألة أو مسائل حدثت بعد عهد النبى صلى الله عليه وسلم من أجل ربطها بقاعدة عامة من قواعد الدين الاسلامى محللة أو محرمة .

ان القرآن الكريم ، وان السنة النبوية الشريفة ، فيهما قواعد عامة يدخل فيها ما لا يحصى من الجزئيات ، ومهمة المجتهد هى أن يربط الحديث بالقواعد العامة .

وهو فى هذا لا حرية له ، انه مقيد بالقياس وبالقواعد العامة ، ليس له فى هذا حرية الانطلاق كيفما يريد : كلا ، انه فى كل ظروفه متبع لا مبتدع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى نوعى الاجتهاد :

« اتبعوا ، ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم »

والذى نريد أن ننتهى اليه هو :

١ - المذاهب الفقهية آراء فى مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى بهذا الاعتبار لا تفرق بين فرد وفرد ، ولا بين جماعة وجماعة .

٢ - باب الاجتهاد مفتوح اذا توافرت الشروط ، والمسألة ليست مسألة جدل فى هذا ، وانما هى مسألة اجتهاد فى توافر الشروط .

٣ - الاجتهاد لا ابتداع فيه ، وهو ليس رأيا شخصيا وبعد كل ذلك نقول :

اننا قبل هذا الحديث وبعده نشترط فى المجتهد أن يكون متحليا بفضيلة التقوى .

ان قمم الفقهاء جميعا من الاولياء ، والاجتهاد الصادق عند المجتهدين القمم هو فتح من الله ، ونور من لدنه سبحانه .

ونحن نزور الامام الشافعى مؤمنين بأنه من أولياء الله ، وأهل العراق يزورون الامام أبا حنيفة مؤمنين بأنه من الاولياء .. وهكذا

ولن يأتى فتح الله الا لمن تحلى بالتقوى ، والله سبحانه وتعالى يقول : « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

التشريع • الفقه • الأبحاث
الدراسات الصوفية في الإسلام

سورة القمر

الأستاذ أحمد حسين

- حادث انشقاق القمر
معجزة نبوية أم تصوير ليوم القيامة
- هدف القصص القرآني
- حديث نوح وعاد وثمود ولوط
- القول فى ناقة صالح
- التنبوء بما حدث فى غزوة بدر
- دقة النظام الكوني

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر ● وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ● وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ● ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر ● حكمة بالغة فما تغن النذر ● فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر ● خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر ● مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ● كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ● فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ● ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ● وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ● وحملناه على ذات ألواح ودسر ● تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ● ولقد تركناها آية فهل من مدكر ● فكيف كان عذابى ونذر ● ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ● كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر ● انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ● تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ● فكيف كان عذابى ونذر ● ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ● كذبت ثمود بالنذر ● فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر ● ألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر ● سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ● انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ● ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ●
فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ● فكيف كان عذابى ونذر ●
انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ● ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ●
كذبت قوم لوط بالنذر ●
انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر ● نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر ●
ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ●
ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابى ونذر ●
ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ● فذوقوا عذابى ونذر ●
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ●
ولقد جاء آل فرعون النذر
كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ●
أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر ●
أم يقولون نحن جميع منتصر ●
سيهزم الجمع ويولون الدبر ●
بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ●
ان المجرمين فى ضلال وسعر ●

يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ● انا كل شيء خلقناه بقدر ● وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ● ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر ● وكل شيء فعلوه فى الزبر ● وكل صغير وكبير مستطر ● ان المتقين فى جنات ونهر ● فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ●

صدق الله العظيم

سورة مكية :

الذى فى المصحف انها مكية ولم يدر أى خلاف حول مكيتها فهى مكية باتفاق وهى تفتح بآيات حول انشقاق القمر هل سيكون يوم القيامة ، أم انه تصوير لما وقع فعلا حيث جاءت الاحاديث فى الصحيح ان القمر قد انشق فى أيام سيدنا محمد ، وقد تطور تصور هذا الموضوع من عصر الى عصر فقد وجد دائما من قال : ان انشقاق القمر سيكون عند اقتراب الساعة ، ووجد فى نفس الوقت من قال انه انشق معجزة لسيدنا محمد نزولا عند حكم الاحاديث الصحيحة والتزاما بمدلولها ، وفى أيامنا هذه ناقش بعض المفسرين القضية واستبعدوا فكرة انشقاق القمر على عهد رسول الله ، وسنعرض عليك القضية لتختار لنفسك ما ينشرح له صدرك وأنت آمن فى كلتا الحالتين ، انك مجتهد لك أجر الاجتهاد حتى فى حالة الخطأ .

أحاديث الرسل والجماعات :

والسورة بعد ذلك استعراض لكثير من أصحاب الرسالات ممن جاءوا لقومهم يرشدونهم الى الصراط المستقيم ، فتنكروا لهم وقاوموهم فدارت عليهم الدائرة ، وانتصر الحق وانتصرت الفضيلة وباء المجرمون بالخسران وبأسلوب القرآن المعجز تستعرض السورة فى عبارات وجيزة وكلمات قليلة قطاعا زمنيا ومكانيا طويلا عريضا ابتداء من سيدنا نوح ، حتى عاد وثمود مرورا بسيدنا لوط « المعاصر لسيدنا ابراهيم » حتى سيدنا موسى (من خلال الحديث عن فرعون) .

الهدف المزدوج من قصص القرآن :

ويتجلى الهدف المزدوج من قصص القرآن فى هذه السورة ككل سورة اخرى . من حيث هو تسرية عن رسول الله ومن آمنوا معه وبه ان شأن الهداة والمصلحين دائما أن يقاوموا ويضطهدوا ولكن الغلبة لهم فى نهاية الامر وما عليهم الا أن يصبروا ويصابروا .

أما الهدف الثانى فهو أنذار الكافرين وتوعدهم بسوء العاقبة « **فكيف كان عذابى ونذر** » .

اقتربت الساعة ● وانشق القمر ● وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ● وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ●

اقتربت الساعة

ذكرت كلمة الساعة فى القرآن ٤٨ مرة وهى أحد أسماء يوم القيامة فى لغة القرآن ، وقد تحدثت آيات القرآن عن كونها آتية لا ريب فيها .

ـ الساعه آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى (طه ١٥)

ـ ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها (الكهف ٢١) .

هذا عن وقوع الساعة وانها واقعة لا محالة ، أما عن قرب وقوع الساعة فقد أشار القرآن لذلك أكثر من مرة عن طريق السؤال التقريرى :

ـ وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (الاحزاب ٦٣) .

ـ وما يدريك لعل الساعة قريب (الشورى ١٧) .

فعندما يحدثنا القرآن فى هذه السورة باقتراب الساعة فهو يقرر ما كرره فى أكثر من سورة وآية .

وانشق القمر

فى القرآن الكريم العديد من الايات التى تتحدث عن انشقاق الارض والسماء والكواكب عند قيام الساعة .

ـ ويوم تشقق السماء بالغمام (الفرقان ٢٥) .

ـ يوم تشقق الارض عنهم سراعا (ق ٤٤) .

ـ فاذا انشقت السماء (الرحمن ٣٧) .

ـ وانشقت السماء فهى يومئذ واهية (الحاقة ١٩) .

ـ اذا السماء انشقت (الانشقاق ١) .

وعلى ذلك فنحن على رأى من قال ان آية « **وانشق القمر** » هى من هذا القبيل وعلى هذا الغرار خاصة وقد تضمن القرآن الكريم اشارات اخرى لما يصيب القمر يوم القيامة :

ـ فاذا برق البصر ● وخسف القمر ●

ـ وجمع الشمس والقمر ● (القيامة ٨) .

يقول الانسان يومئذ أين المفر (القيامة ٩) .

وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر

نصل الان الى الاية التى يرى من يقولون بأن القمر انشق فعلا فى حياة سيدنا محمد أنها تحكى قولة قريش عندما رأوا انشقاق القمر .

على أن القرآن الكريم قد تضمن العديد من مثل هذه الاية :

ـ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين (النمل ١٣) .

ـ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ● لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (الحجر ١٥) .

فأنت ترى أن القرآن الكريم طالما تحدث عن المشركين والكفرة بأنهم سيدعون دائما حتى بعد أن يروا الايات بأنهم مسحورون وذلك ليظلوا على كفرهم وعنادهم والقرآن يشير بذلك الى أن الايمان والكفر لا يتوقفان على رؤية المعجزات .

القرطبى وابن كثير

والان فلانقل لك على سبيل المثال كيف عالج القرطبى وابن كثير هذه القضية فكلا منهما يثبت اولا الاقوال التى تقرر أن شق القمر سيكون يوم القيامة ثم يوردان الاحاديث التى تتحدث عن أنه انشق بالفعل .

القرطبى

جاء فيما قاله القرطبى تفسيرا لهذه الاية : وقال قوم لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر ، اى اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر وان الساعة اذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره وكذا قال القشيرى وذكر الماوردى ان هذا قول الجمهور وقال لانه اذا انشق ما بقى احد الا رآه لانه آية والناس فى الايات سواء ، وقال الحسن : اقتربت الساعة فاذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية ، وقيل وانشق القمر . اى وضح الامر وظهر .

ثم يمضى القرطبى ليقول رأيه ولكنه يحرص على أن يقرر ان الاحاديث التى أشارت الى انشقاق القمر بالفعل أيام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هى أحاديث « **آحاد** » .

ابن كثير :

اما ابن كثير فيستهل تفسير السورة بقوله :

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى :

« **أتى أمر الله فلا تستعجلوه** » وقال « **اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون** »

ومضى ابن كثير فى حديثه ، ثم أفرد بابا خاصا للاحاديث الواردة فى انشقاق القمر .

الاحاديث الواردة فى ذلك

وأحسبك الان أيها القارىء الكريم قد أصبحت فى شوق لمعرفة هذه الاحاديث ونريدك أن تعرف أن كلها أحاديث صحيحة أعترف بصحتها أئمة المشتغلين بالحديث ، وقد رواها الامام أحمد بن حنبل فى مسنده عن أنس بن مالك ، ورواها البخارى فى صحيحه ، وكذلك رواها مسلم كما رويت الرواية عن جبير بن مطعم بنفس الصيغة قال :

انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا : سحرنا محمد . فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، وتمضى صيغ الاحاديث المماثلة : ان كفار قريش قالوا انتظروا حتى يأتيكم السفار (أى المسافرين) فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق . وان كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به ، قال فسئل السفار ، وكانوا قد قدموا من كل وجهة فقالوا : رأينا ، ورواه ابن جرير من حديث المغيرة وزاد : فأنزل الله عز وجل « اقتربت الساعة وانشق القمر »

وليرجع من يريد الاستزادة الى ابن كثير فقد استوفى البحث والتقصى عن الاحاديث المختلفة واسنادها .

تفسير المنتخب

وجاء فى عمدة التفاسير الحديثة وهو المنتخب الذى قام به جلة علمائنا المعاصرين :

- دنت القيامة وسينشق القمر لا محالة

ويدل استعمالهم لصيغة الاستقبال فى انشقاق القمر الى أنهم أخذوا بالتفسير الاول .

وهناك تفاسير أخرى معاصرة رفضت صراحة الاخذ بخبر انشقاق القمر على عهد الرسول .

رأينا فى الموضوع

وفى كتابنا نبى الانسانية ، عرضنا لهذا الموضوع بمناسبة ما قيل عن شق صدر النبى واستناد البعض لاية « **ألم نشرح لك صدرك** » ولقد نقلنا كثيرا من أقوال من تعرضوا لهذا الموضوع بالمناقشة ثم علقنا على ذلك بقولنا :

قد يحس القارىء الكريم اننا وقفنا أكثر مما ينبغى حول هذه القصة (قصة شق الصدر) وأكثرنا من النقول بين مؤيد ومعارض قديم وحديث ، والرد على ذلك هو أننا حرصنا على أن نأخذ من هذا الموضوع نموذجا لما سيعرض لنا خلال السيرة النبوية من أحداث مماثلة ، أى خوارق جرت على يد الرسول او بسببه وسيقف منها الباحثون ما بين مؤيد ومنكر ، وفى كتابنا أخذنا على أنفسنا ان يكون كتاب علم ، لا نستطيع الا أن نعرض ما جاء فى الاصول والمصادر الاولى وما قيل فى عهد النهضة والتجديد . تاركين للقارىء أن يختار ما يطمئن له ضميره ووجدانه وعقله . فمن يرتح وجدانه الى أنباء الخوارق والمعجزات التى صاحبت ميلاد الرسول صلوات الله عليه وظلت تصاحبه فذلك له ليس من حق أحد أن يناقشه فيه فضلا عن أن ينكره عليه (أو يشككه فيه) فالقرآن الذى نؤمن به جميعا يحدثنا عن خوارق ومعجزات تتصل بحياة الانبياء والرسل غير سيدنا محمد واذ كان سيدنا محمد هو سيد الرسل وخاتم النبيين ، فليس هناك ما يمنع أن تكون حياته قد حفلت بمثل ما حفلت به حياة غيره من الرسل ، ومن لا يستقم ايمانه ولا يرتح وجدانه الا باستبعاد مثل هذه الخوارق والاحداث التى تخرج عن مألوف البشر (فى عصرنا الحديث فقط) فلن يضير ذلك عقيدته الاسلامية فى شىء ، على أساس أن معجزة الرسول الكبرى (**والخالده على مر الزمن**) **هى القرآن ، وهو معجزة عقلية . ولا لوم على المسلم فى هذا أو تثريب** فقد سبقه (الى أى رأى يختار) علماء أعلام ممن لا يشك الانسان فى ايمانهم بالاسلام ونبوة سيدنا محمد وقد أقمنا الدليل فى الفصل الثانى على أن دور سيدنا محمد فى تاريخ الانسانية وخصائص القرآن الكريم هما معجزة المعجزات فى تاريخ البشر مما يغنى عن أى اضافة أخرى .

ذلك ما قلناه عن قصة شق الصدر وهو ما نكرره هنا بمناسبة انشقاق القمر ، فمن اطمأن قلبه الى أن ذلك سيكون يوم القيامة فذلك هو المستفاد من آيات القرآن وله أجر اجتهاده ، ومن انشرح صدره لكون القمر قد انشق بالفعل فله أجر اجتهاده ، والله تعالى أعلم .

وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر

هذه سمة الكافرين والملحدين والجاحدين فهم يكذبون بغير دليل ، واذا عجزوا عن مواجهة الحقائق والايات البينات لاذوا بكلمات جوفاء كالسحر وأنهم سحروا (واتبعوا أهواءهم) أى ضلالاتهم وما تشتهيه أنفسهم ، واتباع الهوى بمعنى رغبات النفس هو آفة الانسانية وسر كل المتاعب التى يعانيها البشر .

« **وكل أمر مستقر** » .

هذا الجزء من الاية متصل باقتربت الساعة حيث تصل الامور الى نهايتها ومستقرها فأهل الجنة الى الجنه وأهل النار الى النار .

« **ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر ● حكمة بالغة فما تغن النذر ● فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر ● خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر ● مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ●**

مزدجر : رادع عما هم فيه من الكفر والضلال

حكمة بالغة : قيل القرآن الكريم

شىء نكر : أهوال يوم القيامة ، وهى عذاب وألم للكافرين والجاحدين الذين هم الجمهرة الغالبة .

الاجداث : القبور .

مهطعين ، أى مسرعين مادى أعناقهم .

وهذا السياق يعزز القول بأن انشقاق القمر هو من ظواهر يوم القيامة فالقرآن هنا يذكر المشركين بالقرآن الكريم الذى جاءهم بحكمة الدهور كلها ، كما يقرعهم على عدم استخلاص العبرة والموعظة من أنباء من سبق ممن حدثهم عنهم القرآن ، وما انتهى اليه مصيرهم ، وقد كان ذلك قمينا أن يفتح أعينهم وبصائرهم ، وأن يكون فيه ما يردعهم عن كفرهم وضلالهم ، ولكن هيهات أن (تغنى النذر) أى أن تفيد الانذارات من حقت عليه الشقاوة وطمس الله على عيونهم وقلوبهم . (**فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر**) أى فدعهم وشأنهم يا محمد يوم القيامة ، ونحن نؤثر أن يكون الخطاب موجها لكل عاقل أن ينأى بنفسه عن زمرة الكافرين ، حتى لا يشاركهم ما سوف يعانونه من أهوال يوم القيامة وأولها عندما يسمعون الصيحة صيحة البعث فينتابهم الفزع اذ (**يخرجون من الاجداث**) أى يخرجون من القبور بعد أن يبعثوا وكأنهم الجراد المنتشر ، والجراد هو هذه الحشرة الطائرة التى تأتى على الاخضر واليابس ، ووجه الشبه هنا من حيث كثافة الجراد فى انطلاقه اذ يصل الامر به الى حد أن يحجب وجه الشمس فتظلم الدنيا فى رابعة النهار ، وهذا هو شأن ملايين الملايين من البشر عندما يبعثون يوم القيامة حيث تراهم (**مهطعين الى الداع**) وقد تقدمنا أن مهطعين بمعنى مسرعين ، وقد قيل أن الداعى هو اسرافيل ولكننا نفوض العلم لله .

يقول الكافرون هذا يوم عسر

هنا خصص القرآن ان شدائد يوم القيامة وأهواله خاصة بالكافرين الذين يحسون على الفور بأن مصاعبهم وويلاتهم قد بدأت (**هذا يوم عسر**)

ـ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ● فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ● ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ● وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ● وحملناه على ذات ألواح ودسر ● تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ● ولقد تركناها آية فهل من مدكر ● فكيف كان عذابى ونذر ● ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ●

المفردات :

وازدجر : أى زجر عن تبليغ الرسالة

أمر قد قدر : أى مقدر منذ الازل أن يغرق الطوفان الارض .

دسر : أى المسامير أو أى نوع آخر يربط بين الالواح .

تجرى بأعيننا ، أى بأمرنا ورعايتنا وحفظنا .

مدكر : أى متعظ ومعتبر

قصه سيدنا نوح

وقد بدأت السورة الكريمة تشير اشارات موجزة مركزة لقصة سيدنا نوح ، وهى على ايجازها الشديد تتضمن كل عناصر القصة ، كما فصلها القرآن بعد ذلك أو قبل ذلك فى سورة أخرى كسورة الاعراف وهود وسورة نوح ، وقد أثبتنا فى سورة نوح آيات القرآن الكريم التى فصلت بعض مشاهد القصة ولذلك نكتفى هنا بذكر مجمل القصة كما وردت فى مختلف السور نبين على ضوئها كيف أحاطت هذه الايات التى نحن بصددها رغم ايجازها الشديد بكل عناصر القصة من أولها لاخرها مع تصوير الجو والمناخ اللذين أحاطا بحوادث القصة .

نوح بعد آدم

اذا كان آدم هو أبو البشر ، فان نوحا عليه السلام هو مجدد الحياة الانسانية على ظهر الارض .

فقد أرسله الىقومه الذين كان العهد قد طال عليهم فقست قلوبهم وضلوا وانحرفوا وغفلوا عن ذكر الله ، فبعث الله سيدنا نوحا ليرشد قومه يحذرهم وينذرهم ويعيدهم الى الطريق ولكن قومه صدوه وقاوموه وانكروا عليه دعوته ، فلم يتبعه الا نفر يعد على الاصابع مما جعل سيدنا نوح يضيق ذرعا بقومه ويغضب عليهم ، فيأمره الله عز وجل أن يبنى سفينة ، فشرع فى بنائها ، وكان قومه يسخرون منه ومما يصنع ، فلما كمل بناء السفينة ، طلب منه الله عز وجل أن يدخل اليها من آمن معه ثم هطلت الامطار

وفاضت مياه الارض حتى تغطى وجه الارض بالماء ولم يبق على ظهر الارض من الاحياء الا سيدنا نوح ومن آمن معه على ظهر السفينة ومن أطرف ما طالعنا أن سفينة سيدنا نوح كانت أول سفينة عرفتها الدنيا وما السفن الا بنت ما أوحى به الله لسيدنا نوح لصنع السفينة هذا هو ملخص قصة سيدنا نوح ، والان تعالى نتابع القصة مع هذه الايات الموجزة .

بعثة سيدنا نوح ، وتكذيبهم وتسفيههم له وسبه وشتمه : كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر .

ضيق سيدنا نوح بقومه ودعائه عليهم :

فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ، أى فانتصر لى يارب بأن تبطش بهم « **رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا** » (سورة نوح)

صنع السفينة : « **وحملناه على ذات ألواح ودسر** » .

الطوفان الذى أغرق الارض :

ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر . « **ولقد تركناها ايه فهل من مدكر** »

يقول بعض المفسرين أن سفينة نوح قد بقيت حتى راها اوائل هذه الامه ، أى الامة الاسلاميه ولكن ابن كثير يرحمه الله يقول ويقول بقوله : والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن كقوله تعالى « **واية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون** » وقال تعالى : « **انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية** » .

وبذلك قال ها هنا فهل من مدكر ، أى فهل من يتذكر ويتعظ .

فكيف كان عذابى ونذر : هذا هو أحد الهدفين من ذكر قصة نوح ، وهو تحذير المشركين والكفار وانذارهم بما سيتعرضون له ان هم أصروا على عنادهم وكفرهم .

« **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** » .

أى سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن ابتغى فهمه قال تعالى :

« **فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا** » .

فهل من مدكر :

فهل من متذكر لهذا القرآن الذى يسر الله لفظه ومعناه وقيل : فهل من طالب علم فيعان عليه .

- كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر ● انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ● تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ● فكيف كان عذابى ونذر ● ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ● كذبت ثمود بالنذر ● فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر ● أءلقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر ● سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ● انا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ● ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ● فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ● فكيف كان عذابى ونذر ● انا أرسلنا عليهم صيحه واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ● ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ●

رسالة هود الى عاد

عاد وثمود قبيلتان من قبائل العرب الكبرى البائدة ، وقد انفرد القرآن بذكرهما باعتبارهما كانتا فى جزيره العرب ، وكانت سيرتهما مما يتردد على السنه العرب وقد خلفت ثمود آثارا بعدها لا تزال قائمه فى شمال جزيرة العرب وتقع على الطريق من شبه الجزيرة الى الشام وتعرف بمدائن صالح ، أما عاد التى كانت تعيش فى الجنوب بالقرب من حضرموت ، فى منطقه الاحقاف وهى تقع فى جنوب ما يسمى بالربع الخالى ، والقرآن الكريم هو المصدر الوحيد لمعلوماتنا عن عاد وثمود وأنعم به وأكرم من مصدر وقد ورد ذكر عاد وما حاق بهم نتيجة كفرهم فى طوال السور وأواسطها وقصارها ، فورد فى سورة الاعراف وسورة هود رسول الله الى عاد كما ورد فى سورة « المؤمنون والشعراء ، وفصلت والاحقاف ، (**اسم موطن عاد**) وفى سورة الذاريات والقمر والحاقة والفجر . ولننقل لك هنا ما جاء فى سورة الاعراف حيث وردت الاشارة لعاد بشىء من التفصيل .

- والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون ● قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين ● قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ● أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح امين ● او عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ● قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ● قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين ● فانجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ●

وقد تكرر عرض هذا المشهد بين هود وقومه (عاد) فى السور التى سبقت الاشارة اليها ، وهذا هو ما أجملته سورة القمر فى هذا الايجاز المعجز .

- كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر ● انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ● تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ● فكيف كان عذابى ونذر

والريح الصرصر : شديدة الصوت أو الصقيع أو السموم وربما كانت ما يطلقون عليه اليوم الاعاصير والتى تدمر كل شىء فى طريقها .

تنزع الناس : أى تقلعهم من أماكنهم .
اعجاز نخل : أى أصول النخل (جذوره) بدون رؤوس .

منقعر : منقلع عن مغرسه .
قصه ثمود : ولا تكاد تذكر عاد فى القرآن الا وتذكر ثمود ونبيهم صالح ولذلك فقد تحدثت عنهم سورة الاعراف وهود والشعراء وفصلت والحجر والذاريات والحاقه والقمر والشمس .
ولننقل لك ما جاء في سورة هود :

« والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب ● قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مماتدعونا اليه مريب ● قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته ● فما تزيدوننى غير تخسير ● ويا قوم هذه ناقة الله لكم آيه فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ● فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ● فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز ● وأخذ الذين ظلموا الصيحه فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ● كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودكفروا ربهم الا بعدا لثمود ● وصدق الله العظيم ، (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فها هى ذى قصة ثمود تذكر فى سور أخرى كما قدمنا والله وحده هو الذى يعلم كم من السنين مرت بين هذه السورة وتلك ، ويختلف النظم والاسلوب فى سورة الواقعة ، ومع ذلك فتظل وقائعها وجوهرها ثابتة ، وتعالوا نقرأ آيات القمر وهى تحدثنا بنظمها الخاص عن قصة ثمود .
ـ كذبت ثمود بالنذر ● فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر ● ألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ● أنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ● ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ● فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ● فكيف كان عذابى ونذر ● انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ● ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ●
وحدة الجنس البشرى :
وتظهرنا هذه الصورة وما سبقتها من صورة عاد أن النفس البشرية واحدة فى كل زمان لا يطرأ عليها تغيير فكلما جاء رسول الى قومه يدعوهم الى الحق ويهديهم سبل الرشاد انصرفوا عن جوهر الدعوة وتعلقوا بقضايا جانبية بدافع الحقد والحسد ، لماذا أنزل الوحى على هذا الشخص بالذات فيروحون يكذبونه (الكذاب الاشر) الكذاب الذى يريد التجبر والاستعلاء أو متجاوز الحد فى الكذب .

وقد كان هذا هو ذات الموقف الذى جابهت به قريش رسول الله ، فأعظم اعتراضاتهم كانت : لماذا كان رسول الله دون غيره هو الذى أنزل عليه الوحى « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » .

ناقه سيدنا صالح

من آيات القران الكريم ان قوم صالح (ثمود) طلبوا منه أن يأتيهم بآية من الله ليصدقوه ، فكانت هذه الناقة . وندع الان الى فرصه اخرى استعراض ما قاله المفسرون القدامى بخصوص هذه الناقة ، والذى دار نقاش حامى الوطيس منذ قرابة خمسين سنة بين المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار وجمهرة علماء الازهر فى ذلك الوقت بمناسبة كتابه النفيس (قصص الانبياء) وكان موضوع الناقة مما ثار حوله الجدل وما لا نحب أن نقع فيه ولذلك نقف عند حد نصوص القرآن .
ومن المحقق أن الناقة كانت آية سيدنا صالح ، ويقرر القرآن أن الله قد قسم الماء بين قوم صالح وبين الناقة (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) والشرب هو النصيب من الماء ، أى الحظ من الماء ، ومحتضر أى يحضره (من هو له ، أى من هو من نصيبه) .
جاء فى القرآن الكريم عن ناقة صالح « هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » .
وقد حذر سيدنا صالح قومه من ان يتعرضوا للناقة بسوء ، ولكنهم بدلا من ان يؤمنوا بهذه المعجزة الحية ، فيوحدوا الله الذى خلقها لجوا فى كفرهم وعنادهم فاقدموا على ذبح الناقة فاستحقوا ان ينزل بهم العذاب (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) .
هشيم المحتظر : الشجر اليابس .
يجمعه من يرغب فى اقامة حظيرة كناية عن أنهم أصبحوا رمما بالية من مثل قوله تعالى « فجعلهم كعصف مأكول » .
اما الصيحة التى اهلكهم الله بها فالله اعلم بكيفيتها فلا نقول بقول من قال أنها صيحة جبريل ، كما لا ناخذ بقول العالم الفاضل الشيخ المرحوم عبد الوهاب النجار الذى جزم بأنها الصاعقة وراح يشرح الصواعق وكيف تنشأ . ونقف عند تعبير القرآن من أنها كانت « صيحة » وعندما يريد الله أن يهلك قوما فحسبه أن يريد فتكون ارادته .
ـ كذبت قوم لوط بالنذر ● انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر ● نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر ● ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ● ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابى ونذر ● ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ● فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ●

مفردات :
حاصبا : الريح الشديدة تحمل الحصباء (أى الحصى)
سحر : السحر هو الفترة بين نهاية الليل وطلوع الفجر .
فتماروا بالنذر : أى شكوا فيما أنذرهم به الرسول (لوط) .
راودوه عن ضيفه : أى طلبوا من لوط أن يمكنهم من ضيوفه .
بكرة : أى فى الصباح الباكر .
فطمسنا أعينهم : أى أعماهم الله .

قصة سيدنا لوط :

وسترد علينا قصة لوط بالتفصيل فى كثير من السور ، وملخصها أن سيدنا لوط هو من ذوى قربى سيدنا ابراهيم ، وقد ارسل على ما تقول الثوراة ، ونحن لا نطمئن لاى شئ يرويه كتاب اليهود فى وقتنا الحاضر (تقول انه ارسل لسكان مدينتى سدوم وعمورة على ضفاف البحر الميت ، كانوا فضلا عن عبادتهم للاصنام يرتكبون كل صنوف الموبقات وعلى رأسها جريمة « اللواطة » وهى الجريمة التى اشتقت من اسمهم (قوم لوط) ونعنى بها اتيان الذكور بدلا من الاناث وكان طبيعيا أن يكون أول ما يدعو لوط اليه قومه بعد « التوحيد » أن يكفوا عن هذا المنكر ، فضاق به قومه ، واضطهدوه وعذبوه ، واصروا على مزاولة عمليتهم الشنعاء ، الى الحد الذى جعلهم وقد تصوروا الملائكة الذين بعث بهم الله فى صورة رجال من البشر ، لكى ينفذوا مشيئة الله باهلاك قوم لوط ، أقول انهم تصوروا هذا الحشد من ضيوفُ لوط (فقد نزل الملائكة أول ما نزلوا على بيت سيدنا لوط ، ليحذروه ويطلبوا منه أن ينجو بنفسه من المصير الذى سينزل لقومه) فاقتحم قوم لوط بيته ليصلوا الى ضيوفه ويعتدوا عليهم ، هكذا شاءت ارادة الله أن ينزل عقابه بهم وهم متلبسون بجرمهم كما نقول بلغتنا المعاصرة ولانقل لك الان ما جاء فى سورة الشعراء مما يفهم منه ما تقدم :

— كذبت قوم لوط المرسلين ● اذ قال لهم أخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون ● وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين ● اتأتون الذكران من العالمين وتدرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ● قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ● قال انى لعملكم من القالين ● رب نجنى وأهلى مما يعملون ● فنجيناه وأهله أجمعين ● الا عجوزا فى الغابرين ● ثم دمرنا الاخرين

قصة الملائكة :

اما قصة الملائكة الذين جاءوا فى صورة بشر ليدمروا قوم لوط فهم هؤلاء الاخيرون بالاعتداء تصوروا منهم انهم بعض ذكور البشر ، فأنقلها لك من سورة هود .

— ولما جاءت رسلنا لوطا سيىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ● وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ●

— فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى اليس منكم رجل رشيد ● قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لوان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد ● قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ● فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد ●

وعلى ضوء ما تقدم أصبح باستطاعتك الان أيها القارىء الكريم أن تفهم ما نحن بصدده من آيات ، وسترى أنها قد ألمت بكل عناصر القصة .

كذبت قوم لوط بالنذر ● انا أرسلنا عليهم حاصبا الا ال لوط نجيناهم بسحر ● نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر ● ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ● ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر ● ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ● فذوقوا عذابى ونذر ● ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ●

لماذا كانت اللواطة فاحشة منكرة

وفى عصرنا الحديث الذى شاعت فيه الفاحشة وعم فيه الاستهتار ، يحلو للبعض أن يتساءل ولماذا كانت اللواطة فاحشة منكرة فاعلم يا رعاك الله ان مقياس اى عمل لمعرفة مقدار خيره او شره فهو بمقياس ما يكون مسايرا لنواميس الطبيعة او مضاد لها ، وقد قامت الحياة على الذكر والانثى ، ومن اتحادهما تنشأ الحياة ، وبالتالى استمرارها ، ومن هنا كان تنظيم اتصال الذكر بالانثى من أهم ما احتفلت به مختلف الشرائع مستلهمة الدين ، ولما كان الزواج بين الذكر والانثى هو ناموس الحياة ، وعلى هذا الاساس يتضح لك على الفور ان اتصال الذكور بالذكور جنسيا ، او اتصال الاناث بالاناث هو عمل مضاد لناموس الطبيعة ، ولذلك فهولا يمكن أن يكون الا شرا ولما كانت الشرائع السماوية قد انزلت بخير الانسان بارشاده الى ما فيه خيره ونهيه عما فيه ضرره فقد حرمت عليه « اللواطة » واستحق قوم لوط ان يبادوا من فوق ظهر الارض وان تتطهر منهم لانهم خرجوا على الناموس الكونى .

التذكير بما حاق بفرعون .

وانتهى استعراض احاديث من سلف من المؤمنين والكافرين بالاشارة الى أقرب هذه الحوادث من عهد المخاطبين وهو ماحاق بفرعون مصر عندما كفر برب العالمين .

— ولقد جاء آل فرعون النذر ● كذبوا بآياتنا كلها

فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر

فرعون مصر :

ولقد فصلنا من قبل قصة فرعون وموسى وسنعود اليها مرة أخرى وأخرى اما الان فحسبنا أن نشير الى أن الصراع الذى جرى بين موسى وملك مصر كان مشهورا فى جزيرة العرب بحيث كانت تكفى مجرد الاشارة اليه لاستخلاص العبرة منه وهو انتصار الحق على الباطل ، وتوحيد الله على الشرك به ، والخير على الشر .

– أكفاركم خير من اولئكم أم لكم براءة فى الزبر ● ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر ● بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ●

الزبر : الكتب السماوية

ويولون الدبر : أى سيفرون

موضع العبرة فيما ذكر من قصص

كان الجامع فيما ذكر من حديث نوح وهود وصالح ولوط وموسى (من خلال ذكر فرعون) أن الله سبحانه وتعالى قد محق الكافرين وأنجى النبى ومن امنوا معه ، وبعد هذا الاستعراض الذى كشف عن حقيقة مؤكدة وهى انتصار الحق أبدا ، راح القرآن يسائل كفار قريش أو بالاحرى يتحداهم ، أيظنون أنفسهم فى منجاة من العقوبة التى نزلت بكل من وقف موقفهم ، أيتصورون ان الله عز وجل قد أخرجهم من حكم النواميس وأنزل لهم براءة فى كتبه ، أم أنهم يتصورون أنهم (جميع منتصر) أى أنهم سيغلبون بباطلهم الحق الا بلج ، كلا ثم كلا ، انهم واهمون فسوف يغلبون وسوف يقهرون ويفرون فى الدنيا ، اما فى الاخرة فسيكون عذابهم أقسى وأمر (**الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر**)

معجزة محمدية :

ومرة أخرى نقف أمام معجزة محمدية جرى بها القرآن على لسانه ، حيث تنبأ بمصير طغاة قريش فى وقت كانوا هم الاعلون وهم المسيطرون وكان المسلمون فى أول عهدهم فى مكة لا يجدون لهم بصيصا من النور الا من داخل أنفسهم ، فنزل القرآن ينبىء بما سوف يكون بعد بضع سنوات الله وحده يعلم كم عددها وهى المدة ما بين نزول هذه الاية وبين موقعة بدر التى انتصر فيها المسلمون وولى فيها المشركون الادبار .

والعلاقة جد وثيقة بين هذه الاية وغزوة بدر ، حيث سمع الرسول يجهر بها فى اللحظة الحرجة فكان ان هزم المشركون .

روى البخارى عن ابن عباس أنه قال :

قال النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة له يوم بدر « **اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم فى الارض ابدا** » .

فأخذ ابو بكر رضى الله عنه بيده وقال : حسبك يا رسول الله الححت على ربك فخرج (اى رسول الله) وهو يخب فى الدرع وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر ، « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » .

وفى حديث آخر عن عكرمة قال : **لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر ، قال عمر (ابن الخطاب) اى جمع يهزم ، اى جمع يغلب ، قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخب فى الدرع وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر ، فعرفت تاويلها يومئذ .**

وهكذا ترى الصلة الوثيقة بين اية سيهزم الجمع ويولون الدبر ، التى نزلت فى مكة فى صدر الدعوة ، وبين غزوة بدر التى وقعت بعد عدة سنوات بعد انتقال الرسول الى المدينة .

انسانية سيدنا محمد :

ولسنا نريد أن ننتقل من هنا قبل أن نقف قليلا أمام هذا الحديث الذى نقلناه عن البخارى والذى يصور لنا حالة رسول الله يوم بدر ، وكيف بلغ به التوتر مداه والحق أن انسانية الرسول أو بالاحرى بشريته التى ما فتىء القرآن يكررها ويؤكدها : « **قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى** » . أى أن سيدنا محمد ككل البشر ، بالوحى الذى ينزل عليه (وليس هذا بالفارق الهين) والمهم انه فى بعض اللحظات يكون انسانا بكل خصائص الانسان ، فها هو الحديث يصور لنا شدة قلقه ابان احتدام المعركة وجهله بمصيرها ، وخوفه من العواقب الوخيمة التى تترتب على هزيمة المسلمين فى هذه المعركة وكيف راح يناشد ربه النصر الذى وعده ، حتى أشفق عليه صفيه وحبيبه ابو بكر فراح يهدئه ، أو بالاحرى يهدىء الانسان ، وليس الا عندما استذكر رسول الله مقولة الوحى « **سيهزم الجمع ويولون الدبر** » ان سكن رسول الله واطمأن لان وعد الله حق ، وقد كان وانتصر المسلمون ، وقتل فى معركة بدر أساطين المشركين وقتل معهم الباطل مما سنفيض فيه اذا مد الله فى عمرنا حتى نصل الى سورة الانفال التى سجلت احداث غزوة بدر .

والمهم عندنا الان أن تعرف أيها القارىء الكريم أن آية « **سيهزم الجمع ويولون الدبر** » من أعلام النبوة .

بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر

وهذا هو الشق الثانى لما سوف يلقاه الكفار : وهو ما سوف يعانونه من أهوال يوم القيامة التى هى أشد هولا ومرارة من خزى الحياة الدنيا .

– ان المجرمين فى ضلال وسعر ● يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ● انا كل شىء خلقناه بقدر ● وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ●

سعر : أى جنون أو بعد عن الحق
سقر : أحد أسماء جهنم
واحدة : أى لا يستغرق الا بمقدار كلمة واحدة « كن » .

وسياق الايات مفهوم وهو أن مصير كل الكافرين والفاسقين والجاحدين مصيرهم النار وقد انطوى كل هؤلاء تحت اسم المجرمين (**يوم يسحبون فى النار على وجوههم**) لون من ألوان العذاب الذى يلقاه المجرمون فى جهنم ثم يقال لهم على سبيل التقريع «ذوقوا **مس سقر » ان كل شىء خلقناه بقدر** .

المفسرون القدامى فسروا هذه الاية على أن المقصود بها هو القدر أى « القضاء والقدر » وان كل شىء مقدر منذ الازل ، والمعنى بطبيعة الحال يتسع لذلك والايمان بالقضاء والقدر خيره وشره جزء من الايمان بالله ولا ايمان لمن لم يؤمن بالقضاء والقدر .

العلوم الكونية الحديثة

على أننا جريا على منهجنا نريد أن نضيف على ما تقدم ما تشعه الالفاظ فى ضوء ما أصبح يزحم الدنيا من علوم كونية .

وهذا المفهوم الاضافى نستمده من استعمال القران لكلمة « قدر »

- وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم (الحجر ٢١)

- وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض (المؤمنون ١٨)

- ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير (الشورى ٢٧)

- فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم المرسلات - ٢٢

واليوم يحدثوننا عن العقول الاليكترونية التى تحسب كل شىء وتستخلص نتائج يعجز عن مثلها البشر وذلك تأسيسا على أن هذا الكون ابتداء من الافلاك حتى آخر ذرة يقوم على حسابات دقيقة وسنن لا تتغير ولا تتبدل .

فعندما يقول لنا القرآن العظيم « **انا كل شىء خلقناه بقدر** » فنحن نفهم منها كلا المعنيين ، ونقول : صدق الله العظيم

وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر :

واذا كان القرآن الكريم يتحدث عن « **لمح البصر** » باعتباره أقصر مدة زمنية يتصورها العرب الذين كانوا أول من خوطب بالقرآن فذلك لان البشر لا يدركون بحواسهم ماهو أسرع من لمح البصر ، والبصر يلمح الضوء الذى يقطع ٣٠٠ الف كيلو فى الثانية وقد زعم اينشتين أن سرعة الضوء هى أقصى سرعة توجد فى الكون ولكن هذه النظرية بدأت اليوم تناقش ، ونحن من أنصار القول أن ما يقوله اينشتين من أن سرعة الضوء هى أقصى سرعة فى الكون يجب أن نضيف عليها « ان هذا هو منتهى علمنا فى الوقت الحاضر ، ولسنا نعلم ماذا يكشف عنه المستقبل » .

والمهم عندنا الان أن أمر الله عز وجل نافذ كلمح البصر وماهو دون اللمحة وقد اعتدنا أن نقول أن أمره بين الكاف والنون أى كن فيكون وحذار أن ينزلق منزلق فيتصور أن الله سبحانه وتعالى ينطق بكلمة « **كن** » وانما هو تقريب لاذهاننا فى أن الله ينفذ فى الكون مشيئته متى شاء فى اقصر مدة يمكن ان نتصورها وهى « لمح البصر » ولكن علينا ان نؤمن انها تنفيذ فيما يعلمه هو وبالنسبة لله وكل مايصل به لايحده زمان أو مكان ، وعلينا ان نستحضر دائما انه يخاطبنا على قدر عقولنا .

- ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر ● وكل شىء فعلوه فى الزبر ● وكل صغير وكبير مستطر ● ان المتقين فى جنات ونهر ● فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ●

أهلكنا أشياعكم : قيل اتباعكم وأعوانكم ، ولكن الارجح ان معناها أمثالكم واشباهكم من الفكر فى العصور الخوالى مما ذكرنا لكم حديثه .

فهل من مدكر : أى فهل من متعظ أو متذكر .

وكل شىء فعلوه فى الزبر :

وقيل ان الزبر هنا هى اللوح المحفوظ : وقيل فى كتب الحفظ والمعنى الاول هو الارجح ، وهوما يؤيد قول من قال ان « **خلقناه بقدر** » تعنى القضاء والقدر ، وهو ما قدمنا أنه صميم ايماننا .

وكل صغير وكبير مستطر :

مستطر أى مسطور ، جاء فى القرآن **ن ● والقلم وما يسطرون** » والمعنى ان كل ما يفعله البشر من أعمال مكتوب ومسجل عليهم « **أحصاه الله ونسوه** » وطالما كررنا (١) كلماورد هذا المعنى فى سور القرآن التى عرضنا لها حتى الان ، ان كفار قريش كانوا لا يفهمون ولا يمكن أن يتصوروا كيف تحصى عليهم أقوالهم التى تلفظوا بها مذ كانوا فضلا عن أعمالهم وأدق خواطرهم أما نحن فى العصر الحديث فقد بدأنا نلمس ذلك باليد ، وانتشرت بيننا أجهزة التسجيل التى تسجل كل شىء ، وقد بقى أن تعرف ان كل ما تقوله مسجل على صفحة الكون قبل وبعد أن يلتقطه جهاز التسجيل .

البقية ص ٢٩

(١) نحن مضطرون لهذا التكرار لمن فاتهم مطالعة أقوالنا السابقة .

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فضيلة الشيخ
عبد الجليل عيسى

(ضراعة الى الله خالصة من قلب امرأة جريح تتفتح لها أبواب السماء بعد أن أغلقت فى وجهها ابواب الارض)

تلك المرأة هى خولة (بفتح الخاء وسكون الواو) بنت ثعلبة الانصارية ، وكان زوجها اوس بن الصامت ، أخ عبادة بن الصامت الانصارى ، وحاصل ما وقع أن أوسا غضب من خولة يوما فقال لها : (انت على كظهر أمى) · وكان هذا يعتبر تحريما مؤبدا فى الجاهلية ، فحزنت حزنا شديدا وأسرعت الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان فى بيت عائشة رضى الله عنها وقالت : يا رسول الله ان أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فيها ، فلما كبرت وكثر عيالى جعلنى عليه كأمه فى سورة غضبه ، ثم رجع وندم ، فان كنت يا رسول الله تجد لى مخرجا فحدثنى به ·

فقال صلى الله عليه وسلم :« ما أراك (أى اظنك) ألا قد حرمت عليه » · فقالت : يا رسول الله لم يذكر طلاقا · فقال صلى الله عليه وسلم :« ما أمرت فى أمرك بشىء » ·

فقالت : انظر الى رخصة يا رسول الله ، فوالله ان لى منه صبية صغارا ، ان ضممتهم اليه ضاعوا ، وان ضمتهم الى جاعوا · وصارت ترفع رأسها الى السماء وتقول : اللهم انى اشكو اليك وحدتى وشدة فاقتى · وكررت ذلك مرارا · فبينما هى على هذه الحال ، واذا بالوحى ينزل عليه صلى الله عليه وسلم ·

فقالت لها عائشة رضى الله عنها : انتظرى يا خولة ، فلا اظن الا ان الله قد انزل فى امرك قرآنا ، فلما فرغ الوحى ، قال صلى الله عليه وسلم : ابعثى زوجك يا خولة . فلما حضر ، تلا عليه صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل :

قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير ·

الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم · أن امهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا · وان الله لعفو غفور ·
والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ·

فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم · ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما

كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين

ومعنى هذه الايات كما يلى :

المفردات :

(سمع الله) المراد بالسمع هنا استجابة تضرعها اليه سبحانه وتعالى ونظير ذلك قول المصلى " سمع الله لمن حمده » فان ذلك معناه قبل حمده واثابه عليه وقوله تعالى : (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء)

(قول التى) اى دعاءها بان يفرج الله تعالى كربتها .

(تجادلك فى زوجها) تراجعك الكلام فى شأن زوجها وما حصل منه ٠

(تحاوركما) اى تراجعكما فى الكلام ، ورد كل منكما على الاخر ٠ (يظاهرون) مأخوذة من الظهر ، وذلك أن العربى كان فى الجاهلية اذا قال لامرأته :

« انت على كظهر أمى » تحرم عليه حرمة مؤبدة ، فكان اشد طلاق عندهم ٠ ولما جاء الاسلام لم يجعله طلاقا مؤبدا كماسيأتى (منكم) اى أيها المسلمون والمراد بهذا توبيخهم على هذه العادة السخيفة التى انفردوا بها دون العالم ٠ (من نسائهم) جاء بمن لانه لاحظ فى (يظاهرون) معنى النفور ، كأنه قال يظاهرون نافرين من نسائهم .

(ان امهاتهم) ان حرف نفى بمعنى ما ٠ اللائى جمع نسوة بمعنى اللاتى ٠

(منكرا من القول) أى ينكره العقل السليم والطبع والشرع ، لان علاقة الزوجية مبنية على أمور تتنافى كل المنافاة مع علاقة الامومة ٠

(زورا) اى كذبا ، وباطلا ، منحرفا عن الحق ، لانه تضمن جعل الزوجة كالام ، وقد عملت فساده ٠ (لعفو) كثير العفو ، وهو عدم المؤاخذة على الذنب .

(غفور) كثير المغفرة ، وهى ستر ذنب العبد المؤمن حتى لا يفضحه ٠

(يعودون) العود الرجوع ٠ (لما قالوا) اللام فى (لما) . بمعنى (فى) اى يرجعون فيما قالوه وهو الظهار ، ويعزمون على مخالطة زوجاتهم ، ومن ذلك (اللام) فى قوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) أى فى يوم القيامة ، وقول العربى (مضى فلان لسبيله) اى فى سبيله اى فى طريقه ٠

(تحرير) اى جعلها حرة من الرق بالعتق . (رقبة) المراد عبدا مملوكا أو امة (من المؤمنين كما فى آية ٩٢ من سورة النساء) .

(يتماسا) اى يتصلا اتصالا لا يحل الا للزوجين ٠
(متتابعين) المراد انه لا يصح ان يفصل بين شهر وشهر ، ولا بين يوم ويوم من الشهرين ، فلو فصل ولو بفطر يوم واحد أعاد الجميع ٠

(حدود الله) المراد أحكام شرعه التى فصل بها بين الحق والباطل ٠

(وللكافرين) المراد بالكفر هنا كفر نعمه سبحانه ، بعدم شكرها ، وهذا لا يقتضى الخلود فى النار ٠ ومثل هذا قوله تعالى بعدما أوجب الحج على الناس (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) فالتعبير بالكفر فيهما للتغليظ وتبشيع الذنب ٠

(يحادون الله) يحادد الله أى يعاديه بأن يضع نفسه فى حد أى جانب والله سبحانه فى جانب ٠ كبتوا) المراد اذلهم الله واخزاهم ، دعاء عليهم بأنه سبحانه سيهلكهم ويغيظهم بانتصار المؤمنين عليهم ، كما فى آية ١٢٧ من سورة آل عمران ٠ (أحصاه الله) المراد أمر ملائكته باحصائه ٠

والمعنى ، قد أجاب الله سبحانه وتعالى ضراعة المؤمنة التى جادلتك أيها النبى فى شأن زوجها ، وشكت حالها الى ربها ، وكان الله يسمع تحاوركما ، لانه سميع لكل ما يسمع ، بصير بحال عباده ، فيغيث المستغيث ٠

ثم بين سبحانه بغضه لتلك العادة فى نفسها ، وسفاهه من يقدم عليها ، فقال : الذين يظاهرون منكم نافرين من نسائهم فيجعلونهن كأمهاتهم ، ليحرموا معاشرتهن الى الابد ٠ ألا فليعلم هؤلاء أن نساءهم ليسوا أمهاتهم فى حكم الله تعالى ٠

الذين يجعلون نساءهم كأمهاتهم مخطئون ، لانهم ليس لهم أمهات الا اللاتى ولدنهم ٠ وبما أن الزوجة ليست والدة ، فهم بهذا لا يقولون الا قولا منكرا ، لا يجيزه شرع ولا يرتضيه عقل ، ولا يقره عليهم ذو طبع سليم ، ثم فتح لهم باب التوبة منه ، فقال : وان الله لعفو غفور لمن أحسن التوبة ٠

وبعدما بين سبحانه بشاعة الظهار ، شرع فى بيان حكمه لو وقع ، فقال : والذين يظاهرون من نسائهم ٠٠ الخ أى ثم يأسفون ويعزمون على ابطال ما قالوا باستمرار امساك زوجاتهم فى عصمتهم ، فعلى

كل منهم عتق رقيق مؤمن ، قبل أن يتعاشرا معاشرة الازواج · هذا الحكم شرع لكم لتتعظوا وتبتعدوا عن ارتكاب المنكر . والله خبير بكل أعمالكم فيعلم المطيع وغيره ، ويجازى كلا بما يستحق · فحافظوا على ما شرع · فمن لم يجد ثمن رقبة يعتقها ، فعليه صيام شهرين قمريين متتابع صومهما ، فلو فصلها بيوم افطار يعيدها من أولها ·

ولا يجوز له أن يمس زوجته قبل تمام الشهرين ، وان خالف ارتكب ذنبا آخر غير أصل الظهار · فمن لم يستطع الصوم فعليه اطعام ستين مسكينا ، كل مسكين قوت يوم على الوجه المبين فى آية ٨٩ من سورة المائدة ، ولما لم يقيد هنا بقوله **(من قبل أن يتماسا)** اختلف نظر العلماء ، فقال بعضهم : يجوز له المسيس متى نوى الاطعام · وقال آخرون انه مشروط أيضا ، ولكنه اكتفى عند ذكره بما علم مز ه · بين الله سبحانه لكم تلك الاحكام وفرضها لاحظا فيها التخفيف من درجة الى درجة ليزد صديقكم بالله ورسوله ، وتقبلوا على شرعه ، وتقلعوا عما كنتم عليه فى جاهليتكم ، وللكافرين بهذه الحدود عذاب شديد الالم ·

وهناك عبارات تشبه الظهار يستعملها أهل مصر بقصد الطلاق فقط مثل **(أنت حرام على كحرمة أمى أو كحرمة كل شىء حرمه الشرع)** فهذا وامثاله ليس ظهارا ، ولكنه طلاق بائن ، لا تحل المرأة بعده الا بعقد جديد · ومما تقدم يعلم أن حكم الشريعة فى الظهار ، هو مجرد تفريق بين أبدان الزوجين مع بقاء العصمة بيد الرجل ، فلو لم يرجع الى زوجته بالكفارة ، فلها حق رفع أمرها للقاضى يحكم بما فيه مصلحتها ·

ولما كان هذا الحادث استحق أن يصدر الله سبحانه به سورة من سور القرآن الكريم وأن تسمى باسمه (سورة المجادلة) وقد ضمنها سبحانه علاج عيوب كانت موجودة فى الجاهلية ، أولها الظهار الذى كان سبب هذه القصة كما ذكرنا ، وثانيها التناجى سرا بما يغضب الله تعالى ورسوله ، وثالثها تحية المنافقين واليهود للنبى صلى الله عليه وسلم بما فيه ايذاء له ، يوردونه فى ثوب تحية وما هو فى الواقع تحية **(آيات ٨و ٩ و١٠)** · ورابعها تأديب أصحابه صلى الله عليه وسلم اذا كانوا جالسين معه ووفد عليهم وافد · وخامسها تأديبهم فى مناجاة الرسول صلوات الله عليه ، لاتفه الاسباب ، وكفهم عن ذلك بأمرهم بتقديم صدقة للفقراء والمساكين قبل المناجاة (الاية ١٢) وسادسها النهى عن موالاة أعداء الدين الذين برزوا بمعاداة الله تعالى ورسوله حتى غضب الله عليهم ·

كل هذه الامور عالجتها هذه السورة وسنذكر تفصيل ذلك فيما بعد ، فسنتكلم ان شاء الله تعالى عن باقى هذه العيوب التى كانت فى الجاهلية وعالجها الاسلام فى القرآن وفى السنة الصحيحة ·

بقية مقال « سورة القمر »

ـ ان المتقين فى جنات ونهر ● فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ·

نهر : قيل انها تعنى الانهار **« جنات تجرى من تحتها الانهار »** وقيل بل تعنى النهار أى فى الضوء والنور ·

والذى نلفت النظر اليه أن القرآن الكريم بعد أن هدد وتوعد وصور مصير المجرمين ، ختم السورة طبقا لمنهاجه فى ذكر ما أعد من النعيم للمتقين المؤمنين الاخيار بأن جعل مثواهم الجنة ونعم المصير ·

فى مقعد صدق عند مليك مقتدر

والمليك المقتدر هو الله عز وجل .

ومقعد صدق : أى مكانة رفيعة عالية ، ونضرب صفحا عن قول من حاول أن يصف هذه المقاعد والله تعالى أعلم ·

كلمة أخيرة

ولسنا نريد أن نفرغ من سورة القمر قبل أن نقف قليلا امام قول من حاول أن يختص سوره الرحمن بنظم خاص ، فها هى سورة القمر يتمثل فى نظمها كل خصائص نظم سورة الرحمن · حتى لقد صرح أحد اخوانى من كبار الشعراء أنها شعر الهى على خلاف شعر البشر ، ولكننا نقف عند حد ما قلناه فى سورة الواقعة من ان الكلام فى اللغة العربيـة كان ينقسم قبل نزول القرآن الى نثر وشعر أما بعد نزول القرآن فقد أصبح الكلام ينقسم الى قرآن وشعر ونثر والله ولى التوفيق ·

انتهت سورة القمر
وتليها بعون الله
سورة النجم

طلب منا الكثيرون جمع التفسير المتقدم ويسعدنا ان نحيطهم علما بأنه قد تم جمع فاتحة الكتاب وجزء عم فى مجلد خاص ·

ذكر الله

الأستاذ فتحي رضوان

جاء فى سورة الانفال وصفا للمؤمنين« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون » •

وقد شرح القرطبى هذه الاية بقوله : وصف الله فى هذه الايه » المؤمنين بالخوف والوجل عند ذكره ، وذلك لقوة ايمانهم ، ومراعاتهم لربهم ، وكأنهم بين يديه ، ونظير هذه الاية « وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم • وقال « وتطمئن قلوبهم بذكر الله » فهذا يرجع الى كمال المعرفه وثقه القلب • والوجل والفزع من عذاب الله فلا تناقض ، وقد جمع الله بين المعنيين فى قوله « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ، مثانى ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » اى تسكن نفوسهم من حيث اليقين الى الله ، وان كانوا يخافون الله . انتهى كلام القرطبى •

وقد جاء فى تفسير الجلالين ، فى شرح هذه الايه الاخيرة « يرتعد عند ذكر وعيده جلود الذين يخشون ربهم ثم تطمئن جلودهم وقلوبهم عند ذكر وعده » •

وفيما جاء فى تفسير القرطبى ، وفى تفسير الجلالين ، ما يدل على ان تفسير الاية الثانية من سورة الانفال ، بما ذهب اليه القرطبى نفسه . وسايره فيه جميع المفسرين القدامى والمحدثين • تقريبا ، تعارض يهدر تفسيرهم ، اذ لا سبيل الى استقامة المعنى ودفع هذا التعارض ، الا بتقدير ان فى هذه الاية الكريمة ، مضافا محذوفا ، يسبق لفظ الجلالة ، وهذا المضاف المحذوف ، يمكن تقديره اما بوعيد ، أو بعذاب او بعقاب ، أو أى لفظ آخر يؤدى هذا المعنى ، وبذلك يتضح معنى هذه الاية فى يسر ، وأن القصد منها أن المؤمنين حقا ، هم الذين اذا ذكر وعيد الله وعذابه ، وعقابه ، وجلت قلوبهم ، لانهم يصدقون هذا الوعيد ، ويؤمنون بهذا العذاب ، ويعلمون يقينا ، بان البعث حق ، والحساب حق والجنة حق ، والجحيم حق ، واذا تليت عليهم آياته ـ آيات الله ـ زادتهم ايمانا •

وهذا التأويل يتفق ويتسق مع مبدأ كلى من مبادىء العقيدة الاسلامية ، جاء فى سورة الرعد اذ ورد فيها « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب » •

أقول أن هذا مبدأ كلى ذلك لان اله المسلمين • هو رب العالمين : وهو رب المشارق والمغارب وخالق كل شىء • وليس كمثله شىء ، وقد وسع كل شىء رحمة وعلما ، كتب على نفسه الرحمة • ولذا فان ذكره يبعث الطمأنينة فى قلوب المؤمنين ، وينزل عليهم السكينة ، ويذهب عنهم الحزن ، ويصرف عن نفوسهم الفزع •

وقول الله تعالى « الا بذكر الله تطمئن القلوب » خطاب موجه الى المؤمنين والكافرين على السواء ، فالمؤمنون • يعلمهم الله بهذا الخطاب انهم بفضل ايمانهم به ، واطمئنانهم اليه ، وثقتهم به ، ينزل على قلوبهم السكينة ، ويبعث فى نفوسهم الطمأنينة ، ويثبتهم فى وجه الشدائد والملمات ، ويحميهم من الفزع فى النوازل والازمات ، اذ يعلمهم أن مع العسر يسرا ، وان الذين يتقونه سبحانه ، ويخشونه ، يجعل لهم من كل ضيق مخرجا وهم بعد هذا كله يفرحون بما اتاهم ، ولا ييأسون على ما فاتهم • أما الكافرون ففى هم مقيم ، وحزن متصل ، فى النعمة والنقمة على السواء ، ففى النعمة لا يقنعون بها ، ولا يقفون يطلبون المزيد ، ويحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضل ، ويخشون زوال مالهم ، وهلاك سلطانهم ، يشفقون من أن يشاركهم فيه مشارك من ذوى القربى ، أو المنافسين • وهم ان نزلت بهم المصائب ، ذهبت نفوسهم شعاعا : وتخلى عنهم عزمهم ، وضاقت الدنيا عليهم بما رحبت ، وضاقت عليهم كذلك أنفسهم ذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ، ويأمرهم بالفحشاء ، والله يعدهم مغفرة منه وفضلا •

وهذه الميزة التى وعد الله بها عباده المتقين ، والمحسنين ، والمخبتين ، والمؤمنين هى سند المؤمنين وزادهم ، لا فى خاصة حياتهم ، بل فى جهادهم للشرك ، والزيغ ، والضلال ، وحربهم على الرذائل والفواحش ، وهى عدتهم فى دعوتهم الى الخير ، والنهى عن المنكر ، فاذا زالت عنهم طمأنينتهم ، التى ينزلها الله على قلوبهم عند ذكره تعالى وتبارك ،

انثلمت سيوفهم ، فلم تعد تقطع ، وجمدت السنتهم فلم تعد تنطق . وانطفأ نورهم ، فلم يعودوا يهدون ولا يهتدون ، فهم ـ بغير هذه العدة ـ يتساوون مع غيرهم ، من سائر الناس ، بل يتفوق عليهم أهل الدنيا ، بما لديهم من مال ، وبما حصلوا من خبرة ، وبقدرتهم على الاغراء والخداع .

وقد جاء فى تفسير المنار ، فى تفسير آية « فمن تبع هداى » من سورة البقرة ، كلام يتصل بما نحن فى صدده ، ننقله هنا :

الخوف عبارة عن تألم الانسان من توقع مكروه يصيبه ، أو توقع حرمان من محبوب يتمتع به أو يطلبه ، والحزن ألم يلم بالانسان اذا فقد ما يحب ، وقد أعطانا الله جل ثناؤه الطمأنينة التامة فى مقابلة ما حدده كلمة (اهبطوا) من الخوف من سوء المنقلب وما يثيره من كوامن الرعب ، فالمهتدون بهداية الله تعالى ، لايخافون مما هو آت ، ولا يحزنون على ما فات ، لان اتباع الهدى يسهل عليهم طريق اكتساب الجنان ، ويعدهم لسعادة الدنيا ، والاخرة ، ومن كانت هذه وجهته يسهل عليه كل ما يستقبله ويهون عليه كل ما أصابه ، أو مافقده ، لانه مؤمن بان الله يخلفه فيكون كالتعب فى الكسب ، لا يلبث أن يزول بلذة الكسب الذى يقع أو يتوقع » .

وقد جاء فى شرح القرطبى ، فى تفسير الاية الثانية من الانفال التى نحن بصددها :

« روى مسلم عن أنس بن مالك ان الناس سألوا النبى ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أحفوه فى المسألة ـ أى أكثروا عليه فى السؤال ، وألحوا عليه الحاحا شديدا : فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال سلونى ، لا تسألونى عن شىء الا بينته لكم ، مادمت فى مقامى هذا » فلما سمع القوم هذا أرموا (أى سكتوا وجموا) ورهبوا ان يكون بين يدى امر قد حضر . قال انس ، فجعلت التفت يمينا وشمالا ، فاذا كل انسان لاف رأسه فى ثوبه يبكى » .

ومعنى هذا الحديث ، ان المسلمين توهموا ان الرسول ينذرهم بعقاب ، اوشك ان يحل بهم ، لذلك وجموا ، وكفوا عن القول ، ثم أخذوا يبكون فى صمت وخشوع ، فلم يكن بكاؤهم لمجرد أن الرسول وقف يعظهم ، فالبكاء لم يكن لان الرسول وقف يخطبهم ، وانما لانهم أحسوا أن فى وقفة الرسول على المنبر ولهجته فى الخطاب ، بعد طول المحاجة والسؤال ، أن شرا موشكا أن ينزل بهم ، لذلك قال أنس رضى الله عنه « ورهبوا أن يكون كلام الرسول بين يدى أمر حضر » .

وقد أورد القرطبى فى تفسير الاية ذاتها نقلا عن المثنى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » فأدوا فرائضه .

ثم عن سويد : قال هو الرجل يريد أن يظلم أو قال يهم بمعصية ، أحسبه قال « فينزع عنه » وهذا قول حسن ، فالانسان يذكر الله ، فى موقف يهم فيه بمعصية او بظلم ، فيرتعد ، ويفرق ، ويخشى عقاب الله ، فينزع عنه ، أى يعدل عنه .

فالايمان بالله ـ عند المسلمين ـ هو أمان واطمئنان ، لا فزع ولا خوف ، ولذلك فان آيات الكتاب العزيز ، تترى بان الذين آمنوا لا خوف عليهم ـ ولا هم يحزنون ، ففى سورة فصلت ، « **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** » وفى سورة طه « **ومن يعمل من الصالحات ، وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما** » وفى سورة الجن « **فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا** » وقد خاطب الله سبحانه وتعالى كليمه موسى « **يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون** » فالخوف عذاب يصيب به الله الكافرين ، والمنافقين ، « **فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** » .

أما « **فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » لان الذين اتبعوا هدى الله « **لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » « **من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » « **ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » .

وليس هذا كله الا مصداق وعد الله « **وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » ، ولا يرد الخوف من مقام الله ، أو امتحانه ، او بلائه الا مقرونا بالبشرى بالخير والنعمة وحسن المنقلب «**ولنسكننكم الارض من بعدهم ،ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ! ولمن خاف مقام ربه جنتان** » « **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى** » ويبتلى الله المؤمن بشىء من الخوف ، على سبيل الامتحان ، اذ لايلبث كتاب الله العزيز ان يبشر الصابرين اى الناجحين فى الامتحان بخير عاقبة « **ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين** » .

والخوف من مقام الله ، ينصرف كله الى عقاب الله ، ووعيده ، فالخوف شعور مذل ، واحساس مهين ، لا يبتلى الله به عباده المتقين ، ولكن يصاب به من خلا قلبه عن سكينة الايمان ، وطمأنينة الثقة بعقيدة تثبت الانسان وتقيه زعازع الدنيا ، ومخاوف الاطماع ، وخيالات وأشباح الشهوات .

وكما ان آيات القرآن التى تقرر ان المؤمنين الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فانها تفيض كذلك بعبارة « **وبشر المؤمنين ، وبشر المحسنين ، وبشر المخبتين** ، وتأتى هذه البشائر فى صيغ عديدة وان كان المعنى ثابتا من ذلك :

« **وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا** » والقرآن هو « **هدى وبشرى للمؤمنين** » وهؤلاء

المؤمنون : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة » .

والمؤمنون فى ظل هذه البشائر . يمضون فى الحياة ، سعداء أقوياء ، تزيدهم السعادة ايمانا » ، كما يزيدهم الامتحان والابتلاء ، فهم فى الحالين ، يعرفون أنهم يؤدون واجبا ساميا : هو ضمان حسن العاقبة . فى الدنيا والاخرة ، وانهم يتقلبون فى رحمة الله وفضله ، مهما ادلهمت الامور ، وبدا انه لا مخرج ، ولا مغيث . وتبلغ قوتهم الحد الذى لا يخشون معه الناس جميعا اذا اجتمعوا عليهم «الذين قال لهم الناس ، ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا » فى حين ان الكافرين ينطبق عليهم قول القرآن « انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه » . وهذا الكلام كله يصلح مدخلا الى حديث طويل عن السمة البارزة فى حضارة الاسلام ، وحديث أطول منه ، عن مستقبل الاسلام ، وموقفه من المذاهب السائدة اليوم .

فحضارة الاسلام النابعة من عقيدته قامت على اشاعة الطمأنينة فى نفوس المؤمنين ، لطول ما تحدثت عن الرحمة ، والمودة ووصل الرحم ، وايتاء ذى القربى ، ومنح الصدقات للفقراء والمساكين ، وتحرير العبيد ، والمساواة ، ودفع الحرج ، ورفع المشقة ، والدعوة الى التيسير والتخفيف ، والحض على الرفق والحلم ، وترك المراءاة ، والاخذ بالظاهر ، والتغير من التنطع والتكلف وهذه كلها سدود ، تقف فى طريق الخوف والفزع وتثبت أسس الطمأنينة فى بلد ، الا شملته بهجة الاخاء الانسانى ، فاندفع العلماء يقرأون ويبحثون ، وينطلقون الى اجواز الفضاء ، وينقبون فى باطن الارض ، ويهتدون الى حقائق ما سبقهم اليها سابق ، ثم أقيمت المدن ، وشقت الطرق ، وحفرت الترع ، ورويت الارض البور ، وتسابق الفنانون ، فى النقش والتصوير ، والنسج والتطريز ، والعمارة والبناء ، والموسيقى والغناء ، وأصبحت مدن الاسلام وعواصمه ، جامعات للعلم ، ومعاهد للدرس ، ومقاصيف للفن ، وندوات للبحث ، وخزائن للكتب ، ومجالات للابتكار والابداع ، فى عالم الفكر والصناعة ، وفى دنيا العلم والزراعة .

ثم لما ادال الدهر على المسلمين ، وانطفأت مشاعل العلم فى معاهدهم ، ومدارسهم ، وأقفرت حلقات الدرس فى جوامعهم ومساجدهم ، غلبت على الفكر الاسلامى ،فى انحداره وغروبه،فكرة ان الدين الحق، هو الذى يبيت فى ظله المسلمون ، على خوف ، ويستيقظون فى خوف ، وان المسلم الصادق هو الذى يتوهم فى كل عمل يأتيه ، اثما ، وفى كل قول يسمعه كفرا ، وفى كل رأى يدلى به صاحب رأى الحادا حتى كان الاسلام ، صنوا للوسوسة . او شعورا بالاضطهاد . وقد زاد من هذه البلية ان علماءهم ، اشفقوا - زمنا غير قصير من الاجتهادات بدعوى أن السلطان فى بلاد المسلمين ، قد انتقل الى أقوام لا صلة لهم بالدين ، ولا هم لهم ، الا تثبيت ملكهم ، واسترقاق رعاياهم ، وخطف ارزاقهم ، ونهب اموالهم ، وهتك أعراضهم ، وهم فى ظلمهم ، وطغيانهم ، فى حاجة الى من يحلل حرامهم ، ويبرر طغيانهم ، فلو فتح باب الاجتهاد ، دخل منه ادعياء الدين افواجا ، لا شرحا لنص فى القرآن ولا استلهاما لقاعدة من قواعد الشرع ، ولا قياسا على حكم ، انتهى اليه ، اجماع المسلمين ، بل تقرب الى الحكم ، وزلفا والحق أن هذا الخطر واقع ، ولا توهم فيه ، ولا مبالغة ، ولكن هذا دور (ذكر الله) وأثره ، فاذا كان ذكر الله ، تطمئن به القلوب ، فلا خوف من صاحب سلطان مهما طغى ، ولا من حامل سيف ، مهما هدد او أرعد ، وقد واجه علماء الاسلام ، والدين لايزال غضا ، محن اعتداء اصحاب السلطان، فاستمسكوا بدينهم ، واحتملوا السجن والاذى ، واشرفوا على الموت ، ولم يهنوا او يضعفوا ولا يمكن أن يكون الدين دينا ، الا اذا أعان على احتمال المشاق،والصبر على المكاره ، مع الدعوة المنحة الى أحكامه الكبرى . فى مثابرة لا تنقطع ، وهمة لا تفتر .

فاذا عاد المسلمون ، داخل أوطانهم ، الى ما كان عليه اباؤهم الاوائل ، كانت للمسلمين حياة بهيجة مشرقة ، تزدان بالذوق ، والرقة ، واللطف والالفة، وتسود فيها الفرحة بالعمل ، والترحيب بالجهاد : وثابت اليهم الثقة بانفسهم . فناقشوا ، وقرأوا ، وعرضوا أفكارهم ودافعوا عنها ، وسمعوا كلام الناس ، وأسمعوهم كلامهم ، واحسوا ان دينهم مطلوب ، وأن دورهم باق لهم ومحفوظ . وان الانسانية التى احاطت بها المصائب والكوارث ، وسدت أمامهم سبل النجاة ، وتراكمت بين يديها المشكلات التى لا تحل ، والازمات التى لا تنفرج ، فى أشد الحاجة الى رأى علماء المسلمين الذى ورثوا عن أجدادهم ، تقاليد العلم الصحيح الذى لا يخاف ، ولا يهرب ، والذى يلقى بنفسه فى أمواج الالغاز والمعميات ، يسبح ما استطاع السبح ثم يقف ، ليستجم ، ويستعيد قواه ، ثم يستأنف العوم ، لا يخاف الغرق ، ولا يتقى البلل .

والحق اننا لا نطمع فى أن يدرك المسلمون ، هذه الحدائق المهجورة ، من دينهم ، فى يوم وليلة ، فالامر يحتاج الى جهاد طويل ، دونه العقبات ، والحوائل ، لان الغاية ، ليست بالصغيرة ، ولا بالقريبة ، ولكنها تستحق احتمال المشقة ، والصبر ، على المكاره .

ولو فعلنا ، لخرج جيل من المسلمين الاقوياء المصممين ، يبعثون فى قلوب اخرين أفزعهم حال الناس ، فى المشارق والمغارب ، الطمأنينة والسكينة ، تتقدمهم اعلام نقشوا عليها قول الله تعالى « الا بذكر الله تطمئن القلوب »

وفي الدنيا عقاب

الدكتور أحمد الحوفي

(٦)

(١٠) قارون

هذا رجل من بني أسرائيل بسط الله له في الرزق ، حتى ان مفاتيح خزائنه كانت لكثرتها وثقلها تنوء يحملها العصبة القوية .

وكان الى وفرة ماله صاحب أبهة وزينة ومظاهر نعمة وخيلاء ، فكان كثير من قومه يرمقونه ، ويتمنى كل منهم أن يكون له حظ فى الحياة مثل حظ قارون .

وكان العقلاء من قومه يعظونه ، ويقبحون له مظاهر الخيلاء ، ويحذرونه عواقب البطر والطغيان ، ويرغبون اليه أعمال الخير والبر والعطف على الفقراء ، خضوعا لله تعالى الذى رزقه ، وأداء لحق النعمة التى أغدقها عليه . فأصم أذنيه عن الاستماع لنصائحهم ، وتمادى فى غروره فزعم أنه أحرز ماله بعلم أتقنه لا بفضل من الله ، كأنه لم يعلم أن الله قد أهلك من هم أشد منه قوة وأكثر مالا . ثم خرج يوما فى موكبه ، فبهر مظهره المخدوعين بأبهة الحياة الدنيا ، فوعظهم العقلاء بأن رضوان الله خير من المال والجاه ومظاهر الخيلاء . وكانت عاقبة قارون أن خسف الله تعالى به وبداره الارض ، عقابا له على فساده وطغيانه وكفرانه وجحده نعم الله عليه ، فلم ينفعه ماله ، ولم يحمه أعوانه .

قال تعالي : « ان قارون كان من قوم موسى ، فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، اذ قال له قومه : لا تفرح ، ان الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » .

قال : انما أوتيته على علم عندى . أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ، ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون .

فخرج على قومه فى زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون ، انه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم : ويلكم ، ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا الصابرون . فخسفنا به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله : وما كان من المنتصرين .

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون : ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لا يفلح الكافرون .

تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين

(١١) سبأ

وهناك باليمن كانت ارض خصيبة ذات ثمرات ، فى واديين بكل منهما جنة ، احداهما عن يمين البلاد ، والاخرى عن شمالها ، وهى مأرب .

وكان يقيم فى تلك الارض طائفة من الناس هم قوم سبأ ، فينعمون بخيراتها وكان الانبياء يقولون لهم أو لسان الحال يحدثهم بأن يشكروا لربهم النعم التى حباهم بها فى بلدهم الطيب ، ويشكروا له أنه سهل لهم الاتصال التجارى بما يليهم من القرى الى الشام ، ليتعاملوا معها ، ويشتروا منها ، ويبيعوا لها ، وهم فى غدوهم ورواحهم مطمئنون على أنفسهم وأموالهم . لكنهم كفروا بربهم ، وبطروا نعمه ، وطلبوا منه ما يشقيهم ، كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم بدل المن والسلوى ، وقالوا لو أن ثمرات بلادنا أبعد لاشتهيناها .

وبهذا ظلموا أنفسهم بكفرهم وبضلالهم وبطرهم ، فارسل الله على سد مأرب سيلا دمره فأجدبت

بلادهم ، وصار نباتها قليلا رديئا ،ثم تفرقوا فى الجزيرة العربية . رحل بعضهم الى الشام وهم غسان ، وارتحل آخرون الى يثرب وهم انمار ، واتجه بعضهم الى تهامة وهم جذام ، وذهب آخرون الى عمان وهم الازد ، وصاروا مضرب المثل فى التفريق والتمزيق ، فقيل تفرقوا أيدى سبا .

قال تعالى : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية : جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم ، واشكروا له ، بلدة طيبة ، ورب غفور فأعرضوا ، فارسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى الا الكفور .. وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ، وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالى وأياما آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ، وظلموا أنفسهم ، فجعلناهم أحاديث ، ومزقناهم كل ممزق ، ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور »

(١٢) أمم شتى

تلك أمثلة لامم وقبائل ومدائن عصت الله تعالى ، وكذبت رسله ، فأخذها أخذ عزيز مقتدر . ولهذه الامم أمثال ونظائر حددها القرآن الكريم بأخبارها ، ولم يعين أسماءها ، ولم يفصل أحداثها ، ولعل مرد هذا الى أنها أقدم زمانا ، أو أبعد مكانا ، أو الى ان الغرض العظة والتحذير .

١ - قال تعالى : « ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك ، فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون .

فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء ، حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة ، فاذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين »

فهؤلاء كذبوا أنبياءهم فامتحنهم الله بأنواع من البؤس والضرر ، لعلهم يتضرعون لربهم ليكشف عنهم ما نزل بهم ، ولكنهم عاندوا ولم يخشعوا ولم يتعظوا ، فلم يعجل الله تعالى عذابهم ، بل أنعم عليهم بكل شىء من سعة فى الرزق وصحة وقوة ومما يشتهون لعلهم أن يشكروا له ويعبدوه ، فاذا هم يفرحون بما آتاهم فرح الزهو والبطر ، ويشغلون بما نالوا عن الشكر وعن العبادة ، ويستكبرون ويسعون فى الارض فسادا ، فأهلكهم الله بغتة ، فوجموا وتحسروا حيث لا جدوى من الحسرات ، وهكذا يهلك الله الظالمين ويستأصلهم .

« وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ، ان أخذه اليم شديد »

٢ - وقال سبحانه : « وكم من قرية أهلكناها ، فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون . فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا . الا أن قالوا انا كنا ظالمين » (٤) أى كثيرة تلك الاقوام التى عاقبها الله بشركها وظلمها ، فدمرها الله جزاء وفاقا على الكفر والضلال .

فلما آن موعد اهلاكها صبه الله عليها والناس فى غفله وطمانينة ، ليكون العذاب أردع وأنكى ، سواء أكانوا نائمين ليلا أم هاجعين نهارا ، وحينما حل بهم العذاب ثابوا الى رشدهم ، فاقروا بطغيانهم ، وجعل بعضهم يلوم بعضا مدعيا أنه هو الذى أضله .

٣ - وقال تعالى : « بل الذين كفروا فى عزة وشقاق . كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص !

٤ - وقال سبحانه : « أو لم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ، كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الارض ، فأخذهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق . ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ، فكفروا ، فأخذهم الله ، انه قوى شديد العقاب

٥ - وقال سبحانه : « كذب الذين من قبلهم ، فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون . فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ، ولعذاب الاخرة أكبر ، لو كانوا يعلمون »

النتائج العامة

من الايات الكريمة التى قصت الجزاء فى الحياة الدنيا ثوابا معجلا وعقابا محققا نؤمن ايمانا راسخا بأن الله تعالى يعجل المثوبة ويعجل العقوبة أحيانا كما يشاء وكما يريد ، ولا يغنى ثواب فى الدنيا عن ثواب الاخرة ، ولا ينجى عقاب فى الدنيا من عقاب الاخرة ونؤمن أيضا بأن تقوى الله وطاعته والعمل بأمره وسيلة الى نيل رضوانه ، واستحقاق رعايته ورحمته ، والظفر بتأييده وتوفيقه ونصره .

ونؤمن بأن معصية الله تعالى ، والاستهانة بما يوجبه الشرع من استقامة وصلاح واصلاح طهارة نفس وعفة يد وشجاعة قلب وغيرة على الحق ورعاية للدين ، هذه مزالق الى الضعف والذلة وتسلط أعداء الله علينا ، نكالا وعقابا لنا على ما اجترحنا وعلى ما نجترح .

واننا لنخدع أنفسنا حينما لانرى فى حالنا التى ضيق بها ، ونجأر بالشكوى منها ، مظهرا من مظاهر العقاب الالهى لنا فى دنيانا .

فلنسارع الى تغيير ما بنفوسنا ليغير الله ما نحن فيه ، من ضعف الى قوة ، ومن مهانة الى عزة ، ومن فرقة الى وحدة ، ومن تبعية الى صدارة وقيادة ، وما ذلك على الله بعزيز .

من أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها

لقد انتهينا فى أبحاثنا السابقة بشأن المهر ومايطرأ **بصدده من أحكام حين الطلاق قبل الدخول وقبل الخلوة ، وبيان ما يستحقه كل من الزوجين قبل الاخر فى هذه الحالة ، كما أشرنا كذلك الى بعض مسائل الكفالة بالمهر ــ وكفالة والد الزوج به وكفالة غيره ، وما ينشأ من أحكام حين موت الكفيل دون أن يؤدى المهر عمن كفله .**

وسنوضح فى مقالنا هذا باقى مسائل الكفالة بالمهر وضمانه وما يحصل من خلاف بين الزوجين فى القبض وعدمه وما ينجم من نزاع بشأن الجهاز .

واليك البيان

لقد قلنا أن الكفيل بالمهر قد يكون والد الزوج أو غيره كما يصح أن يكون الكفيل بمهر الزوجة هو أبوها سواء كانت الزوجة كبيرة عاقلة أم كانت صغيرة .

فان كانت كبيرة عاقلة فلها الخيار فى مطالبة الزوج بالمهر أو الرجوع به على الكفيل ان كان موجودا ولها كذلك الحق فى المطالبة به فى تركة الكفيل اذا مات قبل أداء المهر لها وللكفيل أو ورثته الرجوع على الزوج بما يؤدى من مهر .

أما اذا كانت الزوجة صغيرة . فكيف يصح أن يكون وليها كفيلا بمهرها مع أنه هو الذى يتولى العقد عليها ويتولى المطالبة بمهرها ؟ فهل يكون عاقدا يطالب بالمهر . ويكون ضامنا له ؟

لقد أجاز فقهاء الحنفية هذه الكفالة بناء على أن العاقد فى الزواج سفير ومعبر عن المولى عليها فلا ترجع حقوق العقد اليه كما ترجع الى العاقد فى البيع والشراء واذا كان كذلك وكان العاقد سفيرا ومعبرا لا يمتنع أن يكون عاقداضامنا ومطالبا بالمهر ومطالبا به . لاختلاف الصفة فى كل حالة ولان حقوق العقد لا ترجع اليه لانه سفير ومعبر كما أوضحنا .

هذا . وقد تختلف الزوجة مع زوجها فى قبض المهر وعدمه كما قد يختلفا فيما قدمه الزوج هل هو هدية أم من المهر .

فاذا اختلفنا فى قبض المعجل أو بعضه ، بأن ادعى الزوج أنه أوفى زوجته عاجل صداقها وأنكرت هى ذلك وقالت أنها لم تقبض شيئا من مهرها . فان كان كذلك قبل الدخول الحقيقى بها كلف الزوج اثبات دعواه . لان المهر ثبت فى ذمته بموجب عقد الزواج الصحيح ولا تبرأ ذمته الا بأدائه اليها فلابد من أن يقوم الدليل على الاداء فان اثبت دعواه بالبينة أو بنكول الزوجة عن اليمين عند عجزه عن الاثبات . حكم له بما ادعاه ، وان عجز عن الاثبات وحلفت الزوجة اليمين على نفى الدعوى رفضت دعواه .

أما اذا حصل هذا الاختلاف بين الزوجين على قبض المعجل أو بعضه وكان ذلك بعد الدخول الحقيقى بالزوجة حكم العرف فى هذه الحالة .

فان كان العرف المطرد فى البلد الذى حصل فيه الزواج قد جرى على أن الزوجة لا تزف الى زوجها وتذهب الى منزل الزوجية الا اذا كانت قد استوفت معجل صداقها . فلا تصدق الزوجة حينئذ فى

فضيلة الشيخ
محمد خاطر

ادعائها أنها لم تقبض شيئا من مهرها لان العرف المطرد فى البلد يكذبها فى دعواها هذه ، ويقوم العرف فى هذه الحالة مقام البينة للزوج ـ فان لم يوجد عرف مطرد بدفع معجل الصداق قبل الدخول • يكلف الزوج باثبات دعواه فى هذه الحالة فان أثبتها بالبينة أو بنكول الزوجة عن اليمين عند عجزه عن الاثبات حكم له بدعواه ، وان عجز عن اقامة الدليل وحلفت الزوجة على نفى دعواه رفضت الدعوة •

أما اذا كان الاختلاف بين الزوجين فيما قدم للزوجة وهل هو هدية أو مهر فان الحكم فى ذلك على الوجه الاتى

اذا كان الزوج قد أعطى لزوجته قبل الدخول بها أو بعده حليا أو ثيابا أو نقودا ولم يكن قد ذكر وقت الاعطاء أنه هدية أو من المهر • ثم اختلفا فقال الزوج هو من المهر وقالت الزوجة هو من هدية • **فالعبرة بالبينة فى هذه الحالة** فأيهما أقام بينه حكم له بها لثبوت دعواه دون أن تعارضها بينة أخرى ، وان أقام كل **منهما بينة على دعواه رجحت بينة الزوجة** وحكم لها بدعواها وذلك لان بينتها قد أثبتت خلاف الظاهر • **والمقرر فقها أن البينات شرعت لاثبات خلاف الظاهر • والظاهر هنا مع الزوج اذ هو يسعى لاسقاط الواجب فى ذمته وهو المهر** ، والعادة قد جرت أن الشخص يعمل أولا على ابراء ذمته مما هو مطلوب منه وواجب عليه ، ثم بعد ذلك يقوم بالتبرع والاهداء اذ الواجب مقدم على الهدية •

وان عجز كل من الزوجين عن اقامة البينة على دعواه حكم العرف حينئذ ويكون القول لمن يشهد له العرف بيمينه • فان كان العرف يعتبر ما أعطاه الزوج لها من المهر قضى للزوج بما ادعى ، وأن كان العرف يعتبر أن ما قدم هدية حكم للزوجة بدعواها وان كان العرف مشتركا لا يشهد لاحدهما كان القول للزوج بيمينه فى هذه الحالة • لانه هو الذى أعطى وجهة الاعطاء تعلم منه اذ هو أدرى حينئذ الا اذا كان الشىء الذى أعطاه لا يقره العرف عادة بأن يكون مهرا كالطعام المعد للاكل وفى هذه الحالة يكون القول للزوجة بيمينها لان الظاهر يؤيدها ويكذب الزوج والقول لمن يشهد له الظاهر مع يمينه عند عدم البينة • ما أوضحناه هو حكم ما يقدم من الزوج لزوجته عند الاختلاف فى وصفه هل هو هدية أو مهر •

أما اذا كانت الزوجة هى التى قدمت الى زوجها هديته أو كان أبوها أو أحد اقاربها قد اهدى الزوج هدية من مالها باذنها •

فان كان الاهداء قد حصل قبل أن يقدم اليها الزوج الاشياء المتنازع عليها على نحو ما أوضحنا فليس لها حق الرجوع على زوجها بشىء لوجود مانع من موانع الرجوع فى الهبة وهو الزوجية القائمة وقت الهبة •

أما أن كان الاهداء قد حصل بعد أن قدم لها الزوج الاشياء المتنازع بشأنها (وهو يقول عنها انها من المهر وهى تقول انها هدية) • فلها أن ترجع بما قدمته من هدية اذا كانت قد ذكرت وقت الاهداء أن هديتها هى عوض عما قدمه هو اليها وظنته هدية ـ أو كان العرف يجرى فى مثل هذه الحالة باعتبار ما أهدته اليه على سبيل التعويض وتبادل الهدايا ـ هذا والزوجية فى هذه الحالة لا تمنعها من الرجوع فيما قدمته على نحو ما ذكرنا اذ قد ثبت انها قدمته **عوضا عما قدمه هو اليهـــا** • والهبة اذا قصد منها العوض خرجت عن معنى الهبة وكانت فى حكم البيع فلا تمنع الزوجية حينئذ من الرجوع • فان كانت الزوجة لم تذكر وقت الاهداء أن ما قدمته عوضا ولم يجر العرف باعتبار ما قدمته تعويضا فليس للزوجة حق الرجوع عليه بشىء مما قدمته لوجود المانع من الرجوع فى هذه الحالة وهو الزوجية اذ المقدم منها هبة حقيقية والزوجية من موانع الرجوع فى الهبة الحقيقية •

أما اذا كانت الهبة التى قدمها والد الزوجة للزوج ليست من مال الزوجة كان من حقه ان يرجع فيها فى جميع الاحوال ان كانت الهدية قائمة فى يد الزوج لم تهلك أما اذا كانت قد هلكت فليس له حق الرجوع لان هلاك العين الموهوبة من موانع الرجوع فى الهبة • الا اذا كان ما أهداه الاب من ماله كان تعويضا عما قدمه الزوج لزوجته • فان من حق والد الزوجة حينئذ أن يرجع بما قدمه فى هذه الحالة مطلقا ولا يمنعه الهلاك حينئذ من الرجوع وذلك لان الهبة هنا كانت فى حكم البيع لوجود التعويض

هذا وكما قلنا أن الشارع أوجب على الزوج المهر لزوجته تعظيما لشأن المرأة وصونا لها من الابتذال ولم يوجبه الشارع فى مقابل جهاز تعده الزوجة لمنزل الزوجية تزف به الى زوجها • **فالمهر ملك خالص للزوجة ليس لاحد حق فيه سواء الزوج أو غيره وهى التى تتصرف فى مهرها كيف تشاء** • لان اعداد بيت الزوجية ليس بواجب عليها وهو كذلك ليس بواجب على أبيها فلا تجبر الزوجة حينئذ على أن تجهز نفسها من مهرها كما لا يجبر أبوها على أن يقوم بتجهيزها من مهرها والا من ماله أو مالها سواء أكانت بكرا أم ثيبا وليس لزوجها أن يلزمها أو يلزم أباها بالجهاز ـ فاذا قامت بالجهاز فهى متبرعة واعداد بيت الزوجية واجب على الزوج اذ هو الملزم بالانفاق عليها ومن النفقة اعداد مسكن الزوجية وتاثيثه •

هذا هو الاساس فى أحكام الشريعة فى ذلك وان كانت العادة قد جرت بأن المرأة لا تزف الى زوجها بدون جهاز وأن المتعارف أن الزوجة وأهلها ينفقون فى سبيل اعداد جهازها أكثر من مهرها •

وبناء على هذا الاصل وذلك العرف قد نجد النزعة بين الزوج والزوجة بشأن الجهاز واعداده وملكية الزوجة للجهاز وحدها دون الزوج وخاصة اذا كان الزوج قد دفع لزوجته ما لا فى نظير اعداد الجهاز أو فى نظير اعداد نوع خاص منه ـ كما قد نجد أنزعة أيضا بين الاب وابنته بشأن الجهاز ـ وسوضح آراء الفقهاء فى ذلك كله فى مقالنا التالى ان شاء الله

من معانى القـــراءات وأسرارها

فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى

كتب لى الكثير من الناس من جمهورية مصر وغيرها من بلدان الاسلام ممن يتابعون قراءة الابحاث القرآنية التى أكتبها فى مجلة « منبر الاسلام » يذكرون أنهم يسمعون قراءات متنوعة فى مختلف الاذاعات وشتى المحافل فلا يفقهون لها وجها ، ولا يدركون لها سرا ومن هؤلاء من يقول : « ان بعض هذه القراءات — فى نظرهم — لا يتسق وأقوال البلغاء ، ولا يتطابق وآراء النحاة ، ولا يساير معنى الايات وفحواها » .

وقد رغب الى هؤلاء وأولئك أن أكتب فى « مجلة منبر الاسلام » فى معانى القراءات ، وأميط اللثام عن أسرارها ، وأكشف النقاب عن عللها ووجوهها ، مبينا ازاء كل قراءة أنها تعانق آراء النحاة ومذاهب البلغاء ، وتلائم فحوى الايات وسياقها وهدفها ، لا تخرج عن شىء من ذلك قيد شعرة .

ولا يسعنى — وقد كتبوا الى المرة تلو المرة — الا أن البى هذه الرغبة الكريمة ، وأستجيب لتحقيق هذا الغرض النبيل . وسأسير — على بركة الله وتوفيقه — فى هذا المضمار على هذا المنهج :

١ — أقتصر على بيان معانى قراءات الائمة العشرة ، لانها القراءات المشهورة المتداولة فى العالم الاسلامى شرقه وغربه ، وهى التى أجمع المسلمون على تواترها . وصحة القراءة والاقراء بها ، واطراح ما عداها ، وهى التى تتلى وتسمع فى الاذاعات وغيرها .

٢ — لا أسند القراءات الى أصحابها . بل اكتفى ببيان القراءة وضبطها وتحقيقها ، وذكر مواقعها ، وتوجيهها ، ومواضع الاستثناء منها ، وعلة استثناء هذه المواضع . ولا أنسب القراءات لذويها الا اذا دعت الضرورة لذلك .

٣ — اذا كانت الكلمة القرآنية ذات القراءات المتعددة مذكورة فى أكثر من موضع فانى أبين ما فيها من القراءات وعللها فى الموضع الاول ثم أحيل باقى المواضع عليه قصدا الى الايجاز والاختصار ، وحذرا من الاطالة والاكثار .

٤ — أعنى بتوجيه القراءات التى لا تكون داخلة تحت قاعدة كلية ، ولا مندرجة تحت قانون عام ، بل تكون فى كلمات مخصوصة فى السور كالقراءات ، فيما يأتى :

« الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله » ، « وانظر الى العظام كيف ننشزها » « فيسبوا الله عدوا » « هو الذى يسيركم فى البر والبحر » ، « أمن لا يهدى الا أن يهدى » ،

« انه عمل غير صالح » ؟ « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » ، « لتحصنكم من بأسكم »، « ولا يأتل أولوا الفضل منكم » ، « وأسبغ عليكم نعمه » ، « ويتناجون بالاثم والعدوان » ، « يوم القيامة يفصل بينكم » ، « ختامه مسك » .

وأما القراءات التى تكون تحت قواعد عامة كتسهل الهمزات وتحقيقها فى « ءأنذرتهم » ، « جاء أمرنا » ، « يشاء الى » ، وكالادغام والاظهار فى نحو ، « اذ تبرأ » ، « قد شغفها » ، « كانت ظالمة » ، « ومن لم يتب فأولئك » . وكالفتح والامالة والتقليل فى نحو « والضحى » ، « سجى » ، « قد نرى » ، وكالترقيق والتفخيم فى نحو « بصيرا » ، « خضرا » ، « الامرون » ، « خير لكم »، وكالتغليظ والترقيق فى نحو « الصلاة » ، « فقد ظلم » ، « حتى مطلع » ، وكفتح ياء الاضافة واسكانها فى نحو « انى أعلم » .

وكحذف الياء الزائدة واثباتها فى نحو « والليل اذا يسر » ، — أقول : اذا كانت القراءات من هذا النوع فلا أعرض لها لانها كلها او جلها من لغات العرب التى جاء القرآن مقررا لها ومشتملا عليها فلا تحتاج الى تعليل وتوجيه أكثر من ذلك .

سورة أم القرآن « الفاتحة »

« مالك يوم الدين » فى لفظ « مالك » قراءتان ، احداهما باثبات الالف بعد الميم ، والاخرى بحذفها .

ووجه القراءة الاولى : أن « مالك » اسم فاعل ، مشتق من الملك بكسر الميم ، وفعله : ملك المتعدى للمفعول ، يقال فى اللغة ملك الشىء يملكه ملكا بكسر الميم فهو مالك له ، والملك هو المتصرف فى الاعيان المملوكة على اى وجه من الوجوه ، والمالك من له قهر واستيلاء وقدرة على التصرف فى الاعيان المملوكة له مطلقا ، سواء كانت هذه الاعيان أهلا للتكليف والانقياد كالعبيد والاماء أم لم تكن أهلا لذلك كالعقارات ، والدواب ، والضياع ، والثياب — الى غير ذلك ، سواء كان تصرفه فيها بالامر والنهى ، والوعد والوعيد ، والارشاد والتوجيه . أم كان بنحو البيع ، والهبة ، والعتق ، والاستعمال ، ويقوى هذه القراءة قوله تعالى فى سورة آل عمران « قل اللهم مالك الملك » وقوله تعالى فى سورة الانفطار « يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله » ووجه تقوية هذه الاية للقراءة الاولى أن « تملك » مشتق من الملك بكسر الميم — لان سياق الاية يقتضى نفى مالكية نفس ما لنفس ما أمرا من الامور فى ذلك اليوم « يوم القيامة » ونفى المالكية عن غيره يقتضى اثباتها له ، لان سياق الاية لبيان عظمته تعالى ، ولذلك أكد هذا المعنى وقرره بقوله « والامر يومئذ لله » فأثبت بلام الملك فى قوله « لله » أن جميع الامور مملوكة له وحده فى هذا اليوم لا يشاركه أحد فى مالكية شىء منها ، لان القدرة على احياء الخلائق بعد موتهم ، والعلم بأجزائهم المتفرقة ، وأشلائهم المبعثرة مقصور عليه سبحانه ؟ فاذا كان الحشر والنشر ، والحساب والجزاء ، وما الى ذلك مما يكون فى اليوم الاخر لا يتأتى الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات ، وقدرة تنفذ فى جميع الممكنات ، فلا مالك ليوم الدين الا الله عز وجل .

وهذا المعنى المذكور هو معنى مالك يوم الدين بالالف ، ولا وجه لكون « تملك » فى الاية مشتقا من الملك بضم الميم لان المقام يقتضى نفى التصرف مطلقا عن النفوس جميعا لانفى التصرف بطريق التكليف فقط ، فلما كان قوله تعالى « يوم لاتملك » مشتقا من الملك بكسر الميم يكون قوله « مالك يوم الدين » مشتقا منه أيضا ، لان المراد بقوله مالك يوم الدين وبقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا واحد . والقرآن يفسر بعضه بعضا « ومالك » كتب فى جميع المصاحف العثمانية بحذف الالف ، فقراءته باثبات الالف توافق الرسم تقديرا ، لان المحذوف لعل كالاختصار فى حكم الثابت فالالف — وان حذفت رسما — مقدر وملاحظ وجودها .

وأما القراءة الثانية — بحذف الالف لفظا — فملك فيها اسم فاعل او صفة مشبهة . مأخوذ م الملك بضم الميم وفعله ملك اللازم وهو عبارة ع السلطان القاهر ، والاستيلاء الباهر ، والغلب التامة ، والقدرة على التصرف الكلى فى أم العامة . بالامر والنهى ، والوعيد والوعد والارشاد والتوجيه — الى غير ذلك ، والملك من ل السلطان والغلبة والتصرف فى الخلق بالامر والنه الخ ، والمعنى : أن لله تعالى الملك — بضم الميم — يوم الدين خالصا دون خلقه ، وبخاصة من كانوا ف الدنيا ملوكا جبابرة يتوهمون أنهم ينازعونه سبحان السلطان والقهر ، والكبرياء والعظمة ، ففى هذا اليو يتجلى للخلائق جميعا انه سبحانه المنفرد بالعظم والسلطان ، والعزة والكبرياء ، ويقوى هذه القرا قوله تعالى « فتعالى الله الملك الحق » وقوله تعال « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس » وقو تعالى « ملك الناس » وقوله تعالى « لمن الملك اليو لله الواحد القهار » .

ووجه تقوية هذه الاية لهذه القراءة أن اس الفاعل ، أو الصفة المشبهة من الملك — بض الميم — الملك — كما سبق . وقد أفادت هذه الا أن الملك له تعالى وحده فى ذلك اليوم ، واذا ك الملك له وحده فى ذلك اليوم يكون هو ملك ذل اليوم ، ولا يخفى أن القرآن الكريم تتعاض مواقعه ، وتتعانق موارده ، والقراءتان افادتا وص الله تعالى بكلا الوصفين ، وقد دلت على ذلك الايا التى تؤازر كلتا القراءتين .

ولا اريد أن أحاكى علماء التفسير والقراءات ولا أن اسير فى الطريق التى ساروا فيها من ترج بعضهم القراءة الاولى وترجيح البعض الاخر القرا

الثانية ترجيحا يفضى الى اهدار احدى القراءتين ؟ لان ذلك غير سائغ لثبوت كلتا القراءتين بطريق التواتر الذى يفيد القطع واليقين بان كلتا القراءتين مروية عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل امين الوحى عن رب العزة جل جلاله ، ولانه ليس بين القراءتين تعارض أو تناقض حتى يؤدى ذلك الى اسقاط احداهما فقد صرحت الايات القرآنية الكثيرة باتصاف الله تعالى بهما ، فهما صفتا كمال لله سبحانه ، وهذه القراءة توافق الرسم تحقيقا لان كلمة « ملك » كتبت فى جميع المصاحف بحذف الالف كما تقدم .

« اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

وقع لفظ « صراط » فى القرآن الكريم منكرا نحو «وانك لتهدى الى صراط مستقيم» ومعرفا باللام نحو « اهدنا الصراط المستقيم » وبالاضافة نحو « صراط الذين » « وان هذا صراطى مستقيما » « لأقعدن لهم صراطك المستقيم » .

وفيه فى جميع مواقعه ثلاث قراءات الاولى بالسين الخالصة ، الثانية بالصاد الخالصة ، الثالثة باشمام الصاد صوت الزاى . اما القراءة الاولى فقد جاءت على أصل الكلمة لان السراط مأخوذ من السرط بفتح السين والراء ، وهو الابتلاع يقال فى اللغة ، سرط الطعام سرطا من بابى نصر وفرح — اذا ابتلعه ، وسمى السبيل سراطا لما فيه من معنى الابتلاع اما لان سالكه يقطعه اياه كأنه ابتلعه ولذلك يقال فى اللغة : أكل فلان المفازة اذا قطعها ، واما لانه يبتلع سالكه من المسافرين والسابلة ابناء السبيل لانه باتعابه اياهم ، وانهاكه قواهم ؟ وقد يكون سببا فى هلاكهم صار كأنه ابتلعهم ولذلك يقال فى اللغة : فلان أكلته المفازة اذا أنهكت قواه ، او قضت على حياته ، ومما قاله العرب فى هذا الشأن ، قتل أرضا عالمها ، وقتلت ارض جاهلها .

وهذه القراءة لغة عامة العرب ، وهى توافق رسم المصحف تقديرا لان هذا اللفظ كتب فى جميع المصاحف العثمانية بالصاد الخالصة قال الامام المحقق ابن الجزرى فى النشر : ان الصحابة كتبوا « الصراط » بالصاد المبدلة من السين ، وعدلوا عن السين التى هى الاصل لتكون قراءة السين — وان خالفت الرسم من وجه قد أتت على الاصل فيتعادلان ، وتكون قراءة الاشمام محتملة ولو كتب ذلك بالسين على الاصل لفات ذلك وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والاصل . انتهى .

وأماقراءة الصاد فوجهها ان السين أبدلت صادا لتدل على الحرف المبدل منه وهو السين فان السين والصاد يشتركان فى المخرج وفى صفتى الهمس والصفير ، وليكون هناك تلاؤم بين الصاد والراء فى التفخيم ، وبين الصاد والطاء فى التفخيم ، والاستعلاء والاطباق . واذ ذاك ينتفى الثقل الناشىء من الانتقال من حرف مهموس مستعل مرقق وهو السين الى حرف مجهور مستعل مفخم وهو الصاد ويكون بين حروف الكلمة تآخ وتجانس وتناسب ، وهذه القراءة لغة قريش ، وهى توافق رسم المصاحف تحقيقا .

وأما قراءة الاشمام فوجهها المبالغة فى طلب التجانس لان الزاى تزيد على الصاد بالجهر الملائم للطاء فحينئذ يزيد قربها من الطاء وهذه القراءة لغة قيس ، وهى توافق رسم المصاحف تقديرا .

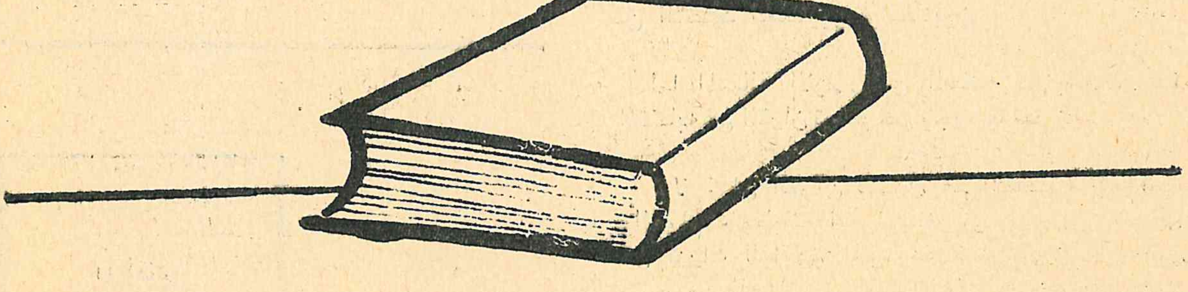

متشابه الصفات بين السلف والخلف

الدكتور
عبد الغني الراجحي

من الثابت المقرر ، والمعروف المألوف فى دوائر البحث العلمى والفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية ، أنه فى تفسير آيات الصفات ومتشابه الصفات ، من أمثال قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » وقوله تعالى « يد الله فوق أيديهم » • فى تفسير أمثال هذه الصفات الموهمة بظاهرها التشبيه والتجسيم للذات العلية تقدست وتنزهت عن ذلك • رأيان ومذهبان ونزعتان ، السلفيون والخلفيون وكلاهما داخل نطاق مذهب أهل السنة والجماعة ، اما السلفيون فيقفون أمام هذه النصوص موقف الاحجام والتورع عن الخوض فى تحديد معناها ، يوردونها كما جاءت ، ويؤمنون بها كما وردت ، ويفوضون العلم بحقيقتها الى الله سبحانه • فالاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب • واليد نؤمن بها كما وردت وهو أعلم بحقيقتها ، ومحال أن تكون له يد كأيدينا والا ، فهو التجسيم والتشبيه الذى تنفيه الاية الكريمة « ليس كمثله شىء » وأما الخلفيون فانهم تحت وطأة الشبهات والتشكيكات التى نشأت فى عهد الدولة العباسية ، أخذوا يعمدون الى التأويل والتوضيح ، للرد على المعترضين والزنادقة والملحدين ، باعطائهم معانى واضحة من هذه النصوص ، فلجأوا الى التأويل والمجاز فى تفسير هذه الايات . فالرحمن على العرش استوى بمعنى استولى على الملك وغلب وقهر أو نحو ذلك ، ويد الله بمعنى قدرته أو نعمته أو نحو ذلك . وليس يعنينا فى هذا المقام أن نخوض فى بيان الفرق بين النزعتين والمقارنة بينهما والتبرير لكل منهما وبيان ان ايتهما اسلم وايتهما احكم ، بقدر ما يعنينا الان ان نفجر مسألتين للخوض فيهما واثراء البحث بالنسبة لهما بعد أن ثبت عندنا قعود الباحثين والدارسين عن الوفاء بحقهما من البحث والبيان ووضوح الروية .

المسألة الاولى : ما الحكمة فى مجىء هذا المتشابه فى القرآن الكريم ، وكأنه يبلبل أذهان الناس !

المسألة الثانية : من هم على التحديد أو ما يقرب من التحديد السلفيون والخلفيون ؟

أما المسألة الاولى فان الحكمة فى وجود هذا المتشابه فى القرآن ترجع الى وجوه كثيرة •

أولا : ان القرآن يشتمل على دعوة الخواص والعوام ، وطبائع العوام تنفر فى كثير من الاحوال عن ادراك الحقائق المجردة كما هى عليه ، فمن سمع من العوام فى أول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن انه عدم من العدمات فيقع فى التعطيل . فكان الاصلح ان يخاطبوا بألفاظ دالة على ما يناسب أفهامهم • ويكون ذلك بجواره ما يدل على الحق الصريح ، فالقسم الاول يكون من المتشابهات ، والقسم الثانى

يكون من المحكمات ؟ وهذا هو عين ما جاء به القرآن وتشير اليه آل عمران « **هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم ، يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب** »

ثانيا : وجود المتشابه فى القرآن يفتح المجال لاجتهاد المجتهدين فى فهم معناه ، ورده الى المحكم ، وبذلك تتفاوت الدرجات بين الناس ويحصل للمجتهدين على مشقتهم فى الاجتهاد الاجر والثواب من الله .

ثالثا : وجود التشابه فى القرآن ، يفتح المجال لتحصيل الوسائل والعلوم التى بواسطتها يجتهد المجتهدون فى فهم معناه كعلوم النحو واللغة والمعانى والبيان وأصول الفقه ، وأصول العقائد والايات والاحاديث المحكمة التى يرد اليها المتشابه ، وفى ذلك من الثروة العلمية والثقافية والفكرية والاشتغال بالعلم وتحصيله ما لايخفى .

رابعا : الامام الرازى أورد اعتراض الملاحدة على القرآن بأنه اذا كان نازلا للهداية ، فكيف تكون فيه هذه الايات التى يتمسك بها أرباب المذاهب المتناقضة، فالجبرى يتمسك بآيات يجعلها محكمة ويجعل الايات الاخرى المناقضة لمذهبه متشابهة ، وغير الجبرى ، كالقدرى يعكس الامر ، ويثبت الجهة لله متمسك بقوله تعالى « **الرحمن على العرش استوى** » ويجعلها محكمة ، والثانى لذلك متمسك بقوله تعالى « **ليس كمثله شىء** » ويجعلها محكمة والاولى متشابهة ، فكل واحد يسمى الايات الموافقة لمذهبه محكمة ، والمخالفة لمذهبه متشابهة ، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذى هو المرجع فى الدين هكذا ؟ ثم أجاب رحمه الله بأنه لو كان لا يحتمل الا مذهبا واحدا وجاء كله محكما ، لكان بصريحه مبطلا لجميع المذاهب والاراء الا مذهبا واحدا وذلك مما يصرف الانظار عن النظر فيه ، ولا يوجد المجال لحركة فكرية تخوضها آراء ومذاهب كثيرة ، يجتهد كل صاحب مذهب فى امعان النظر ، والراغب فى الحق منهم يتوصل اليه بعد اعمال الفكر والاستدلال بالادلة ، فيتخلى المبطل عن باطله ، على هدى وبصيرة ، ويتمسك الحق بحقه على هدى وبصيرة ، فيتبين الحق من الباطل ، ويتميز الخبيث من الطيب بعد قطع الطريق الى ذلك . وقد هاجم صاحب المنار هذا الرأى بحجة أن المذاهب لم تكن موجودة عند نزول القرآن ، وهجومه فى نظرى فى غير محله ، فان الرازى لم يقل بوجود المذاهب عند نزول القرآن ولا يستلزم كلامه ذلك ؟ بل ان المعنى ان الله أنزله وللرأى والمذاهب واختلاف الانظار فيه مجال كبير . فهو حمال وجوه وهذه الاراء والافكار انما حدثت عند النظر فيه والتعمق ، وذلك بعد نزوله طبعا ، بل وحين نزوله أحيانا ، والادلة العقلية والنقلية كفيلة باظهار الحق من الباطل بعد النظر واعمال الفكر ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمل فعليها . وهو فى نظرى مظهر من مظاهر الابتلاء والاختبار مع التكليف ليميز الله الخبيث من الطيب . ثم انه للامام الرازى كتاب يؤكد فيه هذا المعنى الذى ذكره هنا ويوضحه ، وهو كتاب بعنوان حجج القرآن لاهل الملل والاديان أورد فيه من نصوص الايات ما يتمسك بظاهره كل فرقة . وهو يصلح فى نظرى نواة للتفسير الموضوعى . فرحم الله الرازى رحمة واسعة .

خامسا : على القول بأن من المتشابه ما لا يمكن ادراكه وفهمه تكون الحكمة فى وجوده ابتلاء العباد بالوقوف عنده وعدم الانحراف به ابتغاء الفتنة بل التفويض والتسليم لله والايمان المطلق الغيبى والتعبد به ولو بالتلاوة مع ما فى ذلك من اظهار عجز البشر ومحدودية طاقتهم العقلية بعد أن أعملوها فعجزوا وانه نزل بلغتهم ولسانهم ومعهم عقولهم وعجزوا عن ادراكه ، فيدل ذلك على أن القرآن معجز وأنه من عند الله الذى أراد تعجيزهم وتاكيد معنى قوله لهم فى محكم كتابه « وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

العلم للرحمن جل جلاله
وسواه فى جهلاته يتقمقم
ما للتراب وللعلوم وانما
يسعى ليعلم انه لا يعلم

وينقل ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد عن الامام الرازى الفيلسوف المتكلم المفسر الفقيه انه ، فى أخريات حياته استعبر فقال لقد قطعنا عمرنا فى البحث والنظر ومزاولة الاراء والمعتقدات ، فلم نجد فى نهاية المطاف أفضل ولا أصفى ولا أحكم ولا أسلم مما جاء به كتاب الله . ثم أنشد يقول :

نهاية أقدام العقول عقال
وغاية سعى الطالبين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا
وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

أما المسألة الثانية ، من هم السلفيون ومن هم الخلفيون ، فقد حاولت أن أجد لذلك تحديدا منصوصا عليه بالاشخاص أو الازمان فلم أعثر على ذلك ، والظاهر أن السلف يبدأون من الامام مالك

الذى قال قولته المشهورة فى الاستواء على العرش . ان الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة . وكان فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، واستمر الناسجون على منواله من الباحثين والمفكرين أهل السنة والجماعة . حتى مابعد عصر الترجمة وظهور البدع والاراء الهدامة ووضوح الحاجة الى التأويل فظهر الخلف ونبتت نابتتهم فى أرض السنة والجماعة كذلك فقالوا قولتهم واظهروا مذهبهم مريدين الخير يرغبون فى الدفاع عن حظيرة الاسلام . والذى يظهر لى أنهم يبدأون فى منتصف القرن الرابع الهجرى او أواخره . ويدل على هذا أن الاشعرى وهو فى النصف الاول من القرن الرابع الهجرى كان يقول برأى وسط بين السلفية والخلفية . انه نقل عن امام الحرمين الجوينى ابى المعالى استاذ الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ أنه كان مترددا بين مذهب السلف والخلف وقد كان فى منتصف القرن الخامس الهجرى فيدل ذلك على أن المذهبين كانا موجودين بصفة مبلورة . ثم انه ظهر السلفيون المتأخرون فى القرن السابع والثامن الهجرى من أمثال ابن تيمية وابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ وكأنما كانت فتن المذاهب الضاله قد هدمت أو خمدت فأصبحت الحاجة الى رأى الخلف غير ماسة . وكما كان رأى الاشعرى تمهيدا لرأى الخلف وخطوة أولى نحوه ، كانت عودة امام الحرمين الى مذهب السلف تمهيدا لظهور السلفية الثانية ، سلفية ابن تيمية وابن القيم ، وهذه السلفية الثانية ، لازال لها امتداد الى يومنا هذا فى مصر وفى الحجاز وفى بلاد أخرى كثيرة وفى كتابات كثير من الدارسين والباحثين الذين يناصرون آراء هذه المدرسة فى مسائل الصفات وغيرها من المسائل . وهذا لا يمنع من أن كثيرا من الباحثين والدارسين لازالوا يرجحون مذهب الخلف ويميلون اليه لما فيه من التخريجات العلمية والبلاغية الدقيقة ، والثراء العلمى الواسع المدى مما يضفى على القرآن اعجازا وبلاغة . ثم ان هناك تفكيرا يرد السلفية الى عمر بن الخطاب لانه ضرب ابن صبيغ ضربا مبرحا ، وأمر الناس باعتزاله والبعد عنه لانه كان يتتبع هذا المتشابه بالسؤال عنه ، لكن التحقيق أنه كان يضربه لسوء نيته وخبث طويته ، وابتغائه فتنة الناس . وقد كان يسأل فى غير متشابه الصفات من المتشابهات الاخرى . ولم ينقل عن عمر رضى الله عنه انه كان له رأى أو كلام فى هذه المسألة الخطيرة . هذا ولم يؤثر عن المعتزلة برأى فى هذه المسألة كفرقة لها أصول . لكننى أرجح انهم كانوا الى مذهب الخلف أكثر ميلا لجنوحهم الى العقلانية دائما كما هو معروف . وكما يؤخذ من تفسير الكشاف المعتزلى ، ومن أخذهم على عاتقهم التصدى للرد على المهاجمين للقرآن من النواحى العقلية والفكرية . لكن القاضى عبد الجبار المعتزلى له كتاب عمد فيه الى الايات القرآنية التى توافق اصول مذهبهم من العدل والتوحيد فجعلها محكمة .

وعمد الى الايات الاخرى المقابلة التى تنفى بظاهرها أصول مذهبهم ، فجعلها من المتشابه الذى يرد الى المحكم . أما الامام الغزالى فقد كان تلميذ الامام الجوينى على ما سبق ذكره وكان الجوينى يلقب بامام الحرمين لانه درس فى الحرم المكى والحرم المدنى لكنه فى الاصل منسوب هو وتلميذه الغزالى الى المدرسة النظامية المنسوب اليها رسالته النظامية ، المنسوبة الى الوزير نظام الملك فى عهد الدولة السلجوقية وفى بغداد . فمن المحتمل أن يكون التلميذ الغزالى قد تأثر برأى أستاذه الجوينى ، وهو التردد بين السلفية والخلفية . ومن المحتمل أن يكون له رأى آخر لم أصل اليه بصفة قاطعة .

الجدل

فى إطار القرآن والسنة

فضيلة الشيخ
محمد هلال عبد الرسول

الجدل طبيعة البشر واختلاف وجهات النظر دستور الحياة تبعا لتفاوت العقول وقديما كان الاختلاف فى المعتقدات والرغبات والميول .

اختلف الناس فى ذات الله فقالت اليهود (عزير ابن الله) وقالوا (يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) (وقالت النصارى المسيح ابن الله) (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثه وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) .

اما الموحدون الصادقون فى أيمانهم فأيقنوا بوحدانيه الله فى ذاته وصفاته وأفعاله وأنه الواحد الاحد الفرد الصمد خالق الكون على غير مثال سابق لا شريك له فى ملكه (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا) سبحانه هو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد يعطى ويمنع لا راد لقدره ولا معقب لحكمه لا يشغله شأن عن شأن انما أمره اذا أراد شيئا قال له كن فيكون .

كما اختلفوا فى رسول الله فوصفه الذين بعدوا عن رحاب الاستقامة وعز عليهم أن يبعث الله اليهم رسولا من أنفسهم - أنه ساحر يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ وأخيه والقبيلة والقبيلة كما ادعوا كذبا وبهتانا أنه ليس رسولا من عند الله أما الذين شرح الله صدورهم بنور الايمان فازدادوا ايمانا بأن محمدا سيد الاولين والاخرين وامام الانبياء والمرسلين وأنه صاحب الشفاعة العظمى يوم الدين وعلى أن رسالته عامة للناس جميعا (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) .

وكما اختلف الناس فى العقيدة اختلفوا فى الحكم على الاشياء فما يراه البعض حسنا من زاوية معينة يراه البعض الاخر قبيحا من هذه الزاوية وقد تستمع الى خطيب انقادت له أعنة البيان وتحكم فى زمام الفصاحة فأصبح فتيق اللسان رصين الاسلوب فيعجبك فى حد ذاته تأثرت به أم لا وقد يسمع ذلك الخطيب انسان آخر فلا يعجبه لان كلماته لم تمس شغاف قلبه فمعيار الحكم عليه عنده بمقدار ما يتأثر به .

استمع الامام الحسن البصرى الى خطيب لم تهزه كلماته فقال — يا هذا بقلبك شىء أم بقلبى شىء — ولذا قيل ما صدر من القلب حل فى القلب .

اثر أن امراة أتت رسول الله وعرضت نفسها عليه ليتزوجها فصوب النظر اليها ثم أطرق ولم يشأ أن يبدى ما كرهه منها حفاظا على شعورها فهو الذى يقول (لا يحل لمسلم أن ينظر الى أخيه بنظرة تؤذيه) فقال احد الصحابة زوجنيها يا رسول الله ان لم يكن لك بها حاجة فقال له ما معك من الصداق فقال ما عندى شىء فقال له الرسول التمس ولو خاتما من حديد فقال ما عندى ولا خاتم من حديد فقال أتحفظ القرآن فقال أحفظ سورة كذا وسورة كذا فقال له زوجتك هذه المراة على أن تعلمها عشر سور من القرآن فهذه القصة ان دلت فانما تدل على أن الاختلاف فى الميول والحكم على الاشياء يتمشى مع حقيقة الحياة .

والقرآن المجيد والسنة المطهرة زاخران بالكثير من أدب الجدل الذى يقصد منه الوصول الى الحق .

فابراهيم ابو الانبياء عليه السلام الذى آمن بقدرة الله التى لا تعلوها قدرة وتفرده بالربوبيه المطلقه عز عليه ان يرى اباه وقد غلبت عليه شقوته واتخذ الهه هواه وعبد الاصنام التى نحتها قومه بايديهم وصنعوها على أعينهم قص القرآن المجيد ذلك الجدل الذى دار بين الابن الموحد والاب الوثنى .

(واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يا ابت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) .

هذا الاسلوب الجدلى بلغ الدرجة الرفيعة فى حسن الاسلوب والادب العالى الرفيع وفيض العاطفة فهو يقطر رحمة ورقة اذ يحذر أباه فى لطف وينذر فى لين لانه يعرف قدر الابوة ومكانتها وعظم درجتها فيضعها فى المكان اللائق بها وذاك يتفق وخلق النبوة .

وعلى النقيض من ذلك السمو الاخلاقى نرى ذلك الاب يقابل عطف ولده بالجحود والنكران ورقة أسلوبه بالغلظة والقسوة صور القرآن ذلك بقوله **(قال أراغب أنت عن الهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا) .**

ويعود ابراهيم فيقابل تلك القسوة بالطيب من القول :

(قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا)

ونوح . عليه السلام الذى لبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله رب هذا الكون ومدبره فى أسلوب كله حرص على هدايتهم صور القرآن ذلك بقوله :

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) .

فكان الرد على ذلك أن وضعوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا وسجل القرآن عليهم الفاحش من القول :

(فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) .

ويعود القرآن المجيد فيسجل لنوح مقابلته السيئة بالحسنة والتوسل الى قومه بحكم الاصرة التى جمعت بينهم علهم يرجعون الى الله قال :

(يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقو ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين) .

وأما شعيب فقد لقى من أهل مدين الاعراض والصدود ولم يؤثر فيهم حواره معهم وحسن جدله معهم بل ازدادوا عتوا وعاثوا فى الارض فسادا ولم يتعظوا بما حل بقوم هود وقوم صالح من العذاب الاليم الذى أهلك الحرث والنسل .

(قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز) .

وموسى عليه السلام ارسل لبنى اسرائيل — الذين كفروا بأنعم الله — ليخرجهم من ظلم فرعون وبطشه وكان له معه حوار يتسم بقوة الحجة وجزالة اللفظ ولين الجانب متمثلا التوجيه الربانى الذى قصه رب العزة فى قرآنه بقوله **(اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) .**

وأما رسول الله صلوات الله عليه فقد أعطى الانسانية الكثير من توجيهاته نحو الحوار الذى يتولد

عنه الخير فساعة أن استقبل قول الله تبارك وتعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) امتثل أمر ربه الذى لم يكله الى نفسه طرفة عين بل أواه ونصره وعزز رسالته وأرشده الى أقوم السبل الذى يعبد الطريق أمام دعوته كان أول التوجيه الربانى قوله :

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) .

وبقدر ما وجهه ربه الى أن يأخذ قومه بالحكمة البالغة والمواعظ التى تنفذ الى القلوب القاسية — ارشده فى قرآنه الى أن يكون الرفق أساس حكمه (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم) .

ولاتستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذاالذى بينك وبينه عداوةكانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) .

طبق العفو حيث تكون المقدرة وأخذ بمبدأ الجدل الحسن يوم أن أراد الله للدعوة المهاجرة أن تعود الى مكة تظلها رعاية الله .

دخل الرسول الكعبة وكبر فى جوانبها وشرب من ماء زمزم ثم شاهد دوله الاصنام وجعل يشير اليها بيده قارئا قول الله تعالى (جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) فجعلت تتهاوى وتتساقط .

ثم خرج من الكعبة وقد تطهرت من رجس الوثنية — شاكرا لله فضله ومشى بين صفوف المهاجرين والانصار كل ذلك وعيون اهل مكة شاخصة اليه والقلوب واجفة منه وتحركت فى نفوسهم الذكريات الماضية ذكريات ثلاثة عشر عاما كلها ايذاء لرسول الله وهنا أطل التاريخ برأسه لينظر ماذا يفعل الرجل المظلوم المنتظر وليسجل على رسول الله حسن الجدل الذى اذاب غشاوة الجاهلية من نفوسهم قال الرسول قولته المأثورة (ما تظنون أنى فاعل بكم) قالوا ان تنتقم فقد أسأنا وان تعف فالعفو ديدنك فقال (والله ما أقول الا كما قال أخى يوسف اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

وساعة ان استقبل اساطين الشرك وعباد الوثنية طلبوا منه أن يفجر لهم الارض ينبوعا أو يكون له بيت من زخرف أو يرقى فى السماء حتى يؤمنوا بدعوته ويصدقوا رسالته — والله يعلم أنهم لكاذبون .

كان الرد المحمدى يتسم بالادب العالى والتواضع الجم كما صور القرآن ذلك حكاية عن رسول الله .

(قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا) .

والسلف الصالح من عباد الله الذين تخرجوا من المدرسة المحمدية كانوا صورة مشرقة وضاءة للين الجانب وخفض الجناح والرغبة الملحة فى الوصول الى الحق من أخصر طريق ولم يفرضوا سلطانهم ولم يأخذهم الزهو لمكانهم من الله بل كانوا يأخذون من الناس ويردون عليهم الى أن يصلوا الى الحقيقة التى ينشدها الجميع .

فأبو بكر الصديق رضى الله عنه جادل الانصار وناقشهم ساعة أن تطلعوا الى منصب الخلافة بعد وفاة رسول الله قائلا — أيها الناس نحن المهاجرون وأنتم الانصار أسلمنا قبلكم وقدمنا فى القرآن عليكم فقال عز من قائل (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) فنحن الامراء وأنتم الوزراء اخواننا فى الدين شركاءنا فى الفىء فاستسلموا طائعين وقبلوا خلافة أبى بكر مختارين مرددين رضيه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدنيانا — يشيرون الى استخلاف رسول الله له فى الصلاة فى مرض موته .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى أعز الله به الاسلام والذى قال فيه الرسول أن الشيطان لا يسلك الطريق الذى يسلكه عمر وبقدر ما كان قويا فى الحق والضرب على أيدى العابثين به كان أقرب الناس الى الرجوع اليه اذا لمسه عن طريق الجدل المرغوب فيه والحوار الذى يقره الدين .

أثر عنه أنه كان يتعسس أحوال المسلمين فسمع امرأة فقالت لا كان عمر خليفة للمسلمين فقال لها ولم يا أمة الله قالت اخذ بنى الجوع فقال لها انك بموضع لا يراك فيه عمر فقالت كيف يلى امورنا ولا يعلم أحوالنا فرجع الى صولجان الحق المتفجر فى قلب المرأة المؤمنة التى تعلم ما لها وما عليها .

وقد وعى التاريخ لعمر قوله (لو زلقت بغلة بشط العراق لسئلت عنها بين يدى الله يوم القيامة ويقول لى ربى لماذا لم تمهد لها الطريق يا عمر) .

ومرة استوقفته امرأة قائلة — قد كنت بالامس عميرا فأصبحت اليوم عمرا وكنت بالامس عمرا فأصبحت اليوم خليفة للمسلمين فاتق الله فيما ولاك يا عمر فبكى عمر فقال صاحبه الذى كان يسير معه مهلا يا أمة الله لقد أبكيت خليفة الله فى الارض فقال عمر دعها يا صاحبى تقول أنها خولة بنت حكيم استمع الله اليها وقص ذلك فى قرآنه (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما) فأولى أن يسمع منها عمر بن الخطاب — ولا عجب فهو الذى يقول (لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتمارى به وتجادل ولا لترائى به ولا لتباهى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل .

ما أحوجنا أن نعرف الحقيقة أيا كان مصدرها وعلى أى لسان كان وجودها لا نضيق برأى ولا نستهين بحجة لصغر قائلها فالمرء بأصغرية قلبه ولسانه لا بملبسه وطيلسانه .

ان الجدل الذى لا يقره الدين ويبعد المرء عن خلق المسلم انما هو الجدل الذى يفرق الكلمة ويمزق الشمل ولا يقصد به الوصول الى الحقيقة بل قصد به المراء والمجادلة والمخاصمة وفى هذا يقول الرسول (من تعلم علما ليجادل به العلماء او ليمارى به السفهاء الا كان زاده الى النار) .

وهبنا الله الطيب من القول وهدانا وهيأ لنا من أمرنا رشدا .

من فقه الإسلام

الدكتور محمد عبد المنعم القيعي

الاسلام دين له قواعـده وأصوله ، ومصادره ومناهجه ، وأسلوبه وأهدافه . والذين يدينون به منهم الفاهم لاحكامه ، وغير الفاهم . وفهم المراد من النصوص هو الفقه . ودعوة الاسلام لجميع البشر (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) .. وأمام هذا النداء تتوارد أسئلة ، كيف يفهم غير العربى نصوص الاسلام العربية ؟

ويجاب عن هذا بالترجمة التفسيرية لمعانى القرآن ونصوص السنة . والمعهود فى أى كتاب سماوى أن ينزل بلغة محددة . ومع ذلك يدين به الكثير من غير أهل هذه اللغة ، بناء على ترجمته لهم . وينفرد القرآن الكريم بخاصتين تمنعان ترجمته الحرفية . الاولى : أنه معجز بأسلوبه وتراكيبه . فالمحافظة على هذا الاسلوب بالذات من وجوه اعجازه وبعض مقاصده .. ثانيا : لقد نفى الله أن يكون للقرآن مثل . والترجمة الحرفية هى مثل الاصل الذى ترجمت عنه . فان أدت ما يؤديه الاصل ـ كان مناقضا لقول الله (فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) .

والكتب التى بعثها رسول الله ـ كان يعلم أنها ستترجم ، ولذا لم تتضمن آية كاملة من كتاب الله . وقد أمر الله العلماء بعد الانبياء أن يبلغوا للناس ما جاءت به الانبياء ، وتوعد على كتمان ذلك . وكل مطالب حسب قدرته (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ، فأولئك أتوب عليهم) .

ولاشك أن المطالبين بالبيان هم الفقهاء . ولقد كان اسم الفقه فى العصر الاول مطلقا على علم طريق الاخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ، ومفسدات الاعمال ، وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا (وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) (لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) .. ولست أقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى فى الاحكام الظاهرة ، ولكن كان متناولا لها بطريق العموم والشمول (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ، لعلهم يحذرون) .

وعليه ـ فالفقه قبل كل شىء ـ هو الخوف والخشية من الله .. ثم هو بعد ذلك العلم بالاحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية .. وهو من العلوم كثيرة الفائدة ، يحصل بالكسب والاجتهاد فى

معرفة الصواب ، وبتوفيق الله للعبد أن يوفقه على فهم المراد من الكلام .

وليس الفقه هو فهم مدلولات الالفاظ ، بل هو أخص من ذلك . فانه فهم المراد منها ، وفى الحديث : (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) ولكم نشط المسلمون فى تفهم النصوص . فكان الفقه المذهبى والفقه المقارن وفقه الدليل ، من غير تقيد بفهم سابق .. وأخيرا فهم المعاصرين .

ومن الفقه فى الدين تقديم الاهم على المهم . ومن واجب الباحث الذى هو أهل للبحث أن يتجرد من الهوى ، وأن يلاحظ ما ينقله بنظر ثاقب : فيتأكد من صحته متنا وسندا . وأن يوازن فيبحث المطلق عن مقيد : وللعام عن مخصص ، وللمتعارضين عن مرجح .. ثم ليبدى رأيه بعد ذلك ، ملاحظا ملاءمة البيئة وطبيعة العصر الذى يعيش فيه .

وعلينا بعد ذلك أن نغض النظر عمن قال ، وننظر الى ما قال . فالقداسة للحق ولو مع أى شخص كان .

ومن القواعد المقررة أن أهم مصادر الاسلام قرآن وسنة — وهما عربيان . فيجب فهمهما على أساس الوحدة الموضوعية حسب ترتيب النزول وزمان الاقوال والافعال فى السنة مع فقه ألفاظهما .

ويزودنا الاسلام بأنه لا واجب مع عجز ، ولا حرام مع ضرورة ، وهما أمران نسبيان . فما يعجز هذا قد يكون سهلا على ذاك (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) . ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وفى الحديث (اذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فدعوه)

ومن نصوص الاسلام ما هو واضح جلى . ومنها ما هو خفى ، لا يدركه الا ذوو البصائر . والشأن فى أمثال هذا أن يقف كل عند حدود علمه ، ففى الحديث (الحلال بين والحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس . فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه . ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، أو كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه)

والشبهة ما يشبه الثابت وليس بثابت . والذى يستفتى قلبه هو العالم بالكتاب والسنة ، والمشار اليه بقول النبى صلى الله عليه وسلم : (استفت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك) .. والاثم فى هذا الباب ما حاك فى الصدر وكره أن يطلع عليه الناس .

والكلام ان كان نصا لا يحتمل الا معنى واحدا — فالمعول فى تفهمه على اللغة ، مثل : (قل هو الله أحد) .. وان كان النص يحتمل أكثر من معنى — فالمعول فى فهمه على القرائن ، لفظية كانت أو عقلية . مثل : (والسموات مطويات بيمينه) فان اليمين محتمل لاكثر من معنى ، لكن بالقرينة العقلية تبين أن المراد القوة والقدرة .

وقوله تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) فان قدر الحق يفهم بالادلة اللفظية التى وردت فى السنة .

هذا قليل من كثير ، قدمه لنا سلفنا الصالح ، لنستنير به فى تفهمنا لتعاليم الاسلام . وقدمته هنا تمهيدا ومدخلا للقول والرد على المتسائلين عن بعض أحكام الاسلام . وعلى سبيل المثال من يتمسك بحل المخدرات لانها لم تذكر فى القرآن . وبالتساهل فى الخمر لان الله لم يقل حرمت الخمر كما قال (حرمت عليكم الميتة) ومن يدع العمل اعتمادا على أن رحمة الله وسعت كل شىء . وغير ذلك ...

والرد على هؤلاء وأولئك أن نسألهم هل يؤمنون بوجود الله ، وأنه الاول والاخر : والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم ، وعلى كل شىء قدير ، سريع الحساب ، شديد العقاب ، وهو بكل شىء رحيم ؟ .. ان قالوا نعم — انتقلنا بهم الى سؤال آخر — هل يؤمنون بأن الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم للخلق كافة كما أرسل غيره من الانبياء الذين عالجوا مرضى القلوب بتعاليمهم ، وقضى على الفساد باصلاحهم ، ورسولنا عليه السلام هو خاتمهم ، ومحال فى البديهة أن يصدر الصحيح عن معتل ، أو يستقيم الفاسد بمختل ؟ .. ان قالوا نعم — سألناهم هل تؤمنون بالقرآن كله ، وتصدقون بجميع محتوياته ؟

ان قالوا نعم — أخبرناهم أن فى القرآن قوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال جل شأنه : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) .. وهاتان الايتان تقرران أن السنة الصحيحة مصدر من مصادر الاسلام ، لا شبهة فيه .

وقال سبحانه (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين : نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا) . وتلك الاية الكريمة تقرر فى الراجح حجية الاجماع . ولا شك انه مصدر من مصادر الاسلام ان ثبت وتحقق .

وقد أمر القرآن الكريم بالاعتاظ . فقال جل شأنه : (فاعتبروا يا أولى الابصار) .. ومن وجوه الاعتبار الحاق أمر بأمر لجامع بينهما فى العلة

والحكم (*) ويعبر عن ذلك بالقياس (*) ولا أقل من أنه مصدر تفسيرى يستأنس به ، ان لم يكن القياس

مصدرا للتشريع (*)

ولاشك أن نصوص القرآن تحتكم فى مدلولاتها الى اللغة العربية (**نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين**) (**انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**) (*)

وبناء على ذلك فان الجواب عما تساءلوا عنه اذا لم نجده فى القرآن ، بحثنا عنه فى السنة . **وفيها : (كل مسكر ومفتر حرام)** .. وفيها (**ان من الحنطة خمرا ، ومن الشعير خمرا ، وانا أنهى عن كل مسكر**) .. وكل ما أسكر كثيره فقليله مسكر محرم . سواء أسكر بالفعل أو من شأنه أن يسكر لولا أنهم مدمنون (*)

والاعتذار بأنهم لم يسكروا مرفوض . فهم فى الحقيقة تسممت أبدانهم وهم لا يشعرون .

وأسلوب القرآن فى التحريم ليس مقصورا على قوله حرمت . بل له أساليب أخرى مثل النهى ، والخبر المرتب عليه وعيد ، والامر بالترك ، وغير ذلك مما يدركه أدنى متأمل . والسلف الصالح فهموا تحريم الله للخمر من أول نص نزل (**ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا**) فهموا التحريم من المقابلة بين السكر والرزق الحسن ، فأدركوا أن السكر قبيح . وكل قبيح محرم . فكيف الحال ولم يقف الامر عند ذلك ، بل ذكر سبحانه بعد فى الخمر (**يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ، ومنافع للناس . واثمهما أكبر من نفعهما**)

والقاعدة أن أى شىء فى الكون يمكن أن يكون فيه نفع وفيه ضرر . ومدار التحليل والتحريم على الغالب منهما . وأى شىء ننتظر بعد أن يقول الله : (**فيهما اثم كبير**) والاثم أكبر من النفع .. ثم قال جل شأنه : (**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**) . فأى تبكيت لمن يشرب الخمر بعد وصفه بأنه لا يدرك ما يصدر منه ويتلفظ به . وأى اهانة وتنفير من الخمر بعد بيان الله أنه لا يسمح للسكران أن يقف بين يديه ، ويحرمه من لذة المناجاة ؟ .. وأخيرا قال جل شأنه : (**انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، واحذروا . فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين**)

تأمل أيها المرتاب فى تحريم الخمر لفظ (انما) وهى أداة قصر . معناها ليس فى الخمر شىء الا أنها رجس من عمل الشيطان . وانتبه الى المساواة فى الحكم عليها وعلى الانصاب والازلام . أى الحجارة التى تعبد من دون الله . والاقداح التى كانوا يسترشدون بها بناء على الصدفة والتخمين . ثم فكر فى الامر بالاجتناب ، ومعناه كن فى جانب والخمر فى جانب . واجعل بينك وبينها الحواجز والسدود . وعند تركك لها يرجى لك الفلاح . وعند تناولك لها فأنت فى لعنة الله تتقلب . وفى النادر القليل يطنب القرآن زيادة فى الارشاد كما أبان هنا أن الشيطان يريد من وراء الخمر أن يوقع العداوة والبغضاء بين شاربيها . ثم يقول الله مهددا (**فهل أنتم منتهون**) فقولوا كما قال غيركم انتهينا ربنا . وأى شىء ننتظر بعد أسلوب القرآن القوى ، وحكمه الحازم فى الخمر ، وتوجيهه الصائب . وكم سفكت دماء من وراء تعاطيها وهتكت أعراض باسمها .

وأما الاعتماد على رحمة الله التى وسعت كل شىء ، فليتهم قرءوا ما بعد ذلك (فسأكتبها للذين يتقون) .. وفى الحديث (ليس الايمان بالتمنى ، وانما الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل . وان قوما غرتهم الامانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا ، لانهم لو أحسنوا الظن لاحسنوا العمل (وفى الحديث القدسى : (ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل . كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى) وفى الخبر : اذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله على العافية . نسأل الله أن يتوب عليهم ، وأن يوفق الجميع لصالح العمل الذى يرضى عنه الله (*)

شروط رواية الحديث المصححة لرواية الراوى

الدكتور محمد سعاد جلال

وأما الضبط فان تفسيره : سماع الكلام كما يحق سماعه ، ثم فهمه بمعناه الذى أريد به ، ثم حفظه ببذل المجهود له ، ثم الثبات عليه بمحافظة حدوده ، ومراقبته بمذاكرته • على اساءة الظن بنفسه – الى حين أدائه : واليكم شرح هذا التعريف الذى أورده فخر الاسلام وتابعه عليه صدر الشريعة :

يتركب معنى هذا التعريف من أربعة عناصر : نفسر معنى كلمة الضبط – أولا – ثم نتقدم لبيانها •

الضبط معناه لغة : حفظ الشىء على جهه الجزم والقطع • ومنه الاضبط الذى يعمل بكلتا يديه :

وضبط الحديث : سماعه كما يحق سماعه : وذلك أن يلقى اليه كل وعيه ، ويقبل على سماعه بكل همته حتى لا يشذ منه شىء ، هذا أولا •

وثانيا – أن يفهمه بمعناه اللغوى – أو بمعناه اللغوى والشرعى جميعا •

وثالثا – أن يحفظه وأن يسجله فى ذاكرته ، وذلك ببذل المجهود فى ترديده وتكريره على ما جرت العادة به فيما يراد حفظه •

ورابعا – أن يتحرى من نفسه الثبات على المحفوظ له من الحديث • بمحافظته على حدوده – أى تحقيق معناه فى الواقع ببدنه ، ومراقبته عن التفلت بطول مذاكراته له • وتحسس بقائه فى ذاكرته على الدوام مع اساءة الظن بنفسه فى ذلك من حيث كونه لا يثق باستمرار حفظه له فيصرفه ذلك عن طول العهد والمذاكرة ، بل يظل على حذر من طروء النسيان عليه فى شىء منه – ويظل على ذلك الى وقت ادائه – كما تحمله •

وانما لزم اجتماع هذه العناصر الاربعه : لان ناقل الحديث اذا لم يحقق فهمه للحديث ، لا يكون قد سمع كلاما – بل يكون قد سمع أصواتا ولحونا ، والمفروض أن يكون قد سمع كلاما – لان الحديث خبر ، وشرطه أن يكون كلاما بمعناه وصورته : واذا حقق فهمه لزمه حفظه : لانه بهذا الحفظ يتحقق بشرط التحمل ، واذا حفظه يلزمه العمل على استمرار هذا المحفوظ فى ذاكرته لكى يتمكن من ادائه : وهكذا تترابط هذه العناصر ويفضى بعضها الى بعض : نحو الغرض المصنوعة له •

وهنا ملاحظة تنصب على قول التعريف : ثم الثبات عليه بمحافظة حدوده وهى من كلام فخر الاسلام وقد فسرها شارحه كما اثبتنا بأنها العمل بالبدن : فان صح هـذا الشرح من كلام الشارح ، المفيد للعمل بمضمون الحديث بالبدن كوسيلة لحفظه : وشرط فيه مع المراقبة والمذاكرة له : فذلك – فى نظرى – لايحسن: لانه لايلزم أن يكون لجميع الاحاديث التى يرويها الراوى مضمون يمكنه العمل به : لان بعض الاحاديث قد لا يتضمن عملا أصلا كالاحاديث المتعلقة بعالم الغيب ، وبوصف أحوال الدار الاخرة ، أو يتضمن عملا – لا يقدر عليه الراوى – كالاحاديث المتعلقة بالحج – التى يرويها من لا يجب عليه الحج •

ولعل ملاحظة هذه الملاحظة من صدر الشريعة جعلته يحذف هذه الكلمة بهذا المعنى من تعريفه الذى أورده فى « التنقيح » وذلك أدق •

ثم أن الضبط يتنوع لنوعين : أحدهما ضبط المتن بذات الفاظه ، وفهم معناه لغة ، والثانى أن ينضم لهذه الجملة فهم معناه فقها وشريعة : وذلك هو صفة الكمال الذى يترجح العمل به دون الاقتصار على المعنى الاول •

ومثال النوع الاول : أن يسمع قول النبى – صلى الله عليه وسلم – « الحنطة بالحنطة مثل بمثل » : فيحفظ هذه الالفاظ بعينها ، ويعلم من معناها اللغوى : جواز « النصب » فى اعراب لفظ الحنطة بتقدير : بيعوا الحنطة ، والرفع على تقدير : بيع الحنطة مثل بمثل •

ومثال الثانى : ان ينضم الى ذلك علم السامع بالمعنى للحديث : وهو أن وجوب المساواة بين البدلين متعلق بالقدر والجنس مثلا : وان يعلم مثلا من قول النبى – لا يقضى القاضى وهو غضبان : ان النهى ليس مقصورا على حالة الغضب ، ولكنه يعم كل ما فيه تشويش على عقل القاضى كالجوع وهو معنى فقهى •

وقد ترتب على النظر للنوع الاول : رفض قبول رواية المؤوف بالنسيان وشدة الغفلة بحسب الخلقة ، وهو الذى تغلب غفلته ونسيانه ، ذكره وتيقظه بحكم تكوين شخصيته ، وكذلك من غلب على عادته المجازفة والمساهلة ، وسقوط الحجة بمرويهما ولو وافق

كما ترتب على النظر للنوع الثانى المكمل للاول :
رد رواية غير الفقيه اذا عورضت برواية الفقيه ٠ ومثاله ما روى عن عمرو بن دينار ان جابر بن يزيد ابى الشعثاء روى له عن ابن عباس أن رسول الله تزوج « ميمونة » - وهو محرم : فقلت لجابر ان ابن شهاب حدثنى عن « يزيد بن الاصم » - ان رسول الله تزوجها - وهو حلال ، فقال : انها كانت خالة ابن عباس فهو أعلم بحالها - فقلت : وقد كانت خالة يزيد ابن الاصم - أيضا - فقال : انى يجعل يزيد بن الاصم البوال على عقبيه من ابن عباس ؟ فهمنا - نرى أن جابر بن يزيد رجح رواية ابن عباس لفقهه على روايه يزيد بن الاصم لعدم فقهه ٠ مما يدل على اعتبار العلم بالمعانى الشرعية ، فى تحقيق كمال الضبط فى الرواية وترجيحها بذلك عند المعارضة برواية غير الفقيه ٠

وكذلك ترجح رواية الافقه اذا عورضت برواية من هو أقل فقها منه - وهذا ظاهر ، لان زيادة الفقاهة عند الراوى يستتبع زيادة العلم بالمعانى الشرعية واللغوية التى هى مناط صحة رواية الحديث : فمن ملك بيديه مقدارا من صحة الرواية أكثر كان الرجحان ثابت لروايته عند المعارضة له ، بمن هو دونه ٠

وقال بعضهم يلزم أن يكون العمل بفقاهة الراوى سببا لترجيح روايته على رواية من دونه فيما اذا كانت رواية الحديث بالمعنى دون اللفظ ٠ فهنا يتصور تأثير القدرة الفقهية فى بلوغ المعنى الذى ورد عليه الحديث ، أما الرواية باللفظ وضبطه فيمتنع أن يتفاوت فيها الفقيه وغير الفقيه : ولم يقبل ذلك شارح البزدوى - ومضى على القول بأن رواية الروای الفقيه مرجحة عند المعارضة على كل حال : قال : لان الفقيه قادر على التمييز بين ما يجوز وما لا يجوز من معانى الكلام ، فاذا حضر المجلس وسمع كلاما لا يجوز اجراؤه على ظاهره لم يعم به لفقاهيته ، وسأل عن سببه وتمام اجزائه ٠ فيكشف له المتحدث بالخبر حلية الامر فيرويه عى هدى : واما غير الفقيه فانه لا يميز بين ما يجوز وما لا يجوز من معانى الكلام فيرويه كيفما اتفق له سماعه فربما روى قدرا من الكلام غير تمامه فتسبب بذلك فى الاساءة والضلالة ٠

قلنا ان كمال الضبط انما يتحقق للرواية بضميمه النوعين المذكورين : حفظ الصيغة جزما مع فهم معانى الكلام اللغوية والشرعية : فهل هـذا شرط اجزاء ، بحيث تنعدم صحة الرواية لفقده ، ام انه شرط كمال بحيث تصح الرواية ، بمقدار الضبط الحاصل بالنوع الاول فقط : اعنى ضبط الصيغة بمعناها اللغوى فقط دون الوقوف على معناها الشرعى : ظاهر كلام البزدوى ترجيح النظر بأن صحة رواية الخبر الا يتم الا بضبط الصيغة ٠ والوقوف على المعنى اللغـوى والشرعى جميعا على المعنى الذى فصلناه آنفا ٠

- ومنع ذلك السعد - فى تعقيبه على صدر الشريعة فى ترديده لهذه المقالة عن « البزدوى - فقـال - رحمه الله - لا يخفى ان الضبط بهذا المعنى لا يشترط فى الرواية ، لانهم كانوا يقبلون رواية الاعراب الذين كانوا لا يتصور منهم الانصاف بهذه الصفة ، وشاع ذلك عنهم من غير نكير من احد منهم فكان حجة فى المسألة : أى أن صحة الرواية وجواز قبول الخبر المروى - انما يتم بمجرد ضبط الصيغة وفهم المعنى اللغوى المودع فيها - ليس الوقوف مع ذلك على المعانى الفقهية :

قلت : والذى يظهر لى ترجيحه من خلال النظر فى هذا الدرس هو : أن رواية الخبر أما ان تكون بضبط اللفظ ، والصيغة ، أو تكون بنقل المعنى فقط فان كانت بضبط اللفظ والصيغة ، فلا يشترط لقبولها فقاهة الرواى ، لما ذكره السعد بين يديك ، وان كانت الرواية بالمعنى تعين أن يـكون شرط الفقاهـــة فى الراوى موجودا ، لانه أقدر على ضبط المعانى ،

ويختلف القرآن عن السنة فى هذا الموضع حيث قلنا ان المروى من السنه لا يكون حجة الا بضبط صيغته بمعناها اللغوى او اللغوى والشرعى معا ٠ فان ذلك غير لازم فى نقل نظم القران الكريم والحجة به قائمة :

أولا ، لان الذين نقلوا القرآن عن النبى فى أول الامر هم أئمة الهدى وخير الورى ، وكانوا ضابطين لصيغته بمعناها اللغوى ومعناها الشرعى فحققوا لنظم القرآن بذلك الضمان الكامل عن احتمال الخطأ والتحريف فى لفظه ومعناه ٠ فمن جاء بعدهم انما ينقله عنهم تبعا لهم فى صحة نقلهم ، وقد تحقق القرآن المقصود من صحة النقل ، وامانة الرواية بحفظه الثابت وضمان المتحقـق مـن امكان الخطـأ والتصحيف ٠

ثانيا : ان المقصود من شرط ضبط النص بيصغيته بمعناه اللغوى أو اللغوى والشرعى فى السنة ، انما هو المحافظة على أصل المعنى الوارد عن الشارع من دخول الخطأ والتحريف عليه : ولان السنة لا يشترط المحافظة على عين لفظها فتعين بذل الجهد لصيانة معناها وبقائه على ما اراده الشارع الناطق به أما القرآن فلفظه معجز ويتعين حفظ عينة فى نقله ٠ وبغير حفظ والناقل عين الفاظه ينعدم الحكم بجواز نقله ، ثم ان المعانى مودعة فى الفاظه فهو مصونة بها عن امكان الخطأ والتحريف ٠ فالقصد الى حفظ عين نظمه مؤد الى صيانة معانيه المودعة فى الفاظه من احتمال الخطأ المحذور فيها - فلم تقع الحاجة ماسة فى نقله الى ضبط صيغته بمعناها اللغوى ٠ أو معناها اللغوى والشرعى من الناقل له ٠ ولم نشترط فى نقله من كيفية الضبط ما اشترطناه فى نقل السنة لنثبت بها الحجة ٠

ثالثا : ولهذا المعنى ، لو أن راوى السنة نقلها على طريقة - رواية القرآن من الحفظ التام لالفاظها ، لم يكلف بشرط ضبط النص السنى بصيغته بمعناه : لان المحافظة على صحة المعنى وضمانه من التحريف قد

البقية ص ٦١

تعاليم الإسلام العامة

الزكاة

سماحة الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني

لقد فرض الاسلام على الاغنياء من أتباعه زكواة فى أموال التجارة والمواشى والمزروعات وثمار الاشجار والنقود من الذهب والفضة ، حقا للفقراء والمساكين من المسلمين ، وأحكامها مفصلة فى كتب الفقه .

والزكاة هى الركن الثالث من أركان الاسلام ، والاصل فى فرضية الزكاة هو قول الله تعالى « **وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة** » وغيرها من الايات فى القرآن المجيد مع ما ورد فيها من الاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها « **بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج لمن استطاع اليه سبيلا** » **كما فى الصحاح الستة** .

نعم : لقد فرض الاسلام الزكاة على الاغنياء ، لكى يؤمن بها حياة الفقراء والمساكين ، وليقضى على ما يمكن ان يكون بين الطائفتين (الاغنياء والفقراء) من الحسد ، الذى يؤدى الى التفرق بين الامة المحمدية ويخل بوحدتها وتضامنها فى شئونها الحيوية .

هذا ، مع أن الزكاة لا تختص بالفقراء والمساكين ، بل تعم محصولاتها غيرهم . ومجموعهم ثمانية أصناف وقد حددهم الله سبحانه وعدهم فى آية جامعة حيث قال « **انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم** » (التوبة) .

والاية كما ترى قد عينت المستحقين للصدقات (يعنى الزكاة) وهم هؤلاء الاصناف الثمانية ، وعلى رأسهم الفقراء والمساكين ، وابن السبيل ، وهو المسافر من بلد الى بلد عجز عن مواصلة سفره وبقى فى الطريق .

هذا . وقد أوجب الاسلام على من يملك النصاب صدقة الفطر يؤديها للفقراء ، كما أوجب الفدية وكفارة اليمين وغيرها ، يتم لصالح المعوزين فى سبيل سد حاجاتهم بطرق متعددة .

ولم يكتف الاسلام بفرض الزكاة أو ايجاب غيرها من الفدية والكفارة ، بل أوصى الاغنياء بالاحسان الى الفقراء والمساكين وغيرهم من العجزة والمعوزين كل وقت من الاوقات وفى كل مناسبات من المناسبات .

وبهذا ألف الاسلام بين قلوب المسلمين يعيشون فى مجتمع اسلامى سعيد يسود عليهم الاخوة والمودة والتعاون فى شتى شئون الحياة .

واذا تفكرنا فى تشريع الزكاة وصدقة الفطر والفدية وكفارة اليمين وغيرها مع حثه للناس الى أنواع البر والاحسان وتفكرنا فى أن كل هذه انما تتم لصالح الفقراء والمساكين فى مجتمع العالم الاسلامى ، فاننا نعلم عند ذلك علم اليقين بأن الاسلام قد وضع نظاما اقتصاديا متينا ضد الفقر الذى يهدد (فى زماننا هذا وغيره) كيان البشرية فى أرجاء المعمورة ويضطر المفكرين لمكافحته بوضع قوانين وضعية ، ولكن متأخرين وفى العصر العشرين !

نعم : ان الاسلام قد عالج الفقر وكافحه بين اتباعه قبل ١٤ قرنا معالجة حكيمة لا تخلق ولا تحتاج الى تعديل ، وتدوم نافذة المفعول ما دامت الحياة فى هذا الكون .

فلو اتبع المسلمون هذا النظام الاقتصادى الاسلامى ، واتبعه سائر من يعيش فى أرجاء العالم من أفراد البشرية حق الاتباع ، ونفذوا تعاليمه الخاصة به حق التنفيذ لامنوا من خطر الفقر الذى وصفه نبى الاسلام عليه افضل الصلاة والسلام بقوله « كاد الفقر أن يكون كفرا » .

ولهذه الحكم والفوائد الاقتصادية والسياسية المضمرة فى تشريع الزكاة . فان الاسلام اعتنى بها اعتناء بالغا ، فقد أنذر الله تعالى أولئك الذين لا يؤتون الزكاة انذارا شديدا حيث قال :

«والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا مــا كنزتم لانفسكم فذوقوا مــا كنتم تكنزون » (التوبة) .

أقـول :

لا تختص هذه الاية وانذارها بالذين لا يؤتون الزكاة عن الذهب والفضة ، بل تعم وانذارها على جميع من امتنعوا عن ايتاء الزكاة عن كل ما تجب عليه الزكاة من أموال التجارة والمواشى والزروع والثمار . فان ذكر الذهب والفضة هنا من قبيل ذكر الاهم واكتفاء به عن غيره كما هو المعروف فى عرف اللغة العربية .

وأما قوله تعالى « **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتـاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** » (آل عمران) .

فانه يشمل بنصه (بلا تأويل) على الذين يبخلون ولا يؤتون الزكاة مما آتاهم الله من فضله من جميع أنواع ما يسمى مالا .

أقول : وهذه الاية قد نزلت فى ما نعى الزكاة (كما قال عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وابو هريرة والشعبى ومجاهد) لا فى حق الذين يبخلون عن الصدقة النافلة ، بدليل جملة (**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** » فان هذا الانذار لا يطبق على من يبحث بالنافلة .

هذا . والاحاديث النبوية كثيرة فى انذار مــا نعى الزكاة من أى نوع كان من المال ، وذلك لاهتمام الاسلام بالزكاة لما فيها من الحكم والفوائد التى أشرنا اليها آنفا .

مع أن البخل عن الصدقة النافلة والبر والاحسان واكرام الضيف مذموم أيضا فى تعاليم الاسلام ، على ما يدل عليه كثير من الاحاديث الصحيحة ، ذلك أن الاسلام يدعو الى البر والاحسان وبالخاصة للفقراء والمساكين .

ونزيد هنا افادة للقراء ونقول : ان الاسلام بفرض الزكاة على أموال الاغنياء للفقراء والمساكين من أتباعه ، وبسنه البر والاحسان والخيرات العامة للمعوزين قد رسم فى المجتمع الاسلامى حيـاة اقتصادية تبتنى على التراحم والتعاون بين الناس ، يرحم بعضهم البعض ويعاون بعضهم البعض كما أشرنا اليه آنفا .

وبهذه الحياة الحكيمة الاقتصادية يعيش المسلمون (فى مشارق الارض ومغاربها) حياة انسانية تستمد مثلها العليا من رسالة الاسلام الحقة ، وعقيـدته السديدة التى تتمشى مع الفطرة البشرية والضمير الانسانى ، بينما نرى الحياة الاقتصادية فى النظام الرأسمالى والشيوعى تبتنى على حب المادة والمال والتنازع والتقاتل فى سبيل الحصول عليها الى اباحة سيطرة القوى على الضعيف واستعباده ، حياة تقضى على كافة القيم الانسانية الاولى ، بحيث لا تبقى الا قيمة رأس المال الفردى أو الجماعى .

وبتعبير آخر : النظام الرأسمالـى ينظر الـى الانسان كسلعة ، كما أن النظام الشيوعى ينظر الى الانسان كآلة مسخرة ، وذلك فى التوسل بـأفراد الانسان وقواهم العقلية والجسمية الى حصول المادة والمال .

أما الاسلام فانه ينظر الى المادة كشىء مسخر للانسان وخدمته تكريما لمقامه الانسانى ، فان الله تعالى يقول :

« **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » (الاسراء) .

ويقول « **هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا** » (البقرة) ويقول « **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه** » (الجاثية) .

وان الاسلام حينما يدعو اتباعه الى كسب الرزق الحلال عن طريق الحصول على المادة والمال ، ينهاهم عن حب المادة والمال ذلك الحب الذى يؤدى بالفرد والمجتمع الانسانى الى الفساد الخلقى بجميع ما يتضمن عليه من معانى الفساد . كما هو المشاهد اليوم فى أبناء عصرنا هذا ممثلا فى الانحلال والتحرر المطلق والالحاد والاباحية وغيرها ، من الاخلاق السيئة التى تسبب الفساد فى الارض ، ذلك الحب (حب المادة والمال) الذى يدفع الدول الكبرى الى استعباد الدول الصغرى واستعمارها ، وذلك عن طريق التسلل واتخاذ الحيل والخديعة والتهديد الى درجة الاعتداء وايقاد نار الحرب .

ولهذا فقد أنذر رسول الاسلام محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام . نعم : انذر العالم الانسانى بانذار له معناه الكامل الشامل حيث قال « حب الدنيا رأس كل خطيئة » !

وانى أقول كمبلغ اسلامى : فعلى أوربا أن تصحح أخطاءها فى الحياة الاقتصادية باعتناق مبـادىء الاسلام ، فانها أخطاء ينتقد عليها عقلاء أوربا أنفسهم آملا فى تصحيحها لخير شعوبها .

يقول جون جنتر فى كتابه « فى داخل أوربا » : ان الانجليز يعبدون بنك انجلترا ستة ايام فى الاسبوع . ويتوجهون فى اليوم السابع (الاحد فقـط) الى الكنيسة » .

ويقول العلامة « جود » رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس فى جامعة لندن : « ان شعار أوربا هو : لا نستطيع أن نجمع عبادة الله وعبادة المـال ، وعقيدتها : ان الثروة لا سواها هو المقياس الصحيح لعظمة الفرد » .

أقول : هذا هو نظر الرأسماليين وشعارهم وعقيدتهم بشأن المال والمادة . واما نظر الشيـوعيين فـانه يتمثل فيما صرح به كارل مــاركس مؤسس الشيوعية قائلا : « ان المال هو الذى يخلق الادب والاخلاق والمنطق » .. ؟

للبحث صلة

حديث بلا زمان وبلا مكان

الأستاذ أحمد زين

توقفت لحظة وأنا أكتب « حوار بلا زمان وبلا مكان » .. توقفت لحظة أمام خطاب وصلني فأحسست أن من يكتبه هو نفس حائرة تواقة الى الايمان..

والخطاب يقول أن العلم قد فسر لنا الحقائق التالية فى الحياة ..

■ لقد خلق الكون من سديم أو سحابة كبيرة من الغبار والغاز تجمعت وانفصلت لتكون الارض والشمس والنجوم والكواكب ثم تطورت مكتسبة صورتها الحالية .

■ ان الحياة على الارض نشأت نتيجة لتفاعلات بين مركبات بسيطة . وقد استطاع العلماء أن يخلقوا المادة الحية فى المعمل .

● لماذا خلق الله الحيوانات والميكروبات والفيروسات الضارة ..

■ لماذا نجد الدول المتدينة متأخرة رغم أن الدين مصدر القوة ؟

ولقد احسست من كلامه أنه يعتقد أن العلم ضد الدين .. أو أنه فسر ما لم تستطع الكتب السماوية أن تفسره .. واضيف الى كلامه انه وصلتنى خطابات أخرى تضيف كلمة الصدفة الى خلق الحياة محاولة بذلك أن تبهرنى بنظريات علمية وأسماء قدمت تفسيرا يقبله العقل للحياة وأصلها .. والصدفة التى حدثت .. وخلاصتها ما كان يقال قبل الجاهلية .. انه ليس هناك الا الحياة التى نحياها وما يهلكنا الا الدهر .

ولنبدأ بقانون الصدفة .. ما هى الصدفة .. هى حدوث شىء لا ارادى بلا ترتيب وبلا فاعل .. والذى لاشك فيه أن نظاما نشأ بالصدفة لا يمكن أن يكون نظاما بهذا الاعجاز فى الخلق . فيه كل شىء بمقدار وحساب دقيق .. لا يقبل أى عقل أن نظاما نشأ بالصدفة لو اختل درجة واحدة لانهار بسبب الدقة التى خلق بها .

نظام الصدفة

ولكنى مع ذلك سأبدأ بما فرضوا وما قالوا .. ثم بعد ذلك ننتقل خطوة خطوة الى ما حدث .. نظام نشأ بالصدفة لا يمكن أن ينبىء عنه الله سبحانه وتعالى فى كتابه على لسان نبى أمى ومنذ حوالى ١٤٠٠ سنة .. اذا كان هذا النظام قد ذكر فلا شك أن الخالق هو الذى أنبأ به عباده ليدل على عظمته وقدرته ..

وما العلم الا كاشف لعظمة الله وقدرته واعجازه فى خلقه ..

ولنعد الى الاسئلة . قالت العلوم الحديثة التى يحاول بعض الناس اتخاذها الها جديدا .. قالت : لقد خلق الكون من سديم سحابة كبيرة من النار تجمعت وانفصلت ثم اكتسبت صورتها الحالية .. من الذى أنشأ هذه السحابة . ومن أين جاءت ؟ لم يفسر لنا العلم من أين جاءت ولا من الذى قدر لها هذا التفاعل ؟ ولكن الله سبحانه وتعالى يقول فى سورة فصلت ، وهو يتحدث عن خلق السموات والارض « ثم استوى الى السماء وهى دخان » .. اذن لقد كانت السماء والارض دخانا .. هكذا أنزل الله لمحمد النبى الامى .. الذى كان لا يقرأ ولا يكتب منذ ١٤٠٠ سنة فى حديث عن خلق السموات والارض انهما كانتا دخانا .. بل انه قال أكثر من ذلك .. ففى سورة الانبياء يقول الله سبحانه وتعالى « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى » .. أى أن الله سبحانه وتعالى قال ان السموات والارض كانتا جزءا واحدا .. انفصل بأمر الله ليتكون منه الشمس والارض والنجوم .. وان الله سبحانه وتعالى استوى الى السماء وهى دخان .. هذا ما حكاه الخالق فى كتابه منذ ١٤٠٠ سنة وعلى لسان نبى أمى لا يقرأ ولا يكتب .. فاذا جاء العلم يقول أن هذا حدث صدفة نقول لا .. لان الله سبحانه وتعالى هو الخالق .. هو الذى قال كن فتكونت هذه السحابة .. وقال كن فانفصلت الى أرض ونجوم وكواكب وشمس وكل خلق .. فاذا جاء العلم بعد ١٤٠٠ سنة وبعد أن وصل الى القمر ليقول : ان قشرة الارض والقمر واحدة .. وان القمر كان جزءا من الارض . نقول : لقد اكد الله سبحانه وتعالى هذا قبل أن تكتشفوه بأربعة عشر قرنا .. بل أنه أضاف الى ذلك حقيقة أخرى هامة .. « وجعلنا من الماء كل شئ حى » .. أى أنه جعل الحياة التى فوق الارض من الماء .. وهذا تأكيد آخر لحقيقة تالية يعلنها العلم هى انها لا حياة بصورتها الارضية الا اذا وجد الماء .

اذن ليس هناك صدفة .. بل هناك خالق .. هناك الله الذى خلق السموات والارض .. ثم صدر أمره الى الاكسجين والهيدروجين ليتحدا ويكونا الماء .. وانهمر الماء على الارض ليكون الانهار .. ثم قدر للارض وزنها وحياتها الى يوم القيامة . هذا مكتوب وموجود ومدون .

الانسان .. والارض

نأتى بعد ذلك الى شكل الحياة على الارض .. التى يقولون انها نشأت بالصدفة ونتيجة تفاعلات .. لو كانت هذه الحياة .. هذه الكائنات قد نشأت بالصدفة لتشابه الخلق فيها . من الذى ميز الانسان وجعله خليفة فى الارض وأعطاه العقل والحكمة وسخر له ما فى الارض جميعا .. أهى الصدفة أيضا .. هل تستطيع أن تميز بين جاموسة وجاموسة أو بقرة وأخرى من نفس النوع .. أو ذبابة وذبابة .. او بعوضة وبعوضة .. أو عصفورة وعصفورة من نفس النوع .. لا تستطيع .. ولكنك تستطيع أن تميز بين انسان وآخر من نفس النوع .. مخلوق بنفس الصفات العينين والانف والقامة والاذرع والارجل . نستطيع أن تميز كل واحد فيهم مع أن هناك ألوف الملايين من البشر .. ورغم تشابه الصفات فلكل واحد منا ما يميزه عن الاخر . بل لكل واحد منا بصمات ليست لانسان مثله فى هذا العالم .. ولا حتى من الدين رحلوا عن هذا العالم كله .. من الذى فعل هذا .. أهى الصدفة التى ميزت الانسان عن كل المخلوقات وجعلت ما فى الارض وما فى السماء مسخرا له .. أهى الصدفة . ولماذا تفعل ذلك مع الانسان وحده دون سائر المخلوقات التى تمت بالصدفة وكيف ؟ !!

أى صدفة تلك التى تعطى كل هذه المميزات لخلق وتمنعها عن باقى الخلق ؟ ! لست أدرى .. وأستطيع ان أمضى فى معجزات خلق الانسان بلا نهاية .. ولكن هذا موضوع قادم ..

الماء .. والحياة

ثم نمضى مرة أخرى فى مقومات الحياة .. الماء .. من الذى ينزل الماء .. ان العلم الذى استطاع أن ينزل الى القمر عاجز أن يسقى الانسان كوب ماء واحد .. ولقد سبق أن قلت اننى كنت فى أمريكا منذ سنوات قليلة . وحدثت أزمة ماء فى مدينة نيويورك . وحاول العلم بكل الطرق أن يأتى بما يكمل نقص الماء . ففشل .. لماذا ؟ ! لماذا وعندهم عناصر الماء موجودة فى الكون . لماذا لا يجعلونها تتحد وتنشىء نهرا .. أو أنهارا اذا ستطاعوا والعالم ملىء بالصحارى فى أشد الحاجة لقطرة ماء .. وهنا تحضرنى آية « أفرأيتم الماء الذى تشربون .. أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » .. أنتم الذين تكونون السحاب أم ارادة الله سبحانه وتعالى هى التى تكونه .. وتمر السحابة فوق مناطق وهى مليئة بالماء فلا تمطر .. وتمر فوق مناطق أخرى فتمطر .. لماذا لا تجعلونها تمطر هنا ولا تمطر هناك .. لماذا لا تجعلونها تمطر على هذه الارض وتترك تلك . لان استمرار الحياة وعناصر استمرار الحياة من قدرة الله سبحانه وتعالى وحده — هو الذى خلق وهو

الذى يعطى الحياة استمرارها الى أجل مسمى ..
وهنا يقف كل شىء فى الدنيا عاجزا أمام قدرة الله ..

ومثل الماء هذا النظام الكونى البديع .. الارض بغلافها الجوى الذى يحميها من اشعاعات وأشياء كثيرة قادمة من الفضاء .. والجبال التى فيها .. والمعادن .. والزرع .. وكل مقومات الحياة .. كل شىء فيها بمقدار

معجزة الخلق

ثم يقول سبحانه وتعالى « **والارض بعد ذلك دحاها** » .. أى جعلها كشكل البيضه ليست مستديرة تماما .. وهذا ما ثبت علميا خلال السنوات الاخيرة .. أن الارض ليست مستديرة تماما .. ثم يقول سبحانه وتعالى « **أو لم يروا انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها** » . والارض فعلا منبعجة عند القطبين الشمالى والجنوبى . ولقد أدهشت هذه الحقيقة علماء الفلك فى اجتماع عقده الفلكيون العالميون .. أن يتحدث القرآن عن هذه الحقيقة منذ ١٤٠٠ سنة وعلى لسان نبى أمى .

أى عقل اذن يقول أن هذا الكون يخضع لقانون الصدفة .. أى يقول أنها هى الطبيعة .. ومن الذى خلق الطبيعة .. أى عالم يأتى ليقول أى شىء وهناك آيات وآيات فى هذا الكون كلها تنطق بقدرة الله واعجاز خلقه ..

ونحن لا نستطيع أن نفسر الله سبحانه وتعالى بعقولنا .. ولكننا نستطيع أن نعرف أن الله موجود بصفاته .. فأى شىء أكثر دليلا على وجود الله من عظمة هذا الكون ودقته .. وأى شىء أعجز عن خلق الانسان .. الذى كرمه الله فأعطاه العقل والحكمة والمعرفة .

ونحن لسنا فى حاجة الى تفكير عميق لندرك كيف أن الانسان مميز بعقله وروحه وخلقه عن كل ما فى الارض .. له عقل يستطيع أن يستوعب أو يفكر وأن يستكشف . وله عقل باطن يخزن فيه المعلومات ، حتى اذا رأى انسانا لم يره منذ عشرين سنة . ويكاد يكون قد نسيه تماما .. فى دقائق تبرز الصورة من العقل الباطن .. ذلك المخزون الهائل الى العقل الواعى فيراه أمامه ويعرفه ويتذكر كل شىء عنه بعد أن كان هذا الانسان لا شىء فى ذاكرته .. نسيه تماما .. ماذا ترون فى الخلية البشرية وجدارها الذى يتلقى الاشارات ويعطى الاشارات ويقول أن ميكروبا قد دخل فيبدأ الجسم فى مقاومته ويتلقى اشارات كهربية من المخ فينفذها الجهاز العصبى وتتم الحركة .. هل هذا التكوين الفريد بين المخلوقات تم بالصدفة ؟ ! .

هذا العقل الجبار الذى اكتشف كل هذه الحقائق فى الكون .. واخترع العقول الالكترونية تم تكوينه بالصدفة ؟ !

سبحان الذى خلق فأبدع ..

العلم والايمان

وننتقل بعد ذلك الى التفاعلات الكيماوية التى أدت الى خلق الانسان .. اذا كانت هذه التفاعلات موجودة ومعروفة فلماذا لا تتم ليخلقوا لنا انسانا .. انهم يدعون بأنهم خلقوا حياة بدائية وأنا رغم تصديقى لما يقال أسوق هنا تجربة علمية بسيطة حدثت .. لقد قام العلماء بتحديد العناصر التى يتكون منها اللبن .. وجاءوا بهذه العناصر وجمعوها .. نفس العناصر التى يتكون منها اللبن الطبيعى .. ثم جاءوا بعدد من الفئران غذوها على اللبن الصناعى المكون من نفس عناصر اللبن الطبيعى . وفئران أخرى غذوها باللبن الطبيعى . الفئران التى تغذت على اللبن الذى يحوى نفس عناصر اللبن الطبيعى ولكنها مخلوطة صناعيا ماتت . وتلك التى غذوها باللبن الطبيعى كبرت ونمت . لا تدعونا نهلل لكل ما يقولون . فكم من دواء قدم ساعة اختراعه على أنه السحر ثم بعد أن تم استعماله تأكد أنه قاتل ومنع وأعدم .. لا نريد أن نهلل بسرعة لاشياء تبدو باهرة فى اولها قبل أن تصل الى الحقيقة بها .. كم من نظرية علمية اعتبرت فتحا ثم بعد ذلك تبين خطؤها فلنأخذ الامور بمهل ولنتدبر .

ثم لماذا نبتعد .. وعندنا المثل فى القرآن « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » .. ولقد تحدى الله العالم كله منذ ١٤٠٠ سنة أن يستطيع أن يخلق ذبابة واحدة .. ولكن العلم الذى استطاع أن يصل الى القمر .. وان يجعلنا ونحن على الارض نرى الانسان وهو فوق القمر لم يستطيع أن يخلق جناح ذبابة طوال ١٤٠٠ سنة .. ولن يستطيع ..

هل تريدون اعجازا اكثر من ذلك .. تحديا واثباتا لقدرة الاله سبحانه وتعالى الفائقة اكثر من ذلك أن كل المعادن التى تكون جسم الانسان لا يزيد ثمنها فى الصيدلية عن قروش .. والباقى ماء .. هذه المعادن موجودة والماء موجود .. ولكن أين نحن بكل تقدمنا العلمى من خلق ذبابة فما بالك بانسان .. ان المواد المكونة للماء تملأ الارض كلها .. ولكن أين نحن بتقدمنا العلمى المذهل من أن ينزل الماء حيث نريد ونرسل السحاب فتكون أنهارا .. أين نحن من هذا والمواد موجودة أمامنا .. ولكن الدنيا كلها بمن فيها وما فيها عاجزة أمام قدرة الخالق سبحانه وتعالى .. ثم بعد ذلك نتحدث عن الصدفة ؟ !

الضار النافع

ناتى بعد ذلك الى السؤال الثالث .. لماذا خلق الله الحيوانات والفيروسات والميكروبات الضارة .. ؟ أولا وقبل أن أدخل فى تفصيل هذه النقطة أقول ان بعض الحيوانات والفيروسات التى نقول انها ضارة .. بعضها له منافع نعرفها .. وبعضها له منافع لا نعرفها .. ومن السم نأخذ الدواء ..

والله سبحانه وتعالى خلق كونه بحكمة وقدر .. وانا اقرر مرة اخرى أن عقلى المتواضع المحدود لا يمكن أن يصل الى ذرة من هذه الحكمة .. ولكن ما أكتبه مبنى على خواطر شخصية بحتة .

وأنا أرى من وجهة نظر شخصية أن هذه الميكروبات هى اعجاز من خلق الله .. يكفى أن يسلطها على أى جبار يعتقد أنه اله فى الارض .. يكفى أن يسلطها على أى انسان يتكبر ويتعالى ويعتقد أنه ملك الارض وما عليها ليظهر له عجزه وليتجه الى السماء ويصيح يارب .. يسلط عليه أدق مخلوقاته .. وتلك التى لا ترى حتى بالعين المجردة .. لتجعله عاجزا ولو أخذ الدنيا وما فيها . ولو أعطى ما فى الارض جميعا .. انه يصيب بها من يشاء من عباده .. أحيانا ليرى أيشكر أم يكفر .. وأحيانا ليريه – اذا تجبر فى الارض – عجزه أمام قدرة الله سبحانه وتعالى .

التقدم والتأخر

ناتى بعد ذلك الى نقطة أحب أن أتكلم عنها باسهاب .. تلك هى نقطة التقدم والتأخر . ذلك أن الدين والايمان يربطان ظلما بالتخلف والتأخر وكما يقول مرسل الخطاب أن الامم المتدينة تعتبر أمما متخلفة .. وهذه تسمية خطأ وفهم خطأ ومحاولة للرمى بأى شىء دون تعقل . ان فى الدين الاسلامى اكثر من معجزة . فى القرآن آيات كثيرة .. بل ان فى أقوال النبى صلوات الله عليه أشياء بدأ العلم يكتشفها الان والان فقط . فمثلا « ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه » أصبحت هذه الايام خلاصة نظرية طبية ضخمة تثبت أن السمنة وكثرة الطعام هى أضر ما فى الدنيا . و « جوعوا تصحوا » أصبحت قاعدة طبية مع العلم أنها قيلت فى الوقت الذى كان فيه الطعام هو مصدر القوة الوحيدة للانسان وأنا لا أريد هنا أن أسترسل .. ولكنى أريد أن أرد على السؤال الرئيسى .. هل المؤمنون هم المتخلفون .. اذا أخذنا قواعد الدين الاسلامى نفسه كان الجواب ان هذا الدين لا يمكن أن يخلق أمة متخلفة أبدا . بل ان هذا الدين بقيمه هو أبو الحضارات الان وهى المستقبل . وهو الذى يصنع التقدم الحقيقى .. وعلى ماذا يقوم التقدم ؟ هل يقوم على الغش والنفاق والرياء والكذب وعدم العمل .. ان كل هذا نهى عنه الدين وكل هذا لا يمكن أن يقيم حضارة ولا أن يصنع تقدما أبدا .. بل ان أكثر دول العالم تقدما اذا أخذنا مجتمعها وجدنا أنها حولت القيم والمبادىء الموجودة فى الدين الاسلامى الى قيم حضارية تعيشها وأصبحت هذه القيم جزءا من المجتمع وجزءا من الحياة .

الاخلاص فى العمل .. اتقان العمل .. عدم الكذب .. الوفاء بالوعد .. رد الحقوق الى أهلها .. رعاية الضعيف . ان هذه كلها قيم نجدها فى اكثر المجتمعات تقدما ونعجب بها أيما اعجاب وهى موجودة فى ديننا منذ ١٤٠٠ سنة ، نقول ان عندهم اخلاصا فى العمل .. نقول ان كلمتهم واحدة .. الى آخره .. الى آخره .. وننسى أن ديننا قد حمل كل هذه المبادىء الينا ، وقال اعملوا بها تسودوا الارض .. فتركناها ثم بدأنا نبحث عنها .. نفس المبادىء .. فى المجتمعات المتقدمة .. لننقلها عنهم ؟ ! أليس هذا عجيبا حقا ؟ .

ما الذى يصنع الحضارة .. ربما أهم شيئين هما العقل والعمل .. العقل يفكر ويخترع والعمل يبنى التقدم ..

ماذا نجد عندنا .. نجد فى القرآن تقديسا للعقل وحثا على استخدامه . ونجد الاشارة للعقل .. « أفلا تعقلون » « أفلا يتدبرون » مكررة فى أكثر من مكان . بل اكثر من ذلك تجد وصف الكفار الذين لا يؤمنون بالله انهم « قوم لا يعقلون » . معنى ذلك أن استخدام العقل جزء من الايمان . والحث على استخدام العقل فى كل شىء دون استخدام العاطفة موجود وظاهر ومطلوب . والمطالبة فى الاقتصاد فى العواطف وعدم الفرح أو الحزن الشديدين من صلب تعاليم هذا الدين . بل ان الاسلام يحرم كل ما يغيب العقل أو يؤثر عليه ولو تأثيرا وقتيا جاعلا أن يكون الذهن متقدا وصافيا فى كل لحظة مسألة حماية لكل مؤمن . وحرص هذا الدين على أن يحد من عواطفنا .. « لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .. وطالب بالعدل والتخلى عن عواطف القرابة والصداقة عند الحكم على الاشياء .. كل هذا هو من صلب مجتمعات الامم المتقدمة .

ناتى بعد ذلك العمل .. والاسلام قدس العمل . وجعله خيرا من الانقطاع للعبادة والاكل من الصدقات وأمامنا أمثلة كثيرة فى صدر الاسلام من أناس كانوا يقاسون من الفقر ويقضون طول النهار فى المسجد فدفعهم النبى الى العمل .. وبارك الله فى عملهم وأغناهم من فضله ..

والى مقالة قادمة ان شاء الله .

من قصص السنة

المساواة

وفضيلة الشيخ
محمود أحمد هاشم

المساواة مبدأ من المبادىء الاسلامية الكريمة حرص على دعم قيمها القرآن الكريم وتناول الرسول صلوات الله وسلامه عليه بيانها ، وضرب الامثلة عليها ومن ذلك الحديث الاتى :

عن عائشة زوج النبى – صلى الله عليه وسلم – أن قريشا أهمهم شان المرأة المخزومية التى سرقت فى عهد النبى – صلى الله عليه وسلم فى غزوة الفتح ، فقالوا : من يكلم فيها رسـول الله صلى الله عليه وسلم – فقالوا : ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأتى بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكلمه فيها اسامه بن زيد ، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتشفع فى حد من حدود الله ، فقال لـه أسامة : استغفر لى يا رسول الله .

فلما كان العشى قام رسول الله صلى الله عليـه وسلم فاختطب وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال :

« أما بعد فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وانى والذى نفسى بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وهكذا نرى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد وضح لنا القيمة المثالية للمساواة بين افراد الامة الاسلامية ، وأنه لا فرق بين انسان وانسان مهما كان شان كل واحد من الناس ، ومهما كان حسبه أو نسبه ، وقد رفض الرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعة فى حدود الله صيانة للحدود حتى لا يعبث بها الناس أو تتهاون فيها الامة كما ضرب أعظم الامثلة على المساواة فى الحدود حين بين ذلك واضحا ، وقال :« لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، وقد حرص من وراء ذلك أن تتحد الامة وتتعاون على الخير فقط لا على ما يخالف الحق .

وقد أمرنا الله تعالى فى محكم كتابه العزيز أن نتحد ونتعاون ولا نتفرق وأن يكون اتحادنا اعتصاما بحبل الله ، فلا يكون اتحادنا اعتصاما بالشرق ولا اعتصاما بالغرب ، ولا استنادا الى قوة بدنية أو قوة مالية وان يكن لكل ذلك دخل كبيرولكن لا يكون هذا أساسا فى بناء الاتحاد ، وانما يكون الاساس القائم عليه هو حبل الله المتين وقد نزلت هذه الايـة واعتصموا بحبل الله جميعا الاية بعد أن وحد الرسول المجتمع الاسلامى وطيب جروح بعاث وأيام الجاهلية فنفث أحد اليهود والحانقين على الاسلام سمومه ليفرق بينهم ويذكرهم بأيامهم الاولى حتى علم النبى صلى الله عليه وسلم فأمرهم بالعودة الى حبل الله وذكرهم بنعمة الله عليهم بتأليف قلوبهم بعد أن كانوا اعداء كما امر الله تعالى أن تكون قاعدة هذا الاتحاد مكونة من البر ومن التقوى بعيدة عن الاثم والعدوان « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » ومن شأن المؤمنين المتآلفين ان يتواصوا بالحق وبالصبر :« **بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » .

وقال تعالى « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » وقال :« **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** » وقال :« **خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** .

وقال : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » وقد مد المسلمون الاوائل أيديهم الى رسولهم صلى الله عليه وسلم متحدين متعاونين . عن أبى الوليد عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : « **بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا تنازع الامر أهله الا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله تعالى فيه برهان وعلى ان نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم** ، وعلى أساس الاتحاد قامت دعوة السماء متحدة مع سائر الانبياء قال صلى الله عليه وسلم « **مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله الا موضع لبنة فى زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون لولا هذه اللبنة فانا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين** » وحرصا من الرسول الرحيم على تأليف الصفوف واتحاد الكلمة كان لينا عطوفا رؤوفا « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » .

وبعد .. فاذا كانت هذه هى تعاليم ديننا الحنيف ، واذا كان القرآن الكريم قد حرص كل هذا الحرص على دعم قيم الحق والخير ، ونشر الفضيلة بين أفراد المجتمع فما بالنا نرى من الفئات الضالة من يتهاونون بشأن هذه المثل الكريمة ؟ !

واذا كان هذا هو وضع الحدود فى الاسلام ، وقد حرص الاسلام على تنفيذها وصيانتها ، فان واجبنا اليوم أن نصون حدود الاسلام ، لان فيها أمانا لنا من كل خوف ، وفى تنفيذها تحقيق لعدالة السماء ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، وخسر دنياه وآخرته ، وقد آن الاوان لضرب العابثين بآداب الشريعة وفضائلها ومقاومة المناوئين للاخلاق ، حتى يأتى امر الله ، ويفتح علينا بركات من السماء والارض ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

مادة الحب في كتاب الله

فضيلة الشيخ
أحمد كامل الخضرى

فى مقال سابق تحت هذا العنوان .. تكلمنا عن مادة الحب فى كتاب الله تعالى . وقلنا انها ذكرت فى القرآن الكريم أكثر من خمسين مرة . كما ذكرت مادة (الود) التى هى بمعنى الحب أكثر من عشرين مرة .. وقلنا انه قد يكون الحب واجبا دينيا كحب الله عز وجل . وحب رسوله صلى الله عليه وسلم . وحب عباد الله المؤمنين .. وتكلمنا على كل من هذه الثلاثة . وقلنا انه سبحانه وتعالى ذكر فى كتابه العزيز . أنه يحب طوائف من الناس لاتصافهم بصفات طيبة كريمة ـ كما أنه نفى فى كتابه الكريم حبه عن طوائف اخرى لاتصافهم بصفات ذميمة . وبينا طرفا من هؤلاء وهؤلاء ..

ونتابع الكلام فى هذا الموضوع فنقول وبالله التوفيق ـ

اسلفنا لك القول ان حب عباد الله تعالى واجب شرعا ـ ونقول هنا ان هذا الحب قد يكون آكد فى الوجوب . وأعظم عند الله تعالى منزلة كحب الوالدين . وحب الزوجين . والحب الخالص لله عز وجل ..

فأما حب الوالدين .. فقد اكدته الشريعة الاسلامية تأكيدا قويا . وجعلته فى أسمى المنازل وأعلاها عند الله تعالى ..

يقول رب العزة فى كتابه العزيز « وقضى ربك أن الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلاتقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ».

فانظر كيف قرن المولى سبحانه وتعالى الامر بعبادته وتوحيده . بالامر بمحبة الوالدين والاحسان اليهما ولا سيما اذا كبرا .. وتقدمت بهما السن . فانهما يكونان فى أشد الحاجة الى الرعاية والعناية وشدة العطف ..

وقد أوجب الحق تبارك وتعالى على المرء فى شأن والديه بمقتضى هاتين الايتين الكريمتين خمسة امور (الاولى) أن لا يوجه اليهما أى قول يدل على التضجر وعدم الرضا . حتى كلمة (أف)

(والثانى) أن لا ينهرهما أو يزجرهما على أى عمل من الاعمال التى قد يعملانها ولا تقع من نفسه موقع القبول والرضا .. بل يصبر عليهما صبرا جميلا ..

(والثالث) أن يقول لهما دائما قولا حسنا كريما لينا . يتفق مع حسن الادب معهما . ومكانة الحب لهما . والعطف عليهما ..

والرابع) أن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة .. أى يكون غاية فى الرحمة بهما . والحنان معهما . والشفقة عليهما . لكبرهما وافتقارهما اليه .. كما كان هو فى حال صغره وضعفه مفتقرا اليهما ..

والخامس) أن يدعو الله لهما بالرحمة الدائمة الباقية .. حتى ولو كانا غير مسلمين .. فيدعو الله لهما بالهداية الى الاسلام .. فان المولى عز وجل اذا هداهما الى الاسلام . فانه بذلك يكون قد رحمهما رحمة واسعة ..

وهذا الدعاء مطلوب شرعا حال حياتهما . وكذلك بعد موتهما اذا كانا مسلمين .. فأن دعاء الولد لابويه بعد موتهما . يعد من الاعمال الصالحة الدائمة الباقية لهما - يقول صلى الله عليه وسلم (**اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث . صدقة جارية . أو علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له ،** اخرجه ابو داود الترمزى والنسائى رحمهم الله تعالى عن ابى هريرة رضى الله عنه ..

وعلى المرء أن يذكر دائما . ما عاناه والداه فى تربيته . وما قدماه فى سبيل العناية به - وهو صغير - من رعاية وشفقة ورحمة .. وما تجشماه من الصعاب والمتاعب والالام فى هذا الشأن ..

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (**رضا الرب فى رضا الوالدين . وسخط الرب فى سخط الوالدين**) أحرجه الترمذى رحمه الله عن ابن عمر رضى الله عنهما ..

واخرج الامام مسلم رحمه الله تعالى . عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال (**سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم . أى الاعمال أحب الى الله تعالى ؟ .. قال .. الصلاة لوقتها .. قلت ثم اى ؟ .. قال .. بر الوالدين . قلت ثم اى ؟ قال .. الجهاد فى سبيل الله تعالى**) فبين صلى الله عليه وسلم أن بر الوالدين أفضل وأحب الى الله تعالى من الجهاد فى سبيل الله تعالى ومقاتلة أعداء الله . الذى يجود المرء فيه بحياته وروحه .. !..

واخرج الشيخان البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال (**جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه فى الجهاد .. فقال . أحى والداك ؟ .. قال نعم .. قال ففيهما فجاهد**) فلم يأذن له فى الجهاد . ليبقى مع والديه يرعاهما ويقوم بما يحتاجان اليه .. ! ..

فحب الوالدين وبرهما . طريق الى رضوان الله تعالى .. وسبب من أسباب السعادة فى الدنيا والاخرة . حيث النعيم الخالد المقيم ..

فاحرص يا أخى على محبة أبويك . حتى بعد وفاتهما . بالدعاء الصالح لهما وصلة من كانا يحبانه فى الدنيا . وتنفيذ وصيتهما . ان كانا قد أوصيا بخير أو بر قبل وفاتهما ..

رحم الله أبوينا رحمة واسعة . وجازاهما عنا أحسن الجزاء .. وأدام علينا حبهما . حتى نلقى الله تعالى وهو راض عنا ..

وأما حب الزوجين .. فقد اكدته الشريعة الاسلامية أيضا .. يقول جل ذكره فى كتابه العزيز (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون**) .

فالمولى سبحانه وتعالى جعل بين الزوجين المودة والمحبة الرحمة والتعاطف . لاسعاد البشرية وبقاء النوع الانسانى . وذلك فضل منه تعالى . وآية بينة على قدرته وحكمته . ينبغى لنا أن نذكرها دائما . وان نتفكر فيها ونتدبرها ..

ولخطر هذه المحبة . وعظم شأنها عند الله . وعند المخلصين من عباده امتن المولى بها علينا فى هذه الاية الكريمة .. والمحبة بين الزوجين تقتضى حسن المعاشرة الزوجية . التى هى الدعامة الاولى لسعادة الاسرة .. ومتى سعدت الاسرة سعدت الامة كلها ..

كذلك يترتب على المحبة المتبادلة بين الزوجين . وحسن معاشرتهما صلاح الذرية . ونشأة الاولاد نشأة كريمة طيبة ، فى جو عائلى سعيد .. والاولاد هم عصب الامة . وعليهم تبنى مستقبلها وعزها وكرامتها .. وبهم تذود عن حياضها . وتتغلب على ادائها ..

وحسن المعاشرة الزوجية يكون بأن يؤدى كل منهما ما عليه من حق للاخر فى رضا واطمئنان .. حتى تبقى المحبة بينهما . وتزداد على ممر الايام وتؤتى ثمارها كاملة .

ومن حق الزوجة على زوجها . أن يحسن معاملتها . وان ينفق عليها منمال حلال . من غير اسراف ولا تقتير . وان يعفها . متخذا فى ذلك ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الملاطفة ولين الجانب وبشاشة الوجه .. قال تعالى « **وعاشروهن بالمعروف** - وقال صلى الله عليه وسلم (**أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا والطفهم بأهله**) . وقال صلوات الله وسلامه عليه (**خيركم خيركم لاهله**) ..

واذا كان أحد الزوجين عصبى المزاج أو سىء الخلق فليصبر عليه الاخر - فأن من كمال الايمان بالله تعالى ومن موجبات رضوان الحق تبارك وتعالى .. قال صلى الله عليه وسلم (**من صبر على سوء خلق امرأته . اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطي ايوب على بلائه .. ومن صبرت على سوء خلق زوجها . اعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون**) فانظر يا أخى الى هذا الفضل العظيم .. !

ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم فى أخريات أيامه السعيدة المباركة قوله . (**اتقوا الله فى النساء .. فانهن عوان فى أيديكم . أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فرجهن بكلمة الله**) .

ومن حق الزوج على زوجته . أن تطيعه فيما لا معصية فيه . وأن تحافظ على بيته وماله . وأن تكون عفيفة كريمة طيبة لينة نظيفة طاهرة فى نفسها وفى

أدوات منزلها · شفيقة على أولاده · تؤدبهم وترعى شؤونهم · حسنة العشرة مع أقاربه · ولا سيما والدته · وأن تعمل دائما على ارضائه · حتى تفوز برضوان الله تعالى · وتتمتع بجنته ـ قال صلى الله عليه وسلم (**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**) ··

والمرأة الصالحة · اكبر نعمة ينعم الله بها على العبد · قال صلى الله عليه وسلم : (**ما أعطى الله المؤمن خيرا له بعد تقوى الله تعالى من زوجة صالحة · ان أمرها اطاعته · وان نظر اليها سرته · وان أقسم عليها أبرته · وان غاب عنها حفظته فى نفسها وماله**) ··

●

وأما المتحابون حبا خالصا لله عز وجل ·· فقد ورد فى فضلهم وفيما أعده الله لهم من ثواب عظيم · وأجر كريم · أحاديث كثيرة ·· **منها قوله صلى الله عليه وسلم (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله)** ـ وذكر منهم (**ورجلان تحابا فى الله فاجتمعا على ذلك · وافترقا عليه**) رواه غير واحد من رواة الحديث منهم الشيخان البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى · عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم وفى روايه (**ورجل يحب عبدا لا يحبه الا لله**) ··

ومعنى تحابا فى الله أى يحب كل منهما الاخر حبا صادقا خالصا لله بحيث يكون الدافع لهذا الحب· والباعث عليه · هو طاعة الله تعالى · وطلب رضائه سبحانه · لا لغرض من أغراض الدنيا ·· ولا لمنفعة من منافعها الزائلة ·· ويتعاونان فى سبيل الله تعالى · ويخلص كل منهما للاخر اخلاصا حقا ·· ويستمر هذا الحب ·· فلا يجتمعان الا عليه ··ولا يفترقان الا عليه ··

ولا شك أن الحب الخالص لله تعالى وحده ·· له أثر عظيم فى اسعاد النفوس · وفى اصلاح المجتمع ·· وفى النهوض بالامة الى مراقى العز والسعادة والمجد ··

وقوله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث (**سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله**) المراد به يوم القيامة ··

وهو يوم عظيم ·· يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين ·· ويشتد الهول على النفوس . وتدنو الشمس من الرءوس · ويستعر الحر · ويبلغ العرق الاذان · ولا يكون هناك ظل الا ظل عرش الرحمن تبارك وتعالى ··

فلا يسعد بهذا الظل الا من تفضل الله عليهم برضوانه وفضله من المقربين · ومنهم المتحابون فى سبيل الله ··

نسأله سبحانه وتعالى أن يملا قلوبنا بمحبة اخواننا المسلمين · حبا صادقا خالصا لله وحده · حتى نلقى الله تعالى عليه ··

واعلم أن القرآن الكريم ·· قد نعى على فريق من الناس · حبهم لاعداء الله تعالى · لان ذلك يتنافى مع الايمان بالله تعالى · وبين سبحانه أن المؤمنين بالله تعالى حقا · وبدينه الحنيف · وبيوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب · لا يحبون اعداء الله تعالى · واعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ·· حتى ولو كانوا من أقاربهم او من عشيرتهم ··

قال جل ذكره « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون** »

فهذه الاية الكريمة · تبين أن المؤمنين بالله تعالى ايمانا حقا · جعلهم لا يحبون اعداء الله وأعداء الاسلام · بل قطعوا مودتهم · حتى ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم . وأن الله تعالى أيدهم بروح قوى ومدد عظيم منه · وأنه سيدخلهم جنات فيها نعيم خالد · تجرى من تحتها الانهار · وأنهم حزبه سبحانه وناصرو دينه · وأنه لا يفلح ولا ينجح الا من كان من حزب الحق تبارك وتعالى ··

ولقد ضرب الصحابة الاولون رضوان الله عليهم · المثل الاعلى فى ذلك · فقتل ابو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه أبا الجراح فى غزوة أحد ـ عمير ـ وقتل مصعب بن عمير رضى الله عنه أخاه عبد الله بن عمير ـ وقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه خاله العاص بن هشام بن المغيرة · وقتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه عتبة بن ربيعة ·· وقتل حمزة رضى الله عنه شيبة بن ربيعة ـ وقتل ابو عبيدة رضى الله عنه الوليد بن عتبة ـ وذلك فى غزوة بدر الكبرى ·· كل هذا نصر لدين الله تعالى واعلاء لشأن الاسلام والمسلمين ··

ولقد يبلغ الصغار والضعة وضعف الايمان بالله تعالى . بعض صغار النفوس. فيوادون أعداء الاسلام والمسلمين · ويحبونهم ويتعاونون معهم · ويتجسسون لحسابهم على أمتهم · ويكشفون لهم عورات بلادهم وينقلون لهم اسرار الجيش لقاء ثمن بخس دراهم معدودة ! ··

فهذا حب آثم محرم · يبغضه الله تعالى ويعاقب عليه أشد العقاب ··

والذين يفعلون ذلك · ليسوا مؤمنين · وهم أشد ضررا · واكبر خطرا على الامة من اعدائها الكافرين ، وهم يعيشون فى الدنيا ازلة صاغرين لا

كرامة لهم ... وفى الاخرة مأواهم جهنم وبئس المصير ..

ويجب على الامة أن تحذر هذا الصنف من الناس وان تطهر صفوفها منهم . وان تقضى عليهم قضاء مبرما . حتى تأمن على نفسها وعلى جيشها وعلى مستقبلها ..

ومن الحب الاثم المقيت عند الله تعالى .. ذلك الحب الذى لا يقوم على أساس سليم كريم . والذى لا تبيحه الشريعة الاسلامية الغراء .. كحب الرجل للمرأة الاجنبية بدافع الشهوة والغريزة الجنسية .. فهو حرام حرمة شديدة .. وهو يؤدى الى أضرار كثيرة بالغة الاثر .. وقد يحطم كيان الاسر . ويلحق بها العار والدمار ..

ومن أسباب هذا الحب الاثم . النظرة المحرمة .. وقد نهى الاسلام عنها نهيا شديدا - فى الحديث القدسى يقول رب العزة تبارك وتعالى (النظرة سهم **مسموم من سهام ابليس من تركها من مخافتى أبدلته ايمانا يجد حلاوته فى قلبه**) ..

وقد نهى الحق سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز عن مد النظر الى متع الدنيا الزائلة فقال جل ذكره « **ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى** » .

واعلم ان النظرة العابرة البريئة . التى لا يسترسل فيها صاحبها ليست محرمة .. وينبغى للمرء اذا نظر الى محرم ان يستغفر الله تعالى .. وان يستعين على نفسه بذكر الله تعالى والرجوع اليه ..

وقد ابتلى الناس هذه الايام بتبرج النساء والعرى والتبذل واظهار ما لا يحل اظهاره من المحاسن والمفاتن بطريقة يا أباها الدين . وتأباها الشهامة والمرءوة والفطر السليمة ..

وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنه بالنساء .. فقال صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه (**ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء**) . وقال أيضا (**ما من يوم ينشق فجره الا وهو ينادى .. ويل للرجال من النساء . وويل للنساء من الرجال** ..) ..

نسأل الله الامان والسلامة والعافية ..

وان أهيب بالقادة والمصلحين . وبأرباب الاقلام وبالمشرفين على وسائل الاعلام . وبالاباء والامهات . أن يعلموا بكل ما أوتوا من قوة .. على صيانة ابنائنا وفتياتنا من الحب الاثم المقيت . وأن يجنبوهم مزالقه . وان يرشدهم الى مافيه الخير لهم . والى ما يكفل لهم السعادة فى حاضرهم ومستقبلهم ..

والله سبحانة وتعالى ولى التوفيق

بقية مقال « شروط رواية الحديث »

تحقق سبيله بضبط عين الفاظه التى هى مستودعات حفظ المعانى المقصودة للشارع .

وأما المقصود بقولهم فى التعريف « سماع الحديث كما يحق سماعه » . فيعنون بذلك الاحتراز عن حالة يحتمل حصولها للراوى فى أثناء سماع الحديث ، وذلك أن يدخل الطالب مجلس الحديث فى أثناء قراءة الحديث بعد أن يكون الشيخ قد قرأ جزءا من الحديث ، ولا يلتفت الى الداخل الطارىء ليعيد له أول القول ولا يلتفت هو لسبق جزء من الحديث على دخوله فيسمع الجزء الذى يحضره ويرويه مقتطعا عن مقدمته ، فلا يكون قد روى الحديث على جهة الصحة والكمال . ولا سمعه كما يحق سماعه ، فأنما السماع الحق من الراوى أن يكون متفطنا لعدم الوقوع فى مثل هذه الحال . فيعرف أوائل الكلام المسموع وأواخره جميعا .

والمقصود بطلبهم من الرواة العناية باستمرار حفظهم ، وتعهدهم للمحفوظ لهم - ايضا - النظر لتدارك حالة كانت تقع لنقلة الحديث فربما أخلت فى مستقبلهم بصحة روايتهم : وذلك أن راوى الحديث الذى اتيح له تحمله - ربما أزدرى بنفسه واستبعد أن يأتى له يوم يرتفع فيه على مكان الرواية ونقل الشريعة للطالبين ، فيهمل حينئذ تعهد حفظ الحديث من نفسه حتى تبهت صورته فى ذاكرته فربما اصابه الخطأ فى أدائه حين يطلب منه اداؤه : وانما عليه ان يواظب على استمرار الحفظ والتعهد لما حفظ من الحديث : وقد روى عن ابن مسعود فى ذلك قوله : « **لقد أتى** علينا زمان لسنا نسأل : ولسنا هناك ، ثم قضى الله أن بلغنا من الامر ما ترون » قيل هذا اشارة منه الى وجوده فى زمن ابى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فقد كانت الصحابة متوافرين فى ذلك الوقت ، وما كان يحتاج حينئذ لابن مسعود - رضى الله عنه - وانما قصد بهذا التحدث بنعمة الله تعالى حيث رفعه من تلك الدرجة الى ما بلغه اليه ، لانه قال هذا حين كان بالكوفة وله أربعة الاف تلميذ يتعلمون بين يديه ، حتى لقد روى انه لما قدم على - رضى الله عنه - الكوفة خرج اليه ابن مسعود مع اصحابه حتى سدوا الافق - فلما رآهم على - رضى الله عنه - قال له : « **ملات هذه** القرية علما وفقها » .

صور من ضبط النفس

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

«وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ـ ومن يغفر الذنوب الا الله ـ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين» .

ضبط النفس عند نزول النوازل : والصمود عند حلول المحن : والصبر عند مضايقة الضوائق : كل أولئك من صفات المتقين الابرار .

وكذلك مراقبة النفس ومحاسبتها على ما قدمت وأخرت مع توجيهها للخير والبر طمعا فى مغفرة الله الذى لا يخفى عليه شىء فى الارض والسماء وابتغاء مرضاته . وتطلعا الى جنة عرضها السموات والارض ـ كل ذلك من سجايا المؤمنين الاخيار .

وليس كالوحى الالهى فى تربية النفوس وصقلها بالايمان القوى الذى يهديها الى الحق والى صراط مستقيم .

« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » .

والمتقون الذين فتح الله لهم أبواب رحمته هم الذين عمرت قلوبهم بذكر الله وخشيته وبره وطاعته فاطمأنت بذلك نفوسهم وهدأ بالهم وصلح حالهم .

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم » .

وبالتربية القرآنية اهتدى الضالون واسترشد الحائرون واستيقظ الغافلون وبهدى القرآن ارتفع شأن الاعراب أولى الجفوة والقسوة حتى صاروا أئمة وقادة وهداة وسادة :

وبالوحى المحمدى وبالهدى الالهى كانت أمة العروبة خير أمة أخرجت للناس لان الاسلام علم الدنيا كيف تكون الجماعة المؤمنة عزيزة الجانب قوية الوحدة كريمة الاخلاق وقد اعترف بفضل الاسلام القاصى والدانى فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . وقد جاء وصف المؤمنين فى القرآن الكريم « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ... » فهم يتذرعون بالصبر والاحتمال ويقودون النضال لتحقيق الامال بسواعد الرجال وعزائم الابطال . « **من المؤمنين رجال صدقوا ما**

عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

ولقد علمنا الاسلام كيف يتكون المؤمن صاحب النفس الابية القوية التى تترفع عن الدنايا وتتنزه عن النقائص وتترغب عن الرذائل فلا استخفاف بالخلق ولا استهتار بالخلق :

والاسلام ينمى الذوق الفطرى ويربى الاحساس الانسانى الذى غرسه الله فى طبائع البشر وهو الذى يبرهن على جمال الخلق وكمال السلوك وكريم الاعمال ولطيف الاقوال .

ومن أمارات التقوى أن يكون المؤمن عف اللسان نقى القلب طاهر البدن ذكى الفؤاد يقظ الضمير قوى الاحساس سخى النفس ينفق فى السراء والضراء من مال الله الذى استخلفه فيه انفاقا يدل على الاعتدال والاتزان فلا تبذير ولا تقتير .

« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » . فلن يهنأ مقتر ولن يسعد مبذر .

لان المقتر بعيد عن الله بعيد عن الجنة بعيد عن الناس قريب من النار . **« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »** .

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

ان البخيل على نفسه بماله وعلى ولده وأهله وجيرانه يعيش فقيرا ليموت غنيا وهو يخادن الشيطان الذى يعده بالفقر ويأمره بالفحشاء ولكن السخى شجاع فى ماله ونفسه والبخيل جبان يحرص على ماله حرصه على حياته .

والانفاق مدخر عند الله الذى لايضيع اجر المحسنين ليوم عظيم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم **« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال »** .

ذلك لان الله يحب من عباده كريم الفعال ونبيل الخلال وجميل الخصال :

والسخى قريب من الله . قريب من الجنة . قريب من الناس بعيد عن النار اما المروءة فهى صفة لمن اكتملت رجولته وقويت همته وعزيمته — صفة لمن غلب نفسه بهداها ولم تغلبه بهواها .

وانفاق المال على حبه يقى النفس من مهاوى التهلكة لان الشح الكريه مضيعة للكرامة ومهلكة لمن سيطوقون بمالهم يوم القيامة .

« وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة» وضبط اليد خير من قبض اليد وخير الامور الوسط .

وصاحب المروءة السخى يحمل نفسه على التخلق بالفضائل ليصبح التطبع سجية والتعفف غريزة وليس بقادر على ذلك الا من جاهد نفسه فتجنب ظلم النفس وظلم الغير متلمسا بذلك رضا الله الله بنجدة الملهوف واغاثة المنكوب ومجاملة المكروب والرحمة بالضعيف والاحسان الى بنى الانسان والله يحب المحسنين .

ومن المروءة أن يكافح المرء لاسعاد أولاده بوقايتهم من السؤال والحاجة .

ولن يضير المرء كسب العيش بالجد والعمل ما دام الطريق مباحا ومشروعا ليصلح بذلك شأنه ويعلو قدره وبهذا يتمكن من البر باخوانه وجيرانه ليدخر كده وجده عند الله لان العمل عبادة لله اذا كان ثمة بذل وسخاء .

« فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى » .

ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول :
« انما يرحم الله من عباده الرحماء » ويقول فى الحث على كسوة العرايا واطعام الجياع .
« من كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة ومن أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ومن سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم » .

وكان رسول الله يقول لعائشة رضى الله عنها :

« يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة » .

« ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه أيكم مال وارثة أحب اليه من ماله ؟ قالوا يا رسول الله ما منا أحد الاماله أحب اليه من مال وارثه : قال : فان ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر » .

ان المال لله وحده — **« له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى »** . والناس مستخلفون فيه والانفاق قرض لله مضمون الوفاء والاداء وما انفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين .

أما بقية صفات المتقين الذين جاء ذكرهم فى الاية السابقة — وهم الذين رضى الله عنهم — فهم الذين يكظمون الغيظ ويعفون عن الناس اذا تجاوزوا حدود الادب وشردوا عن قواعد اللياقة الانسانية .

ولا يقدر على العفو الا الذين صبروا من أولى العزائم القوية والهمم الفتية .

لان كظم الغيظ اذا صحبه العفو كان ذلك دليلا على حسن النية فقد يكظم المرء غيظه ولكنه يترقب الفرصة للانتقام بالغدر . أما العفو مع كظم الغيظ وضبط النفس ومقاومة الانفعالات النفسية ومطاردة الهواجس الشيطانية فذلك هو الايمان بأن الله يتولى بنفسه ردع الظالم ورد عدوانه .

وترك الخلق للخالق هو سبيل المؤمنين بأن الله عفو غفور يعفو عن كثير فيتجاوز عن الزلات ويعفو عن السيئات ويقيل العثرات لمن تاب وأناب :

« **واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى** » .

وقد يظن الخاطئون أن قبول البغى حلم وصفح . كلا ، فان ردع الباغى ورد طغيانه خنجرا مسموما الى صدره من أعظم القربات عند الله لان من ظلم نفسه كمن ظلم غيره على حد سواء ولا ينبغى قبول الظلم بحال أو ليس الله هو القائل « **يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** » .

أما المسلمون الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . فهم رحماء بينهم يرحم كبيرهم صغيرهم ويوقر صغيرهم كبيرهم والابقاء على هذه الاخوة يتطلب الصفح الجميل : « والعفو من شيم الكرام »وفى هذا يقول الشاعر العربى :

ان الكريم اذا تمكن من أذى
جاءته أخلاق الكرام فأقلعا
وترى اللئيم اذا تمكن من أذى
يطغى فلا يبقى للصلح موضعا

وبالعفو تصفو الحياة ويستقر السلام ويصان الامن .

شتم رجل رجلا آخر فرد عليه بقوله ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك :

وفى ضبط النفس شجاعة وقوة يقول **عليه الصلاة والسلام**

« **ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب** » .

ويقول عز وجل فى حديث قدسى :

« **عبدى اذا غضبت فاذكرنى أذكرك اذا غضبت** » .

والله يقول فاصفح الصفح الجميل يعنى أعف عند القدرة من غير عتاب .

ويقول المفسرون لما نزلت هذه الاية « **خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** » **قال النبى ما هذا يا جبريل ؟ قال تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك :**

عن أبى هريره رضى الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله ان قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن اليهم ويسيئون الى وأحلم عليهم ويجهلون على فقال لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » .

والعفو أقرب للتقوى مع الاقارب والجيران وتحمل الاساءة صبر واحتمال والله يقول :

« **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن . فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** » والعفو أقرب للتقوى عند القدرة وفى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سب أعرابى أبا بكر الصديق رضى الله عنه والرسول الاعظم جالس وأبو بكر ساكت ولما لم يسكت الرجل أخذ أبو بكر يرد عليه فقام الرسول صلى الله عليه وسلم من المجلس فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم قمت حين أخذت أرد على الرجل ؛ فقال الرسول يا أبا بكر لما سكت كان هناك ملك يدافع عنك فلما ابتدأت تنتصف لنفسك ذهب الملك وجاء الشيطان ولم أكن لاجلس فى مجلس فيه شيطان !!وهكذا كان الرسول يعلم أصحابه قوة الاحسان والصبر الجميل والصبر من عزم الامور « **ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور** » وهو عند النوازل ايمان . وعند لقاء الاعداء بالثبات والصمود شجاعة والصبر عن المعاصى بتركها عبادة وعفة . أما الصبر على طاعة الله بامتثال أوامره فهو صفة الابرار وسمة الاخيار وقد اقترن كظم الغيظ بالعفو لتكتمل عزيمة المتقين ومن المروءة ألا يراك الله حيث نهاك والله يقول « **ولمن خاف مقام ربه جنتان** » والدعوة الى الله تحتاج للصبر والاحتمال الله يقول لنبيه الكريم :

« **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل** » ويوجهه الى الدعوة اليه بالحكمة فيقول له :

« **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** » .

ثم يقول عز وجل فى وصف الذين سلمت نفوسهم من العلل وصفت قلوبهم .

« **والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** » .

هذه صفات الاوابين التوابين الذين يتوبون من قريب على ما اجترحوا من صغائر الاثم وما اقترفوا من فاحشة أو ظلموا أنفسهم جهلا أو سفها ثم استيقظت ضمائرهم فتابوا الى رشدهم وأنابوا الى ربهم فذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا واستغفروه بالاسحار وراقبوه فى الليل والنهار .

« **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » .

وذكر الله دليل على الحياء من الله والحياء خير كله .

وخير المؤمن أن يكون قويا أمام نزواته ونزعاته توابا أوابا الى ربه الذى يعلم ما تكسب كل نفس وهو القائم على كل نفس بما كسبت وهو الذى خلق الانسان فسواه والهمه فجوره وتقواه .

البقيه ص ٦٧

مواقيت الصلاة

اليوم	١٣٩٢ ذي الحجة	١٩٧٣ يناير	مغرب		عشاء		فجر		شروق		ظهر		عصر	
			د	ت	د	ت	د	ت	د	ت	د	ت	د	ت
الجمعة	أول	٥	٨	٥	٣١	٦	٢٠	٥	٥٢	٦	٠٠	١٢	٥٠	٢
السبت	٢	٦	٩	٥	٣٢	٦	٢٠	٥	٥٢	٦	١	١٢	٥١	٢
الأحد	٣	٧	١٠	٥	٣٣	٦	٢١	٥	٥٢	٦	١	١٢	٥٢	٢
الاثنين	٤	٨	١١	٥	٣٤	٦	٢١	٥	٥٢	٦	٢	١٢	٥٣	٢
الثلاثاء	٥	٩	١٢	٥	٣٤	٦	٢١	٥	٥٢	٦	٢	١٢	٥٣	٢
الأربعاء	٦	١٠	١٣	٥	٣٥	٦	٢١	٥	٥٢	٦	٢	١٢	٥٤	٢
الخميس	٧	١١	١٣	٥	٣٥	٦	٢١	٥	٥٢	٦	٣	١٢	٥٤	٢
الجمعة	٨	١٢	١٤	٥	٣٦	٦	٢١	٥	٥٢	٦	٣	١٢	٥٥	٢
السبت	٩	١٣	١٥	٥	٣٧	٦	٢١	٥	٥٢	٦	٤	١٢	٥٦	٢
الأحد	١٠	١٤	١٦	٥	٣٧	٦	٢٠	٥	٥١	٦	٤	١٢	٥٦	٢
الاثنين	١١	١٥	١٦	٥	٣٨	٦	٢٠	٥	٥١	٦	٤	١٢	٥٧	٢
الثلاثاء	١٢	١٦	١٧	٥	٣٩	٦	٢٠	٥	٥١	٦	٥	١٢	٥٨	٢
الأربعاء	١٣	١٧	١٨	٥	٤٠	٦	٢٠	٥	٥١	٦	٥	١٢	٥٩	٢
الخميس	١٤	١٨	١٩	٥	٤٠	٦	٢٠	٥	٥١	٦	٥	١٢	٠٠	٣
الجمعة	١٥	١٩	٢٠	٥	٤١	٦	٢٠	٥	٥١	٦	٦	١٢	١	٣
السبت	١٦	٢٠	٢١	٥	٤٢	٦	٢٠	٥	٥١	٦	٦	١٢	٢	٣
الأحد	١٧	٢١	٢١	٥	٤٢	٦	٢٠	٥	٥٠	٦	٦	١٢	٢	٣
الاثنين	١٨	٢٢	٢٢	٥	٤٣	٦	٢٠	٥	٥٠	٦	٧	١٢	٣	٣
الثلاثاء	١٩	٢٣	٢٣	٥	٤٤	٦	٢٠	٥	٥٠	٦	٧	١٢	٤	٣
الأربعاء	٢٠	٢٤	٢٤	٥	٤٥	٦	٢٠	٥	٥٠	٦	٧	١٢	٥	٣
الخميس	٢١	٢٥	٢٤	٥	٤٥	٦	١٩	٥	٤٩	٦	٧	١٢	٥	٣
الجمعة	٢٢	٢٦	٢٥	٥	٤٦	٦	١٩	٥	٤٩	٦	٨	١٢	٦	٣
السبت	٢٣	٢٧	٢٦	٥	٤٧	٦	١٩	٥	٤٨	٦	٨	١٢	٧	٣
الأحد	٢٤	٢٨	٢٧	٥	٤٨	٦	١٩	٥	٤٨	٦	٨	١٢	٨	٣
الاثنين	٢٥	٢٩	٢٨	٥	٤٨	٦	١٨	٥	٤٧	٦	٨	١٢	٨	٣
الثلاثاء	٢٦	٣٠	٢٩	٥	٤٩	٦	١٨	٥	٤٧	٦	٨	١٢	٩	٣
الأربعاء	٢٧	٣١	٣٠	٥	٥٠	٦	١٧	٥	٤٦	٦	٨	١٢	٩	٣
الخميس	٢٨	أول فبراير	٣١	٥	٥٠	٦	١٧	٥	٤٥	٦	٩	١٢	١٠	٣
الجمعة	٢٩	٢	٣٢	٥	٥١	٦	١٦	٥	٤٥	٦	٩	١٢	١١	٣
السبت	٣٠	٣	٣٣	٥	٥٢	٦	١٦	٥	٤٥	٦	٩	١٢	١٢	٣

ملائكة و ملائكة

فضيلة الشيخ أحمد البسيوني

ملائكة هم عباد الله المكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، منهم السياحون فى الارض يغشون مجالس العلم ، ويرتادون حلق الذكر ، ومنهم من جعلهم الله شهودا على أعمال عباده يسجلون الاقوال والافعال فى صحائف خالدة يواجه بها الانسان « يوم القيامة » يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا) وملائكة يتعاقبون فى المؤمنين اى يجىء بعضهم عقب البعض ، يشهدون الصلاة المكتوبة ، ويشهدون للمؤمنين بالفوز وحسن المثوبة ..

وملائكة من البشر ، قلوبهم معلقة بالمساجد ، واجسادهم مشدودة الى ساحتها ، يرابطون فى جنباتها ، ينتظرون الصلاة بعد الصلاة ، تاتى اليهم الملائكة وهم يصلون .. وترتفع عنهم وهم يصلون .. وفى هذا يروى الامام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادى « فيقولون : تركناهم وهم يصلون وآتيناهم وهم يصلون** » .

واجتماع الملائكة وتعاقبهم انما يتم فى صلاة الجماعة بمساجد الله التى رفع الله قدرها واعلى ذكرها ، ورفع قدر الذاكرين العابدين فيها : **(فى بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) .**

والمساجد فى الارض، مراكز اشعاع ، ومنارات هدى ، ومناهل عرفان ، ومدارس لتربية الخلق ونظافة الضمير ، يقول الكاتب الاسلامى ، مصطفى صادق الرافعى فى كتابه (وحى القلم (:

« ليس المسجد بناء ولا مكانا كغيره من البناء والمكان ، بل هو تصحيح للعالم الذى يموج من حوله ويضطرب ، فان فى الحياة أسباب الزيغ والباطل والمنافسة والعداوة والكيد ونحوها ، وهذه كلها يمحوها المسجد اذ يجمع الناس مرارا فى كل يوم على سلامة الصدر ، وبراءة القلب ، وروحانية النفس ، ولا تدخله انسانية الانسان الا طاهرة منزهة مسبغة على حدود جسمها من اعلاه واسفله شعار الطهر الذى يسمى الوضوء ، كأنما يغسل الانسان آثار الدنيا عن اعضائه قبل دخوله المسجد ، ثم يستوى الجميع فى هذا المسجد استواء واحدا، ويخرجون الى الارض جميعا ساجدين لله فليس لراس على رأس ارتفاع ، ولا لوجه على وجه

تمييزا ، ومن ثم فليس لذات على ذات سلطان ؟ وهل تحقق الانسانية وحدتها فى الناس بأبدع من هـذا ؟ ولعمرى اين يجد العالم صوابه الا هاهنـا ؟ فالمسجد هو فى حقيقته موضع الفكرة الواحدة الطاهرة المصححة لكل ما يزيغ بـه الاجتماع .. هو فكر واحد لكل الرءوس ، ومن ثم فهو حل واحد لكل المشاكل ، وكما يشق النهر فتتقف الارض عند شاطئيه لا تتقدم ، يقام المسجد فتتقف الارض بمعانيها الترابية خلف جدرانه لا تدخله » .

وقبل أن يتحدث القرآن الكريم عن بيوت الله وعمارها الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، تحدث عن نور الله الذى يملا السموات والارض ، وضرب مثلا لهذا النور بمشكاة فيها مصباح ، (**المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور**) وفى هذا اشارة الى أن ذلك النور المتدفق فى السموات والارض انما يتجلى فى بيوت الله التى تتصل فيها قلوب المؤمنين بالله ، وهم مع سعيهم وجدهم فى تحصيل الرزق عن طريق التجارة والبيع ، لا يغفلون عن أداء حق الله بالذكر واقامة الصلاة ، ولا يغفلون عن أداء حق العباد بايتاء الزكاة ، وكيف تشغلهم الفانية عن الباقية وهم (**يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار**) وهم مع هذا الخوف يحسنون الظن بالله ، ويعلقون رجاءهم فى فضله وثوابه (**ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب**) .

وروّاد المساجد الذين يسعون اليها مع كل نداء ، وينقلون خطواتهم على طريقها مؤمنين محتسبين ، طامعين فى مثوبة الله ورضوانه ، انما يرفعهم الله بهذا السعى درجات ، ويحط عنهم السيئات ، وتتلقاهم أفواج الملائكة بالدعاء والاستغفار يروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ، « **صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه مالم يحدث اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ولا يزال أحدكم فى صلاة ما انتظر الصلاة** ») رواه البخارى ومسلم) .

وأن الله تبارك وتعالى يرسل ملائكة يتعاقبون فى خلق الله ، يحفظونهم ويحصون أعمالهم ، ويغشون المصلين فى صلاتهم ، يجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، وانما خص هذان الوقتان باجتماع الملائكة فيهما ، لفضلهما وكثرة ثوابهما ، فمن هجر راحته ولبى نداء ربه وقت العصر ، ومن ترك فراشه وتخلى عن نومه وقت الفجر ، كان هذا الاقبال دليلا على قوة الايمان ، ورسوخ العقيدة ، وشدة استجابة المؤمن لداعى مولاه ووقوفه عند حدوده ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادى ؟ وان صيغة السؤال توحى بأمر عظيم ، له خطورته وأهميته ، فلم يسأل الله تعالى الملائكة كيف لقيتم عبادى ! ولكن قال لهم : كيف تركتم عبادى ؟ ففى هذا اشعار بأن الاعمال بخواتيمها ، ومن هنا كان الرسول الكريم يردد فى دعائه : « **اللهم أحسن عاقبتنا فى الامور كلها** » ثم يأتى جواب الملائكة شهادة صدق ، وتزكية طيبة لعباد الله المصلين فيقولون لربهم ، « **تركناهم وهم يصلون** » .

وأتيناهم وهم يصلون » وهذه أكرم حالات المؤمنين وأفضلها ، فالصلاة عماد الدين ، وسمة اليقين ، ومعراج تعرج عليه أرواح المؤمنين الى ملكوت الله وآفاق الايمان ، وسماء العزة والكرامة .

والصلاة طهارة ظاهرية بالوضوء ، وطهارة باطنية بالخشوع ، تنقى الضمير ، وتغسل القلب من نوازع الهوى وجواذب الشهوة يقول الله تعالى : (**وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات**) . وفى هذه الاية الكريمة امر بأداء الصلوات الخمس ، فمعنى طرفى النهار أى بالغداة والعشى ، فالصبح فى الغداة ، والظهر والعصر فى العشى ، ومعنى زلفا من الليل أى فى ساعات من الليل وهى المغرب والعشاء (فالزلفة الطائفة من الليل وجمعها زلف كغرفة وغرف) وقد أراد الله تعالى لهذه الصلوات أن تكون طهرة للمصلين ، تسكب فى ضمائرهم النور ، وتشع فى وجدانهم النقاء والرشد يقول صلى الله عليه وسلم ، « **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء قال ، فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** » (متفق عليه) ويقول صلى الله عليه وسلم : « **من تطهر فى بيته ثم مشى الى بيت فى بيوت الله فضى فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه احداهما تحط خطيئة ، والاخرى ترفع درجة** » (رواه مسلم والنسائى والترمذى) .

والمؤمنون فى ساحة المسجد ، تغشاهم الرحمة ، وتخالطهم الملائكة ، ويذكرهم الله فيمن عنده .. يقول صلى الله عليه وسلم « **الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الذى صلى فيه ما لم يحدث تقول : اللهم أغفر له اللهم أرحمه** » (متفق عليه) .

والسجدة فى الصلاة لحظة مضيئة ، تقرب العبد من ربه ، وتعينه على حل مشاكله ، **والتخلص من** همومه ،

اذا ضاق صدرك بالعالم
والفيت نفسك فى مأزق
فاغرق همومك فى سجدة
تناجى بها عزة الخالق

وعن ربيعة بن كعب الاسلمى رضى الله عنه قال : « **كنت أبيت مع النبى صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لى : سل — أى اسألنى ان أدعو الله لك بما تشاء — فقلت : أسألك مرافقتك فى الجنة . قال : أو غير ذلك ؟ اى هل أنت مصر على هذا الطلب لا تتحول عنه الى طلب آخر ؟ — قلت : هو ذاك — أى أنا ثابت على طلبى — فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: فأعنى على نفسك بكثرة السجود** » (رواه مسلم وابوداود)

وقد وزع الاسلام الصلوات الخمس على اليوم كله ، فهى تكتنفه من مطلع الفجر الى مغيب الشفق ، ليكون من ذلك نظام محكم يسيطر على حياة المسلمين ويضبط أعمالهم ، ويعلمهم ان للوقت وزنه وقيمته ، وان الحياة تقاس بالدقائق ، فهى رأس مال الاحياء ، وذخيرتهم فى الدين والدنيا .

وهكذا تعمل الصلاة عملها فى المجتمع ، طهارة فى الضمير ، وصفاء فى الروح ، وبعدا عن النقائص والرذائل ، (**واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون**)) ٤٥ العنكبوت) . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

بقية مقال « صور من ضبط النفس »

وفى الارتباط بالدين والاتصال برب العالمين حياة القلوب وتنقية النفوس وتربية الضمير الذى يحمى المرء من الذنوب والعيوب والخبث والدنس والضمير الحى يسعد الانسان ولا يشقيه الا ضمير ميت يميت الاحساس ويقتل الفضائل ثم يصبح صاحب الضمير الميت تافها حقيرا لا خير فيه !!

ان يقظة الضمير تبدو واضحة حينما يجد المرء راحة فى فعل الخير وانشراحا واشراقا روحيا فى طاعة الله وارتياحا .

وأما عند ارتكاب الشر فيضطرب النفس بقلق فيه احساس بالاسى والاسف وحينما يوقن المرء بأن الله **مطلع على السر واخفى يشعر بالخجل والندم « انما التوبه على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبه للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عزابا أليما »** .

والمؤمن قلبه يقظ خاشع لله لا يعبد الا اياه ولا يستعين بأحد سواه والتقوى خير زاد ليوم المعاد والله يقول :

« **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** » .

« **ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا** » .

« **ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا** » .

« **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » .
وموسى عليه السلام يقول لقومه : كما جاء فى القران الكريم :

« **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** » .

وقد وصف الله الذين آمنوا وكانوا يتقون بأنهم هم اولياء الله .

« **الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** » .

والحياة الدنيا فرصة عمل وكفاح فليبادر بالتوبة الى الله الذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ...

« **عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمايرويه عن ربه تبارك وتعالى « ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك . فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة .**

وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » .

فهل بعد هذا تيسير ؟وهل بعد هذا رأفة ورحمة من الله الرءوف بالعباد — « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » .

ان المنفقين والعافين عن الناس والتائبين الاوابين النادمين ولم يصروا على ما فعلوا من اثم . أولئك هم خير البرية . وأولئك الذين أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين .

القرآن والنظر العقلى

منهج القرآن فى بناء العقيدة

الدكتور محمد عبدالستار نصار

● لم يكن حديثنا فيما سبق ، الا تحديدا لنشاط العقل فيما من طبيعته أن يوثق بأحكامه فى اطاره ، ولم يكن ضربا من الحجر عليه فى جميع مجالات التفكير المختلفة ، فان القرآن الكريم ، هو آخر الكتب السماوية التى جاءت لتثير فى النفس حوافز التفكير ، وتشحذ الهمم الى ضروب التأمل والاعتبار ، لتغلق دون العقل أبواب التقليد ..

● واتخذت آياته فى سبيل ذلك وجوها مختلفة . فتارة تجىء على سبيل الامر بالنظر فى ملكوت السموات والارض : ليكون ذلك أدعى للايمان الصحيح ، وترك ما كان عليه الاباء والاجداد من تقليد ، وذلك ما تصوره الاية الكريمة : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض ، وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون » .

وتارة تجىء على سبيل العرض والتخصص ، وذلك ما ترشد اليه الايات البينات : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت »

● فالنظر الى الابل والى السماء والجبال والارض ـ وكلها من مواقع الحس ـ هو ملاحظتها فى أوضاعها المختلفة ، وادراك ما وراء الملاحظة العابرة من خالق قدير . كما أن النظر الى عجائب السموات والارض ، هو أمر بالترقى الى الفهم الى مرتبة أسمى وأشمل .

وهذه الايات ليست الا بمثابة مقدمات حسية ، ذات دلالات عقلية لا يملك العقل انكار صدقها ، لانها قائمة فى الواقع الحسى ، ومشاهدة بين النظر والبصر على السواء . واذا كان المنطقيون يعتبرون المشاهدات من المقدمات البرهانية التى تكون نتائجها تعيينية ، فانه بناء على هذا ـ يتعين ان تكون النتائج كذلك ، كما يتعين أن يكون سياق القرآن متسقا مع الفطرة ، ولا يسوق الادلة والشواهد سوقا مجردا ، على غرار ما يفعله الفكر البشرى . ولكنه يعبىء قوى الانسان كلها . كى يكون أشد اذعانا لمقتضى فطرته .

● وهذا النظر العقلى ، مسوق فى صياغة رشيقة . وسياق بديع ، لن تطاول اليه الصياغات اللغوية ، مهما ارتفعت وسمت . كما أنه فى نفس الوقت ارضاء لنهم العقل المشبع بالتطلع الى تعليل الظواهر ، كى يكون الاعتقاد جازما بين الاسباب ومسبباتها .

● ولم يغفل القرآن الكريم منهج الاستبطان النفسى ، فقال سبحانه « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . ذلك لان هذا المنهج هو ادق مناهج المعرفة التى توصل اليها علماء المناهج المحدثون ، ولعل السبب فى هذه المكانة التى يحتلها هذا المنهج أنه فوق مستوى الحس والعقل معا ، ولان النفس البشرية منطوية على الخيرية المستمدة من الخير الاسمى . فاكتشافها اكتشاف للخير فى دائرة النفس .

● ولعل هذا هو الذى حمل مؤرخو الفلسفة على العقول بأن سقراط قد سبق عصره ، الذى كان مليئا بالافكار المادية ، وركام الثقافات الوثنية ، وذلك باتخاذه من الحكمة المشهورة « اعرف نفسك بنفسك » أساسا للوصول الى معرفة الحق • ولعل هذا أيضا سر استدراكه على « انكساجوراس – رغم وصفه له بانه الصاحى بين السكارى – بقوله : « لو أن انكساجوراس بدلا من اعتماده فى أثبات وجود الاله على حكمته المتمثلة فى سير الكواكب فى أفلاكها ، قد اعتمد على أن خيريته الممثلة داخل نفوسنا ، تجذبنا اليها دائما ، لكان أقرب الى الحق وأدنى الى الحكمة منه الى نهج العامة الذين يعتمدون على الحس •

● على أن القرآن الكريم – وهو يرسم مناهج التفكير – لم يصرح بالناحية الايجابية فحسب ، بل أظهر الجانب المقابل ، وهو طريقة السير العشوائى القائم على أساس من التقليد والمحاكاة • وغايته فى ذلك أن يؤكد الصورة الايجابية ببيان الاضرار المترتبة على اتخاذ ما يقابلها منهجا للتفكير •

من ذلك ما صرحت به الاية الكريمة : « **قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ، قالوا ان انتم الا بشر مثلنا • تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين** » وقوله تعالى ، « **ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين** »

● والنتيجة التى يسعى القرآن الى تقريرها فى هذا المقام هى أن من لم ينظر بعين العقل ليهتدى الى الحق فهو مقلد ، وعاقبته الضلال المبين ، كماأنه يكون أسوأ حالا من العجماوات ، بناء على تعطيله نعمة العقل التى منحها الله أياه ، والتى اختص بها من بين سائر الخلق • ولقد سجل القرآن الكريم على هؤلاء الحكم العادل ، فقرر انهم حصب جهنم ووقودها ، وعلل ذلك بما لا يملك العقل السليم الا الاذعان لمقتضاه •

أما الحكم العادل فهو قوله تعالى : « **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس** » واما التعليل السليم فهو قوله فى نفس الاية « **لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون** » •

● وكسر التقليد – الذى حض عليه القرآن – فوق أنه عملية ايمانية اعتقادية ، هو أيضا اعتراف بمنحة العقل ، التى وهبها الله سبحانه وتعالى لبنى البشر ، والتى بسببها استحق الانسان التكريم « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » ، وتلك المنحة هى منار التكليف فى امور الشريعة وشرط المسئولية والجزاء فى المسائل الاخلاقية •

● بناء على ما تقدم نستطيع أن نقرر فى اطمئنان ان القرآن الكريم فى مقام الاستدلال على اثبات صانع لهذا الكون متصف بكل صفات الكمال والجلال لا يحترم النظر العقلى فقط ، ولكنه يأمر به •

واذا كان الاستدلال على اثبات آله موجود ، هو صانع هذا الكون وموجده ، هو أساس الاعتقاد السليم ، فان القرآن الكريم قد نبه أيضا الى طرق اخرى ، فى الاستدلال على بعض العقائد الاخرى من ذلك :

١ – قياس الاولى ٢ – الايات ٣ – السبر والتقسيم •

● فأما قياس الاولى ، فقد أقره القرآن الكريم فى اثبات عقيدة البعث ، واعادة هذه الحياة بعد فنائها ويمكن تطبيقه أيضا فىمقام اثبات الكمالات للحق سبحانه • وقد عرف ابن تيمية هذا القياس بأنه « ما يكون الحكم المطلوب فيه أولى بالثبوت من الصورة المذكورة فى الدليل الدال عليه » (الرد على المنطقين ص ١٥٠) فصور تطبيق هذا القياس فى اثبات ان البعث ممكن قد جاء بها القرآن على أنحاء شتى ، وهذه الانحاء تقوم أساسا على امكان اعادة الشىء بعد أن وجد اولا أقرب الى العقل من ايجاده ابتداء • فقد أخبر القرآن الكريم تارة عمن أماتهم ثم أحياهم من قوم موسى ، كما جاء فى سورة البقرة « **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقه وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** » وتارة اخرى يؤكد ذلك باخباره عن الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها « **أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه** » وتارة ثالثة يؤكد امكان البعث بخلق السموات والارض فان خلقهما اعظم من اعادة الانسان . كما ترشد اليه الايات الكريمة ٩٨ – ٩٩ من سورةالاسراء ٨١ من سورة يس ، ٣٣ من سورة الاحقاف ، ثم يستدل على امكان ذلك أيضا بخلق النبات ، كما فى الايات ٥٧ من سورةالاعراف ، ٣٥ من سورة فاطر ، ثم يختم هذا كله بهذا التقرير الواضح ، وهو أهونية الاعادة بالاضافة الى الخلق ابتداء كما فى قوله تعالى : « **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الاعلى فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم** » وفى معنى هذه الاية ما جاء فى الايات ٥ من سورة الحج ، ٧٨ – ٧٩ من سورة يس ٤٩ – ٥١ من سورة الاسراء •

● وأما تطبيق هذا القياس فى اثبات الكمال لله سبحانه وتعالى فيقوم على أن ما ثبت لغيره من كمال لا نقص فيه ، فثبوته له بطريق الاولى ، وما تنزه عنه غيره من النقائص فتنزهه عنه بطريق الاولى • فالانسان مثلا متصف بالعلم ، وله قدرة وارادة الى غير ذلك من الصفات التى تكون من لوازم الانسانية ، وهو مع هذه الصفات مخلوق ، فاذا كان الامر كذلك كان ثبوت هذهالصفات وما ماثلها فى حق الخالق

اولى واتم ، ويتحدد الوصف بالاضافة حتى لا يقال : ان المخلوق قد شارك الخالق فى أوصافه · فعلم الله غير علم الانسان من حيث الحقيقة وان شاركه من حيث الاسم ، ويقاس على ذلك بقية الاوصاف الاخرى ·

● وأما طريق الاستدلال بالايات – وهو ثانى الطرق التى ذكرناها سلفا – فيمكن تطبيقه فى كل مسألة يراد الاستدلال عليها · والاية فى مفهوم القرآن الكريم هى العلامة والامارة وفى مفهوم المستدلين هى الدليل المستلزم عين المدلول فى الطرد والعكس اى التلازم فى الوجود والعدم ، وقد أشار القرآن الكريم الى فحوى هذا الاستدلال بقوله تعالى : « **وجعلنا الليل والنهار آيتين** » فنفس العلم بطلوع الشمس يوجب العلم بوجود النهار ، والعكس صحيح ، وكذلك آيات نبوة أى نبى من الانبياء – وهى المعجزات – نفس العلم بها يوجب العلم بكون من ظهرت على يديه هو النبى الحق · وكذلك آيات الرب سبحانه نفس العلم بها يوجب العلم بنفسه المقدسة ·

● ويجدر بنا فى هذا المقام ان نشير الى شىء من خصائص المنهج القرآنى ، وهو أنه وهو بصدد الاستدلال على الشىء بابراز العلامة او الاية الدالة على وجوده انما يعنى شيئا محددا يساوى دليله مساواة تامة ، بخلاف طريقة الاستدلال فى المنطق الارسطى ، التى لا تصح الا اذا كانت الحدود فيها امورا كلية ، ولا شك ان العلم باستلزام الشىء المعين للمطلوب المعين اقرب الى الفطرة من استلزام الكلى لكلى مثله أو لما هو دونه ·

● واما السبر والتقسيم – وهو القياس الشرطى المنفصل – فقد أشار اليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : « **قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله ، وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين** » وحد هذا القياس ان « كل ما انحصر فى قسمين فيلزم من ثبوت احدهما نفى الاخر ، ومن نفى احدهما ثبوت الاخر » ·

● وكمال صورة هذا القياس يمكن أن تجىء على النحو التالى : انا أو اياكم لعلى ضلال مبين – وهذا أصل معلوم بالضرورة العقلية – ثم يقال : ومعلوم انا لسنا على ضلال – وهذا أصل معلوم من واقع حال النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه – فيلزم من ازدواجهما نتيجة ضرورية · وهى أنكم على ضلال ·

● **هذه نماذج من منهج القرآن فى بناء العقيدة ، سقناها لنثبت ان القرآن الكريم قد حدد للعقل مجاله ، وبين له كيف يستنبط ويستدل ، ولنثبت أيضا ان للقرآن منهجه الخاص فى الاستدلال على العقائد ، يخالف فى صورته منهج الفكر اليونانى ، الذى افتتن به بعض المنتسبين الى الاسلام ، من الفلاسفة المشائين ومن شايعهم ·**

نعم الله علينا

خلق الله سبحانه عباده ورباهم بنعمه الكثيرة الجلى ، التى لا نستطيع أن نحصيها عدا ، يقول الله سبحانه ، « وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ويقول : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » ·

فالعباد يعجزون عن تعداد نعم الله ربهم عليهم فضلا عن القيام بحق شكرها ، كما قال طلق ابن حبيب ، « **ان حق الله أثقل من أن يقوم به العباد ، وان نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين** » ·

وروى فى الاثر أن داود عليه السلام قال : « يارب كيف أشكرك وشكرى لك نعمة منك على ؟ فقال الله تعالى : الان شكرتنى يا داود » ، أى حين عرفت بالتقصير عن أداء شكر المنعم ، وقال الامام الشافعى رحمه الله : « **الحمد لله الذى لا يؤدى شكر نعمة من نعمه ألا بنعمة حادثة توجب على مؤديها شكره بها** » ، وقال القائل فى ذلك

لو كل جارحة منى لها لغة
تثنى عليك بما أوليت من حسن
لكان ما زاد شكرى اذا شكرت به
اليك أبلغ فى الاحسان والمنن

واذا كنا لا نستطيع أن نحصى نعم الله عدا فنحن نستطيع أن نذكر من بعض نعمه أكثرها فضلا وأجلاها أثرا ·

فنحن نملك نعمة هذا الدين القيم الذى رضيه لنا ربنا دينا حيث قال : « **ورضيت لكم الاسلام دينا** » · وقال : « **ان الدين عند الله الاسلام** » . وقال : « **وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** » · وقال : « **يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين** » ·

فهو الدين القيم الذى أوضح مناهج الخير ، وكشف للناس سبيل الرشاد ، ونظم المجتمع الانسانى على أكرم القواعد ، وأدق الاصول العمرانية ، التى تجمع بين العدل والرحمة ، والعلم والحكمة ، وطمأنينة النفوس وتعزيز الاخوة ، واعلان السلام فى ظل وارف من الهناءة والسعادة والنعيم ، « **والله**

وواجبنا نحوها

فضيلة الشيخ
محمد عبد المنعم اليونسى

يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » · « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » · وأنه لدين الحياة العزيزة الكريمة : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » · فغاية الدين ومهمة الرسل وما أنزل الله سبحانه من وحى وكتب ارشاد الحائرين ، وهداية الضالين ، واسعاد الاشقياء الغافلين ، والاخذ بيد الضعفاء والمستضعفين : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » ·

ولكن السعادة التى عمل لها الدين ليست فردية بمعنى أنه لا يصح أن يعمل الانسان لنفسه خاصة، ولا أن يسعى لمصلحته الشخصية دون نظر لغيره ، وعمل لاسرته ومجتمعه ، فالمسلم فرد من جماعة ، وواحد من أمة ، وعضو من جسم واحد ، والمسلمون جميعا أمة واحدة ، لا تقيم ميزانا لتلك الفوارق السياسية ، والحواجز الاقليمية التى فصلت بين قطر وقطر ، وأقامت الحواجز بين اقليم واقليم ، فأرض الاسلام كلها وطن واحد ، وأمتنا الاسلامية كلها أمة واحدة ، ينبغى أن تربط بين جميع أفرادها أواصر الدين ، فتتوحد الاهداف والمشاعر ، ويتحد الاحساس بالالام والامال ، وتتعاون الجهود الصادقة من أجل اعزاز الامة ، وتوطيد دعائم الحرية والامن والطمأنينة والسلام ·

ومن أجل النعم التى أكرم الله بها أمتنا الاسلامية الواحدة نعمة الاخوة والمحبة والالفة التى نسبها الله تعالى الى نفسه ، وجعلها من صنعته ، قال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم : « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم » · وامتن الله سبحانه على عباده بنعمة الاخوة فقال : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ·

ولما وصف الله تعالى الجنة ونعيمها ليرغبنا جل شأنه فى العمل من أجلها ذكر أن من أجل النعم التى يتمتع بها أهل الجنة المؤمنون صفاء القلوب والاخوة المتحابة ، قال تعالى : « ان المتقين فى جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين » ·

فالاخوة شعار المؤمنين فى الدنيا والاخرة ، ومن أجل ذلك كان أول ما قام به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة المكرمة الى المدينة المنورة أن عقد أواصر الاخوة بين المهاجرين والانصار ·

وقد أكثر النبى صلى الله عليه وسلم من الحث على الالفة والمحبة والاخوة ، فقال صلى الله عيه وسلم : « ان أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون » · وهذه الاخوة لها أثرها الطيب فى سلوك الفرد وحسن الصلة بجميع اخوانه فى السراء والضراء ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من عاد مريضا أو زار أخا له فى الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلا » ·

ومن خير النعم التى نملكها ، وينبغى أن نتذكرها ، وان نعيش لها ومن أجلها ، هذا الاثر العجيب الذى انطبعت به نفوسنا ، التى أشربت عقائد الاسلام القوية النفاذة المهيمنة من حب الجهاد وتمنى الاستشهاد ، واحتقار الدنيا بمتاعها الزائل ، ومظاهرها الفانية ، وزخرفها الزائف ، وخداعها الباطل ، وفتنتها التى لا تبقى ولا تدوم ، وايثار الاخرة بثوابها الجميل ، وظلها الظليل ، وبقائها الطويل ، « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » ·

ولن يكمل لمؤمن ايمانه حتى تكون هذه المشاعر جزءا من نفسه ، يتمثلها فى صبحه ومسائه ، ويحلم بها فى يقظته ومنامه ، وأنه ليس له من نفسه وماله نصيب الا بقدر ما يقدم من ذلك فى سبيل الله العلى الكبير : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » ·

فجهاد المؤمنين الصادقين هو التجارة الرابحة مع الله رب العالمين ، فيه عز الدنيا والاخرة ، يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم : تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات

تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين » .

وانما يكون الجهاد فى سبيل الله حقا اذا كان يراد به أن تكون كلمة الله هى العليا ، وأن تتوافر العزة للامة الاسلامية برد كل عدوان عليها ، وصد كل طماعية فيها ، ولا يتحقق هذا المعنى الا اذا خالطت بشاشة الايمان قلوب المؤمنين ، فأحبوا الله ورسوله فوق كل حب ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه ألا لله ، وان يكره أن يعود الى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .

واذا كان حب المؤمن لربه صادقا هان عليه حب كل من سواه وما سواه :

اذا صح منك الوصل فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب .

وما أروع قول الله تعالى وما أقوى تأثيره فى قلوب المؤمنين : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

لقد نسينا نعم الله علينا ، وخدعنا خصومنا عن كل هذه الثروة الضخمة التى فى أيدينا ، وأصغينا الى دعايتهم الباطلة ، ومدنيتهم الزائفة ، وشعاراتهم المضللة فباعدوا بيننا وبين الانتفاع بهذه النعم التى أنعم الله بها علينا : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون » .

ان عدونا يعمل دائما وبشتى الاساليب على اشاعة الفتنة بين أمتنا الواحدة ، واثارة عوامل الفرقة ، وايقاع العداوة والبغضاء بيننا ، واذا كانت الوحدة سلاحا بتارا ضد عدونا ، فالفرقة سلاح بتار لعدونا ضدنا .

الايمان والوحدة سلاحان فتاكان دونهما قوة الحديد والنار ، وأمامهما تتضاءل جهود أهل البغى والاستعمار ،

بهذين السلاحين انتصرنا عبر القرون الزاهرة ، وباء المعتدون بالفشل والهزيمة والخسران : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » .

الايمان يمنح القوة للمؤمنين ويوحد بينهم ، ويجمع كلمتهم وهدفهم ، لانه يجمعهم تحت لواء واحد ، «لااله ألا اله محمد رسول الله» . وانها لكلمة ما أن تنطق بها ألسنتنا أو تسمعها آذاننا حتى تفعل فعل السحر فى نفوسنا ، وتهتز لها أوتار قلوبنا ، وتدفعنا دفعا الى التجمع والتعاون من أجل خير أمتنا ، وتحقيق كل توجيه قرآنى نزل به الوحى على نبينا : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » . « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .

وهكذا أيد الله سبحانه أنبياءه ورسله والمؤمنين من عباده فى شتى مواقفهم من أعدائهم : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » . حتى فى أشد المحن وأقسى الاوقات : « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » .

ان المؤمنين اذا ذكروا نعم الله عليهم وقاموا بحق شكرها بحسن توجيهها نحو ما يرضى الله ربنا . وبحسن الانتفاع بها عاشوا سعداء فى ظلال العزة والرفاهية والامن والسلامة ، ولنذكر فى هذا المقام خطبة سيدنا عمر بن الخطاب القوية فى معناها مع ايجاز مبناها ، يقول :

الحمد لله الذى أعزنا بالاسلام ، وأكرمنا بالايمان ، ورحمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة ، وجمعنا به من الشتات ، وألف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا ، ومكن لنا فى البلاد ، وجعلنا به اخوانا متحابين ، فاحمدوا الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها ، والشكر عليها ، فان الله قد صدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم ، واياكم والعمل بالمعاصى وكفر النعمة ، فقلما كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا الى التوبة الا سلبوا عزهم ، وسلط عليهم عدوهم .

أيها الناس : ان الله قد أعز دعوة هذه الامة ، وجمع كلمتها ، وأظهر فلجها (أى فوزها) ، ونصرها وشرفها ، فاحمدوه عباد الله على نعمه : واشكروه على آلائه ، جعلنا الله واياكم من الشاكرين » .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

التقوى

مناط التكريم

الدكتور عزت على عطية

تحدثنا عن التقوى كوسيلة :

أما عن التقوى كغاية ، فقد تحدث القرآن في اسلوب واضح ، وبيان رصين . ان التقوى غاية يقصدها المسلم بالعبادة ، ويحاول الوصول اليها والدخول فى رحابها ، باستيفاء شروطها ، والقيام بحقوقها كما رسمها الدين ..

واسمى نتائج العبادة هى التقوى ، يقول تعالى :

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » البقرة .

والعبادات فى الاسلام متعددة متنوعة ، لكل منها مذاقها ، ولكل أثرها فى مجال تحصيل التقوى ، والاندراج فى المتقين ، ومن أبرز هذه العبادات : الصيام ، قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ولن يقبل العبد على العبادات ، ولن يؤديها على الطريق الصحيح للتوصل الى ما يقصد بها الا اذا كانت عبادته قائمة على أساس من الاتباع الصحيح ، ومن هنا كان الاتباع الصادق ، والاستجابة لما جاءت به الرسالات الالهية ركيزة هامة تؤدى الى التقوى ، وتوصل الى رحابها .. يقول تعالى مخاطبا بنى اسرائيل :

« واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » البقرة .

ويقول مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم :

« وأنذر به – أى بالقرآن – الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون » الانعام .

وكما يتمثل الاتباع فى العبادات ، والتسليم فيما لا يمكن ادراكه ، او الوصول الى كنه حقيقته ، فانه يتمثل فى اقامة العلاقات الدنيوية على أساس من الدين .

فاقامة الحدود التى شرعها الله حفظا لحياة الفرد وممتلكاته ، وحماية لنظام المجتمع وعلاقاته ، طريق واضح للوصول الى التقوى ، وتعميقها فى مشاعر الافراد : تؤثر فى سلوكهم ، وتسيرهم فى شتى الوان التصرفات ، يقول تعالى :

« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون » البقرة .

وليس العمل وحده هو السبيل الى التقوى ، وانما العمل وسيلة من الوسائل المهمة للوصول الى

التقوى ، والترقى فى مجالاتها ٠٠ وهناك وسائل أخرى لتحصيل التقوى لا تقل عن العمل أهمية ، بل قد تسوق الى العمل ، وتؤدى الى القيام به على أحسن الطرق وأجملها ، ومن هذه الوسائل : **التفكير فى** النفس وفى العالم ، فى البدء ، من أين « وفى النهاية ، الى أين « لينتهى التفكير الى التقوى ، وما تستتبعه من العمل الطيب بشتى ألوانه ، يقول تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » النساء ٠

هذا فيما يتصل بالبدء ، أما فيما يتصل بالنهاية فان الله سبحانه يقول : « يا أيها الناس اتقوا ربكم ان **زلزلة الساعة شىء عظيم** » الحج ٠
ويقول :

« **يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا** » لقمان ٠

وفى التعبير بالرب اشارة الى ألوان النعم التى أحاط الله بها عباده ، ووسائل التربية التى هيأها لهم للوصول الى طريق النجاة ، مما ينبغى تفهمه والشكر عليه ، ومحاولة التحقق بالتقوى بسببه ٠

ويبين الله سبحانه أن ألوان التبشير بالنعم كما تجذب الى التقوى وتبعث على تحصيلها ، فان ألوان التنفير من العذاب هى الاخرى تدفع الى التقوى ، وتسوق الى محاولة الوصول اليها ، ومن هنا يلتقى التبشير والتنفير على هدف واحد : هو الوصول بالمسلم الى مرتبة المتقين ، يقول تعالى فى وصف الخاسرين فى الاخرة :« **لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون** » الزمر ٠

فالتقوى هى سبيل النجاة من العذاب ، فضلا عما ينتج عنها من ألوان الثواب ، ٠ ونختتم الحديث عن التقوى كغاية بقول الله سبحانه :

« **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** » الانعام ٠

حيث جمع هذا التوجيه الالهى الكريم فى ثناياه كل ما يمكن أن يصرف عن التقوى وحذر منه ، وكل ما يمكن أن يدفع اليها ودعا اليه ، ويتلخص ذلك فى أن التقوى ــ حقيقة ــ هى : الاتباع ، وأن الانحراف عن الاتباع ــ مهما كان يسيرا ومهما كانت بواعثه ــ ابتعاد عما تقتضيه التقوى من أمور ٠٠
ومما يوضح المراد بهذه الاية ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

« خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : وهذه سبل ــ أى طرق ــ على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ، ثم تلا الاية السابقة » ٠. رواه أحمد وابن حبان وابن ماجة والدارمى ٠٠

لقد حددت الاية والحديث الذى يوضح معناها بتصوير محسوس طريق الاستقامة والحق ، طريق الله ، وبينا أنه طريق واحد ، واضح مستقيم ، لا عوج فيه ، وأطلقت طرق الضلال ووسائل الخروج عن الحق بلا حصر عدد معين ، ومما لا شك فيه ان كل انحراف الى طريق من طرق الضلا ل لابد له من سبب ، وكل خروج نحو مظهر من مظاهر الباطل لابد له من باعث ، ومع ذلك ، فمن الممكن ارجاع هذه الاسباب والبوعث **الى اساسين رئيسيين هما :**

١ ـ الزيادة فى الدين قولا أو فعلا او اعتقادا باثبات ما لم يذكره الله ورسوله من أمور الدين ٠

٢ ـ النقص منه بنفى بعض ما ذكر الله تعالى ورسوله ، أو اهماله بالتأويل الباطل والتمويه الكاذب ، أو ضرب بعضه ببعض والتوسل بذلك الى ترك ما يراد تركه منه ٠٠

وسواء أكانت الزيادة فى الدين اختراعا يخترعه مبطل ، او استحداثا يستحدثه مبتدع ، أم كانت من أباطيل الاولين ، يقحمها المقحم فى الدين اقحاما وينسبها اليه أوينسبه اليها ، سواء أكان هذا أم ذاك فان النتيجة واحدة هى الانحراف عن طريق الدين والبعد عن رحاب المتقين ٠٠

ان التقوى غاية تقصد بكل عمل خير : مادى أو معنوى ، عبادة لله ، أو سيرا فى الحياة على أساس من هداية الدين ٠٠

ولعل ما قدمناه ــ من الحديث ــ قد أعطى صورة واضحة عن التقوى ومكانة المتقين ، وأجاب على السؤال الذى يثيره الحكم على التقى بأنه الكريم ، وعلى الاتقى بأنه الاكرم ، ويجعل التقوى أساس التفاضل والتمييز ، وهو ما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم جوابا لمن سألوه عن أكرم الناس ، حيث قال : أتقاهم ٠٠

ولما كان هذا المعنى على درجة كبيرة من الوضوح ، أشار اليه القرآن الكريم ، وبينته السنة الشريفة ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ٠٠ فقال صلى الله عليه وسلم : فيوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبا الله ابن خليل الله ٠٠

لماذا يوسف بالذات ؟ ولماذا كان يوسف عليه السلام عنوان التقوى ، والنموذج الامثل للمتقين ؟
ذلك ما سنتحدث عنه فى مقال قادم ان شاء الله ٠٠

قطوف

الأستاذ على الجندى

ما يجب على المؤلفين :

يجب على مؤلف الكتاب ، والرسالة ثلاثة أشياء : وهى : البسملة والحمدلة والصلاة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويجوز له أربعة أشياء ، وهى : مدح الفن الذى ألف فيه ، وذكر الباعث على التأليف ، وتسمية الكتاب ، وبيان كيفية الكتاب من التبويب والتفصيل .

أما البسملة والحمدلة ، فاقتداء بالكتاب العزيز : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين .

وأما الصلاة على رسول الله فلان ذكره - صلى الله عليه وسلم - مقرون بذكره - تعالى - . ولقد قالوا فى قوله - سبحانه - : **ورفعنا لك ذكرك »** : أن معناه ذكرت حيثما ذكرت .

وفى رسالة للشافعى - رحمه الله - تعالى - عن مجاهد فى تفسير هذه الاية ، قال : لا أذكر الا ذكرت :

يعنى : أشهد ان لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

● ● ●

الرسول والنبى :

الرسول عرفه كثير من العلماء : بأنه من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه .

وهذا تعريف غير صحيح - كما يقول البدر العينى ! لانه يلزم على ذلك أن يخرج جماعة من الرسل عن كونهم رسلا ، كآدم ونوح وسليمان - عليهم السلام - فانهم رسل بلا خلاف ، ولم ينزل عليهم كتاب .

وقال صاحب البداية : الرسول : هو النبى الذى معه كتاب كموسى - عليه السلام - والنبى : هو الذى ينبىء عن الله - تعالى - وان لم يكن معه كتاب كيوشع عليه السلام - وتبعه على ذلك بعض المشايخ .

والتعريف الصحيح : أن الرسول : من نزل عليه كتاب ، أتى اليه ملك ، والنبى ، من يوفقه الله - تعالى - على الاحكام ، او يتبع رسولا آخر ، فكل رسول نبى من غير عكس .

والرسول : صفة مشبهة ، يستوى فيها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث مثل عدو ، وصديق ، ومنه

قوله ـ تعالى ـ : « انا رسول رب العالمين » ولم يقل : انا رسل بالجمع .

●●●

القول :

ما ينطق به اللسان ، تاما كان أو ناقصا . ويطلق على الكلام والكلم والكلمة .

ويطلق ـ مجازا ـ على الرأى والاعتقاد ، كقولك فلان يقول بقول أبى حنيفة ، ويذهب الى قول مالك : اى رأيهما .

ويستعمل فى غير النطق ، ومنه قوله ـ عز وجل : « **انما قولنا لشىء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون** »

والقول : مصدر ، تقول : قال قولا وقولة ومقالا ومقالة وقالا وقيلا .

ويقال : القال : الابتداء ، والقيل : الجواب .

والمقول ـ كمنبر : اللسان ، وهو القيل كميل ـ بلغة أهل اليمن .

وقلنا به : أى قتلناه .

العمل والفعل :

الفرق بين العمل والفعل ، قال الصاغانى : تركيب الفعل يدل على احداث شىء من العمل وغيره ، فالفعل أعم من العمل .

●●●

الدنيا :

بضم الدال على وزن فعلى ، مقصورة غير منونة فى الاغلب ، وحكى ابن قتيبة وغيره : كسر الدال . وتجمع على دنى ـ ككبرى وكبر ـ والنسبة اليها : دنيوى ، ودنيى ، ودنياوى .

وسميت دنيا ، لدنوها من الزوال ، قاله الجوهرى . وفى حقيقتها قولان للمتكلمين :

أحدهما : أنها ما على الارض ، من الهواء والجو .

وثانيهما : كل المخلوقات من الجواهر والاعراض ، الموجودة قبل الدار الاخرة .

قال النووى : وهو الاظهر .

●●●

منزلة النية !

ذكر ابن السمعانى فى « أماليه » ان قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **وانما لكل امرىء ما نوى** » بعد قوله : « **انما الاعمال بالنيات** » فيه دلالة على أن الاعمال الخارجة عن العبادة ، قد تفيد الثواب ، اذا نوى بها فاعلها القربة ، كالاكل والشرب اذا نوى بهما التقوية على الطاعة . وكالنوم اذا قصد به ترويح البدن للعبادة . وكالوطء اذا اراد به التعفف عن الفاحشة ، وتحصين زوجته ، وقد جاء فى الحديث : « **وفى بضع أحدكم صدقة** » .

البضع ـ كقفل : الجماع ، او الفرج نفسه ، والمهر والطلاق ، وعقد الزواج .

●●●

الصرورة

الصرورة ـ بوزن ضرورة ـ : الذى لم يحج .

وهذه الكلمة من النوادر ، التى وصف بها المذكر والمؤنث ، مثل ملولة وفروقه ـ بفتح الميم والفاء ـ .

ويقال أيضا : صرورى على النسبة ، وصارورة .

وانما سمى بذلك ، لصره على نفقته ، لانه لم يخرجها للحج .

والصر ـ بهذا المعنى ـ معروف للعامة .

أقسام المحبة :

أقسام المحبة ثلاثة :

محبة اجلال واعظام ، كمحبة الوالد ، ومحبة رحمة واشفاق ، كمحبة الولد ، ومحبة مشاكلة واستحسان ، كمحبة الناس بعضهم بعضا .

●●●

الرجز :

الرجز فى اللغة : العذاب ، وقد سمى الله ـ تعالى ـ : عبادة الاوثان ، وغيرها من انواع الكفر : رجزا ، لانه سبب العذاب ! قال ـ سبحانه ـ : « **والرجز فاهجر** » .

الرجز ـ بالكسر ـ فى قراءة الاكثر ، وقرأ حفص عن عاصم بضمها ، وهى الاوثان فى قول الاكثرين . وفى مسلم التصريح به ، وفى التفسير عن أبى سلمة التصريح به كذلك أى بالاوثان وقيل الرجز الشرك ، وقيل الذنب ، وقيل الظلم .

●●●

المكثرون من رواية الحديث :

قال الامام أحمد : ستة من الصحابة ، أكثروا

الرواية عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أبو هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعائشة ، وجابر ابن عبد الله ، وأنس .

وأبو هريرة أكثرهم حديثا .

وكان يقال لابن عباس : الحبر ، والبحر ، وترجمان القرآن .

وكان يقال لسعيد بن جبير ـ قتيل الحجاج ـ : جهيذ العلماء .

● ● ●

لا قيصر ولا كسرى !

جاء فى الحديث الشريف : « **اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده** » :

قال الشافعي فى المختصر : معناه : لا قيصر بعده بالشام ، ولا كسرى بعده بالعراق ! وسبب الحديث : أن قريشا كانت تأتى الشام والعراق كثيرا للتجارة فى الجاهلية .

فلما أسلموا ، خافوا انقطاع سفرهم اليهما ، لمخالفتهم أهل الشام والعراق بالاسلام ! فقال ـ عليه الصلاة والسلام : « **لا قيصر ولا كسرى** » : أى بعدهما فى هذين الاقليمين . ولا ضرر عليكم ، فلم يكن قيصر بعده بالشام ، ولا كسرى بعده بالعراق ، ولن يكون ! والحديث معجزة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ باهرة ، فقد تحقق قوله ، وهو اخبار عن الغيب ، لا يقوله الا واثق بقوله ! .

● ● ●

الدسكرة :

الدسكرة ـ بوزن قنطرة ـ بناء كالقصر ، حوله بيوت ، وهى بيوت الاعاجم ، والاسم غير عربى .

وفى « جامع القزاز » : الدسكرة : الارض المستوية .

وقال أبو بكر التبريزى : الدسكرة : مجتمع البساتين والرياض .

وقال ابن سيدة : الدسكرة : الصومعة ، وأنشد الاخطل ، أو يزيد بن معاوية وهو الاصح :

فى قباب حول دسكرة
حولها الزيتون قد ينعا

« ينع الثمر من باب ضرب ومنع ينعا ـ بفتح الياء وينعا وينوعا بضمها حان قطافة »

وفى « المغيث » لابى موسى : الدسكرة : بناء على صورة القصر ، فيها منازل وبيوت للخدم والحشم .

وفى « **الجامع** » الدسكرة : تكون للملوك تتنزه فيها ، والجمع : الدساكرة .

وقيل : الدساكر : بيوت الشراب .

● ● ●

حقيقة التقوى :

التقوى : الخشية ، قال ـ تعالى ـ : « **اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون** » يعنى : ألا تخشون الله ؟!

وحقيقة التقوى : أن يقى المرء نفسه من تعاطى ما تستحق به العقوبة ، من فعل أو ترك .

والتقوى والتقى ، واحد ، وأصله من الوقاية ، وهى فرط الصيانة ، ومنه المتقى ، اسم فاعل من وقاه الله فاتقى .

والتقوى تأتى فى القرآن الكريم على معان :

١ ـ **الايمان نحو قوله ـ تعالى ـ** : « **وألزمهم كلمة التقوى** » أى التوحيد .

٢ ـ **التوبة نحو قوله ـ تعالى ـ** : « **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا** » : أى تابوا .

٣ ـ **الطاعة نحو قوله ـ تعالى ـ** : « **أنه لا اله الا أنا فاتقون** » : أى فأطيعون .

٤ ـ **ترك المعصية نحو قوله ـ تعالى ـ** : « **وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله** » : أى ولا تعصوه .

٥ ـ **الاخلاص ، نحو قوله ـ تعالى ـ** : « **فانها من تقوى القلوب** » : أى من اخلاص القلوب .

● ● ●

لغة جيدة :

يخطىء بعض النقاد كلمة « استأهله »

والحق انها صحيحة ، جاء فى « القاموس المحيط » : استأهله : استوجبه ، لغة جيدة ، وانكار الجوهرى باطل .

وقد صرح الازهرى والزمخشرى ، وغيرهما من أئمة التحقيق ، بجودة هذه اللغة ، وتبعهم الصاغانى .

● ● ●

تأويل الاحاديث :

قال ابو اسحاق : بلغنى ـ وأنا أحدث ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « نهى عن اجتناب فم القربة ، والشرب منه » !

قال : فكنت أقول : ان لهذا الحديث لشأنا ! وما فى الشرب من فم قربة ، حتى يجىء فيها هذا النهى ؟! حتى قيل : ان رجلا شرب من فم قربة ، فوكعته حية فمات ! وأن الحيات تدخل فى أفواه القرب !

فعلمت أن كل شىء لا أعرف تأويله من الحديث ، أن له مذهبا وان جهلته !

السيرة في ضوء القرآن الكريم

الأستاذ محمد شديد

أن أبرز ما يلحظه المتأمل فى المراحل الاولى من العهد المكى وما نزل فيها من قرآن ، أن الذين تولوا أكبر مقاومة للدعوة والوقوف فى سبيلها وتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم وتعذيب المؤمنين ، هم زعماء قريش ، وقد كانت الزعامة فى المجتمع المكى تجمع بين الغنى والعصبية والسلطان الدينى والدنيوى ، فكانت جماهير العرب تسمع لهم وتطيعهم وتدين لهم بالولاء ، ومن هنا كان لموقفهم من الدعوة تأثير كبير ، حتى كاد الاسلام أن يتجمد داخل مكة لا يجاوزها الا قليلا .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدع بالحق الذى بعث به ، يتلو على الملا من قريش فى ناديهم ما ينزل عليه من قرآن ، ويصلى وحده فى بيت الله الحرام ، ويجتمع بالمؤمنين فى دار الارقم عند الصفا ، وبدأت الدعوة الفردية تؤتى ثمارها ، والاسلام يفشو وئيدا فى مكة .

وحسب ترتيب نزول سور القرآن الكريم ، فان سورة القلم هى السورة الثانية ، وان كان القول الراجح أنها لم تنزل جملة واحدة ، وأن مطلعها هو الذى نزل أولا ، ثم نزل باقى آياتها بعد ذلك ، ومهما كان الوقت الذى يفصل بين مطلعها وبقية آياتها ، فالواضح أنها من أوائل القرآن نزولا ، وأنها نزلت فى وقت مبكر من العهد المكى ، تصور مشهدا من مشاهد الدعوة الاولى ،

« فستبصر ويبصرون . بأيكم المفتون . ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون . ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم . ان كان ذا مال وبنين . اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين . سنسمه على الخرطوم » . (القلم) .

والايات كما ترى تتضمن حملة عنيفة قاصمة ، وتقصد زعيما من زعماء مكة لذاته ، لابد أنه كان معروفا فى زمن التنزيل بهذه الصفات أو ببعضها ، وقد قيل أنها نزلت فى الاخنس بن شريق ، وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة ، وكلاهما كان له دور فى حرب الرسول والدعوة ، والايات تدمغه بتسع صفات كلها ذميم ، وهى شاهد خالد على سوء خلقه وفساد نفسه وخلوها من الخير ، فهذا هو الطراز الذى يقف فى سبيل الدعوة ويصد عن سبيل الله ، فما يمكن أن يحارب الاسلام ويصر على حربه ويفخر فى عداوته الا أناس من هذا الطراز القبيح .

ولو أن هؤلاء الزعماء كانوا لا يؤمنون بصدق النبى صلى الله عليه وسلم لكان موقفهم مفهوما ، وكانوا يصدرون فى عدائهم للاسلام عن ايمان بما يعتقدون فى نظرهم أنه الحق ، ولكنهم كانوا يؤمنون بصدقه وأمانته ، ويؤمنون بأن القرآن من عند الله ، ولكنهم يخفون ذلك فى أنفسهم ويظهرون للناس خلافه ، حسدا وكبرا وخوفا على المكانة والسلطان .

وفى بعض ما رواه ابن هشام فى سيرته ما يعطى صورة لموقف هؤلاء الزعماء :

« ان أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من الليل فى بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعدوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لاوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا • حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا • حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك وتفرقوا •

« فلما أصبح الاخنس بن شريق أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ! اننا تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، اطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، واعطوا فأعطينا ، حتى اذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ، قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه » •

فهؤلاء وأمثالهم من كبراء مكة هم الذين يكذبون النبى صلى الله عليه وسلم ويقفون فى سبيل دعوته ويفتنون المؤمنين ويقولون عن القرآن الكريم انه قول البشر وانه أساطير الاولين !!

والايات تلهم أن مقاومة الدعوة كانت قد عنفت واشتدت ، وأن المكذبين كانوا قد كثروا ، وبالتالى أن الاسلام بدأ يفشو فى مكة وتتضح معالمه ويظهر خطره ، وأن زعماء قريش بدأوا فى مساومة النبى صلى الله عليه وسلم على دعوته ، وروايات السيرة حول هذه المساومات تدل على أن زعماءمكة كانوا يلجأون اليها كلما ضاقوا بالدعوة واحسوا باليأس من امكان الوقوف فى سبيلها • وهى روايات كثيرة لعلها استمرت فترة طويلة فى العهد المكى •

كان مشركو مكة يؤمنون بالله ، وأنه خالق السموات والارض ، كما روى عنهم القرآن ، ولكنهم مع ايمانهم بالله يشركون به الاصنام ، وكانوا يزعمون ان الملائكة بنات الله ، وان تلك الاصنام ان هى الا رموز للملائكة ، وهى تقربهم الى الله زلفى ، كما كانوا يزعمون أنهم على دين ابراهيم عليه السلام : ويرون أنهم أهدى من أهل الكتاب عقيدة وعبادة ، فأهل الكتاب يعبدون بشرا ، اما هم فقد عبدوا الملائكة ، والملائكة تقرب الى الله ، فظنوا انه من الممكن أن يلتقوا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى منتصف الطريق ، فيكف عن عيب أصنامهم وعبادتهم وتسفيه أحلامهم ، مقابل أن يسجدوا لالهه ، وبذلك يتم الوفاق بين الشرك والاسلام فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم فصل الخطاب :

« قل يا أيها الكافرون • **لا أعبد ما تعبدون • ولا أنتم عابدون ما أعبد • ولا أنا عابد ما عبدتم • ولا انتم عابدون ما اعبد ، لكم دينكم ولى دين** » •

فهى المفاضلة الكاملة القاطعة ، فما يمكن أن يلتقى الايمان والشرك فى طريق ، ولا يمكن أن يتفقا فى منهج ولا خلق ولا عبادة ولا تصور ولا سلوك •

ومن هذه المساومات ما رواه ابن هشام فى سيرته عن ابن اسحق قال :

« حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا ، قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده ، يامعشر قريش ، ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا •• فقالوا يا أبا الوليد قم اليه فكلمه ، فقام اليه عتبة حتى جلس اليه فقال : ياابن أخى ، انك منا حيث قد علمت ، من المنزلة فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به احلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها • قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل ياأبا الوليد أسمع ، قال ياابن أخى ، ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر ما لا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا •• حتى اذا فرغ عتبة قال له النبى : أقد فرغت ياأبا الوليد ؟ قال نعم • قال فاستمع منى ، وتلا عليه سورة فصلت ، فلما بلغ قوله تعالى « **فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** » • قام عتبة مذعورا فوضع يده على فم رسول الله وقال : أنشدك الله والرحم يا محمد ، مخافة أن يقع النذير »•

وعاد عتبة الى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورائى أنى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين الرجل وبين ماهو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ••• قالوا سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه • قال هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدالكم •

ولم يقبل النبى صلى الله عليه وسلم مساومة قط على دعوته ، ولم يعد أحد دعاه الى الاسلام بعرض من أعراض الحياة الدنيا ، بل انه كان يرفض الايمان المشروط مهما كانت ظروفه .

كان بنو شيبان من أقوى قبائل العرب ، فيهم ألف فارس ، وفى أحد مواسم الحج عرض على زعمائهم الاسلام وطلب منهم حمايته حتى يبلغ رسالة ربه ، فقالوا له اننا نجاور دولة الفرس ، ودينك الذى تدعو اليه تكرهه الملوك ، فان شئت أن نحميك من قبل قريش فعلنا ، أما الفرس فلا طاقة لنا بحربهم ، فرفض عرضهم وقال لهم : ان دين الله لا ينفعه الا من أحاطه من جميع نواحيه .

ومتى ؟ وهو محاصر مضيق عليه فى مكة فى قلة من أصحابه المستضعفين ! وفى بيعة العقبة الكبرى ، وهى البيعة التى تمت الهجرة الى المدينة على أساسها ، قال له الانصار : فما لنا ان نحن وفينا بشروطك ؟

فقال : الجنة .

قالوا : ربح البيع .. وبايعوا .

وفى سورة المدثر وهى السورة الرابعة حسب ترتيب النزول ورد مشهد آخر من مشاهد المكذبين ، قريب من مشهد سورة القلم ، وهو يتضمن تهديدا مرعبا لشخص بذاته من كبراء مكة المكذبين ، روى أنه الوليد بن المغيرة المخزومى ، مما يدل على أن القرآن الكريم قد تولى المعركة فعلا مع زعماء مكة الذين تولوا كبر مقاومة الدعوة والصد عن سبيل الله ، والذين يعتزون بأموالهم وسلطانهم وعصبيتهم ، فبدأ يدفعهم واحدا بعد الاخر ، والايات ترسم لهذا الزعيم صورة منكرة تثير السخرية :

« **ذرنى ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا . ومهدت له تمهيدا . ثم يطمع أن أزيد . كلا ، انه كان لاياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا . انه فكر وقدر . فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر . فقال ان هذا الا سحر يؤثر . ان هذا الا قول البشر** » . المدثر :

وروى الحافظ ابن كثير فى تفسيره عن السدى أنهم لما اجتمعوا فى دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فى القرآن قبل أن يقوم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه ، فقال قائلون شاعر ، وقال آخرون ساحر ، وقال آخرون كاهن ، وقال آخرون مجنون ، كل هذا والوليد بن المغيرة يفكر فيما يقولون فيه ، ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر ثم قال : ان هذا الا سحر يؤثر ، ان هذا الا قول البشر ، فنزلت فيه الايات :

وفى رواية اخرى أن الوليد لما سمع القرآن رق له وقال انه كلام الله ، فلما تناقل مشركو مكة كلامه ذهب اليه أبو جهل بن هشام وطلب منه أن يقول فى القرآن قولا تعلم فيه قريش أنه منكر وكاره له ، فقال الوليد ، فماذا أقول فيه ، فوالله ما منكم من رجل أعلم بالانكار منى،والله ان لقوله الذى يقوله لحلاوة ،وانه ليحطم ما تحته ، وانه ليعلو وما يعلى عليه . فقال له ابو جهل والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال فدعنى حتى أفكر فيه ، فلما فكر قال : انه سحر يؤثر ، ان هذا الا قول البشر فنزلت فيه الايات .

وروى ابن هشام فى سيرته عن ابن اسحق قال :

« ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم فقال لهم : يامعشر قريش ، انه قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا ، قالوا فأنت ياأبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول به .. قال بل انتم تقولوا اسمع .

قالوا : نقول كاهن ، قال لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه . قالوا : فنقول مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر . قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله : رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر . قال ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم . قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس ؟

قال والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لمغدق ، وأن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف انه باطل ، وان اقرب القول فيه لان تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر ، يفرق بين المرء وابيه ، وبين المرء واخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم احد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره .. فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة آيات سورة المدثر .

وكان أبو لهب : عبد العزى بن عبد المطلب وهو عم النبى صلى الله عليه وسلم من زعماء قريش ، يكيد للدعوة ويحاربها ، وكانت امرأته ام جميل : اروى بنت حرب أخت أبى سفيان عونه فى هذه الحرب الظالمة ، فأنزل الله تعالى فيهما :

« **تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ما له وما كسب سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد** » .

ويكاد يجمع رواة السيرة والمفسرون على أن سورة المسد هذه نزلت بعد أن قال أبو لهب للنبى صلى الله عليه وسلم ، « تبالك » ، ألهذا جمعتنا » وذلك بعد أن نزلت آية الشعراء « وانذر عشيرتك الاقربين » • فدعا النبى عشيرته ودعاهم الى الله فقال له أبو لهب تلك العبارة والمعروف إن آية سورة الشعراء نزلت بعد ثلاث سنوات من البعثة ، فى حين أن القول الراجح ان سورة المسد هى السورة الخامسة حسب ترتيب النزول ، ومن غير المعقول ان يكون نزولها قد تأخر ثلاث سنوات لما بعد آية سورة الشعراء ، مما يجعل قول الرواه والمفسرين فى سبب نزولها موضع نظر يدعو الى التوقف •

ويتفق معنا فى هذا الرأى الاستاذ محمد عزة دروزة فيقول فى كتابه سيرة الرسول ••

« ولقد ذكرت الروايات ان الصلات بين النبى صلى الله عليه وسلم وعمه ـ ابى لهب ـ قبل البعثة كانت حسنة ، وان بيتهما كانا متجاورين ، وان ابنتى النبى كانتا مخطوبتين لابنى عمه هذا ، وان ابا لهب وامرأته قد حملا ولديهما على فسخ الخطبة بعد قيام النبى بدعوته ، فالذى يرد على البال وينسجم مع تبكير نزول السورة ومضمونها ومع هذه الروايات ، هو أن النبى صلى الله عليه وسلم اتصل بعمه فى أول من اتصل بهم بعد نبوته ، ودعاه واهله فى أول من دعا ، بل لعله كان أول من اتصل به ودعاه بعد السيدة خديجه، فهو عمه وجار بيته وصهره ، ولعله كان يكثر التردد عليه وقد انعقدت بينهما مودة وعدم كلفة • ومن المعقول أن يفاتحه قبل كل انسان من غير اهل بيته ، وان يفضى اليه بأمره ويطلب منه التصديق والتأييد وهو واثق كل الثقة بمقابلته بالحسنى والاجابة والاستبشار ، وبأنه واجد فيه العضد القوى والسند المتين ، لا سيما انه كان طائل الثروة كما تصفه السورة ، ولكنه لم يلبث ان خاب امله فقوبل اسوأ مقابلة ، وكان من عمه وامرأته أشد موقف من الاذى والعناد والتعطيل وقطيعة الرحم • وعمومة ابى لهب للنبى صلى الله عليه وسلم مما تزيد فى أمر موقفه منه سوءا وشدة ، فموقف العم أوقع من موقف الغريب البعيد فى نفس النبى ، وتأثيره فى سير الدعوة وعرقلتها أقوى من موقف القريب البعيد كذلك فى الناس ، لانه يقوى حجتهم اذا هم انصرفوا عن اجابة الدعوة ووقفوا منها موقف المناوأة والعناد •

« ونعت امرأة ابى لهب بحمالة الحطب يلهم أنها كانت تزيد نار المعارضة لهيبا ، ولعل هذا يعنى انها أذكت روح العداوة فى زوجها كلما رأت منه جنوحا الى التروى والفتور ، بسبب ما كان يربطه بالنبى صلى الله عليه وسلم من روابط العصبية وتقاليدها ، وليس بعيدا ان يكون تأثيرها عاملا فى شذوذ هذا العم عن سائر أفراد عشيرة النبى صلى الله عليم وسلم الاقربين الذين كانوا ينصرونه ويحمونه اندفاعا أم بقوة العصبية بالرغم من أن أكثرهم أو بالاحرى جلهم لم يكونوا قد استجابوا لدعوته ، بل ظلوا كذلك امدا طويلا . واذا صحت رواية ان أم جميل هى اخت أبى سفيان ، ولم يرد مايشكك فى ذلك فيما اطلعنا عليه ، فلا يبعد أن يكون موقفها متأثرا بموقف اخيها الذى كان من أبرز الزعماء وذوى الشأن فى قريش ، والذى كان لعائلته المكانة البارزة وظل يناوىء الدعوة طوال العهد المكى واكثر العهد المدنى ، اى الى فتح مكة ، مناواة عنيفة ، ويقود أحيانا ويجهز احيانا الجيوش التى تشتبك مع المسلمين أو تغزو المدينة دار الهجرة النبوية •

وبناء على هذا التوجه الذى نرجو ان يكون وجيها ، يصح أن يقال ان سورة المسد تنطوى على الاشارة الى مشهد من مشاهد الخطوات المبكرة الاولى ، والى موقف أليم شديد غير منتظر من مواقفها ، وكان له أثر عظيم فى سيرها •

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتلو على الملا من قريش فى ناديهم ما ينزل عليه من قرآن فاذا تصورت مدى تقديس ذلك المجتمع للكلمة البليغة الى حد أن البيت من الشعر كان يقال فى قبيلة مدحا أو ذما ، فيرفعها بين سائر القبائل ، أو يهبط بها فما تزال تعير به عدة أجيال ، اذا تصورت هذا ادركت مدى ما كان يصنعه القرآن الكريم فى هذا المجتمع ، ومدى تأثيره فى النفوس ، ومدى أثر الحملة التى حملها على كبراء مكة ، كما ادركت مدى قوة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يواجه زعماء قريش بتلك القوارع والنذر •• وتصور سورة القلم مدى الضيق الذى كان يصيب اولئك الزعماء حين يتلو عليهم النبى صلى الله عليه وسلم القرآن :

وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون » •

ونتابع القرآن الكريم موجها لخطوات الدعوة ، يهاجم زعماء قريش ويرد عليهم ويثبت النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وقام قصص القرآن فى هذا المجال بدور عظيم ، سوف نعرض له فى بحث قادم ان شاء الله •

وتصور هؤلاء الزعماء للحياة وللوحى وللرسالة تصور خاطىء ، فهم يعتقدون أن ما هم فيه من أموال ومكانة وسلطان ، تجعلهم أولى من النبى صلى الله عليه وسلم بالنبوة ، فيتساءلون : لماذا لم ينزل القرآن على عظيم من عظماء مكة أو الطائف ؟ « **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** » • (الزخرف)

« البقية ص ٨٥ »

الصحبة في الله تعالى

الأستاذ حسن كامل الملطاوي

« اما الشوق ، فشوق يؤدى للجمع ، والجمع لايكون الا بالجمع ، والجمع جمع القلب على الله ، فاذا كان شوق فلا يكون الا لله ، فان تعدى لانسان فلا يكون الا بجمعه على الله ، فلا يكون شوق لانسان الا لمحبتــــه لله فهو بالله وفى الله والى الله » .

جاءت تلك السطور فى رسالة من رسالات سيدى وشيخى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه الى تلميذه الصديق المغفور له السيد/ سالم جمعة نور الله مرقده ، وهى تكشف لنا عن سر الشوق الذى يدفعه الله فى قلب المؤمن لاخيــه المؤمن ، ويرجعه سيدى الشيخ الى المحبة الخالصة فى الله التى تربط بين مؤمن ومؤمن برباط قوى هو رباط الاخوة فى الدين ثم الاخوة الخاصة فى الطريقــة والمشرب التى تقــوم بين اهل التصوف ثم الاخوة الاخص التى تكون بين المريدين وشيخهم فى الطريقة الواحدة .

والصحبة فى الله تعالى لها قدرها عند السادة الصوفية ، ويحب الواحد منهم لصاحبه مايحب لنفسه ويكره له ما يكره لها ، وهم يستندون فى ذلك الادب الى قوله تعالى [ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا] وهم يقولون ان الله تعالى أظهر شفقة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاحبه سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، لان الحــر شفيق على من يصحبه . وكذلك يستند الصوفية الى الحــديث الشريف الذى رواه انس بن مالك رضى الله عنه وقال فيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « متى القى أحبابى ؟ فقال أصحابه : بابينا انت وأمنا ، أولسنا أحبابك ؟ فقال : أنتم أصحابى ، أحبابى قوم لم يرونى ، وآمنوا بى ، وأنا اليهــم بالاشواق أكثر » .

والشيوخ العارفون تخلقوا بأخلاق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى محبة تابعيهم محبة خالصة لله ، وتلك المحبــة الخالصة تورثهم الشوق اليهم وهو شوق بالله وفى الله والى الله كما يقول سيدى الشيخ عبدالسلام رضى الله عنه لتلميذه وصاحبه .

والصحبة عندهم على ثلاثة أقسام : صحبة مع من فوقك ، وصحبة مع من دونك ، وصحبة الاكفاء والنظراء . فصحبة مــن فوقك تقتضى منك خدمته ، وصحبة من دونك تقتضى منك الشفقة والرحمة على التابع ، ويكون التابع ملزما بالوفاق والحرمة ، أما صحبة الاكفاء والنظراء فتقوم على الايثار والفتوة كما قامت الصحبة بين المهاجرين والانصار رضى الله عنهم ، فقد مدح الله سادتنا الانصار بالايثار فى قوله تعالى [والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] .

ويقول سيدى ذو النون المصرى رضى الله عنه : لا تصحب مع الله الا بالموافقة ، ولا مع الخلق الا بالمناصحة ، ولا مع النفس الا بالمخالفة ، ولامع الشيطان الا بالعداوة . فانظر كيف فرق فى المعاملة بين صحبة وصحبة ، فأعطى لربه حقه ، وللاخ فى الله حقه ، وخالف النفس والشيطان وحــذرنا من مجاراتهما فى الحظوظ والوساوس .

والسادة الصوفية يتمسكون بصحبة الشيخ العــارف الذى يربى المريد فى سلوك طريق الحى ، لان النفس البشرية أمارة بالسوء اى شديدة الامرة على صاحبها ، فلابد من الاســتعانة بالشيخ العارف فى ايقافها عند حد الشرع والتزامه ، ثم السير بها قدما فى معارج الكمال ومــدارج أهل اليقين التى يســلكها السابقون المقربون . ومهمة الشيخ مهمة دقيقة وشاقة ، لكنــه يؤديها حسبة لوجه الله ، لان الله تعالى يستعمله فيهــا ، ويخفف حملها عليه ، وان الله لمع المحسنين .

ولان الشيخ العارف يعالج أمراض النفوس وخفاياها ، فان منزلته تعظم فى نظر مريديه الصادقين الذين يلمســون أثره

البالغ اليهم ؟ حين يرون بانفسهم كيف كانوا قبل صحبته ؟ وكيف صاروا بعدها ، ولنستمع الى ما يقوله سيدى الامام القشيرى فى تعظيمه لشيخه الامام ابى على الدقاق رضى الله عنهما كما جاء فى الرسالة .

« ولم ادخل عليه انا فى وقت بدايتى الا صائما ، وكنت أغتسل قبله ، وكنت احضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب ، احتشاما منه ان ادخل عليه ، فاذا تجاسرت مرة ودخلت المدرسة كنت اذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى شبه خدر ، حتى لو غرزت فى ابرة مثلا لعلى كنت لا احس بها ، ثم اذا قعدت لواقعة وقعت لى لم احتج ان اسأله بلسانى عن المسألة ، فكما كنت اجلس كان يبتدىء بشرح واقعتى ، وغير مرة رايت منه هذا عيانا .

« وكنت افكر فى نفسى كثيرا انه لو بعث الله فى وقتى رسولا الى الخلق ، هل يمكننى ان ازيد من حشمته على قلبى فوق ما كان منه ، رحمه الله ، فكان لايتصور لى ان ذلك ممكن ، ولا اذكر انى فى طول اختلافى الى مجلسه ، ثم كونى معه بعد حصول الوصلة ، ان جرى فى قلبى او خطر ببالى عليه قط اعتراض ، الى ان خرج رحمه الله من الدنيا .

اقول ، ولا تستكثر على الشيوخ العارفين حساسية قلوبهم ، ونور بصائرهم ، فانه من فضل الله عليهم ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، وقد لمست بنفسى صدق ما يقوله الامام القشيرى ؛ مع شيخى وسيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى قدس الله سره ، فكثيرا ما كلمنى بخواطرى ، وكثيرا ما وجهنى لما بريد بقلبه دون أن يكلمنى لسانه ، وأذكر على سبيل المثال واقعتين من وقائع تفوق الحصر :

الواقعة الاولى ـ كان رضى الله عنه طريح الفراش بالمستشفى وكان يرقد على سرير مرفوع من جهة رأسه ، وعز على ان اراه غير مرتاح فى رقدته ، فداخلنى شعور تمنيت فيه ان يكون سيدى الشيخ عندى فى منزلى فأتولى بنفسى خدمته والقيام على راحته فى كل خدماته ، ولم اتكلم بشىء من ذلك مع احد ، ولما عدت لزيارته فى اليوم الثانى وسلمت عليه وقبلت يده بادرنى بقوله : انت لم تتركنى ليلة أمس مطلقا ، بل كنت معى وتقول لى : ليتك تأتينى بمنزلى وتاكل معى وتشرب معى واتولى بشخصى خدمتك ، وبين آن وآخر تقول لى ذلك . وسبحان من يؤتى اولياءه رحمة وعلما .

الواقعة الثانية ـ كان من عادتى أن أدعو مع الشيخ شخصا من تلاميذه ، رضى الله عنه ، اذا دعوت الشيخ لطعام عندى ، ليصحبه ويكون فى خدمته فى الذهاب والعودة ، لانه كان يسكن قريبا منه ، وكان ذلك الشخص يدعونى كذلك كلما دعا الشيخ الى طعامه ، وذات مرة دعوت سيدى الشيخ للطعام ووجدتنى مصروفا من دعوة ذلك الشخص ولم يكن وقع بينى وبينه شىء يصرفنى عن دعوته ، فدعوت غيره ممن يجاورون الشيخ فى السكن ، واردت أن أعرف سر انصرافى عن دعوة الشخص الاول ، ففاتحت الشيخ بانصرافى عن دعوته هذه المرة لغير سبب معروف بينى وبينه ـ ورجحت فى نفسى أن يكون الشيخ غير راغب فى صحبته ـ فقال لى سيدى الشيخ : خيرا صنعت ، انه يظن أنى بغيره لا استطيع الخروج ، وعندئذ تحقق لى ما شعرت به من أنه غير راغب فى صحبته ، فتعمدت رغبته الى قلبى دون أن يكلمنى لسانه . وهذا شأن الصادقين من الاولياء ، وحقا ما يقوله السادة الصوفية : اذا طلبت الله بالصدق اعطاك مرآة تبصر فيها كل شىء من عجائب الدنيا والاخرة .

ولهذا يجب ان يصحب المريدون شيخهم بالصدق والاخلاص والوفاء ، ويجب ان تستوى فى معاملتهم ظواهرهم وبواطنهم ؛ وقد قالوا : ان من مات شيخه وهو عنه راض لا تطرقه آفة :

ونفهم من ذلك ان من تغير عليه قلب شيخه لا تصح له ترقية ولا يصفو له حال ، وقد شاهدنا ذلك فعلا بالتجربة العملية .

وحسن الظن بالصالحين اولى واسلم ، فان لم تعتقدهم فلا تعترضهم لان لله غيرة على أوليائه ، وقد تضار اشد الضرر من اعتراضك عليهم او من ايذائهم ، والسعيد من احب أحباب الله ، ووالى أولياءه ، والشقى من عاداهم ، او احب اعداء الله . وحلية الاولياء فى بواطنهم وان كانوا بين الناس فى ظواهرهم ، ولذلك قالوا فى وصف الولى : جسمه بين الخلق يسعى وقلبه فى الملكوت يرعى . وقد جاء فى الحديث القدسى : من عادى لى وليا آذنته بالحرب .

ويحكى ان ابا الحسين الدراج قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد ، فلما دخلت « الرى » سألت عن منزله ، فكل من أسأل عنه يقول لى : ما تفعل بذلك الزنديق ، فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ، فبت تلك الليلة فى مسجد ، ثم قلت : جئت هذه البلدة ، فلا اقل من زيارته ، فلم ازل أسأل عنه حتى عرفت مسجده فرايته قاعدا فى المحراب ، وبين يديه رحل وعليه مصحف يقرأ فيه ، واذا هو شيخ بهى ، حسن الوجه واللحية ، فدنوت منه وسلمت عليه ، فرد السلام وقال : من اين ؟ فقلت من بغداد ، قصدت زيارة الشيخ ، فقال . لو ان فى بعض البلدان قال لك انسان : اقم عندى حتى اشترى لك دارا او جارية ، اكان يمنعك عن زيارتى ؟ فقلت : ياسيدى ما امتحننى الله بشىء من ذلك ، ولو كان ، لا ادرى كيف كنت أكون ؟

فقال : تحسن ان تقول شيئا ، فقلت : نعم ، وقلت :

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى
ولو كنت ذا حزم لهدمت ماتبنى

فأطبق المصحف ، ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه ، حتى رحمته من كثرة بكائه ، ثم قال لى : يابنى لا تلم اهل « الرى » على قولهم : يوسف ابن الحسين زنديق ، ومن وقت الصلاة اقرأ القرآن فلم تقطر من عينى قطرة ، وقد قامت على القيامة بهذا البيت . فانظر الى حيوية قلبه وكيف قامت عليه القيامة من بيت الشعر الذى جعله خطابا بينه وبين ربه ، وهو ما يدل على شدة خوفه منه [ولمن خاف مقام ربه جنتان] .

وجاء فى الرسالة القشيرية عن سيدى خير النساج قال : قص موسى بن عمران ، صلوات الله عليه ، على قوم قصة ، فزعق واحد منهم ، فانتهره موسى ، فاوحى الله تعالى اليه : ياموسى بطيبى فاحوا ، وبحبى باحوا ، وبوجدى صاحوا ، فلم تنكر على عبادى ؟ أقول ولولا أن الرجل كان صادقا وزعق مقهورا بوجدانه ما دافع الله تعالى عنه هذا الدفاع المجيد .

وتذكرنى تلك الحكاية بما وقع لجدى رحمه الله ، فقد رأى رجلا فى ساحة سيدى ابراهيم الشلقامى رضى الله عنه [ومشهده المبارك بقرية آبا الوقف ـ مغاغة ، المنيا] يتواجد ويرقص ، فانتقده جدى ، وقال فى نفسه : هل هذه ولاية ، رجل يرقص فى ساحة المولد كالمرأة الراقصة ؟ وعندما نام جدى رأى فى المنام ذلك الرجل يطارده ليفتك به وهو يهرب منه فى خوف ، فأدركه الرجل وأمسك به ، وهم بأن يطعنه بخنجر ، فاعترضه سيدى الشيخ القاياتى الكبير رضى الله عنه ، وكان جدى من مريديه فى الطريقة الخلوتية ، وقال له : هذا ابنى ، وحال بين الرجل وبين جدى ، فقام جدى من نومه مذعورا ، واستغفر ربه ، وسعى الى لقاء الرجل الصالح ليستسمحه ، فلما لقيه قال له جدى : سامحنى لوجه الله ، فقال له : لولا الشيخ القاياتى لادبتك ، مالك والرجل الذى يرقص كالمرأة ، وما الذى أتعبك فى رقصه ؟ فازداد اعتقاده فيه لانه كاشفه برؤياه ،

فالنع عليه أن يسامحه ارضاء لله وللرسول ، فقال له : أنا لا أسامحك حتى أرقص ويعجبك رقصى ، ورقص ، فلم يستطع جدى ان يعيبه ، وقال : دع الخلق للخالق ، وبسبب تلك الواقعة كان جدى لا ينتقد احدا من هؤلاء وكان يقول : الصادق لنفسه والكاذب عليها والله المحاسب . واعجب معى من حماية سيدى الشيخ القاياتى . لتلميذه وهى من رافة الشيوخ العارفين بأبنائهم فى طريق الحق وهو ما يدلنا على قوة الصلة الروحية وان تباعدت الاشباح .

كن بصيرا ولا تلم اهل سكر
بشراب التقى تصير الملوما

ويقول سيدى وشيخى الشيخ على عقل فى الهامه المرتجل الذى نقلناه عنه :

قد شربنا من حبه فسكرنا
وعرفنا من اين نأتى الجوارا
اعذرونا اذا نهيم فانا
فى ديار الهوى خلقنا اسارى
وترانا من حيث نشرب فى الكاس
سكارى ولم نكن بسكارى

وقد قالوا ان المريد يتواجد لطلب الحقيقة : والتواجد بمنزلة التباكى الذى جاء فى الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه « ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا » رواه الامام احمد ، ويدافع سيدى أبو مدين التلمسانى رضى الله عنه ، عن تواجد الصادقين فيقول :

فقل للذى ينهى عن الوجد اهله
اذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
اذا اهتزت الارواح شوقا الى اللقا
ترقصت الاشباح يا جاهل المعنى
اما تنظر الطير المقفص يافتى
اذا ذكر الاوطان حن الى المغنى
يفرج بالتغريد ما بفؤاده
فتضطرب الاعضاء فى الحس والمعنى
ويرقص فى الاقفاص شوقا الى اللقا
ويطرب ارباب العقول اذا غنى
كذلك ارواح المحبين يافتى
تهززها الاشواق للعالم الاسنى
اتلزمها بالصبر وهى مشوقة
وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى
فيا حادى العشاق قم واحد قائما
ودندن لنا باسم الحبيب وروحنا
وصن سرنا فى سكرنا عن حسودنا
وان انكرت عيناك شيئا فسامحنا
فانا اذا طبنا وطابت قلوبنا
وخامرنا خمر الغرام تهتكنا
فلا تلم السكران فى حال سكره
فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا
وسلم لنا فيما ادعيناه اننا
اذا غلبت اشواقنا ربما بحنا
شربنا طربنا ثم همنا صبابة
فبا لله ياخالى الحشا لا تعنفنا

وحكوا ان الامام ابا بكر الشبلى رضى الله عنه سمع قوالا ، فصاح وتواجد قاعدا ، فقيل له : يا ابا بكر ، مالك من بين الجماعة قاعدا ؟ فقام وتواجد وقال :

لى سكرتان وللندمان واحدة
شىء خصصت به من بينهم وحدى

ويتعرض لظاهرة التواجد سيدى الامام محمد أمين الكردى رضى الله عنه فى كتابه القيم « تنوير القلوب » فيقول :

« واما الوجد فهو وارد يرد على القلب من كشف اسرار الذات وأنوارها فيدهش الروح أو يظهر على الجوارح فيهتز الرأس ويشطح البدن ، وهو ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى [الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله] وقال [انما المؤمنون اذا ذكر الله وجلت قلوبهم] فان صاحب الخشوع القلبى والوجل بذكر الله تعالى قد يغيب عقله من احترام الناس واعتبار أهل المجلس ، فيقوم ويقعد ويدور ويتواجد وربما يسقط على الارض على حسب قوة استعداده لتحمل الواردات الالهية عليه ، فهو فى طاعة وعبادة من غير شبهة عند كل احد من اهل الاسلام والايمان ، ولا يجوز سوءالظن به [فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك فى ضلال مبين] ، وأضاف سيدى الامام الكردى يقول رضى الله عنه :

وفى بعض الاثار « جذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين » وذكر فى مسند الامام أحمد بن حنبل عن على كرم الله وجهه قال : « اتيت النبى صلى الله عليه وسلم انا وجعفر وزيد ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لزيد : انت مولاى ، فحجل ، فقال لجعفر : انت اشبهت خلقى وخلقى ، فحجل ، ثم قال لى : انت منى ، فحجلت » . والحجل هو رفع رجل ومشى على الاخرى وهومن نتائج التواجد ، وقد صح عن بعض الصحابة التواجد فلا يجوز سوء الظن بأهل التواجد لقوله تعالى [يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم] وسوء الظن بالمسلم حرام قطعا ، والتاويل واجب فى اقواله وافعاله .

واذا كان حسن الظن بالمسلم واجبا فهو اوجب فى حق الشيخ الذى يتربى على يديه المريد ، والشيخ وان لم يكن معصوما عصمة الانبياء فانه محفوظ حفظ الاولياء . وقد كان احد الشيوخ يظهر عطفه الخاص على احد مريديه الناشئين ، فنفس عليه من هم اقدم منه صلة بالشيخ ، فاراد الشيخ ان يبين لهم بتجربة اجراها معهم كيف يقدم ذلك الناشىء عليهم فى سلوكه ، فجاء الشيخ مرة تلاميذه ومعه امراة محجبة فى ملاءتها ، ومعها اناء زجاجى كبير مملوء بسائل احمر يشبه الخمر ، ومر الشيخ والسيدة من بين التلاميذ ودخلا غرفة مجاورة ، واغلق الشيخ باب الغرفة وغاب بعض الوقت ، ثم خرج وحده على تلاميذه ، فقال لهم : أصدقونى ولا تكتموا عنى خواطركم لاننا فى معرض التربية والتعليم والارشاد ، فسال القدامى واحدا واحدا عما دار فى قلوبهم فصارحوه بانهم أساءوا به الظن ، وقالوا : اما كان الاجدر بالشيخ ان يتوارى منهم فى المعصيتين : الزنا وشرب الخمر ، ثم سال ذلك الشاب الناشىء : وماذا دار فى نفسك ، فاجابه : لم اشغل نفسى بشىء من ذلك — لانى منذ عرفتك صحبتك لانتفع من حسناتك ، لانك اعرف بالطريق منى ، ولم اصحبك لاتتبع عوراتك وعندئذ نادى الشيخ السيدة التى كانت معه وامرها ان تكشف عن وجهها ، فاذا هى بنته التى يعرفونها ، وصب لهم من السائل الاحمر فوجدوه خلا لا خمرا ، واعطاهم بذلك درسا عمليا فى حسن الظن وضرورته لاهل الطريق مع مربيهم ، وبين لهم ثمرة حسن الظن فيما تحلى به ذلك الشاب الصالح الذى صحبه لينتفع من حسناته ، لا ليتتبع عوراته .

وليس معنى ذلك اننا لا ننكر على أهل المعاصى معاصيهم الظاهرة المخالفة للاوامر الشرعية اذا تحققنا أنها معصية حقا ولم نتسرع فى اعتبارها معصية وهى ليست كذلك بل لها وجه صحيح يسوغها شرعا ، وخاصة بين أهل الطاعات التاركين للمخالفات من اهل الحق والحقيقة المشتغلين بالله عما سواه ، وفى الحديث الشريف : « رب أشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره ، منهم البراء بن مالك » [وهو من الصحابة الاجلاء رضى الله عنه] . وفى الحديث الشريف ايضا « لا تحقرن صغير المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير »

وقد قيل للامام الجنيد : ان أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت ، فقال : لم يكن بعجيب أن تطير روحه اشتياقا . ولا تعجب من قول سيدى الامام الجنيد ، فقد حكى

[illegible] وهو يقول فى آخر نفسه :

خنين قلوب العارفين الى الذكر
وتذكارهم وقت المناجاة فى السر
اديرت كؤوس للمنايا عليهمو
فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذى السكر
همومهم جوالة بمعسكر
به اهل ود الله كالانجم الزهر
فاجسادهم فى الارض قتلى بحبه
وارواحهم فى الحجب نحو العلى تسرى
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم
وما عرجوا عن مس بؤس ولا ضر

والذاكرون يجمعهم ذكر الله تعالى على بساط محبته ، لتقوم بينهم الفة روحية يتحابون بها فى الله تعالى على صدق طوية ، وحسن ظن ، ووفاء صحبة ، فيشتاق بعضهم لبعض ، شوقا خالصا لله ، لا تدنس صفاءه علة دنية ، او غاية دنيوية ، لانه قام بالله وفى الله ، ومآله الى الله كما يقول سيدى الشيخ عبد السلام رضى الله عنه .

وقبل ان اختم المقال اود ان انبه ان الكملة من رجال الله يغالبون مواجيدهم ويثبتون امامها كالجبال الرواسى وليس من لوازمهم التواجد ، وقد كان سيدى الشيخ عبد السلام رضى الله عنه من هؤلاء الكملة الثابتين ، وما رأيته تواجد مع طول عشرتى له ، ولكنى كنت الحظ فيه مهابة تغشاه ، فنهابه ولا نكاد نتكلم امامه ؟ واحيانا كان يتجلى بالجمال بعد الجلال ؟ فيبتسم معنا ويضاحكنا ونتبسط معه فى وقار واحتشام . أما سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه فكان يغلب عليه البسط وتتوالى علينا ملحة المضحكة ، مع ثباته بين الجمال والجلال والذى يعبر عنه فى الهامه الارتجالى بقوله الرائع :

روض المحبة قد شهدت جماله
وجلاله فثبت فى احوالى
فاجعل هداك شريعتى وذريعتى
واجعل شهودك لى مسرة حالى
ان كنت تحسب ان فى المال الغنى
انا قد جعلت رضا المهيمن مالى
يارب قلبى قد غسلت من الورى
اذ ليس غيرك ما حييت ببالى

هذا وقد قيل للامام الجنيد رضى الله عنه : لماذا يتواجد تلاميذك وانت لا تتواجد ، فقال وما اروع ما قال :] وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب [.

وختاما اقول : ان كلام سيدى الشيخ عبد السلام الذى وجهه لتلميذه الراحل السيد/ سالم جمعه ، والوارد فى صدر المقال انما يدل على محبة الشيخ لذلك التلميذ الصالح المبارك الذى بارحنا الى الدار الاخرة ، فى اوائل رمضان من العام الفائت ، فالى روح وريحان وجنة نعيم ان شاء الله تعالى [والعاقبة للمتقين] .

بقية مقال « السيرة فى ضوء القرآن الكريم »

ذلك مبلغهم من العلم ، ظنوا أن العظمة مقرونة بالمال والجاه ، وأن الرسالة تتعلق بأعراض الحياة الدنيا ، ونسوا أن الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته ، وأنه تعالى يخلق ما يشاء ويختار ، وأن الرسالة لا علاقة لها بأعراض الحياة ، وأن العظمة التى يتصورونها عظمة زائفة ليس لها قيمة فى ميزان الله .

وبين القرآن الكريم للنبى صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين أن موقف هؤلاء الزعماء من الدعوة ليس جديدا ولا فريدا ، انما هو موقف مكرر ، فما أرسل رسول الا كذبه المترفون ، أصحاب المال والعصبية ، من امثال زعماء مكة ، فهم اعداء الدعوة التقليديون ، وهم الذين يتولون كبر مقاومتها فى كل زمان وفى كل قبيل : « **وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين** » . (سبأ) .

وقامت مشاهد الاخرة فى القرآن الكريم بدور كبير فى هذا المجال ، وهى تكشف عجز هؤلاء الزعماء أمام أتباعهم ، فتصورهم فى الجحيم فى صور كلها العجز والندم والهوان . « **وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا . ان لدينا أنكالا وجحيما . وطعاما ذا غصة وعذابا أليما** » (المزمل) .

« **واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد** » .

« **وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** » . (ابراهيم) .

« **ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين** » . (سبأ) .

وهذه المشاهد كثيرة جدا فى القرآن المكى ، وهى كما ترى تبعث الرعب وتشيع القلق فى نفوس الزعماء وتقلل من هيبتهم فى نفوس أتباعهم ، بل وتحرض أولئك الاتباع على مخالفتهم والخروج عليهم وعدم طاعتهم أو تقليدهم فيما هم فيه من كفر وعصيان .

ولا تقف هذه المشاهد عند هذا الحد ، فهى اعظم أثرا وأبعد دلالة ، اذ أنها مشاهد تربوية ، تروض المؤمنين على اتباع الحق وأن يدوروا مع الحق حيث دار ، والا يكونوا اتباعا لاعداء الحق فى اعتقاد او قول أو عمل ، والا فالجزاء هو كما يتوعد القرآن الكريم .

من أخلاق القرآن

الدفع بالحسنى

الدكتور أحمد الشرباصي

مادة « الدفع » فى اللغة العربية تدل فى الاصل على رد الشيء بقوة ، ويقال ، دفع فلان عن عرضه أو شرفه أو ماله ، اى حماه وصانه ، وصرف عنه الشر والاذى والله جل جلاله يدافع عن اوليائه ، اى يحميهم ويكفيهم شر اعدائهم ، وقد جاء فى سورة الحج ، « ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور » .

وقد جاءت مادة « الدفع » فى عدة آيات من الكتاب الحكيم ، ففى سورة آل عمران « **وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا** » وفى سورة البقرة : « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين** » وفى سورة الحج : « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز** » . وفى سورة الطور : « **ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع** » .

و « الحسنى » من مادة الحسن ، والحسن هو كون الشيء جميلا ومقبولا مرغوبا فيه ويكون فى الحسيات والمعنويات ، ويقال لكل من النعمة والخير والطاعة والمثوبة حسنة . والاحسن : افعل تفضيل من الحسن . والحسنى مؤنثة الاحسن ، اى الحالة الفضلى والطريقة الخيرة . واسماء الله الحسنى هى الاسماء البالغة فى الدلالة على العظمة ، وقد وردت مادة « الحسنى » فى القرآن المجيد فى جملة مواطن ففى سورة الاعراف : « **وتمت كلمة ربك الحسنى** » وفى سورة التوبة ، « **قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين** » وفى سورة يونس : « **للذين احسنوا الحسنى وزيادة** » وفى سورة الرعد : « **للذين استجابوا لربهم الحسنى** » . وفى سورة الانبياء : « **ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون** » وفى سورة الليل « **فاما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى** » .

والدفع بالحسنى ، أو بالتى هى أحسن ، فضيلة اسلامية جليلة يعرف قدرها وأثرها الاخيار من الناس ، والدفع بالحسنى خلق مجيد من أخلاق القرآن يحث صاحبه على أن يعامل الناس اطيب معاملة وأن يلقاهم احسن اللقاء ، وان يقابلهم بالجميل حتى ولو أساءوا فى بعض الاحيان ، وأن يحتمل منهم ما يبدر عنهم من هنوات قابلة للاحتمال .

وها هو ذا القرآن الكريم يتحدث عن هذه الفضيلة فيقول فى سورة المؤمنون : « **ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون** » ويتعرض شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى للحديث عن هذه الاية فيقول فيما يقول « يقول الله تعالى ذكره لنبيه : ادفع يا محمد بالخلة التى هى احسن ،

وذلك الاخفاء والصفح عن جهلة المشركين ، والصبر على أذاهم ، وذلك أمره اياه قبل أمره بحربهم . وعنى بالسيئة أذى المشركين اياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عندالله . يقول تعالى ذكره : اصبر على ما تلقى منهم فى ذات الله » .

ثم يضيف « نحن أعلم بما يصفون الله به ، وينحلونه من الاكاذيب والفرية عليه وبما يقولون فيك من السوء ، ونحن مجازوهم على جميع ذلك ، فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح القول » .

ويذكر ابن كثير ان الله تعالى يرشد نبيه صلى الله عليه وسلم الى الترياق النافع فى مخالطة الناس وهو الاحسان الى من يسىء اليه ، ليستجلب خاطره ، فتعود عداوته صداقة ، وبغضه محبة ، ولذلك قال : « ادفع بالتى هى احسن السيئة » .

ويتعرض النيسابورى فى « غرائب القرآن » لهذه الاية الكريمة فيقول : « أمره بالصفح عن سيئاتهم ومقابلتها بما يمكن من الاحسان ، حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان ، وبذل الاستطاعة فيه ، كان احسن ، لانها حسنة مضاعفة بازاء سيئة ، او نقول ، المكافأة حسنة ، ولكن العفو احسن » .

ويروى عن ابن عباس ان الحسنة المرادة هنا هى شهادة ان لا اله الا الله وان السيئة هى الشرك .

وعن مجاهد ان الحسنة هى أن يسلم عليه اذا لقيه . واذا كان هناك من قال ان هذه الاية منسوخة بآية السيف ، فان الاولى ان يقال انها محكمة ، لان المداراة مستحبة ، ما لم تؤد الى محذور . وقد يؤكد هذا قوله تعالى فى ختام الاية : « **نحن اعلم بما يصفون** » اى يفترونه عليك ، وهو اقدر على جزائهم ، فليفوض أمرهم الى الله ، وليدفع اذاهم بالكلام الجميل ، والسلام وبيان الادلة على أحسن الوجوه .

ويعود التنزيل المجيد الى الحث على فضيلة الدفع بالحسنى . وذلك فى سورة فصلت حيث يقول ، « **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم** » .

ويذكر ابن كثير ان هناك فرقا عظيما بين الحسنة والسيئة ، فهما لا تستويان ابدا ، واللائق بالمسلم أن يدفع بالتى هى احسن فمن اساء اليك فادفعه عنك بالاحسان اليه ، وهذا عمر الفاروق يقول لك : « ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله فيه » .

وانت اذا أحسنت الى من أساء اليك قادته تلك الحسنة الى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كانه صديق قريب اليك من الشفقة عليك والاحسان معك ، وهذه فضيلة لا يؤدي حقوقها الا من كان صاحب نصيب وافر من التوفيق والسعادة فى الدنيا والاخرة .

وفي موطن آخر يقول ابن كثير انه لا يلهم هذه الوصية ، او هذه الخصلة ، او هذه الصفة ، الا الذين صبروا على أذى الناس ، فعاملوهم بالجميل امام القبيح منهم . والصبر هنا يشمل الاحتمال والحلم والعفو وضبط النفس وقوة الارادة ، ولذلك يقول ابن عباس ، « امر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل ، والعفو عند الاساءة ، فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان ، وخضع لهم عدوهم كانه ولى حميم » .

ومما ينبغى تدبره والاعتبار به أن سورة فصلت بعد أن تورد الامر بالدفع بالتى هى أحسن تقول عقب ذلك مباشرة : « **واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم** » . وكأن السورة تريد ان تقول لنا أن الشيطان بنزغه واضلاله وافساده هو الذى يزين للانسان ان يدفع بالتى هى أسوأ ، والواجب على المسلم ان يحذر نزغ الشيطان ووسوسته ، حتى لا ينحرف عن سواء السبيل .

ولذلك نراه ايضا يقول فى سورة الاعراف : « **خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين : واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم** » .

وكذلك يقول فى سورة المؤمنون ؟ **ادفع بالتي هى احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون ، وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون** » .

ها نحن أولاء نرى فى المواطن الثلاثة ان القرآن الحكيم يحذر من نزغ الشيطان الذى يحرض الانسان على ان يدفع بالسيئة مع أن القرآن يوصيه أن يدفع بالتى هى أحسن .

وحسبب فضيلة « الدفع بالحسنى » شرفا وعلو مكانة وسمو منزلهان يحكم عليها أصدق القائلين بأنها فضيلة لا يتمرس باسبابها الا أهل الصبر على المكاره والثبات على المشاق والذين لهم نصيب كبير فى المبرات والمكارم ، فيقول بعد آية الدفع بالحسنى ، « **وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم** » .

وقد أمر القرآن المجيد بالدفع بالحسنى فى القول فجاء فى سورة البقرة : « **وقولوا للناس حسنا** »

وجاء فيها : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم » . وجاء في سورة الاسراء : « وقل لعبادى يقولوا التى هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا » . ولنتدبر كيف جاء هنا الحديث عن نزغ الشيطان وعداوته للانسان بعد الدعوة الى الدفع بالتى هى أحسن فى القول ، ولنربط ذلك بما سبق ان دللنا عليه من أن الشيطان هو الذى يحرض الانسان على الدفع بالتى هى أحسن » .

كما جاء فى سورة الفرقان : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » . وجاء فى سورة العنكبوت : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » .

واذا كان القرآن قد أباح للانسان ان يأخذ حقه فى معاقبة من اعتدى عليه ، فانه يضيف الى ذلك ان المقابلة بالحسنى خير وافضل ، فيقول فى سورة النحل : « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » . ويقول فى سورة الشورى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ، ولمن صبر وغفر أن ذلك لمن عزم الامور » .

ومع ادراكنا هذا ينبغى ان ندرك ان الدفع بالتى هى أحسن لا يليق عند الاعتداء على العقيدة ، او مع الخارجين على أمر الله بغيا وعدوانا ، او الخائنين للامة والوطن فهؤلاء المتمردون المتجبرون لابد من أخذهم أخذا وبيلا ، وعقابهم عقابا أليما ، والا ضاعت الحرمات وتهدم المجتمع .

ان الدفع بالحسنى لا يتعارض مع تاديب الفاسقين وكبح جماح المتجبرين ، ومقاومة العتاة الطاغين ، فانما يجمل الدفع بالحسنى مع الذين يصلح شأنهم بذلك الاسلوب واما الذين يتمردون ويتجبرون ويتجردون من دواعى الاستجابة لروح المعاملة بالحسنى ، فأولئك يستحقون الردع والقمع ، ومن هنا جاء قول الله العظيم لنبيه الرحيم : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين ، واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم وبئس المصير » .

ويجمل بنا أن نتذكر كلمة العربى الذى قال : « اللهم من ظلمنى مرة فاجزه ، ومن ظلمنى مرتين فأجزنى ولا تجزه ، ومن ظلمنى ثلاث مرات فأجزنى ولا تجزه » ويالها من كلمة ذات مدلول عميق .

واذا انتقلنا من مائدة القرآن الكريم الى روضة السنة المطهرة وجدنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة من الاحاديث الكريمة التى توجه الى الدفع بالحسنى فى شتى ميادين الحياة : فى القول والعمل فى السلوك والمعاملة ، ومنها هذه الرقائق السامية :

« من اقال مسلما عثرته اقال الله عثراته يوم القيامة » .

« اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

« لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه المسلم فوق ثلاث ليال : يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدا بالسلام » .

« من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت » .

ومن وراء روضة السنة تطالعنا هذه الكلمات الرقيقة المحببة فى فضيلة الدفع بالحسنى كتلك الكلمة النبيلة المنسوبة الى عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وفيها يقول : « ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك ، فتلك مكافاة ، وانما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك » .

وكقول سعيد بن العاص : « ما شاتمت احدا مذ صرت رجلا ، لانى لا اشاتم الا احد رجلين : اما كريما فانا احق أن احتمله او لئيما فانا اول من يرفع راسه عنه » .

ويمكننا أن نلقى نظرة الى طريقة الصوفية الخاصة بهم فى فهم « الدفع بالحسنى » فنقرا الاية الكريمة الواردة فى سورة المؤمنون « ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون » ثم نعود الى القشيرى لنجده فى تفسيره « لطائف الاشارات » يقول عن الاية :

« الهمزة فى (أحسن) يجوز الا تكون للمبالغة ، ويكون المعنى ، ادفع بالحسن السيئة وان تكون للمبالغة فتكون المكافاة جائزة ، والعفو عنها — فى الحسن أشده مبالغة .

ويقال : ادفع الجفاء بالوفاء ، وجرم أهل العصيان بحكم الاحسان .

ويقال : ادفع ما هو حظك اذا حصل ما هو حق لك .

ويقال : اسلك مسلك الكرم ، ولا تجنح الى طريق المكافأة .

ويقال : الاحسن ما أشار اليه القلب ، والسيئة ما تدعو اليه النفس .

ويقال : الاحسن ما كان باشارة الحقيقة ، والسيئة ما كان بوساوس الشيطان

ويقال : الاحسن نور الحقائق ، والسيئة ظلمة الخلائق » .

ونقرأ الايتين الواردتين فى سورة فصلت : « **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم** » ونعود الى « لطائف الاشارات » لنجد فيه هذه العبارة :

« قوله جل ذكره ، (**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن**) الاية : ادفع بالخصلة التى هى احسن السيئة ، يعنى بالعفو عن المكافأة ، وبالتجاوز والصفح عن الزلة ، وترك الانتصاف : (**فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم**) يشبه الولى الحميم ، ولم يصر وليا مخلصا ، وهذا من جملة حسن الادب فى الخدمة ، فى حق صحبتك مع الله ، تحلم مع عباده لاجله، ومن جملة حسن الخلق فى الصحبة مع الخلق الا تنتقم لنفسك، وان تعفو عن خصمك .

قوله جل ذكره : (**وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم**) لا يقوم بحق هذه الاخلاق الا من اكرم بتوفيق الصبر ، ورقى عن سفساف الشيم الى معالى الاخلاق ، ولا يصل احسن الدرجات الا من صبر على مقاساة الشدائد » .

وحين نجول فى روضة الادب العربى الذى نزل بلغته القرآن المجيد تلقانا فيها رياحين مزهرة وثمرات يانعة، تحببنا فى فضيلة الدفع بالحسنى فهذا شاعر يترجم عن نفسه العالية القادرة على الانتصاف والانتقام ولكنه يتحصن بحلمه ورزانته ، ويتجلى فيه التسامى على سفاهة السفهاء فيقول :

وجهل رددناه بفضل حلو منا
ولو أننا شئنا رددناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة
وعدنا على أهل السفاهة بالفضل

وهذا ثان يضرب مثلا رائعا فى الدفع بالتى هى احسن فيعطى قومه كل ما يستطيع ، ويضحى من أجلهم بكل ما يقدر عليه ، ويعطى ولا ينتظر ان يأخذ ويحسن ولا يتوقع المقابلة بالمثل فيقول :

وان الذى بينى وبين بنى أبى
وبين بنى عمى لمختلف جدا
اراهم الى نصرى بطاء ، وان هم
دعونى الى نصر أتيتهم شدا
وان ياكلوا لحمى وفرت لحومهم
وأن يهدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان زجروا طيرا بنحس تمر بى
زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
وان ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم
وان هم هووا غيى هويت لهم رشدا
ولا احمل الحقد الدفين عليهم
فليس كريم القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالى ان تتابع لى غنى
وان قل مالى لم أكلفهم رفدا

وهذا ثالث يعرف نفسه ، ويصون قدره ، ولا يقبل ان يكون مماثلا للعامة من الناس ، بل يسمو ويعلو ، معتصما بمكارم الاخلاق ، متباعدا عن سفاسف الامور منصفا لغيره من نفسه فيقول :

اذا كان دونى من بليت بجهله
أبيت لنفسى أن أقابل بالجهل
فان كنت أدنى منه فى العلم والحجا
عرفت له حق التقدم بالفضل
وان كان مثلى فى محل من النهى
أردت لنفسى أن أحل عن المثل

ما أنبل الانسان حين يقتدر على الانتصاف والانتقام ، ولكنه يترفع عن ذلك ، ويأبى الا أن يكون من الذين يدفعون السيئة بالحسنة ليكون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه . والله نصير الاخيار من الناس .

قوم نوح

الطوفان في التوراة والقرآن

الأستاذ محمود محمد عمارة

هناك هدف أصيل يتوخاه القرآن الكريم فى دعوته الناس الى الحق : يفهم من قوله سبحانه وتعالى :

« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم . ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالاخرة أعتدنا لهم عذابا اليما » .

« كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب »

فكل من تدبر القرآن بوعى كامل غير مشغول بزخارف الدنيا .. وتذكر بهذا التدبر عناصر الخير فى نفسه .. وفيما حوله .. توفرت له رؤية واضحة للكون والحياة .. رأى الحق حقا .. والباطل باطلا .. دون لبس أو خفاء .. وانتهى به مطافه الى الثبات على قيم الحق والخير .. بعيدا عن كل ما يحول دونها ..

وفى سبيل التمكين لهذه الغاية .. نرى القرآن الكريم يركز فى دعوته على كل ما يقرب الناس منها .. دون الدخول فى تفاصيل شكلية لا تعين على فهمها او الالتزام بها ..

ومن هنا .. نراه حين يتعرض لقصة الطوفان لا يصف أطوال السفينة وأبعادها .. وأشكالها .. مكتفيا بما يحقق غاية الدعوة ..

ولكن التوراة فى سردها لقصة نوح عليه السلام .. تفيض فى ذكر أبعاد السفينة وأوضاعها .. فى الوقت الذى تغض الطرف فيه عن هذا الصراع الدامى بين الحق والباطل .. تأييدا للاول وتفنيدا للثانى .. وهو الامر الذى فرضته عالمية القرآن التى تعرض الحقائق مجردة .. يتملاها الناس فى كل العصور ..

ومن تمام التدبر للقرآن الكريم أن نقف أمام التوراة فى عرضها للقصة ..

ثم نختم ذلك بآيات سورة هود .. التى انتهت بحديث الطوفان على نسق فريد .. تتحقق به رسالة القرآن .. وهدايته الى التى هى أقوم »

جاء فى التوراة »

« كان نوح ابن خمسمائة سنة . وولد نوح ساما وحاما ويافث » تكوين ص ٦ ».

و « كان فى الارض طغاة فى تلك الايام » ٦ .

« ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر فى الارض .. وأن كل تصور أفكار قلبه انما هو شر كل يوم » ٦ ».

وقطعا لدابر هذا الشر .. واختصارا لطغيان الانسان فى الارض :

« تكون أيامه - الانسان - مائة وعشرين سنة » ٦ .
وكان ذلك رحمة من الله سبحانه وتعالى ..
لكن التوراة ترد هذا الفساد الطاغي الى الجنس بكل مضاعفاته :

اذ « أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات . فاتخذوا لانفسهم نساء من كل ما اختاروا » تكوين ٦ .

وينفرد نوح عليه السلام بالصلاح الذى ينال به رضوان الله :

« واما نوح : فوجد نعمة فى عينى الرب » ٦ .
و « كان نوح رجلا بارا كاملا فى أجياله . وسار نوح مع الله وولد نوح ثلاثة بنين ساما . وحاما . ويافث .. وفسدت الارض أمام الله . وامتلات الارض ظلما .

ورأى الله الارض فاذا هى قد فسدت . أن كان كل بشر قد أفسد طريقه على الارض فقال الله لنوح :
نهاية كل بشر قد أتت أمامى . لان الارض امتلات ظلما منهم . فها أنا مهلكهم مع الارض . اصنع لنفسك فلكا » ٦

و « قال الرب :
« امحو عن وجه الارض الانسان الذى خلقته ، الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء . لانى حزنت أنى عملتهم » .
وبين يدى الطوفان يقول :

« فها انا آت بطوفان الماء على الارض لاهلك كل جسد فيه روح حيوة من تحت السماء .
كل ما فى الارض يموت . ولكن أقيم عهدى معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك . ومن كل حى من كل ذى جسد اثنين» .
« وقال الرب لنوح : ادخل أنت وجميع بيتك الى الفلك لانى اياك رأيت بارا لدى فى هذا الجيل » .
« ولما كان نوح ابن ست مئة سنة فصار طوفان الماء على الارض . فدخل نوح وبنوه وامرأته . ونساء بنيه معه الى الفلك من وجه مياه الطوفان » .

ويلاحظ أن التوراة فى سردها للقصة تحرص على تحديد الارقام المتعلقة بعمر نوح عليه السلام .. وعدد أبنائه .. ونسائهم .. وميقات الطوفان .. وعمر الانسان .

ثم انها تطوى العمر كله .. لتبرز حادث الطوفان فجأة .. دون اشارة الى الاحداث المتلاحقة على مدى عمره الطويل :

لقد أثبتت أن نوحا « سار مع الله » بينما « فسدت الارض » و « امتلات ظلما » .

واذا بها تقول عقب ذلك :
« اصنع لنفسك فلكا » .
وأين تبعات « البر » و « الكمال » وهما صفتا نوح عليه السلام ؟

أين مدلولهما الايجابى على مسرح الحوادث .. والذى يصور رسول الله مجاهدا مكافحا .. كل من لم يسر معه الى مرضاة الله ؟

ان شيوع الظلم على هذا النحو .. يؤكد وقوع صدام طويل .. ومعاناة فئة ضد تيار جارف يسير فى الاتجاه المعاكس فأين هى ملامحه ؟
بل ان الاله كما تصوره التوراة ليحزن آسفا لانه خلق الانسان .. وانه ليجعل من الطوفان عقابا لنوع خلقه .. ولم يكن يدرى ماذا سيكون غدا ؟ !

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ..

وليت شعرى .. هل يجد المجاهدون فى سبيل الحق عزاء وسلوى أمام هذا السرد الذى لا يثير الحماس .. اذ يكتفى بمعنى السلبية ازاء الظلم .. على نحو يصيب الاله ذاته كما صورته تلك العقول !

وهل يبقى الاله بعد ذلك متصفا بالعلم والحكمة .. بعد أن جرت الاحداث فلم يحط بها علم .. ولم تدبر سيرها حكمة ؟

أين حديث صراع دام الف سنة الا خمسين عاما فى سبيل ارساء دعائم الايمان ؟
لا تجد لذلك اشارة فى عبارة !
فى الوقت الذى تفيض فى كشف معالم السفينة طولا وعرضا وعمقا .. الى حد يبدو فيه حجمها سيد الموقف كله .. بينما تتوارى معان فى الكفاح والصبر .. ما أحوج الناس الى استيعابها ..

ولا يتعرض القرآن لمثل هذه الارقام .. واذا سجلها فى موضع فانما يجىء ذلك طبق خطته فى اعداد النفوس .. وربطها بالمثل الاعلى .. بما أنهم خلفاء لله فى أرضه .. خلافة تتقاضاهم مزيدا من التحمل من أجل تحقيق مضمون هذه الخلافة ..

فلم تكن سفينة نوح عليه السلام فى معرض الحديث عنه سبيلا الى التعريف بأصول النجارة مثلا !

لكنها رمز مادى لمعان ينبغى أن نغوص وراءها .. حتى نعثر عليها .. ثم نلتزم بها .. ونعيد الجهاد فى سبيلها كأجدادنا من قبل ..

وقد تعرض القرآن الكريم لعمر رسالة نوح عليه السلام فقال سبحانه فى سورة العنكبوت :

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون .

فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) .

فهل توافق القرآن والتوراة حين قالت ان نوحا عاش تسعمائة وخمسين سنة ؟

وهل كان تحديد الرقم تمسكا بأمر شكلى يخرج بالقرآن عن خطه المرسوم فى التركيز على المعانى الهادفة · دون التعرض للارقام ؟

وقد أجاب المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز عن السؤال الاول فبين أن هذا أحد المواطن التى اتفق عندها الكتابان ·· وذلك فى كتابه النبأ العظيم ص ٣٢ ·

وانك لتجد الصحيح المفيد من هذه الاخبار محررا فى القرآن · حتى الارقام طبق الارقام :

فترى مثلا فى قصة نوح عليه السلام فى القرآن أنه لبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما ، وفى سفر التكوين من التوراة انه عاش تسعمائة وخمسين سنة)

وفى رأيى : أنه لا توافق بين الكتابين هنا :

لان القرآن يحدد عمر الرسالة ·· بينما التوراة تتحدث عن عمر نوح ·· أى أنه عليه السلام ـ كما يفهم من الاية الكريمة ـ لبث فيهم بوصف كونه رسولا اليهم ·· هذا الزمان المتطاول ·· كما يفيد التعبير بألفاء فى « فلبث » بعد قوله سبحانه : « ولقد أرسلنا » ·

ثم قوله تعالى « فأخذهم الطوفان وهم ظالمون » دليل آخر على أن الحديث يدور حول الرسالة والجهاد فى سبيلها ·· ثم عناد القوم فى صدها ·· على نحو أفضى بهم الى الظلم الذى استحقوا به الطوفان ·

ولقد جاء التعبير « بالالف » وبأداة الاستثناء فى « الا خمسين » تأكيدا لطول المدة المقتضية لاعتبار الرسول وصحبه بها والتسلح بالصبر الجميل خلال عمرهم القصير الى جانب هذا العمر الطويل ·· الذى ملاه نوح وصحبه جهادا ومعاناة ·· فانت ترى القرآن حين يصوغ الارقام ·· انما يستهدف التمكين لمبادئه أن تجد الطريق الى نفوس الدعاة على مدار التاريخ ·· يقول ابن كثير :

(يزعم أهل الكتاب أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة كان عمره ستمائة سنة · وقدمنا عن ابن عباس مثله · وزاد :

وعاش بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة · وفى هذا القول نظر : ثم ان لم يمكن الجمع بينه وبين دلالة القرآن فهو خطأ محض ·

فان القرآن يقتضى أن نوحا مكث فى قومه بعد البعثة ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ·

فان كان ما ذكر محفوظا عن ابن عباس من أنه بعث وله أربعمائة سنة وثمانون سنة · وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة سنة) قصص القرآن لابن كثير ـ ١١٩ ·

واذا كان الطوفان نهاية مرحلة من الكفاح طال مداها ·· فانه يشير فى ذات الوقت الى حقيقة يذكرها الفخر الرازى حين يقول :

(ان الله لا يعذب على مجرد وقوع الظلم · والا لعذب من ظلم وتاب · فان الظلم وجد منه ·

وانما يعذب على الاصرار على الظلم فقوله : وهم ظالمون · يعنى أهلكهم وهم على ظلمهم ·

ولو كانوا تركوه لما أهلكهم) ·

وحين يذكر القرآن السفينة على أنها آية للعالمين ، فلم يكن ذلك من حيث طولها وعرضها وعمقها ··

بل انها دعوة الى الخلق ليسيروا فى الارض فينظروا كيف بدأ الخلق ·· كيف عاش الانسان حياته الاولى على ظهر الارض ·· استصحابا لدروس من هذا الماضى السحيق ·· يمكن أن تفيد فى المعركة الابدية بين الحق والباطل ·· فالانسان هو الانسان ·· بأفكاره وأشواقه ·· التى تنحرف كلما أبطرها الغنى ·· وتستقيم على الجادة فى ضوء الايمان بالله تعالى يقول الفخر الرازى :

قوله تعالى « **فانجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين** » ·

فى الراجع اليه الهاء فى قوله وجعلناها وجهان :

أحدهما : انها راجعة الى السفينة المذكورة ·

وعلى هذا ففى كونها آية وجوه :

أحدها : أنها اتخذت قبل ظهور الماء · ولولا أعلام الله نوحا وانباؤه اياه به لما استشغل بها فلا تحصل لهم النجاة ، ··

أى أن كونها آية يرجع الى ظهور عناية الله وتدبيره فى نجاح الخطة المرسومة ··

ويمكن أن يعود الضمير الى (الواقعة أو الى النجاة أى جعلنا الواقعة أو النجاة آية للعالمين) ·

يعنى درسا باقيا يتملاه الناس لينسجوا على منواله ··

ان الطوفان فى القرآن الكريم ·· ليس موجا متلاحقا دمر على قوم نوح وجودهم ·· وانتهت به المأساة ··

لكنه رمز باق لعقاب الحق سبحانه ·· ما زال قائما يترصد خطى الطغاة فى كل جيل وقبيل ··

وحين يجىء كعقاب رادع قاطع ·· فانما يكون ذلك بعد جهاد مرير فى الدعوة الى الله ·· وبعد أن يبلغ العناد قمته ··

واذا كانت سورة العنكبوت الانفة قد أجملت فى كلمات قصة هذا الصراع ·· وهذه النهاية ··

فان سورة هود قد تكفلت بتفصيل هذا الاجمال ·· على نحو ما سنذكر فى كلمة آتية ·· بعون الله ·

النصيحة

وعناية الأولين بها

فضيلة الشيخ عبد الحميد باسيع

قال تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وقال « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون » بهذا القول الحكيم يبين الله عز وجل مكان النصيحة من الدين ومدى أثرها فى نفوس المؤمن وما لها من قوة فى ارتباط القلوب وتوحيد الصفوف واتفاق الكلمة لذا أمر اللــــه نبيه بقوله « فذكر انمـــا أنت مذكر » وقوله « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » فقام الرسول وواجه العالم كله بالدعوة الى توحيد الله وكان صراعا عنيفا بين النبى وحده وبين العالم بأجمعه وواضح أنه لا حول للنبى وحده ولا قوة على تحويل العالم كله من عبادة الاوثان الى دعوة الحق والايمان اذ ما كان له جيوش مؤلفة ولا أساطيل مدمرة ولا طيارات على بلاد الاعداء غائره ولكن كان عنده شىء واحد فقط هو النصيحة الطيبة والموعظة الحسنة وتلك هى القوة الروحية التى وهبه الله اياها وكانت تظهر فى خطبه وتتجلى فى محاجته وكانت سلاحه الوحيد فى نشر الدعوة وقيام الدولة وأمر الله الامة بالنصيحة كذلك فيقول « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وجعلها من أخص أوصاف المؤمن كما هو واضح من الايات المتقدمة • بل جعلها الرسول الدين كله اذ يقول « الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم » وانماأمر الله بالنصيحة وحث عليها لما لها من الاثر الطيب فى غذاء الارواح المتهالكة وتوجيه النفوس الجـــامحة وعلاج القلوب الصلدة المتحجرة ممـــا يتواردها من الامراض الضارية كالحقد والحسد والاثرة وحب الذات لان القلوب كالاجسام وكما أن الجسم يمرض ويعالج كذلك القلب يمرض ويعالج وكما أن الجسم يجوع ويشـــبع كذلك الروح تجوع وتحتاج الى الغذاء وغذاؤها الموعظة الحسنة والنصيحة الطيبة واذا فقدت غذاءها ضعفت كالجسم ولعدم التغذية أو لسوء التغذية لم تقو الروح على مقاومة ما يتوارد على الانسان من العلل الاخلاقية ويتناوبه من أمراض نفسية وتعرضه لما يعانيه المجتمـــع من الانحطاط الدينى والاجتماعى فينطفىء بذلك فى الروح نورها الالهى ويفقد الانسان حياته الصحيحة ويتساوى مـــع الحيوانات السائمة،بل أضل لانه ينزل الى موارد الضلال والغى وينهمك فى معاقرة الملذات والشهوات فتنسج حجابا ظلمانيا على قلبه يمنعه من الانتفاع بما يرى أو يسمع كما قال تعالى « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » •

وهذا ما نشاهد مثله فى المجتمعات الاسلامية الان حيث غيروا وجهتهم فى الحياة وانحرفوا فى سلوكهم

عن مقتضيات دين الله واتخذوا وحى الهوى رائدهم ودعوة النفس ووسوسة الشيطان قائدهم فضلوا الطريق السوى وباتوا فى مهامة الحياة يتخبطون ولا سبيل لعلاج كل هذه الادواء الا بالموعظة الحسنة والنصيحة الطيبة المخلصة قال أحد الحكماء « **الموعظة موقظة القلوب من سنة الغفلة ، ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة ومحيية لها من موت الجهالة ومخرجة لها من ضيق الضلالة** » .

لهذا ولهذا وحده عنى الخلفاء الراشدون والولاة السابقون بالنصيحة ايما عناية كانوا يستنصحون العلماء ويبعثون فى طلبهم ويقربونهم فى مجالسهم ويطلبون عظتهم ويسترشدون بما يرشدون ويقفون عندما يأمرون وهذه بعض نصائح من العهود السابقة **– ورد أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحابه شىء فخطب فيهم فقال « عرضت على الجنة والنار فلم أر كاليوم فى الخير والشر . ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى ... الخ . فما أتى على أصحاب رسول الله يوم** أشد منه – غطوا رءوسهم ولهم خنين » أى بكاء وخيب – تلك منزلة النصيحة من نفوس المؤمنين الاولين فى الصدر الاول تملكهم الخوف ورهبهم الموقف فسال دموعهم وجلى حزنهم – **روى أن أحد العلماء جلس عند سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين اسمع منى أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك ودنياك وآخرتك – لا تعد أحدا عدة وأنت لا تريد انجازها – ولا يغرنك مرتقى سهل اذا كان المنحدر وعرا – وأعلم أن الاعمال جزاء فأحذر العواقب والدهر ثارات فكن على حذر .**

وروى أنه لما حج سليمان بن عبد الملك وزار المدينة بعث الى عالم فيها اسمه أبو حازم الاعرج فلما جاء قال له عظنى يا أبا حازم قال يا أمير المؤمنين :

ان هذا الامر « يعنى الخلافة » لم يصل اليك الا بموت من كان فيه قبلك وهو خارج منك بمثل ما صار اليك – ثم قال يا أمير المؤمنين – نزه ربك فى عظمته عن ان يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك » قال سليمان بن عبد الملك – يا أبا حازم مالك لا تأتينا « يعنى تزورنا » قال وما أصنع باتيانك ان أدنيتنى فتنتنى وان أقصيتنى أخزيتنى وليس عندى ما أخافك عليه ولا عندك ما أرجوك له » قال فارفع الينا حوائجك نقضيها لك – قال – قد رفعتها الى من هو أقدر منك عليها فما أعطانى منها قبلت وما منعنى منها رضيت **يقول الله تعالى « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » فمن ذا الذى يستطيع أن ينقص من كثير ما قسم الله أو يزيد فى قليل ما قسم الله فبكى** سليمان بن عبد الملك بكاء شديدا

هذه مرآة صافية تكشف لنا ما كان عليه الشعوب الاسلامية حكومات وأفرادا فى العهد الاول من عنايتهم بالوعظ والارشاد والتفافهم حول الوعاظ والمرشدين وانهم كانوا ينشدون دروس الوعظ انشاء ويحملون العلماء على اسدائهم النصيحة الغالية والحكمة البالغة ولقد كان موقف الناصح والمنصوح السابق موقفا عجبا كان شجاعة وعزة من الناصح وتواضعا واستجابة واهتماما من المنصوح .

فلم يرهب الناصح مركز المنصوح حتى يلن له النصيحة بل وعظه بما يرهبه ويغرس فيه الخوف من الله فكان شجاعا وكذلك لم يستجب له فيما طلب اليه من زيارته أو رفع حاجته اليه بل أبى كل هذا فى عزة وكرامة وما دفعه الى هذا وذاك الا عظمة الايمان وجلال اليقين وهذا هو مقام العالم يحمل الناس على احترامه وتكريمه والالتفاف به كما أن المنصوح لم يحمله مركزه – وهو أمير المؤمنين على الترفع عن الجلوس أمام العلماء وتلقى النصائح منهم فى رغبة واهتمام كما لم يحمله مركزه على التغيظ والحنق على هذا العالم لشدته فى النصح وخطابه معه خطاب الند للند بل كان المنصوح مثال المؤمن المثالى العليم باقدار الناس ويتلقى كل ما يلقى عليه فى أدب المتعلم وكان يطلب منه المزيد وما حمله على ذلك الا الايمان الذى ألقى فى روعه هذه الحكمة الغالية « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » وما استفاد السابقون من النصيحة الا بمثل هذه الاخلاق وبايمانهم بالله الذى يولد فى نفوسهم الثقة بالله والخوف منه واستحضار عظمته فيما يفعلون وما يدعون فان ذلك يفتح قلوبهم لتلقى النصيحة وأخذ نفوسهم بما سمعوا وتنفيذ ما به أمروا والانتهاء عما عنه نهوا وهنا تتجلى روح الاستقامة فى الفرد وفى المجتمع وتلك هى ثمرة النصيحة والفائدة المنشودة من الامر بالنصيحة حققها المؤمنون الاولون وجنوا ثمرتها حتى كانوا مضرب الامثال فى الاولين والاخرين **لذا فانى أهيب بالمؤمنين فى العصر الحاضر أن يكونوا خير خلف لخير سلف فينهجوا نهجهم ويلزموا سنتهم وسننهم ويحفظوا أمجادهم واذا رأى** أحدهم فى أخيه المؤمن انحرافا أو اهمالا فى أداء ما **فرض الله واقبالا على ما نهى الله يجب عليه أن ينصح أخاه ويرشده الى التزام الجادة وترك الانحراف كما يرشده الى أداء ما طلب الله منه ويرهبه من فعل ما نهى الله عنه مع استمرار هذه النصيحة الى هذا الاخ المنحرف حتى يعود الى حظيرة الاسلام والمسلمين** ففى هذا رقابة عامة من كل فرد على الاخرين وهذه الرقابة تبعث الخوف فى النفس والخوف يولد الحذر والبعد عن الاسباب الداعية الى الرقابة وفى هذا صرف للنفس عن المثالب واقلال لعوامل الفساد وتحطيم لدواعيه وهذه احدى ثمرات النصح والارشاد وفضلا عن هذا فانه يدعو الى الحياء والحياء خير كله والله ولى التوفيق .

من حياة الانبياء والرسل

هود عليه السلام

الأستاذ
ابراهيم الإبيارى

كانت الاحقاف منزل قوم عاد ، والى هذا يشير قوله تعالى (واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف) والاحقاف واد بين عمان ومهرة • وقيل : رمل فيما بين عمان الى حضرموت • وقيل : رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن • والشحر قريب من عدن •

وهذه الاقوال كلها ، وان اختلفت شيئا ، تجمع على أن الاحقاف باليمن ، ولا يشذ عنها الا قول يعزى الى الضحاك : انها جبل بالشام • وقول آخر يعزى الى مجاهد : انها أرض حسمى ، وهى أرض ببادية الشام فيها جبال شواهق •

وهذان القولان يدفعهما ما رواه أبو المنذر هشام بن محمد من حديث يعزى الى الاصبغ بن نباتة عن وفود رجل من حضرموت على على بن طالب وسؤال على اياه عن الاحقاف ، واجابه الحضرمى له أنها بأرض اليمن •

ثم يدفعه ما رواه المسعودى فى كتابه مروج الذهب ، وهو يذكر تفرق العرب : ثم سار بعده - أى بعد يعرب بن قحطان - عاد بن عوض بولده ومن تبعه فحل بالاحقاف وأدانى الرمل بين عمان وحضرموت •

وهذا الاختلاف الذى وقع بين المؤرخين والمفسرين حول الاحقاف وقع مثله حول ارم ذات العماد التى قال الله تعالى فيها (الم تر كيف فعل ربك بعاد • ارم ذات العماد • التى لم يخلق مثلها فى البلاد) الفجر • فمنهم من يقول : هى أرض واندثرت فهى لا تعرف • ومنهم من قال : هى الاسكندرية • وكثرة منهم تقول : هى دمشق . ويرى بعضهم انها باليمن بين حضرموت وصنعاء ، وانها من بناء شداد بن عاد • ويسهب صاحب معجم البلدان فى وصفها وصفا يفوت الخيال ويسوق قصة عن رجل كان فى أيام معاوية خرج فى بغاء ابل له ضلت فانتهى الى هذه المدينة • ثم يقول صاحب معجم البلدان : هذه القصة مما قدمنا البراءة من صحتها ، وظننا أنها من أخبار القصاص المنمقة وأوضاعها المزوقة •

والصحيح ، وهو ما عليه المفسرون : أن ارم هو أبو عاد ، وقيل: جده وهو مجمع عاد وثمود • وثمة عادان: عاد ارم وهو عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ، وعاد ثمود ، وهو عاد بن ارم بن ثمود ابن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام . وسمت عاد ذات العماد ، لانهم - أعنى قوم عاد ارم - كانوا أهل خيام وأعمدة • وقيل : العماد : الابنية الرفيعة ، تذكر وتؤنث ، قال عمرو بن كلثوم :

ونحن اذا عماد الحى خرت
على الاحفاض نمنع من يلينا

ومثلها ، أى مثل القبيلة ، وهو الصحيح ، كما قال ابن كثير •

فقوم عاد كانوا باليمن لا شك فى ذلك ، وكانوا بين تلك الاماكن المتقاربة من أرض اليمن . وعاد ارم هؤلاء هم الذين يقال لهم : عاد الاولى ، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (وانه أهلك عادا الاولى) النجم ، وهم الذين أهلكوا بريح صرصر عاتية ، وفى هذا يقول تعالى (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر) القمر ، ويقول تعالى (واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية) الحاقة •

ويذهب المسعودى فى كتابه المروج الى ان عاد الثانية هم المعنيون بقوله تعالى (الم تر كيف فعل ربك بعاد) •

ويقول القلقشندى فى كتابه نهاية الارب ، بعد أن تكلم عن عاد بن عوض : بنو عاد أيضا : بطن من عاد الاولى المقدم ذكرهم ، ويقال لهؤلاء : عاد الاخرى ، وسموا عادا باسم أبيهم الاول ، وهؤلاء بقوا بعد هلاك عاد بالريح .

ثم يقول : ومن المفسرين من يقول : ان الاولية فى وصف عاد باعتبار من تقدمها من الامم ، اشارة الى قدم هذه الامة ، وبقوا الكل عادا واحدة .

ويقول المســعودى فى كتابه مروج الذهب : ذكر جماعة من ذوى العناية بأخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح فى عاد الاولى التى بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ، ومصداق ذلك قوله عز وجل (**وأنه أهلك عادا الاولى**) فانه يدل على تقدمهم ، وأن هناك عادا ثانية .

●●●

ويقول القرطبى فى تفسيره : سماها الاولى لانهم كانوا من قبل ثمود . وقيل : ان ثمود من نسل عاد . وقال ابن زيد : قيل لها عاد الاولى ، لانها أول أمة أهلكت بعد نوح عليه السلام . وقال ابن اسحاق : هما عادان ، فالاولى أهلكت بالريح الصرصر ثم كانت الاخرى وأهلكت بالصيحة .

والى مثل هذا الرأى الاخير المنسوب لابن اسحاق والذى ساقه القرطبى يذهب ابن كثير ، فيقول عند تفسير قوله تعالى : **واذكر اخا عاد اذ انذر قومـه بالاحقاف**) فالظاهر أن عادا هذه هى عاد الاولى ، فان سياقها شبيه بسياق قوم هود ، وهم عاد الاولى ، ويحتمل أن يكون المذكورون فى هذه القصة هم عاد الثانية .

الى أن يـقول : ويدل عليـه الحديث المروى عن عائشة أنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا قط حتى أرى منه لهواته انما كان يبتسم . وقالت : كان اذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك فى وجهه . قالت : يا رسول الله ، الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك اذا رأيته عرف فى وجهك الكراهية . فقال : يا عائشة ، ما يؤمننى ان يكون فيه عذاب . قد عذب قوم نـوح بالريح . وقد رأى قوم العذاب فقالوا : هذا عارض ممطرنا .

الى أن يقول : فهذا الحديث كالصريح فى تغاير القصتين . فعلى هذا تكون القصة المذكورة فى سورة الاحقاف عن قوم عاد الثانية - يعنى الايات : ٢١ - ٢٦ وتكون بقية السياقات فى القرآن عن عاد الاولى والله أعلم بالصواب .

●●●

ونرى صاحب البدء والتاريخ يفرد حديثا بعاد الاخرى ، فيقول : ذكر ابن اسحاق عن أثر عاد الاولى وعاد الاخرى ولم يحكى كلامهم وانما ذكر حربا كانت بينهم ثم اصطلحوا .

ثم قال : وكان من حديثهم أن سالم بن هذيمة ، من بنى هذيمة بن لقيم ، سب لقمان بن عاد ، أحد بنى عمرو بن لقيم ، وهاج الشر بينهم ثم حكموا بينهم دوما الطسمى ، فأصلح بينهم .

الى أن يقول : وعاد الاولى قـوم هـود ، وعاد الاخرى قوم لقمان الجبار .

ويقول : وحكى عن عاد الاولى أنهم لما هاجت الريح قام نفر منهم فأدخلوا عيالهم شعبا من شعاب الجبل . ولما الحت عليهم الريح حفروا الارض وغاصوا فيها ، وكان للقوم قامات وأجسام .

ونرى غير واحد من المؤرخين كابن جرير الطبرى يذكرون مع هذا قصة يقولون فيها : ان اهل ذلك الزمان كان اذا حبس عنهم المطر يأتون مكة يعوذون بالبيت ليستقوا .

ويعقب ابن كثير فيقول : وقد يكون هذا السياق لاهلاك عاد الاخرة اذ لم تكن مكـة عمرت الا بعد ابراهيم الخليل حين اسكن فيها هاجر وابنه اسماعيل فنزلت جرهم عندهم وعاد الاولى قبل الخليل ويرى ابن كثير رأيا غير رأى صاحب البدء فى عاد الاولى وعاد الاخرى وهو يعرض لايات من سورة المؤمنون ، وذلك حيث يقول تعالى (**ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين**) المؤمنون : فيقول ابن كثير : هم قوم هود على الصحيح وزعم آخرون أنهم ثمود ، لقوله تعالى (**فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين**) المؤمنون . فقوم صالح هم الذين اهلكوا بالصيحة واما قوم هود فأهلكوا بريح صرصر عاتية .

ولعل هذه التفرقة واختصاص قوم صالح بالصيحة جاءت من التصريح بالصيحة فى الايات الكريمة التى عرضت لقوم صالح وهذا فى قوله تعالى (**وأخذ الذين ظلموا الصيحة**) هود : وقوله تعالى (**فأخذتهم الصيحة مصبحين**) الحجر . وقوله تعالى (**انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة**) القمر . وهذه الايات كلها صريحة فى قوم صالح .

ثم قال ابن كثير : وهذا الذى قالوه لا يمنع من اجتماع الصيحة والريح العاتية عليهم .

وقد نسلم ان الايات التى جاءت فى سورة المؤمنون عن قصة هؤلاء القوم الذين اهلكوا بالصيحة جاءت فى قوم صالح ، وهى الايات من ٣١ - ٤٢ ولكنا لا نستطيع أن نسلم مع ابن كثير ان تلك الايات من سورة الاحقاف ليست فى قوم هود فالحديث الذى أورده ابن كثير ليس نصا ، وتلك القصة لا يصح أن ينبنى عليها حكم اذ هى مقطوع ببطلانها ، هذا وآيات الاحقاف صريحة فى أن المرسل كان أخا عاد ولو كان المرسل الى قوم صالح لكان اخا ثمود .

ومن هنا نخلص الى انه كان ثمة قوم من نسل عاد وأنهم كانوا ينزلون الاحقاف حيث أشرنا وهم عاد قوم هود ، وعاد الاولى ، وعاد ارم ذات العماد ، ولقد أكثر المفسرون والمؤرخون والنسابون فى وصف هؤلاء القوم .

يقول صاحب البدء والتاريخ : وكانوا قوما قد أعطوا بسطة فى الخلق وقوة فى البطش نزلوا بهذا الرمل من عمان الى حضر موت وهى اذ ذاك اخصب بلاد الله وأمرعها .

الى أن يقول ثم نصبوا الاوثان يعبدونها ومما يذكر من أسمائها : صمود وصداء والهباء · واخذوا مع عبادة الاوثان فى ظلم الناس بفضل قوتهم ·

ويقول المسعودى فى كتابه مروج الذهب : ذكر جماعة من ذوى العناية بأخبار العالم ان الملك يؤثر من بعد نوح فى عاد الاولى التى بادت قبل سائر ممالك العرب ، واخبر الله عن ملكهم ونطق بشدة بطشهم وما بنوه من الابنية المشيدة التى تدعى على مر الدهور : العادية .

وعاد أول من ملك الارض من هذه الطائفة بعد أن أهلك الله عز وجل الكفار من قوم نوح ، وهؤلاء القوم كانوا فى هيآت النخل طولا ، وذلك لقوله تعالى (**وزادكم فى الخلق بسطة**) وكانوا فى اتصال الاعمار وطولها بحسب ذلك الطول وكانت نفوسهم قوية وأكبادهم غليظة ولم تكن فى الارض أمة هى أشد بطشا وأكثر آثارا وأقوى عقولا واكثر احلاما من قوم عاد ولم يكن الهلك يعرض فى أجسامهم لقوة آثار الطبيعة فيها · وما أوتوه من الزيادة الى تمام البنية وكمال الهيئة ·

الى أن يقول : وكان عاد رجلا جبارا عظيم الخلقة ، وكان يعبد القمر ، وذكروا انه رأى من صلبه اربعة آلاف ولد ، وانه تزوج ألف امرأة . ويقول : وذكر جماعة من الاخباريين ، ممن عنى بأخبار العرب : انعادا لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشييد الملك واستقامة الامر ، غمر باحسانه الناس وقرى الضيف ، فعاش ألف سنة ومائتى سنة ثم مات ·

ثم يقول فى موضع آخر ، وهو فى هذا الموضع يحدد اسم ملك عاد ، الذى كانت فى أيامه رسالة هود : وبغت عاد فى الارض وملكها الجلجان بن الوهم فكانوا يعبدون ثلاثة أصنام - وذكر الاصنام الثلاثة التى ذكرناها قبل - فبعث الله اليهم هودا ·

ولكنا لا ندرى مكان الجلجان هذا فى سلسلة النسب الممتدة من عاد ، وهل يبعد عن عاد كثيرا او قليلا ، فلسنا نجد بين أيدينا من يذكره غير المسعودى ولكن صاحب معجم البلدان (فى رسم أرم ذات العماد) يذكر ان ارم ذات العماد كانت مدينة عظيمة وان الذى بناها شداد بن عاد وانه كان طاغية وانه هو الذى ارسل اليه هود عليه السلام وانه دعاه الى الله تعالى وأمره بالايمان والاقرار بربوبية الله عز وجل ووحدانيته ، فتمادى فى الكفر والطغيان وذلك حين تم ملكه سبعمائة سنة فلم يرتدع عما كان عليه ولم يجب هودا الى ما دعاه اليه .

ولننظر فيما وصف الله تعالى به عادا فهذا الوصف اغنى وامس بالغرض يقول تعالى (**واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون**) الاعراف .

ففى هذه الاية الكريمة يذكرهم تعالى بما أنعم عليهم من تمام الخلق وكمال البنية وهذا يشير الى أنهم كانوا قوما أشداء ، والشدة تجر الى الطغيان والبغى والاعتداد بالنفس ويكاد المرء ينسى معها كل ما يذكره بأنه مسئول مؤاخذ!! .

ويؤيد هذا قوله تعالى (**أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون · واذا بطشتم بطشتم جبارين**) الشعراء · وقوله تعالى **فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة**) فصلت · ولعلنا نجد فى هذه الاية الثانية ما يبين لنا تلك البسطة فى الخلق التى ذكرت قبل فى آية الاعراف ثم يؤيد هذا أيضا قوله تعالى (**ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون**) الاحقاف . وفى هذه الاية توكيد لهذا الطغيان الذى يصحب القوة والبسطة فلا ينفع معه سمع يستمع الى الحق ، ولا بصر يقع على العظة ، ولا فؤاد يتدبر الرأى ·

هذا ما جاء فى القرآن الكريم من وصفهم ويكاد يكون ما ذكره المؤرخون والنسابون مستقى ما جاء فى كتاب الله ، يزيد عليه هذا التأويل فى الوصف ، وتلك الاشياء التى ابتدعوها عن نسل عاد وعن أزواجه ·

ولقد كان يعنينا مزيد عن الجلجان بن الوهم الذى عاصر هودا ولكنا نرى كتب التاريخ لا تذكر شيئا وحسبنا ما جاء فى القرآن الكريم ففيه ما يغنى عن قوم كفروا بآيات ربهم ونعمه وعصوا وبغوا وكان لابد لهم من رسول تؤيده السماء يأخذ بيدهم مما تردوا فيه ·

وكان الذى أبطرهم وأطغاهم فجعلهم لا يرعون لذى حق حقه هو فقدانهم ذلك الوازع الروحى الذى تنشىء الديانات السماوية النفوس عليه فقد بدل هؤلاء القوم ما ورثوه عن نوح عليه السلام ، وانصرفوا بوجوههم عن شرعة السماء ، وبقلوبهم عن خشية من اليه مصيرهم . فيجازى كلا بما فعل ان خيرا وان شرا ، وما بالك بقوم قد اتخذوا الاصنام آلهة ، وما نظن العاكفين على الاصنام على مدى الاجيال أحسوا بقدرتها الاحساس الصادق الذى يحسه مؤمن برب العالمين وما نظن الاصنام كانت يوما من الايام الا صورة من صور الوهم ، ونسجا من نسج الخيال ، يجد فيها العاكف عليها رمزا لقوة يفتقدها فيصورها او يتخيلها على ما يهم او يحدس من أجل هذا كان كثيرا ما يعدل هذا العاكف عن صورة الى صورة ومن أجل هذا كان يوزع عكوفه على صور مختلفة تمثلها أصنام مختلفة وكان هذا التصور او التخيل سرعان ما

يجمد فى نفسه فلا يجد فيه باعثا من بواعث الرغبة أو الرهبة فاذا الصنم بين يديه ملهاة للنفس عن عجزها عن الاهتداء الى الحقيقة وكم من نفوس حين انتهت الى هذا فزعت للبحث عن الحق فقاربت ان تبلغه واذا هى متهيئة لدعوات الرسل ، لان تلك الدعوات تصادف مكان العوز من تلك النفوس ، ثم كم من نفوس استطابت العجز وركنت اليه لا تحاول ان تحمل ما يشق عليها فوقفت بين أيدى الاصنام لا ترى انها مالكة لشىء ولكنها ترى أنها مالكة لها ، لانها من صنع تصورها وتخيلها فهى تحبها من أجل ذلك وتضفى عليها قدرات مزعومة من أجل ذلك ايضا وما أسرع ما يملك هؤلاء زمام العامة فاذ العامة ملك يمينهم ومن هنا يزداد تعلقهم بالاصنام ليزيدوا العامة تعلقا بهم ، وتصبح كلمتهم فيهم نافذة وما آمن هؤلاء بنفع الاصنام ولا ضرها ، كما قلت لك ، وما آمن العامة بشىء من هذا فيما ظن بل كان ايمانهم كله بكبريائهم يخافونهم على حياتهم وما ملكت أيمانهم .

هذه هى حياة عبدة الاصنام ، وكانت تلك حياة قوم عاد بعد أن تركوا دين الله الذى نزل به عليهم نوح ، الى عبادة الاصنام ، ولقد مر بك أسماء تلك الاصنام التى كانت لهم ، ولقد كنت أحب أن أجد لها صدا فى المراجع التى بين ايدينا تذكر لنا كيف كانت تلك الاصنام ، وعلى أية صورة صوروها ، ولكنى لم اظفر بشىء من هذا . وعلى أية حال فلقد كانت أصناما كتلك الاصنام ، على أشكال من وحى أصحابها ، وكذا كانت عبادة تلك الاصنام ، التى لم يؤمن العاكفون عليها بنفع أو ضر لها ، وهذا مما أفقدهم ذلك الوازع الدينى الرادع ، وكانت تلك البلبلة الاجتماعية ، وكان ذلك الغرور الذى يملك القوى ويطغيه فلا يرعى الله فيمن دونه ، والنفوس اذا طغت يعز عليها أن تلين ، فالطغيان يقسى النفوس ، ويصم الاذان ، وبه يخال المرء أنه فوق أن ينال باذى أو ضر ، فيمعن فى تسفيه الناصح ، ويشتط فى تهوين أمره ، والى هذه الحال انتهى قوم هود ، وفى هذا يقول تعالى على ألسنتهم (**ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء**) هود ، ويقول تعالى (**ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين**) المؤمنون .

وكلمة الاديان السماوية الموقظة الرادعة ، التى لا تملكها الديانات الارضية ، هى تلويحها بالاخرة بما فيها من حساب ، فالايمان بالاخرة هو ذروة الايمان ، اذ هو غاية فى الغيب ، والعقول أعصى ما تكون على التسليم بما هو غيب ، فما بالك بما هو مبعد فى الغيب ، غير أنه لابد للانسان فى وجوده الا يطلق العنان لانكاره ، مستسلما فى ذلك لجموحه الذى يأبى كل ما فيه قيد لانطلاقه ، ولابد له من أن يعمل تدبره فى كل ما يحيط به ويعرض له ، فهو ان أعمل ذلك التدبر مؤمن بان حياته بعيد من أن تمضى دون جزاء ، وأن هذا الجزاء بيد رب السماء ، لان اليه خلق الوجود ، ولا حكم غيره عدل يفصل بين عباده ، وهذا الجزاء فى صفحة الانسان كلها ، ولا يقع مجزأ ، اذرب حسنة تمحو سيئة ورب سيئة تمحو حسنة ، والمرء بما قدم فى دنياه جملة ، وذلك الحساب له يوم يجتمع فيه الناس جميعا بعد نهاية هذا الوجود ، وذلك الاجتماع له هو الاخر شأنه ، ففى لقاء الجاحدين بالمصدقين تتمة العظة .

لهذا كان لتلويح الاديان السماوية بالاخرة أثره فى حياة الناس فى دنياهم ، فمن رزق التدبر وآمن باليوم الاخر استوت الحياة بين يديه وامتلات صفحاتها جميعا بالخير ، ومن استجاب لجموحه وغرته دنياه بسلطانها وعزها مات فيه تدبره واستيقظ فيه هواه ، فأصبح لا يحكم على الامور الا عن هوى . وكذلك كانت عاد قوم هود انكروا الحياة الاخرة فاسترسلوا فى طغيانهم وفى هذا يقول تعالى على لسانهم (**أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين**) المؤمنون

هؤلاء هم عاد قوم هود ، قد عرفت أين حلوا من أرض الله ، وقد عرفت كيف جعلوا من اعزاز الله لهـ اذلالا للناس ، وقد عرفت كيف خرجوا عن طاعة اللـ الى اتخاذ أصنام ، وقد عرفت كيف عطل فيهـ جبروتهم تدبرهم فلم يؤمنوا برسولهم فسخروا منه وقد عرفت كيف انكروا الاخرة حتى لا يفزعوا انفسهـ بذلك الشىء المخوف . ولقد اشفقوا من تلك الدعوة از تزلزل سلطانهم ثم كان اكثر اشفاقهم ان يؤمنوا بآخر فيجرهم الايمان بها الى ترك ما هم فيه من صلـ وطيش ، والقرآن الكريم يصف ذلك كله فى اكثـ من سورة فى سورة الاعراف (٦٥ ـ ٧٢) وفى سور هود (٥٠ ـ ٦٠) وفى سورة الشعراء (١٢٣ ـ ١٤٠) وفى سورة فصلت (١٥ ـ ١٦) وفى سور الذاريات (٤١ ـ ٤٢) وفى سورة القمر (١٨ ـ ٢١) وفى سورة الحاقة (٦ ـ ٨) وفى سور الفجر (٦ ـ ٨) وكذا فى سورة المؤمنين (٣١ ـ ٤٢) وسورة الاحقاف (٢١ ـ ٢٦) ، وقد مر بك جاء فى هاتين السورتين الاخيرتين من خلاف .

ونحن نسوق هنا بعض الايات التى فيها شاهد على ما نقول ، يقول تعالى (والى عاد أخاهم هو قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم مفترون . يا قوم لا أسالكم عليه أجرا ان أجرى على الذى فطرنى أفلا تعقلون . ويا قوم استغفر ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين . قالوا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قو وما نحن لك بمؤمنين . ان نقول الا اعتراك بعـ آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا أنى بر مما تشركون . من دونه فكيدونى جميعا ثم

تنظرون • انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم ، فان تولوا فقد ابلغتكم ماارسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل شىء حفيظ) هود •

ولقد حدثتك عن عاد ولم أحدثك عن هـود عليـه السلام ، والقرآن الكريم يسميه أخا عاد فى موضعين اثنين ، فى هذه السورة أعنى سورة هود ، وفى سورة الاعراف اذ يقول تعالى (والى عاد أخاهم هودا) الاعراف

والمؤرخون والنسابون يختلفون فى نسبة هود الى عاد ، أهو أخوهم نسبا ؟ أم أخوهم ادعاء ؟

فمن الذين يقولون بـالرأى الاول صـاحب البدء والتاريخ ، يقول : وهو – يعنى هودا – من اوسطهم – يعنى عادا – حسبا وأفضلهم موضعا •• وهو هود ابن عبد الله بن رباح بن حاور بن عاد بن عوض بن ارم •

ويقول المسعودى فى كتابه مروج الذهب : وهو هود ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوض بن رام بن سام بن نوح •

ويقول القلقشندى فى كتابه نهاية الارب : وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد • ويقال : ابن باح بن حرب بن عاد • وبعضهم يقول : هود بن ماد •

ويقول صاحب معجم البلدان : هو هود بن خالد بن خلود بن العاص بن عمليق بن عاد بن ارم ابن سام ن نوح عليه السلام •

ثم يقول : وقال أبو المنذر : هو هود بن الخلود بن اد بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام .

ومن القائلين بالرأى الثانى : الحميرى فى كتابه وك حمير وأقيال اليمن ، يقول : هود بن عابر بن الخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بم متوشلخ أخنوخ بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن ث بن آدم •

وثمة نفر آخرون يوردون الرأيين ولا يعقبـون يهما ، منهم : الطبرى فى تاريخه حيث يقول : هود عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوض بن بن سام بن نوح • ثم يقول : ومن أهل الانساب من عم أن هودا هو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام نوح •

يقول ابن كثير فى تاريخه : هود بن شالخ بن خشذ بن سام بن نوح • ويقال : ان هودا هو عابر ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح • ويقال : هود ابن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح •

ويقول ابن قتيبة فى كتابه المعارف : هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح •

ثم يقول قال : وهب هو هود بن عاد بن عبد الله ابن رباح بن حارث بن عاد بن عوض بن ارم بن سام ابن نوح •

ويناقش ابن عبد البر هذا الذى قيل عن نسب هود فى كتابه الانباه على قبائل الرواه فيقول ، نقلا عن ابن الكلبى : قول الناس ان هودا هو عابر باطل ، لان هودا هو ابن عبد الله بن الجالود بن عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح • قال وهب بن منبه : وليس هو بأب لليمن ، لان اليمن من ولد قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح • قال وهب : وانما ادعت اليمن هودا أبا حين وقعت العصبية بين اليمن ومضر ، ففخرت مضر بأبيها اسماعيل ، فأدعت اليمن عند ذلك هودا واحتج وهب بقول الله تعالى (والى عاد أخاهم هودا) وقال : يعنى أخاهم فى النسب ، وانما اليمن من ولد أرفخشذ بن سام بن نـوح •

ولقد كان هود عليه السلام تاجرا ، يحكى ذلك صاحب كتاب المعارف وصاحب البدء والتاريخ ، وذلك قبل أن يرسل الى قومه ، ولم تكن أرض قومه الذين بعث اليهـم غير تلك الارض التـى تـمتد بين الدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمـان الى حضرموت ، كما أسلفنا وكانت تلك المناطق تروى بالامطار وعليها يعيش أهلها ، غير آبار يستعينون بمائها فى بعض شأنهم لم يدر بخلد قوم هود ان هذه الرياح التى تغشيهم محملة بالامطار أن لرب هود سلطانا عليها وجرهم طغيانهم حين أنذرهم هود الى ان ينكروا بأن الله قادر على أن يحبس عنهم تلك الرياح التى تسوق اليهم سحابا ممطرا ، وأنه قادر على أن يرسـل عليهم مع تلك الرياح صواعق تأتى عليهم .

ولقد أخذ هود يعظ قومه ويذكرهم بقدرة الله خالق كل شىء ، وأن أمر الوجود كله اليه ، وأن بيده تعالى سوق هذا المطر الذى عليه حياتهم ، فيقول تعالى على لسان هود (يرسل السماء عليكم مدرارا)

غير ان قوم هود لم يستجيبوا لنصح ، ولم يتدبروا قوله ، ولم يفطنوا لانذاره ، وسخروا منه ، فاذا ما أنذرهم به واقع وكان هلاكهم فيما شاموا فيه الخير لهم ، وفيما ظنوا أن لا سلطان لرب هود عليه ، فلقد كان هلاكهم بتلك الريح ، يقول تعالى (فارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أخزى وهم لاينصرون) فصلت •

ويقول تعالى (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابى ونذر) القمر .

ويقول تعالى (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية) الحاقة .

كان هذا مصير الذين كذبوا من قوم هود أما من آمن به فقد نجا ، يقول تعالى (فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) الاعراف .

وما أشبه ما كان لقوم هود بما كان لقوم نوح ، فلقد كان مع نوح قوم آمنوا به فنجوا معه فى السفينة ، وكان مع هود قوم آمنوا به ، وهؤلاء نجو من تلك الصواعق التى نزلت بالكافرين .

ولكن كيف نجا قوم وهلك قوم والارض تقلهم معا ، والرياح العاصفة تشملهم معا ، هنا كانت آية هود ومعجزته على قومه ، التى أنذرهم بها فلم يصدقوه شأن نوح مع قومه ، فلقد كان عماد قوم هود على السحب والامطار ، ومن كان على مثل حالهم كانت له خبرة بمواقع الغيث وتعرف السحب ممطرها وغير ممطرها ، ولقد كانت معجزة هود فيما لهم به علم وعندهم عنه خبرة وأن يؤتوا من هذه الناحية هو دليل من أدلة عجزهم أمام قدرة الخالق ، ثم ان يعلم هود ما ليس من بابته هو دليل على أن ما أنذرهم به كان من أخبار الله ووحيه ، فلقد كان هود - كما مر بك - تاجرا ولم يكن مثلهم زارعا يشاركهم النظر الى الغيث والسحاب ويعلم علمهم عن ذلك . وهكذا كانت معجزة هود على قومه فيما خبروه وحذقوه ، وبما لم يخبره هو ولم يحذقه ، شأنه فى ذلك شأن من سبقه من الانبياء كنوح عليه السلام ، وقد مر بك الحديث عن معجزته ، وشأن من لحقه من الانبياء ، فموسى عليه السلام ، حين أرسل أرسل لقوم يحذقون السحر ولم يكن له به علم ، وكعيسى عليه السلام ، حين أرسل ، أرسل الى قوم يحذقون الطب ولم يكن له به علم ، وكمحمد صلى الله عليه وسلم حين أرسل الى امة البيان فأتاهم بما كان فوق بيانهم .

وما من شك أن هودا أنذرهم بريح أو سحابة تحمل ما يسقيهم الموت لاما يسقيهم الماء ، ولكنهم كما انصرفوا عن الايمان به ولم يستمعوا اليه ، انصرفوا عن تصديقه فيما أنذرهم به ولم يصيخوا اليه ، ولو أنهم أقبلوا مع الاولى مؤمنين ما كانت الثانية ولو أنهم خافوا الثانية متدبرين ما وقعت بهم الصاعقة .

وما من شك أنهم كانوا قبل أن تظلهم تلك السحابة فى قحط ، فحين أظلتهم حسبوها ستمطرهم ما هم فى لهفة اليه ، وحسبوا أن الحياة تجرى على ما عودتهم : قحط ثم خصب ، وتطلعوا الى هود كالمستهزئين ، فيما يحكى تعالى عنهم (هذا عارض ممطرنا) ويقول لهم هود فيما يحكى ربه عنه ، وكأنه يحذرهم (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) ولقد كان علم نوح هذا بأن ذلك العارض فيه عذاب أليم هو تلك المعجزة التى حققت انذاره لقومه ، ولكن قوم هود أبوا الا ان يسوقوا أنفسهم الى الهلاك سوقا ، ولو أنهم صدقوا به لنجوا مع من نجوا معه .

ويقول صاحب البدء والتاريخ نقلا عن كتاب أبى حذيفة : ان هودا عليه السلام عاش أربعمائة وأربعين سنة . ويقول : وزعم وهب أن عادا لما أهلكت لحق هو بمكة حتى مات .

ثم يقول نقلا عن ابن اسحاق أن قبر هود بحضرموت

ويقول ابن كثير : ان قبر نوح ببلاد اليمن . وذكر آخرون أنه بدمشق ، وبجامعها مكان فى حائطه القبلى يزعم بعض الناس أنه قبر هود عليه السلام .

وفى قصة الحضرمى التى نقلها الاصبغ بن نباتة ، والتى أشرت اليها قبل عند الكلام على الاحقاف ، تتمة تتصل بقبر هود عليه السلام ، ففيها يقول الحضرمى حين سأله على بن أبى طالب : أتعرف موضع الاحقاف ؟ فقال الحضرمى : كأنك تسأل عن قبر هود ؟ قال : نعم . قال الحضرمى : خرجت وأنا غلام فى أغيلمة من الحى نريد أن نأتى قبره لبعد صيته فسرنا فى وادى الاحقاف أياما ، وفينا من قد عرف الموضع حتى انتهينا الى كثيب أحمر فيه كهوف فانتهى بنا ذلك الرجل الى كهف منها فدخلناه فأمعنا فيه ، فانتهينا الى حجرين قد أطبق أحدهما فوق الاخر ، وفيه خلل يدخل منه الرجل النحيف متجانفا ، فرأيت رجلا على سرير ، شديد الادمة ، كث اللحية ، قد يبس على سريره ، واذا لمست شيئا من جسده وجدته صلبا ، وعند رأسه كتاب بالعربية : أنا هود النبى الذى آمنت بالله وأسفت على عاد لكفرها ، وما كان لامر الله من مرد .

وكل ما يعنينا من تلك القصة هو ذلك الدليل الذى نجده فيها من أن قبر هود باليمن ، ثم ليس هناك م يبرر انتقال هود الى مكة ، فلم يكن وحده الذى نجا بل كان معه مؤمنون به ، لا ندرى كم كانت عدتهم ، وأكبر الظن أنهم كانوا كثرة ، ثم لقد كانت فى عمر هو بقية : وما نظنها قليلة ، فلقد عمر هود طويلا ، كما قال صاحب البدء والتاريخ ، ثم ما نظن أن رسالة هو انقطعت بهلاك الذين كفروا ، بل كان على هود أ يمضى فى هدى قومه ، أعنى الذين بقوا معه بعد هلا الكافرين .

وبعد فلقد اختص القرآن الكريم وحده بذكر هودا لم تذكره التوراة ، ولقد جاءت تلك النقول التى امتلا بها كتب التاريخ وغيره تصدق القرآن ، وما نظن شي مما سبق فى كتب التاريخ انتهى الى علم محمد فيما عنه ، حاشا لله ، فأسلوب القرآن شىء وما جاء غيره شىء آخر . تلك آية نضمها الى آيات كثيرة اعجاز القرآن وصدق الرسول صلى الله عليه وس فيما بلغ عن ربه علها تنفع المتدبرين .

أصول العقائد الإسلامية فى سورة

يس

فضيلة الشيخ
عبد الرازق عبد اللطيف الخضيري

سأعرض – بعون الله – فى ايجاز أصول العقائد سلامية فى هذه السورة الكريمة • وهى : وحيد ، والرسالة ، والبعث ، فان الايمان بالله ، ا أرسل من رسل ، وما أنزل من كتب ، والايمان بعث والحساب كان أهم ما عنيت به السورة ية ، ذلك أن الايمان اذا استقر فى النفس انطلقت جوارح الى فعل الخير : ورحم الله من يقول :

واذا حلت الهداية قلبا
نشطت فى العبادة الاعضاء

فالايمان فى النفس كمحطة لتوليد الكهرباء اذا ت على أسس سليمة سهل توصيل الاسلاك الى كل ء من أجزاء المدينة حتى يعمها النور والضياء •

وقد بدأت السورة الكريمة باثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم – اذ كان كثير من العرب عون برسالات موسى ، وعيسى ، وابراهيم ، رهم من الرسل – عليهم السلام – فلا ينكرونها بل ون : ما حكى الله عنهم فى آخر « سورة فاطر » التى قبل هذه السورة : « **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم، فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا ● استكبارا فى الارض ومكر السيىء** » فأثبتت السورة رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم بالقسم والبرهان « **يس ● والقرآن الحكيم ● انك لمن المرسلين ● على صراط مستقيم** » أما القسم فبين ، وأما البرهان فهو القرآن الحكيم ، معجزة الاسلام الخالدة ، فكأن الله يقول : أقسم بهذا القرآن المحكم فى مبانيه ، ومعانيه الذى عجز العرب عن الاتيان بسورة مثله « **انك لمن المرسلين** ! وانك لتدعو الى طريق واضح لا عوج فيه يوصل الى سعادة الدنيا والاخرة • هو دين الاسلام ، وقد أفادت السورة تعظيم القرآن حين أقسم الله به ، ولا نقسم الا بما نجله ونعظمه ، وحين وصفته بالاحكام ، ثم عظمته من ناحية أخرى حين وصفته بأنه تنزيل من اتصف بالعزة فلا يغلبه شىء وبالرحمة بالعباد ، وهذا الكتاب من مظاهر رحمته « **تنزيل العزيز الرحيم** »وهذا مصداق قوله تعالى : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » ، ثم تبين السورة حاجة البشرية لهذه الرسالة بعد أن طال عهدها بالوحى « **لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون** » بعد ذلك تبين أن الناس أمام هذه الرسالة كانوا فريقين : فريق الجامدين المعاندين الذين أبوا أن يلتفتوا الى الحق ، أو يفتحوا له عيونهم وأسماعهم ، فكان استكبارهم ، وجمودهم ، وعنادهم أغلالا ، وسدودا حجبت عنهم نور الايمان « **انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون ● وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون** » أما الفريق الثانى فهم الذين تحرروا من هذه الاغلال ، فتفتحت للحق عقولهم ونفوسهم « **انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم** » •

ثم تذكر السورة عبرة من التاريخ تسلية للرسول ، وتحذيرا للمعاندين ، وتثبيتا للمؤمنين قصة أصحاب القرية حين جاءهم الرسل يدعونهم الى دين الله فكذبوا ، واحتجوا بما كان يحتج به فريق من العرب من أن الرسول لا يكون بشرا « **قالوا : ما أنتم الا بشر مثلنا ، وما أنزل الرحمن من شىء ، ان أنتم الا تكذبون** » ولكن الرسل اثبتوا صدقهم بالقسم والبرهان حين قالوا « **ربنا يعلم أنا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين** » فالبلاغ المبين هو المؤيد بالحجة والدليل فهم يقولون : ما علينا الا أن نقيم الحجة ، ونزيل الشبهة ، وحين ركبوا رءوسهم ، وتمادوا فى طغيانهم نزل بهم العذاب « **ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون** » ثم يحذر الله كفار قريش أن ينزل بهم ما نزل بالامم السابقة « **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون ، وان كل لما جميع لدينا محضرون** » ثم تذكر السورة قبل نهايتها دفعا لشبهة أراد بها فريق من المشركين أن يصرفوا الناس عن الايمان بتصوير أن محمدا شاعر ، وأن ما يتلوه نوع

من الشعر ، وهم يعلمون أن الشعر يغاير القرآن فى أوزانه وقوافيه ، وأساليبه ومعانيه « **وما علمناه الشعر ، وما ينبغى له ، ان هو الا ذكر وقرآن مبين** » وثبت الرسول بعد ذلك وتقوى من عزيمته « **فلا يحزنك قولهم ، انا نعلم ما يسرون وما يعلنون** » .

أما الدعوة الى التوحيد فواضحة فى السورة ، فرسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) ورسالة الرسل من قبله دعوة الى التوحيد « **وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الاانا فاعبدون** » وهكذا كانت رسالة الرسل الى أصحاب القرية ، يظهر ذلك صريحا على لسان الرجل المؤمن الذى دعا قومه الى اتباعهم « **وما لى لا أعبد الذى فطرنى . واليه ترجعون ● أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون** » فقوله : « الذى فطرنى »فى برهان التوحيد ، فان الذى صورك فأحسن تصويرك ، ومنحك العقل والادراك ، والذى اليه معادك وحسابك هو وحده الجدير بالعبادة ، وكيف يتخذ العاقل من دونه آلهة لا تدفع عنه الضر بشفاعة أو قوة !

ثم تذكر السورة بعد ذلك براهين التوحيد ، فتلفت الى الايات الكونية ، وتوجه الى :

١ – النظر والدراسة ، فتبدأ بالارض التى نسكنها ، وبالنبات الذى نأكله ، وترشد الى ما فى ذلك من عظيم القدرة ، وجزيل النعمة التى تستوجب الشكر ، ولا يليق أن تقابل بالجحد والكفر « **وآية لهم الارض الميتة أحييناها ، وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ● وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ، وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره ، وما عملته أيديهم ، أفلا يشكرون** » .

٢ – ثم تذكر برهانا آخر من الليل والنهار ، والشمس والقمر ، كيف يتابع الليل والنهار فى نظام محكم عجيب ، وكيف تجرى الشمس لا تكف عن الحركة ، وكيف ينتقل القمر فى أبراجه ثم يعود هلالا كما بدا ، لكل كوكب مداره ، وزمانه الذى لا يتخطاه ، انا اذا رأينا القطار لا ينحرف عن طريقه ، ويصل الى بلد فى مواعيده أيقنا أن من ورائه سائقا بارعا لا يغفل ولا ينام ، أفلا يدل هذا النظام البديع الابدى الذى لا يتغير على القادر الحكيم العليم « **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ● والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ● والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ● لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون** » .

٣ – والاية الثالثة من البحر ، والسفن ، والابل التى هى سفن الصحراء ، فان الامة العربية كما كانت تتنقل فى أرجاء الصحراء للرعى والتجارة كانت امة بحرية صنعت السفن ، ونقلت التجارة الى شواطئ الهند ، والصين ، وسواحل أفريقيا ، وغاصت البحا لاستخراج اللؤلؤ والمرجان ، نجد ذلك واضحا فى أسلوب القرآن الكريم حين يصف السفن والامواج ، والرياح العاصفة فى كثير من آياته ، وفى هذه السورة جاء قوله تعالى : « **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم (نساءهم وأطفالهم وما يتبع ذلك من متاع) فى الفلك المشحون ● وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » الابل التى هى سفن الصحراء)** .

٤ – ثم تعود السورة الى التصريح بالتوحيد فى صورة تأنيب وتقريع للمجرمين يوم القيامة اذ خالفوا ما تدعو اليه الفطرة ، وما أرشد اليه الانبياء ، « **ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان ، انه لك عدو مبين ● وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم** » .

٥ – وتعرض السورة الى ذكر التوحيد بلفت الانظار الى الانعام التى هى ألصق الاشياء بنفس العرب ، وما تستوجبه من الشكر ، فقد أبدع الل صنعها ، وذللها مع قوتها ، فكانت مسخرة لهـ يركبونها ، ويأكلون من لحومها ، ويتخذون المساك والامتعة والملابس من جلودها وأوبارها ، ويشربو من ألبانها « **أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدي أنعاما فهم لها مالكون ● وذللناها لهم فمنه ركوبهم ، ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أف يشكرون ●** » ثم هم بعد ذلك قد كفروا ، واتخذوا م دونه آلهة يخدمونها ، ويدافعون عنها ، وهى عاج عن نصرهم « **واتخذوا من دون الله آلهة لعله ينصرون ● لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جن محضرون** » .

٦ – ثم يأتى هذا الدليل الذى يحس به كل انسان فهو من نفسه على نفسه ، لقد كان هذا الانسان مهينا فصوره فى أحسن صورة ، جعله بشرا س يسمع ، ويبصر ويدرك ، ثم يمتاز عن سائر المخلو بالعقل الذى يرتب الحجج والبراهين والبيان ال يعبر عنها ، ولهذا كانت هى العبرة موجهة الى الج البشرى عامة « **أو لم ير الانسان أنا خلقناه من ن فاذا هو خصيم مبين** » .

اما عقيدة البعث فتتذكر فى مواطن من السور ذكرت بعد الحديث عن الناس فى عهد محمد – ص الله عليه وسلم – وبعد تقسيمهم الى فريقين : م مستكبر ، ومستعد لقبول الايمان ترهيبا للاو وترغيبا للثانى « **انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قد وآثارهم وكل شئ أحصيناه فى امام مبين** » ، قصة أهل القرية على لسان الرجل المؤمن « **قيل ا الجنة قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى وجعلنى من المكرمين** » . وفى قوله تعالى بعد المشركين فى عهد الرسول « **ألم يروا كم أهلكنا**

من القرون انهم اليهم لا يرجعون وأن كل لما جميع لدينا محضرون » ويعقب ذلك بدليل البعث فهم يرون له مثلا يتكرر تحت أبصارهم وهو الارض لا يظهر فيها أثر للحياة ، ثم تنشق عن النبات الذى ينمو ، ويورق ، ويثمر أنواعا من الثمر وعلى مثال هذه الصورة يكون البعث « وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » ، فهذه الاية دليل التوحيد وهى مع ذلك البعث ، وهذا من ايجاز القرآن البديع فدليل البعث يفهم من اقترانها بالاية قبلها « وان كل لما جميع لدينا محضرون » ، ودليل التوحيد يفهم من ذكرها عقب قصة أصحاب القرية التى صرح فيها المؤمن بالتوحيد « وما لى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة » ، ومن تعقيبها بقوله : « أفلا يشكرون » ، وهذا من ايجاز القرآن البديع .

وتصف السورة الكريمة البعث والحساب وما يتبع ذلك من نعيم مقيم ، وعقاب أليم وصفا يملأ القلوب المنكرين رهبة ، وقلوب المؤمنين رضا وطمأنينة على أثر حكاية قول المنكرين « ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون » ، ثم تصف النفخة الثانية ، وكيف يخرج الناس بعدها من القبور مسرعين « ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون » ، وتتحدث السورة عن العدل الالهى فى هذا اليوم « فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون » ، وتصف ما يلقاه أهل الجنة من نعيم « ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون » ، وبعده تصف ما يلقاه أهل النار .

ثم تذكر السورة قبل نهايتها أدلة ثلاثة على البعث : أولها من نشأة الانسان نفسه ، تسوق ذلك على سبيل التأنيب والتقريع للانسان الذى خلقه الله من نطفة فأبدع خلقه ، ومنحه السمع والبصر ، والعقل والبيان ، فاذا هو يخاصم ويجادل وينكر على خالقه قدرته على البعث والاعادة « أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » ، ثم تبين أن منشأ ذلك الانكار هو الغفلة ، والنسيان فلو فكر فى نشأته الاولى لعلم أن من قدر على ذلك قادر على الاعادة « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم » وفى قوله : « ونسى خلقه » اشارة الى أنه لو فكر ما أنكر . ثم تجيبه « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

الدليل الثانى مما يستخدمه الانسان فى حياته فقد كان يعمد العربى الى غصنين أخضرين : أحدهما من شجر المرخ والاخر من العفار ، ويدلك أحدهما بالاخر فيتطاير منهما الشرر ، وتخرج النار فقيل لهم : ان الذى أخرج النار المحرقة من الشجر الاخضر وهما ضدان لا يعجزه أن يعيد الحياة الى العظام البالية « الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون » .

ثم يأتى الدليل الثالث الذى ينفى غرور الانسان حين يستبعد على ربه أن يعيده ، وما هو اذا قيس بهذا الكون الا شىء صغير يسير « أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم » .

ثم تبين السورة منشأ هذا الخطأ فهم يقيسون قدرة الله على قدرتهم ، فيستبعدون عليهم ما يصعب عليهم ، ولكن شتان ما بين القدرتين « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » ، وهذا تمثيل وتصوير .

ثم يختم السورة بتنزيه الله عن الشريك ، وتقرير البعث مجملين بعد أن ذكرا مفصلين كما تذكر الخلاصة ، ونتيجة البرهان . فكل الكائنات ملك يديه فأنى يكون بعضها شريكا له ، واليه وحده المرجع والمصير فيجازى كلا بما فعل « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » .

لا نامت أعين الجبناء

الدكتور حسن أحمد مرعي

كلمة عظيمة من قائد عظيم – ذلكم هو خالد بن الوليد سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار – قالها بعد أن شهد نيفا وخمسين زحفا ، ولم يبق في جسده مكان الا وفيه أثر من رمية سهم ، أو ضربة سيف ، أو طعنة رمح ، ومع ذلك فقد مات رضى الله عنه على فراشه .

لقى الموت قبل ذلك مرات ، وفر منه الموت ، ولم يفر من الموت ، ذلك لانه كان حريصا عليه ، ومن حرص على الموت وهبت له الحياة .

عرفته المعارك خواضا لغمارها ، مطيحا برءوس الاعداء فيها ، مقبلا غير مدبر ، مقدما غير محجم ، لا يرهب الموت ولا يهابه فقد تربى فى مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم فشرب من معينها الصافى ، وورد ها العذب الفياض ، وتعلم فيها مع اخوانه السابقين الاولين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لماذا يحارب المسلم ؟ وكيف يحارب ؟ فخالد الجندى المسلم تعلم أن الله سبحانه بين السبب الموجب للجهاد فى قوله عز وجل « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » فالجهاد فى الاسلام يكون دفاعا عن الدين والوطن ، فاذا اعتدى على الدين ، أو انتهكت حرمة أرض الاسلام ، وجب الجهاد على من يحصل بهم دفع هذا العدوان ، وتأديب المعتدين ، حتى لاتسول لهم نفوسهم يوما أن يكرروا عدوانهم .

وخالد الجندى المسلم تعلم – ضمن ما تعلمه – أن الحرب فى شريعة الاسلام لها قوانينها ونظمها .

أول هذه القوانين يعبر عنه القرآن فى قول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... » فالله سبحانه يأمر المسلمين باتخاذ أسباب القوة عند مواجهة العدو ، يستوى فى ذلك القوة النفسية والقوة المادية .

فأما قوة النفس فتكون بعدم رهبة العدو ، فلا تخشى تجمعاته ، ولا تخفينا عدده عن لقائه ، اما ان نكون على أتم الاهبة لمنازلته فذاك أمر لا بد منه .

كما تكون بالتزام طاعة الله ، والايمان بوعده الذى وعدنا به فى قوله : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » فالمؤمن اذا رجع منتصرا فقد عاد بعز النصر وان قضى نحبه فقد ذهب بشرف الشهادة وناهيك به من شرف ان الشهيد ليتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل لينال شرف الشهادة مرات، وفيه يقول الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه : « مأأحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شىء الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » .

أما القوة المادية فنحن مأمورون باتخاذ كل ما يلز لكسب المعركة من سلاح وعدة ، واجتماع كلمة واتحا رأى ، حتى نضرب العدو ضربة يطير لها قلبه ، وتخو لها قواه ، فيهوى الى قاع الذل والهزيمة .

ثانى هذه القوانين : عبر عنه الله سبحانه ف قوله : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم و تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » فالقتال فى شريع قاصر على من يقاتل ، حتى ينتهى عن قتاله ، ويرتد عن عدوانه ، ولهذا نهى رسول الله صلى الله عل وسلم عن قتل النساء والصبيان ونحوهم من غ المقاتلين قصدا ، أما اذا كان ذلك فى غارة على الك المقاتلين فتصاب معهم نساؤهم وأطفالهم ، فقد ح فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكمه عند سئل عن ذلك فقال « هم منهم » فالعدل فى الحر أساس من أسسه ، وقانون من قوانينه .

ثالث هذه القوانين : الحيطة والحذر ويلزم لتح هذا أمران : أولهما : الدراسة الكاملة للعدو عاداته وتقاليده ، فى نظمه وأساليبه ، فى ع وعدته ، فى مواقعه وتجمعاته ، حتى نكون على تامة بكل أحواله ، فلا نفاجأ بمحذور يوقعنا ف ورطة ، أو يحملنا مالم يدخل فى حسابنا للمعر هكذا كان يفعل رسول الله صلوات الله وسلامه عل فقد روى جابر رضى الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم من يأتينى بخبر القوم ي الاحزاب فقال الزبير أنا ثم قال من يأتنى بخبر ا قال الزبير أنا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لكل نبى حواريا وحواريى الزبير » .

ثانيا : التكتم التام على أسرارنا ، فلا نمكن العدو منها فضلا عن أن نبيح له بها « ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة » وبين الله سبحانه حكم من فعل هذا فقال : « ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » وعلل لهذا بقوله : « ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » .

رابع هذه القوانين : طاعة الجندى للقائد ، ونزول القائد عند رأى الجندى اذا رأى فيه خيرا يستفيد منه الجيش فى كسب معركته مع العدو ، وما قصة الحباب بن المنذر ببعيدة عن الاذهان ، عندما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يوم بدر منزلا ، فسأله الحباب : أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال الحباب : يارسول الله فان هذا ليس بمنزل ، ثم أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزل آخر رأى فيه الرسول خيرا فاستحسنه ونفذ ما أشار به الحباب .

هذا قليل من كثير مما تعلمه خالد ورفاقه من المدرسة المحمدية فى الجهاد ونظمه ، والقتال ودواعيه . وبهذا التنظيم الدقيق كان النصر حليفهم ففتحوا الممالك والامصار ، ونشروا الاسلام فى شتى الاقطار . فكلمة خالد بن الوليد حينما تكلم بها وهو يجود بأنفاسه الاخيرة فى دنيانا هذه قد حملها كل ما تعلمه فى هذه المدرسة المحمدية ، ووضع فى ثناياها كل خبرته ، فى شئون الحرب والسياسة ، وكأنه يقول لمعاصريه ، من أتباع هذه الدعوة المحمدية ، ولمن يجىء بعدهم الى يوم الدين ، ان الجهاد شرف ما بعده شرف ، وهو لا يستلزم الموت ، فالاجل له فى علم الله تعالى أمد محدد لا يستقدم عنه ساعة ولا يستأخر ، وهاأنتم ترون حياتى مع الجهاد والكفاح ، ومع كثرة ما لاقيت من الحروب وأهوالها فانى أموت على فراشى فلا نامت أعين الجبناء .

ونحن اليوم نواجه عدوا غاشما ، لا يرعى للحق حرمة ، ولا للخلق ذماما ، ولا للمبادىء كرامة ، عدوا يغتصب أجزاء عديدة من أرض الوطن الغالى ، وقد بذلنا كل ما يمكن لاستنقاذها منه ، ولكنه تمادى فى غروره واستمر فى صلفه وعناده ، يؤيده ويعززه ما وراءه من قوى البغى ودول الطغيان ، ولم يعد أمامنا من طريق نسلكه الا طريق المعركة .

ويجب أن نكون على أتم استعداد لملاقاة العدو فيها ، حتى نذيقه بعون الله مرارة الخزى والهزيمة التى ذاقها أسلافهم على يد أسلافنا من المسلمين الاولين .

ونحن اليوم ــ كما كان المسلمون الاولون ــ ندافع عن حق ، ونحرر وطنا ، ونحمى ديارا وأهلا ، ونرجع لبيت الله المقدس عزته وكرامته ، وقد وعدنا الله فى كتابه احدى الحسنيين : اما النصر واما الشهادة وما أعظم جزاءها عند الله .

أما عدونا فيقف على أرض تهتز به فتزلزل أقدامه ، يحارب فى محاولة يائسة لتثبيت هذه الاقدام ، ولكن انى له ذلك ؟ فهو يعلم تماما أنه على باطل ، والباطل لا تسنده قوة مهما كانت ، ويعلم بجانب هذا أنه فى كل تصرفاته يجافى الضمير والخلق والانسانية ، وما أصعب الحرب التى لا يسندها الحق ، وما أقسى موقف الجندى يقاتل بغير عقيدة الا ما صوره له أسياده من خيال كاذب وسراب خادع . وانى أذكر المسلمين فى كل مكان بمقالة سيف الله خالد بن الوليد « لا نامت أعين الجبناء » .

أقولها لابنائنا المرابطين فى مواجهة العدو وأنا أعتقد تمام الاعتقاد أن الجندى على خط النار لا يمكن أن تضعف له عزيمة ، ولا أن تهن له نفس ، ولكنى مع ذلك أذكره بمقالة خالد حتى لا يتسرب الشيطان الى نفسه وانه ليجرى من ابن آدم مجرى الدم .

وأقولها لكل مسلم يعيش حياتنا ويشعر بشعورنا ليقف خلف جيش المسلمين ، لا يخيفه تهديد بقطع معونة ، ولا يزعجه توعد بكساد بضاعة ، فالارزاق بيد الله « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

هذا فى جانب الجبن عن بذل المال ، أما فى جانب الجبن عن بذل النفس فليعلم كل مسلم أن الموت آت لا ريب فيه ، وستنتهى حياة الانسان فى الوقت المحدد ، وخير له ان يبيع هذه الحياة الدنيا بالحياة الباقية الدائمة « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم . ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

وأخيرا أنادى جند الله على كل شبر من أرضنا العزيزة أن يواجهوا عدوهم وكلهم ثقة فى نصر الله ، مرددين فى وجه العدو ما أمر الله به نبيه : « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون » .

أثر الرحمة في حياة المسلمين

الدكتور
محمد كامل الفقي

بماذا نتصور الكون لو خلا من الرحمة ؟

سؤال نثيره فى مستهل هذا الموضوع نحاول به تجسيم خطر الرحمة فى حياة الناس ، هادفين منه الى الاقناع بان الرحمة حكمة ترادف الوجود الكريم للمجتمع · ان الكون ـ على فساد الناس ومعصية كثير منهم وتنكبهم الجادة ، حافل برحمة الله ، قائم لان رحمة الله تحميه من التصدع ·

ولو ان الله تعالى غلب جانب القهر على جانب العفو ، لرايت الحياة جحيما يتلظى ، ومـا رزق العاصى ، وما طعم الفاسق ، وما وجد أهل الكبائر الى العيش سبيلا · « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة » · « لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » ·

فلله الرحمن الرحيم رحمة بعباده لا يدركونها الا اذا أنفقوا وقتهم فى تأملها ، ومحاولة الاحاطة ببعض أقطارها ·

كل ما على الارض انما هو من خلق الله ، ضعيف وقوى ، هين وعات ، هش وصلب ، فلو بطش القوى بالضعيف ، وعصف العـاتى بالهين ورمى الهش بالصلب لاستحال الكون كله الى دمار وخراب · ولرأيت بين كل جماعة عواصف يذرى بعضها بعضا ·

ان الرحمة رقة فى القلب يجرى معها العفو عند الاساءة ، والنصفة للمظلوم ، والغيرة على الذليل · ومد يد العون للمحتاج · والاخذ بيد العـاجز ، ومساعدة البائس والمريض والمكروب ·

فالرحمة هى العروة الوثقى بين المجتمع ، وصلة الحب والاخاء بين الناس جميعا · وحسب المرء أن ينظر الى احتفال الاسلام بصلة الارحام ،وأن يتأمل فى اقتران الامر بتقوى الله بالامر بتقوى الارحام ·

ان الرحمة اشتقت من الرحمن · فمن وصلها وصله الله · وان نبيا من أنبياء الله ، تضرع الى الله أن يكشف عنه الضر ، فوجد أكرم شفيع له رحمة الله ، فناشـــد ربه بها · واستفتح باب عفــوه بسرهـا ، « انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » · فكل من مسه الضر ، وألم به الهم ، ودعا الله بهذا الدعاء فقد أهل نفسه لرحمة ربه ·

يقول سيدنا جعفر الصادق : عجبت لاربع كيف يغفلون عن أربع ،

عجبت لمن مسه الضر : كيف يغفل عن قــوله تعــالى ، انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، والله سبحانه وتعالى يقول : « فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر » ·

وعجبت لمن يمكر به الناس ، كيف يغفل عن قوله تعالى ، « وافوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد . والله سبحانه وتعالى يقول : « فوقاه الله سيئات ما مكروا » .

وعجبت لمن كان خائفا كيف يغفل عن قوله تعالى ؟ حسبى الله ونعم الوكيل » .

والله سبحانه وتعالى يقول : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » .

وعجبت لمن أصابه غم كيف يغفل قوله تعالى : « لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين » وان فى ـذه الاية ، التوحيد ، والتسبيح ، ونسبة الظلم الى لنفس ، والالتجاء الى الله سبحانه وتعالى .

وقد قالها ذو النون حين التقمه الحوت . فلولا أنه ـان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون .

ان المسلمين يقفون بين يدى الله خمس مرات كل ـوم على الاقل ، يستفتحون قراءتهم بقوله « بسم الله ـرحمن الرحيم » فلو أن المسلمين فتحوا قلوبهم لمغزى ستهلال الصلاة بصفة الرحمة المتكرر ، لذكرهم ذلك جلال صفة الرحمة ، واستبان لهم أن صفة الرحمة ى اللبنة الاولى فى عبادة الصلاة التى يغتسلون فى ـهرها من الذنوب والاثام .

ولما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم أول ما ـل قوله تعالى ؟ اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق لانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، ـم الانسان ما لم يعلم »

ذهب النبى صلى الله عليه وسلم الى خديجة بنت ـويلد رضى الله عنها فى حال يعلمها الله وقال ، ـلونى زملونى ، فلما ذهب عنه الروع ، اخبر خديجة ـخبر ، وقال : لقد خشيت على نفسى ، فقالت له فى ـا الموقف الرهيب : كلا والله ما يخزيك الله أبدا . ـك لتصل الرحم . وتحمل الكل . وتكسب المعدوم . ـقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .

ان هذه العبارات التى تذهب بالخوف والفزع . ـخل السكينة والاطمئنان على قلب محمد المهيأ ـرسالة ، انما تصفه بمظاهر الرحمة كلها . فلهذه ـصفات يرد ملاك الرحمة كله .

ومادام محمد رحيما الى هذا الحد ، يصل الرحم ، ـمل الكل . ويكسب المعدوم ويقرى الضيف . ـين على نوائب الحق . فالله لا يخزيه . ولا يدعه .

ـل ان الله ليصطفيه بهذه المقومات الكريمة التى لا ـل للرسالة الا من تحلى بها ، وصدق الله العظيم حيث يقول : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

ومن يستجل حياة محمد مع الناس كافة ، يجدها آية الايات فى الرحمة والرأفة .

وكم كان يجرى على لسان نبى الرحمة ، من حث على الرحمة وتوصية بها . « الراحمون يرحمهم الرحمن ! ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » .

ان محمدا كانت تسيل نفسه رحمة بالعالمين ، لا بالمسلمين فحسب ، ولامر ما كان صدره يتميز من الغيظ والانشقاق على الذين تنكبوا الجادة . وحادوا عن الهدى . والله سبحانه طالما أعفاه من مسئولية هؤلاء ، وما أبلغ قول الله عز وجل : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

وقد كان النبى يلقى من أذى قومه صنوفا والوانا . ولو سأل الله لاهلك أعداءه ، وكم مكن له أن يحل بهم من الانتقام ما يجعلهم مثلا للاخرين ، لكنه كان يقابل الاساءة بالاحسان ، والاذى بالعفو . وقد روت عائشة أنها قالت له : هل أتى عليك يوم كان أشد من أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك . وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة ، اذ عرضت نفسى على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى واذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام . فنادانى فقال : ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك . وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فنادانى ملك الجبال وقال بعثنى ربى اليك لتأمرنى بأمرك . فما شئت ؟ ان شئت أطبقت عليهم الاخشبين ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ، رواه أبو هريرة .

وفى ذلك أيضا ما رواه أنس اذ قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة . فنظرت الى صفحة عاتق النبى صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال : يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء .

فهل بعد هذا رحمة ولين جانب وسعة صدر ؟

هل عرف التاريخ رحمة كرحمته صلى الله عليه وسلم حين هاجر من موطنه مكة الذى هو أحب مكان اليه ، لما ارتصد له من أذى قومه وعنتهم وكيدهم وتدبير السوء كله منهم . حتى اذا تم له نصر الله وعاد الى مكة . وكانوا ينتظرون منه البطش بهم ، قال

ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم • قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء • ان سيدنا محمد قائد هذه الامة ومثلها الاعلى فى رفعة النفس وسمو السلوك ليظهر للناس من رحمته أفانين تدعو الى العجب • وتزيد القلوب تعلقا به ، انه ليحلم على من يجهل ، ويعفو عمن أساء ويصل من قطع •

بل انه ليحثنا على الرحمة مع من يؤذينا من أعداء الله حين نرد أذاهم بمحاربتهم دون أن نمثل بهم أو تقسو على شيخهم أو ضعيفهم • وكان من رحمته صلى الله عليه وسلم أن أوصى بالطير والحيوان ، وهو القائل « فى كل كبد رطبة أجر »

وفى الهدى النبوى أن رجلا غفر الله له اذ سقى كلبا كاد يهلكه الظمأ •

وانه صلى الله عليه وسلم مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا • ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا (أى هدفا) •

وروى أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تصتبر البهائم (أى تحبس للقتل) •

ورسول الله هو القائل : « عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت النار ، لا هى أطعمتها وسقتها اذ هى حبستها • ولا هى تركتها تأكل من خشاش الارض » والنبى صلى الله عليه وسلم هو الرفيق بالخادم والغلام ، الحانى عليهما • الذى يحث على الرحمة بهما • يقول أحد الصحابة : لقد رأيتنى سابع سبعة من بنى مقرن ما لنا خادم الا واحدة لطمها أصغرنا فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعتقها •

وهذا هو ابن مسعود البدرى رضى الله عنه يقول : كنت أضرب غلاما لى بالسوط فسمعت صوتا من خلفى : اعلم أبا مسعود • فلم أفهم الصوت من الغضب • فلما دنا النبى منى اذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا هو يقول : اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام • فقلت لا أضرب مملوكا بعده أبدا • وفى رواية فسقط السوط من يدى من رهبته • وفى رواية فقلت : يا رسول الله هو حر لوجه الله • فقال : أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار » •

وفى كتاب الله ما يفيد أن المنح الفاخرة ، والهدايا الغامرة ، والعطاء الجواد ، يكون من آثار الرحمة من الله تعالى ، يقول عز وجل : « الرحمن علم القرآن • خلق الانسان علمه البيان » ومن أريج هذا الاسلوب العطر ، ومن سياقه الندى الكريم • نستشف منه أن رحمة الله تعالى هى التى دفعت الى هبة القرآن ، وتعليم الانسان البيان • وليس بعد القرآن من هبة وما مثله قط من منحة ، فهو السعادة فى الاولى والاخرة ، وهو الهدى والنور ، والشفاء والرحمة •

وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين •

أضواء

[ان هو الا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم ان يستقيم . وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين] .

ارايت يا اخى ان اختار العباد طريق الرشاد وسلكوا سبيل الهدى واستمعوا لذكر الله واستقاموا على صراطه ونفذوا اوامره واجتنبوا نواهيه وتعبدوا لله فاستجابوا له وكانوا اولياءه اليس ما اختاروه واتبعوه هو ما يشاء الله رب العالمين لهم وقد خلقهم له [وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون] وامرهم الا يعبدوا الا اياه [امر الا تعبدوا الا اياه] وقضى لهم به [وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه] [وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا] فان ربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين .

هذه هى مشيئته لعباده ولهذا باركهم الله وزكاهم برسالات وانزل اليهم الذكر فى كل عصر على قلب كل رسول [ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين . الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون . وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون . ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين » ولم يتركهم لانفسهم وشياطين الانس والجن ومايريدون بهم من تنكب عن الطريق والصد عن السبيل السوى فان الشيطان يريد اللعنة بهم كما لعنه الله [ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا] وهؤلاء يريدون الانحراف واتباع الهوى والشهوات والتجاوز عن حدود الله [ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما] [ودوالو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء

ولهذا امرنا الله الا نتخذ منهم اولياء [يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق] وباعد بيننا وبين عاداتهم وتقاليدهم واخلاقهم ونهانا عن ذلك كله بل حتى عن تقليدهم باللفظ [يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا] [ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون] .

قد امرنا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم [لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا] كما ارشدنا الى سنن الذين من قبلنا من رسل الله واتباعهم [قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين

من كتاب الله

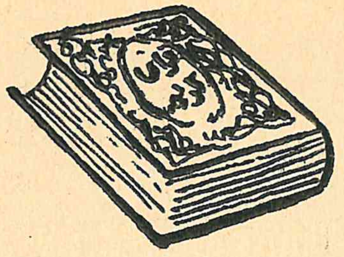

فضيلة الشيخ حسن صالح

معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده] وذلك وحده هو طريق الفلاح والهدى والرشاد ان تكون لنا الشخصية المتميزة والمجتمع النقى الطـــاهر الملون بالصبغة الربانية [صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون] .

ويشهد المرء ذلك واضحا فى قول الحق تبارك وتعالى [ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاءون الا ان يشاء الله] يعنى مشيئته ان يعرفوه ويتخذوا السبيل اليه [ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة] [وما تشاءون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما . يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما] فالذى اختار مشيئة الله له استقامة ومعرفة لله وسلوكا وبعدا عن سبل الغواية وعن اتبـــاع سبيل المجرمين واستمساكا بعروة الله الوثقى تلقيا عن الله فى غدواته وروحاته فهو فى رحمة الله ورعايته تشمله العناية الربانية فى الــدنيا والآخرة اما الظالمون لانفسهم وملتهم عباد الله فاولئك اعد الله لهم عذابا اليما فى عاجلتهم وآجلتهم ومن قــــدر الله ومشيئته وارادته ان يكون للعبد اختيار فلا اكراه فى الدين ولا جبر على معصية [وقــل الحــق من ربكم فمن شــــاء فليؤمــن ومن شــــاء فليكفــر] [هــو الــذى خلقكــم فمنكــم كافــر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير] وعليه تبعة ما اختــــار لنفسه فاوردها النار باعراضه عن الهدى وما انزله الله على رسله نورا وهدى للناس وخاطبهم به فى المثانى وما سبقه من كتب [يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين] [ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون]

ولا عذر للعبد فيقول كما قال الغابرون [لــو شــاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنـــا من شىء] فيتحلل من عرى الاسلام ويتجرأ على حدود الله فيتعداها وعلى حرماته فيلغ فى المآثم ويأتى المهلكات ولا يتورع عن الموبقات وقد يقول اننى مسير ولا يد لى فيما جنيت وهذا قضاء الله وقدره فى سابق علمه وما كتب على فلماذا اذن ارسل الله رسله [وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان] ؟ وكيف الثواب والعقــاب على سلوك ليس للانسان خيار فيه ؟ وكيف تصــــطدم العقيدة بالمشاهد الواقع وما يجده كل فرد من حريته فى تصرفاته فيأخذ ويدع ما يريد ومالا يريد ؟ وهل يغرر الله بعباده — وحاشاه ان يفعل — فيامرهم باتباع هدايته ويكون قد اراد لهم شيئا غير ما كلفهم به ؟ هذا خرص وهراء وافتراء على الله وتكذيب للرسل والرسالات [كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون] .

ولا مراء فى الحق ولا حجاج مع رب العباد [قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين] لو آمنتم بآياته واستجبتم لما يحييكم وينير لكم سبل السلام ويخرجكم من الظلمات الى النــور باذنه وهداه فى كتبه وعلى لسان رسله [لئلا يكون للنـــاس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما] [انمـــا يستجيب الذين يسمعون] [انما يتذكر اولو الالبــــاب] [انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة] وقد خلق الله كل نفس مستعدة للخير والشر والهدى والضلال [ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها] وان اصاخ باذنه وقلبه لآيات الله رفعه بها الى منازل الصديقين والشهداء والصالحين وان اخلد الى الارض واتبع هواه فكما قال الله فيه [فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا] ثم انه لا عبرة بايمان لا يستتبع عملا ولا يلتزم العبد معه بما امر من آمن به وقضى عليه باتباعه فهو اذن مسير اى محكوم بالقوانين الربانية ليس له ان يخرج عليها او يحتال للتخلص من مسئولياتها والا وقع تحت طائلة العقاب وشمله القانون العام [من يعمل سوءا يجزيه] [ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين] اما من التزم فله ما ادخر الله له عنده من ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة [من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيــاة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون] .

وكما قال الحق [لا اكراه فى الدين] اكد ذلك بقوله [افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين] ونبه على انه لا يقبــل الا الايمان الحق المأذون فيه والمأمور به [وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله] وجعل الرجس والارتكاس على من لا يعقل فيتبع نفسه هواها ويتمنى على الله الامانى فليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل . فهذا ذكر الله وآياته واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة الله فطرة وحجته على عباده ومنطق العقل والرسالة وهو مشيئته [لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين هدانا الله بذكره ووفقنا للعمل به حتى نصدق الله قولا وعملا وجهادا فيصدقنا الله توفيقا وصلاحا ونصرا .

اللهم انصرنا على القوم الظالمين وفقهنا فى دينك وعلمنا منه ما جهلنا واجعل الغلبة لجندك فى معركة المصير .

الحج

العمرة
"ثم ليقضوا تفثهم
وليوفوا نذورهم
وليطوفوا بالبيت العتيق"
صدق الله العظيم

قصة الحج

جولة بين مشاهده

من الفرائض الدينية ما هو يومى كالصلاة ومنها ما هو سنوى كالصوم ومنها ما هو متعدد موقوت ببلوغ نصابه كالزكاة ولكن الحج فريضة العمر ونسك الحياة ، والحياة جسر من عبره مرة فلن يعيد اليه الكرة . والدنيا عارية مستردة الى واهبها والاخرة مفتاحها فى يد صاحبها والحج بعد ذلك رحلة ارضية اشبه بالسماوية ودنيوية وكانها اخروية ، جسدية ولكنها روحية قدسية ، وهى رياضة تحمل معانى الايمان والتضحية وانكار الذات وسفر الى واد غير ذى زرع ولكن ارضه تنبت اشجار الجنة .

ان الحج رسالة القرآن الكريم فى دعوة ابراهيم حين أوحى الله تعالى اليه **(وأذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير)** .

وهو آخر اركان الاسلام وكانه اولها فهو الركن المتمم لبنائه الاعظم وصرحه الاقوم وأحد الفرائض الالهية التى يتقرر بها مصير المؤمن حتى يلقى ربه فى الساعة المجهولة .

افترضه الله تعالى على المسلم الحر البالغ العاقل ، العالم بالوجوب المستطيع للسفر الامن والرحلة المتواضعة والنفقة الواجبة له ولمن يعولهم حتى يعود اليهم .

فهنيئا لهؤلاء السعداء الذين خرجوا من ديارهم آمين البيت الحرام حيث ينزلون وهم ضيوف الله ووافدون عليه وقد أنزلهم حرمة وأولاهم كرمه وحباهم نعمه . من ميقات الاحرام تطهروا وصلوا واحرموا قارنين او متمتعين أو مفردين ، تركوا ملابس دنياهم ليلبسوا رداء تقواهم ، بل تجردوا عن كل دنياهم للذى خلقهم فسواهم وهنيئا لهم من مولاهم بما ولاهم . وارتفعت الاصوات بالتلبية كأنها دموع خشيتهم وتقواهم . نشيد حلو النغم عذب النداء يردده معهم الماء والهواء بل الكون بما فيه من ارض وسماء (**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**) .

ثم لاحت معالم جدة فجددت بهم الاشواق الى شاطىء الامل المنشود حتى دنا الرحاب وسبحت لل معهم الروابى والهضاب وفتحت من مكة الابواب ونودوا من سماء عليين (**ادخلوها بسلام آمنين**) ها أنتم والبيت الرفيع المصون والملجأ الذى يسكن اليه العائذون ، بل الحصن الذى دونه الحصون بل الجنة التى وعد المتقون .

ها هو ذا الحجر الاسود لونا والابيض حقيقة ومعنى ، فهيا الى الحجر الكريم فى الموطن العظيم فقبلوا الروح والريحان وصافحوا الروض والرضوان ، وضعوا الشفاه موضعها من تقبيل سيد الاكوان : هنا ينظم الفلك أقماره عقودا ، وتنث الجنة من حدائقها ورودا ، ويهبط الملائكة طائفين وركعا وسجودا ويعودون للمؤمنين شهودا وقد كتبو لهم فى وثيقة الفردوس خلودا .

هنا البيت والحرم . هنا المستلم والملتزم . ه قبلة الامم . هنا المصلى المأثور ، والباب المعمور والاركان والنور والكعبة بين الستور :

تبدت وقد لاحت عليها ستورها
ترف بها فوق الجنان طيورها
لقد حجبوها وهى للكون درة
ولو برزت أغنى عن الحجب نورها

أقول هنا تنتهى الامال وتنسى الروح والمال ، وتلتقى الاجيال بين يدى الكبير المتعال . وهنا نتعلق بالاستار ونطرح الاوزار ونسكب الدموع الغزار « **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار** » .

حتى اذا أتموا طوافهم واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى أقبلوا الى زمزم يتناولون تحية البيت من رب البيت ، اليوم زمزم وغدا الكوثر ، والبيت الاطهر ، ثم رضوان من الله أكبر ، صلوا فى مصلى الاخيار واشربوا من ماء الابرار ، ولو سالمتنى صروف الزمان جعلت جفونى بساط الحرم .

ثم ماذا بعد هذا « **ان الصفا والمروة من شعائر الله** » يتعلم المرء فى السعى بينهما كيف يواصل فى الخير مسعاه وكيف يصبر على وصب العيش ونصب الحياة ، وقد يبلغ قبل آخر الطرق مناه . لقد سعت هاجر فى هذا السبيل ، فكان ختام سعيها ذلك السلسبيل ، الذى يرتوى الحجاج برحيق ذكراه جيلا بعد جيل .

والحج الاكبر فى عرفات ، وما أدراك ما عرفات ، هذه الرمال نضار الجنات وهذه الحصباء ولا الدرر الغاليات . فى هذا السهل الفسيح من الدنيا قام فى حجة الوداع سيد الانبياء يعلن الى الانسانية رسالة الاخاء ، كما يعلن عن الصبح الضياء ، ويذيع فى البشرية آخر نداء ويرفع نسب الفضيلة فوق نسب الاجداد والاباء .

سلوا بربكم هذه الربوات وهذى الصخور العاتيات ، أليس بها من أقدام النبوة أثر ، أليس عندها من خطوات الروح الامين خبر ؟ الناس فيها الى ربهم يهرعون كعهدهم بين يديه حين يحشرون . يستنزلون رحمة علام الغيوب ، فى لغة من الدمع المسكوب ، يعجز عنها اللسان ولكن تعيها القلوب لا أجناس هناك ولا عناصر ، ولا قبائل ثمة ولا عشائر ولكن توحيد الخالق واتحاد الخلائق .

فرقتهم الدنيا فجمعهم الدين ووحد بينهم التوحيد لله رب العالمين ، يستقبلهم المولى عز وجل ، يقول لهم (**عبادى جاءونى شعثا جردا من كل فج عميق يرجون جنتى ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر أو كزبد البحر لغفرتها ــ أفيضوا عبادى مغفورا لكم ولمن شفعتم له** » .

فاذا اختفت الشمس خلف رداء الشفق وآذن الليل بالغسق أفاضوا من عرفة للمبيت بمزدلفة .

ثم استقبلوا أيام (منى) ليقضوا بها مناسك ويشهدوا فيها منافع . واذا كان حق الضيف على المضيف أياما ثلاثة فلضيوف الله فى (منى) ثلاثة أيام ، بين موائد البر وذبائح الاكرام .

أما العائدون من رمى الجمرات فترى على وجوههم دلائل البشر والانتصار على النفس والشيطان ، وشتان بين حجر فى الكعبة يقبل ويعظم ، وبين حجر فى (منى) يهان ويرجم وكذلك الانسان ذلك المخلوق الترابى بالخير تعلو قيمته وبالشر تنحط منزلته ، يفعل الخير فتكرمه دنياه وأخراه ويفعل الشر فيغضب عليه مولاه ويرجم التاريخ ذكراه وكم فى الحج من عبر تفرد بها علم الله .

اذا أتموا حجهم بطواف الافاضة واستكملوه بطواف الوداع وسارت بهم القوافل بين المنازل واعترضتهم من الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها أشرفت عليهم المدينة المنورة والبقعة المطهرة ، فاذا وديان ذات نخل باسقات بين حصون وحرات ، أرض مخضرة وأعشاب نضرة ، ومرعى خصيب ، ونسيم كأنما بعثته أجنحة طيور الجنة . وليس الى هذا شدت الرحال ، فهيا الى المسجد المنيف ، والمقام الشريف . تباركت اللهم لك الجلال والقدرة ، أكل أنوار الوجود فى هذه الحجرة ؟

الشمس والقمر من هنا يضيئان ، وسماؤهما دون أرض هذا المكان ، وما الشمس وما القمر ، انهما يضيئان البصر ولكن محمدا كوكب يضىء الارواح والفكر وينقذ من الظلام حياة البشر ويرفعها فى عليين الى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

تباركت اللهم أهذا باب الوفود ، ومبعث الجنود ، ومطلع أسد الغابة ومواكب الصحابة ، واسطوانة أبى لبابة وموضع الدعاء والاجابة ؟ محمد البشير والكتاب المنير ، وبلال والتكبير ، والجم الغفير ، والملائكة بعد ذلك ظهير . لحظات تشترى بكل العمر بين محمد وصاحبه أبى بكر وعمر .

هيا بعد ذلك الى جنة البقيع ، لا جنة الربيع ، وقل سلام الله على ثالث الخلفاء الراشدين ورحمته على العترة الطاهرين وأمهات المؤمنين وبركاته على الشهداء الابرار الذين كانت تسير فى ركابهم الفتوح ويؤيدهم الله بالملائكة والروح .

أيها الحافظون لحدود الله ، الحريصون على حقوق الله ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح حى على بيت الكريم الفتاح ، حى على ملتقى النفوس والارواح .

فاذا وليتم شطر الكعبة لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وفى عودكم ادخلوا مصر ان شاء الله والى رسول الله أترنم بأشواقى :

اشواق الى مبعث الاشراق

السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته

شعاب المناسك حول الحرم
اليك تحيات شعب الهرم

لماذا شكا القلب آلامه
مشوقا وأنت شفاء الالم

اذا ما الحجيج غداة النوى
تنادى بهم ركبهم واعتزم

رأيت فؤادى فى الظاعنين
يسابقهم تحت ظل العلم

جرى دمع عينى فى جنح ليل
اذا نام كوكبه لم أنم

اذا كبروا حاديت فى الحمى
حمائمه ساحرات النغم

ونادت ملائكة الخلد بشرى
وردتم على الله باب النعم

الى بلد حسدته النجوم
وشرفه ربه بالقسم

اذا ديمة القطر لم تسقه
سقته العناية قبل الديم

كواديه تنبت شوك القتاد
وسيف الجهاد وأسد الاجم

وتنجب كل رفيع العماد
كريم المهاد رحيب الشيم

مكان الحدائق فيه السجايا
ودون الجداول بجرى المكرم

معاهد تنبت فيها الرياض
ولكن رياض ارحجا والحكم

كان من الوحى فى أرضه
بقايا تضىء الربى والاطم

مقام الخليل وبيت الذبيح
فطوبى لمن زاره واستلم

وللطائفين وللعاكفين
وللقانتين لبارى النسم

اذا هللوا رف طير الخلود
وطاف بهم ظله وارتسم

هو البيت تمضى اليه الوفود
وتحدو اليه مطايا الهمم

وقبلته فى جلال الصلاة
تحج اليها وجوه الامم

فيا قطرة الشهد من زمزم
تمد الشفاء وتمحو السقم

ويا جولة فى رحاب الصفا
ترد الصفاء وتجلو الظلم

وفى عرفات تزول الكروب
ويمحو الخطايا أنين الندم

كأن الدموع رحيق الجنان
سقى زهرها فارتوى وابتسم

وعند منى طاف عرف المنى
وغسل الذنوب بدمع ودم

فكم من هناء وكم من اخاء
وكم من رخاء عميم ، وكم

فلو سالمتنى صروف الزمان
جعلت جفونى بساط الحرم

فيامن أتم طواف الوداع
ونال السعادة فيما أتم

الى المصطفى سائرا طائرا
الى المصطفى ثائرا لاتنم

فان عطلت عنك سيارة
وقلت رواحل عشب السلم

فهيا الى النور أسرع خطاك
على العين ان شئت قبل القدم

هنالك أرض تفوق السماء
وتعلو كواكبها فى المعظم

فلو أن بالبحر حصاءها
لفاقت جواهره فى القيم

جلال النبوات فيك ابتدا
ومجد الشرائع فيك اختتم

تحياتنا أى نبى الهدى
سلاما فأنت سلام الامم

دعوت لتوحيد رب العباد
ووحدت عربهمو والعجم

جمعت القلوب على ودها
كعقد من النيرات انتظم

وأقبلت تبنى رعاة الشعوب
فأنشأتهم من رعاة الغنم

أفى الدهو معجزة بعد هذى
يدوى بها منبر أو قلم

لقد نال غايته كل شعب
بهديك بعد الاله اعتصم

هتفت بمدحيك عجزا وضعفا
فليت الشموس مكان الكلم

مضت بابل وانقضت نينوى
وولت ثمود وبادت ارم

وما زلت يا وطن المصطفى
كضوء النهار رفيع العلم

بقيت وتبقى ويبقى اشتياقى
اليك ولو زال ركن الهرم

الحج والعمرة ودعاء الرسول

فضيلة الشيخ أحمد عبد المحسن نشاوى

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »

مشروعية الحج والعمرة :

فرض الحج فى السنة السادسة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل قول الله تعالى « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

وبلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بما روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أيها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » ، فقال الاقرع بن حابس : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فقال : « لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم : الحج مرة فمن زاد فتطوع » .

وكذلك كانت مشروعية العمرة من كتاب الله حيث يقول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » وقوله تعالى « وأتموا الحج والعمرة لله » الاية .

وكذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .

والحج فريضة محكمة ، وهو الركن الخامس فى الاسلام ، ويشير الى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا الـه الا اللـــــه وإقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا »

فالايمان به واجب ويكفر ويخرج من الملة ويقام عليه الحد كفرا كل من أنكر فريضة الحج ، ذلك لانه علم من الدين بالضرورة .

أما العمرة ، فاختلفت فى حكمها مدارس الفقه الاسلامى . فمن قائل بوجوبها . ومن قائل باستحبابها ، وفى رأى بعضهم هى بين الواجب والمستحب ، أى هى سنة .

فمن قال بوجوبها نظر الى قوله تعالى : « ان الصفا والمروه من شعائر الله » والى قوله : « واتموا الحج والعمرة لله » ، ومن قال باستحبابها أو سنتها نظر الى حديث بنى الاسلام على خمس ، ولم يذكر منهن العمرة .. وعلى كل فهى كفارة لما قبلها من الذنوب ، ويعظم ثوابها حتى يصل الى ثواب حجه كاملة ، ولكنها لا تسقط الفرض . اذا اديت فى رمضان .. يشير الى هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا نصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لام سنان الانصارية : « ما منعك أن تحجى معنا ، قالت : كان لنا ناضحتان (أى بعيرتين نستقى عليهما) فركب أبو قلابة وابنه احداهما . وترك الاخرى لننضح عليها ، فقال صلى الله عليه وسلم ، فاذا كان رمضان ، فاعتمرى فيه ، فان عمرة فيه تعدل حجة » .

وعلى هذا لا يأثم من اعتقد أنها دون الواجب

بخلاف الحج فان من اعتقد أنه دون الواجب يكفر باعتقاده .

كيف قابل المسلمون هذه الفريضة ؟

لقد كان المسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم فى تطلع وشوق الى دخول مكة ، حتى تكون الكلمة فى بيت الله الحرام لله وحده لا شريك له ، وكلما مر بهم الزمن كلما زاد الشوق الى أن تصل الدعوة لاهل مكة وتسكن قلوبهم ويدخلوا فى دين الله أفواجا . ومن يوم أن هاجر الرسول الى المدينة والحرب قائمة بينه وبين المشركين والتلاحم قائم فى كل عام ، فغزوة بدر ، وغزوة أحد ، وغزوة الخندق من المعارك التى كان فيها الالتحام والقتال ، ثم صلح الحديبية الذى فيه أقر الطرفان بوضع الحرب بينهما عشر سنوات يبعد الامل ويزيد الشوق الى ما يريده المسلمون من دخول مكة دخولا باسلام أكبر من أن يدخلوها بعمرة .

وتجىء فرضية الحج فى السنة السادسة من الهجرة فيفرح المسلمون ويشتد فرحهم لانهم أدركوا أن تمام الامر قد قرب ، وأن تحقيق ما وعد الله تعالى به عبده ورسوله قد آن أوانه ، وأن مكة لامحالة مفتوحة أمام الدعوة ، وأن البيت سيخلص للمسلمين ولكلمة الله وحده لا شريك له . فكان بذلك فرحهم وأملهم ورجاؤهم عظيما وكبيرا . فهى بشارة من الله تعالى لعبده ونبيه بكمال دعوته ونصرة كلمته وتحقيق أمله ، خصوصا وأن كل الفرائض قد تم فرضيتها ، فالصلاة فى مكة ، والزكاة والصوم فى المدينة ، والشهادة قائمة بها الدعوة من يوم البلاغ الاول لاهل مكة .

أعمال الحج والعمرة :

أعمال الحج عشرة ، أولها الاحرام من الميقات ، ثانيها الطواف بالبيت ، ثالثها السعى بين الصفا والمروة ، رابعها الوقوف بعرفة ، خامسها المبيت بالمزدلفة ، سادسها المبيت بمنى ، سابعها رمى الجمرات ، ثامنها ذبح الهدى لمن عليه هدى ، تاسعها الحلق أو التقصير ، عاشرها طواف الافاضة .

أعمال العمرة أربعة : الاحرام من الميقات والطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والتحلل من الاحرام بالحلق أو التقصير .

وهذه الاعمال تختلف درجتها فى الحكم بين الركن والواجب والسنة والاستحباب . أما الاركان فهى فى العمرة ثلاثة : الاحرام ، والطواف ، والسعى فقط . وأركان الحج هى أربعة : هذه الثلاثة ويزاد عليها الوقوف بعرفة .

وبقية الافعال فى كل من الحج والعمرة هى بين الواجب والمستحب ويجب أن ندرك أن الواجب فى باب الحج غير الواجب فى غير الحج . فالواجب فى الحج يجبر بالدم ، وفى غير الحج هو الركن لا يجبر الا بفعله ، كالركوع فى الصلاة ، فانه لا يجبر بسجود السهو ، انما يجبر بالركعة كاملة .

فقه الحج والعمرة : لقد تكلمنا فى الاسطر السابقة عن أركان الحج والعمرة وذكرنا بقية الاعمال وكل ما نريد بيانه فى هذه الاسطر هو درجة ما عدا الاركان من الاحكام الفقهية .

فسنن الحج هى الغسل للاحرام ومس الطيب قبل الاحرام ونتف الابط وتلبيد الشعر وصلاة ركعتين قبل الاحرام وملازمة التلبية من الاحرام حتى رمى الجمرة الاولى ثم تنتهى التلبية فى الحج ، وأيضا تنتهى التلبيه فى العمرة بعد السعى بين الصفا والمروة ، ومنها تقبيل الحجر الاسود ، واستلام الركنين ، وصلاة فى مقام ابراهيم عليه السلام ، والشرب من ماء زمزم ، ورمى الجمرات ، والهرولة فى الاشواط الاولى من الطواف ، وبين الميلين فى السعى بين الصفا والمروة ، والحلق أو التقصير وطواف الوداع ليلا ، وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام . هذه كلها دون الركن فى الحج والعمرة ، ويجبر بعضها بالدم لمن تركها عند من يقول بالوجوب . وأما عند من يقول أنها مستحبة فلا دم عليه .

وقد يقع من الناس تقديم وتأخير بين الافاضة والرمى هذا لا يضر وليس فيه شىء من الفداء ، ذلك لان الرسول صلى الله عليه وسلم لما كان عند الجمرات سأله كثير من الناس عما وقع منه من تقديم لبعض أفعال الحج وتأخير لبعضها ، فكان عليه الصلاة والسلام يأمرهم باكمالها دون أن يلزمهم بكفارة . وقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لا حرج عليهم ، وانما الحرج على مرتكب غيبة فقط فى هذا اليوم .

ما يحرم على الحاج والمعتمر : يحرم على الحاج والمعتمر بعد الاحرام مس الطيب والنساء ، وصيد البر والزواج ، والرفث والفسوق والجدال ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : « **الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** » وقوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم** » ـ أما صيد البحر فهو حلال ويأكل منه الحاج والمعتمر لقوله تعالى : « **أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما** » .

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجه الاكبر الصيد الذى يحرم على الحاج والمعتمر الاكل منه ، والصيد الذى لا يحرم ، فلقد قدم اليه صلى الله عليه وسلم فى رحلة الحج لحم يقطر دما هدية ، فامتنع عن الاكل ، وقال لصاحبه : « نحن حرم » وقدم له أيضا لحم صيد فأكل منه .

وهنا اشترط الفقهاء فى حلية الصيد للحاج أو المعتمر أربعة شروط : **أولها ، ألا يكون الحاج أو المعتمر هو الذى صاد الصيد بنفسه . ثانيها ، ألا يكون قد اصطيد من أجله أو لاجله . ثالثها ، ألا يكون قد دل عليه الصياد . رابعا ، ألا يكون قد أعان على صيده .**

اذا توافر النفى فى هذه الشروط يحل للحاج أن يأكل من الصيد ، واما اذا فقد نفى فى هذه الشروط كأن يكون اصطيد له أو أعان عليه أو أرشد عليه أى

أصطاده هو فيحرم الاكل ، وفى الاخيرة يلزم الجزاء من النعم المماثل للصيد بعد حكم ذوى العدل من الرجال · لقوله تعالى : « **فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم** »

كذلك يحرم على الحاج الخطبة لنفسه أو الخطبة لغيره أو انكاح لنفسه أو انكاح غيره ووطئه لزوجته وهو فى الحج قبل الاحلال الاكبر وهو الذى يقع بعد طواف الافاضة ·

حكم الحائض والنفساء :

اذا حاضت المرأة أو نفست فى الحج بعد الاحرام فانها تستثفر ولا تقرب البيت ، لا بطواف ولا بسعى ، حتى ينتهى حيضها أو نفاسها ·· واذا أدركها يوم عرفه تستثفر وتقف مع المسلمين يوم عرفة ، حتى لا يفوتها الحج ، ثم بعد عرفة تتم حجها ، وفى الحج لا تنقض احرامها · وأما فى العمرة فانها تنقض احرامها برؤية الدم ، ثم لما ينقطع عنها الحيض تحرم للعمرة وتتم عمرتها · ذلك لان العمرة لا وقت لها ، أما الحج فله وقت معلوم لقوله عليه الصلاة والسلام « **الحج عرفة** » ·

الغرض من الحج والعمرة :

أما حكمة فرضية الحج فهى مأخوذة أولا من كتاب الله تعالى · وهى حكمة متعددة ، أولها : أن يشهدوا منافع لهم ، وقد فسرها العلماء بالتجارة التى يتبادلونها فهى منافع لكل من أهل مكة والحجيج · ثانيها : ذكر الله تعالى ، لانه هجرة الى الله تعالى بالنسبة للرجل ، وجهاد بالنسبة للمرأة · وفيه تلبيه ودعاء وصلاة وتكبير ، وكله ذكر لله تعالى ، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الحج العج والثج ·· أما العج فهو رفع الصوت بالتلبية ، والثج اسالة دم الهدى ثالثها : قضاء التفث ووفاء النذر · وقد جاء ذلك فى قوله تعالى فى سورة الحج ، « **ليشهدوا منافع لهم · ويذكروا أسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام** » ثم يقول تعالى : « **ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق** » ·

ويشعر الحاج فى رحاب بيت الله تعالى بالامن والطمأنينة من الحياة وشرورها وآثامها ذلك لانه فى حرم آمن لا تمسه فيه فتنة ولا يلمزه شيطان لانه ضيف الله ، والله وحده هو الحامى له والحارس عليه · ومن كان فى هذه الحظوة شعر بالامن والطمأنينة التى لا يمكن أن تصيب قلب انسان فى مكان غير بيت الله الحرام ، مصداقا لقوله تعالى : « **ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت** » ·

ولا ننسى أن وقوف الحاج عند كل شعيرة من شعائر الحج تذكره من الوقفة بتاريخها وقيمتها فى الدعوة الاسلامية · وفى الرجوع بالقلب والفكر الى الذكرى ، ذلك لمن كان له قلب أى بصيرة أو ألقى السمع وهو شهيد ·

انها تعلم الانسان كيف يكون محمد يا يتحمل مثل ما تحمل رسوله صلى الله عليه وسلم من أمانة ومسئولية عن الدعوة الى الله تعالى ، تعلمه حقيقة الجهاد حين يقف أمام أماكن المجاهدة التى شهدت جهاد رسول الله وصبر رسول الله وايمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعلمه كيف يؤمن باسلامه وبدينه ، كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن بأسلامه وبدينه ، فلقد سووم صلى الله عليه وسلم بالمال والجاه والسلطان والتملك ، فقال · « **والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه** » ·

انه يتعلم كيف يكون العزم على الجهاد وكيف يكون الصدق فى الجهاد مع النفس ومع العدو حين يرى دار الندوة وبيت الارقم بن أبى الارقم أول منتدا فى الاسلام وأول دار أقيمت فيها دعوة الله خالصة ، ويرجع بذهنه الى عدد المسلمين يومها ويذكر كلا باسمه ليرى أنه كان منهم العبد والفقير والضعيف ، ولكنهم علموا الدنيا كلها صدق الجهاد وقوة النفس ، ومضاء العزم مع قوة الايمان ، يذكر ما كان من ابراهيم خليل الله وولده اسماعيل من صبر على بناء بيت الله واقامة قواعده ، ومن صدق فى أداء الامانة ، ومن قوة فى الحفاظ على دعوة الله وكلمته ·

انها بحق منافع عظيمة كلها تبعث فى النفس الامل فى الامه وفى الاسلام وفى الحق وفى الخير لا يخرج من هذه الامة الى أمة أخرى أبدا مصداقا لقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للنـــاس ، تأمرون بالمعروف · وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ·

دعوات الرسول عليه السلام وأماكنها فى الحج :

روى عن الشافعى أن الرسول صلى الله عيه وسلم كان اذا فرغ من تلبية فى حج أو فى عمرة سأل الله تعالى رضوانه والجنة ، واستعاذ برحمته من النار ، وعلى هذا يكون أول دعاء له عليه الصلاة والسلام بعد الاهلال من الميقات فى ذى الحليفة حيث ثبت أنه عليه السلام لبى ثم دعا ربه ·

والدعاء الثانى : **لما دخل عليه الصلاة والسلام المسجد الحرام من باب بنى شيبة وحين رأى الكعبة** قال : « **اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، واليك يعود السلام · حينا ربنا بالسلام ، وأدخلنا الجنة بسلام : اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما ، وزد من حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وبــرا وتكريما** » ·

هذا ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه دعا فى طوافه بدعاء خاص ، الاقوله ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الاخرةحسنة ، وقنا عذاب النار » · **هذا ويستحب أن يقول الطائف قبل طوافه وقبل هذه الاية كما هو مروى فى بعض الاحاديث « اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والاخرة** » ثم يقرأ الاية: « **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الاخرة حسنة ، وقنا عذاب النار** » · ومن الادعية المأثورة فى الطواف « سبحان الله والحمد لله ولا اله الاالله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم انى أعوذ بك من الشك والشرك والشقاق والنفاق وسوء الاخلاق ، اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه ، واخلف على كل غائبة لى بخير » ·

الحج

روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما حج حجة الوداع ركب الى عرفة ونزل بنمرة وقد ضرب بها قبة من شعر فلما كان حين زلفت الشمس أمر راحلته القصواء فرحلت ، فلما توجه قال : « اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة »

فالحج المبرور المقبول عند الله هو الذى يكون خالصا لوجهه الكريم من غير أن تشوبة شائبة من الرياء أو يبغى به الحاج جاها أو سمعة ، وهذه الصورة المتواضعة فى توجهه عليه السلام ، وهذا الدعاء المهذب أن يجعل هذه الحجة خالصة لوجهه الكريم - هذا كله تتجلى اسرار هذه العبادة فى ظاهرها وباطنها ، وفى مناسكها ومسالكها وفى شعائرها ومواقفها لتكون مقبولة مبرورة ، فاذا استعملت هذه العبادة على هذه الصورة الظاهرة من غير ترف أو بزخ ومن غير تظاهر وتفاخر ، وهذه الصورة الباطنة من الاخلاص فى التوجه الى الله والرحلة فى سبيله كان حجا لا رياء فيه ولا سمعة ٠ ورجع الحاج وقد غفر الله له ذنوبه

جاء فى الحديث عن ابن عمر « أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام فأن لك بكل وطية تطؤها راحلتك يكتب الله بها حسنة ويمحو عنك بها سيئة ، واما وقوفك بعرفة فان الله يقول : هؤلاء عبادى جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق يرجون رحمتى ويخافون عذابى ولم يرونى فكيف لو رأونى ، فلو كان عليك مثل رمل عالج ، ومثل أيام العضا ومثل قطر السماء ذنوبا غسلها الله عنك ٠ واما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ٠، واما نحرك فمدخور عند ربك ٠ واما حلقك رأسك فانه مدخور لك بكل شعرة تسقط حسنة ، فاذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كما ولدتك أمك ٠٠

وعندما قرب الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفا والمروة قرأ قول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » ٠ ثم رقى الصفا حتى رأى البيت ، فاستقبله وقال ثلاث مرات : لا اله الا الله الله أكبر ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ٠ »

ثم دعا يوم عرفة وبين عليه الصلاة والسلام ان خير الدعاء دعاء عرفة وخير ما قلته انا والنبيون من قبلى « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » ٠

وكان من دعائه فى الموقف « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير، اللهم أجعل فى قلبى نورا ، وفى صدرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى بصرى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الامر ، وفتنة القبر ، اللهم أنى أعوذ بك من شر ما يلج بالليل ، وشر ما يلج بالنهار ، وشر ما تهب به الريح ، وشر بوائق الدهر ، اللهم لك الحمد كالذى تقوله ، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك ما بى ولك ربى تراثى اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ، لا يخفى عليك شىء من أمرى ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبى ، أسألك مسألة المسكين ، وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذل جسده ورغم انفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين ويا خير المعطين » ٠هذا ولم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم بدعاء خاص ولا عام عند الجمرات بل كان يكبر ، عند كل حصاة » وكذلك لم يدع فى طوافه للافاضة ٠

ودعا عليه الصلاة والسلام عند دخوله المدينة بعد رجوعه من الحج ، وحين رآها كبر ثلاثا ، وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، آيبون تائبون عابدون سائحون لربنا حامدون ، صدق الله عهده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده » ٠

منكرات يجب تجنبها :

يحمل كثير من الحجاج اكفانهم معهم بقصد زمزمتها اذا رجعوا سالمين أو أن تكون أكفانهم اذا كانت هناك منيتهم ، وهذا من المنكرات والبدع السيئة ذلك لان لباس الاحرام هو للدنيا والاخرة ولا شىء يفضله ، وهذا مأخوذ من مشهد فى حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مات أحد الحجاج فأمر الرسول ان يغسل ولا يمسه طيب او مسك وان يكفن فى لباس احرامه ، وان يبقى ذراعه الايمن ووجهه مكشوفا ، لانه كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « يقوم يوم القيامة وهو يلبى ، كما أن الشهيد يكفن فى ثيابه لتكون شاهدة له يوم القيامة بما أصابها من تمزق ودم » ٠

تكفير وتطهير

الدكتور علي حسن عبد القادر

ان الله تعالى قد جعل هذا السفر نسكا - كما جاء فى الحديث - يجمع مناسك وشعائر ، لا يرفع الحاج الذنوب والاثام فلا يؤوب من حجه الا وقد محى الله سيئاته ورفع درجاته ، واذا كان الحج بهذه الدرجة العظيمة فما أحرى أن يتحرى الحاج فى هذه الرحلة الالهية أن يلزم نفسه فى ظاهرة وباطنه التبتل والترهب فى لباسه وزاده وراحلته حتى يظهر كمال العبودية والتجرد لله أشعث أغبر متحررا من المظاهر المادية فى الحضرة الالهية ، غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى أسباب التفاخر والتكاثر ، وفى الحديث « انما الحاج الشعث التفث » وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم » والتفث الشعث والاغبرار ، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والاظفار وقد قيل (زين الحجيج اهل اليمن) لانهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف ثم ليلوم الحاج نفسه فى باطنه الاخلاص فى النية وطريق الاعتبار والتذكر والافتكار ، (وان تمام الاعمال انما يكون بما يصحبها من نية صادقة ، فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل بذلها ايثارا لوجه الله تعالى ، فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم .

وهكذا فان الحج المقبول الذى ثوابه الجنة والحج المبرور الذى يبر صاحبه به انما هو الحج على التجريد ، التجريد الظاهر والتجريد الباطن ، يجرد ظاهره من مظاهر الزينة والتنعم والتفاخر والتكاثر ويجرد باطنه بصدق النية فى التوجه الى الله من غير أن يشرك به فى عبادته أحدا أو غرضا أوجاها وسمعة كما يقول تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

وحقيقة الامر أن العبادات التى فرضها الله على عباده تقوم على فكرة العقيدة بها والتفكر والتأمل فى معانيها ، والصفة التى تستولى على القلب والفكرة التى تتملك النفس هى التى تجعل للعبادات قيمتها المقصودة ومعناها المراد وسرها المشروع ولهذا كان لابد للحاج من خصال يصدق بها حجه ، وتتمحض بها طاعته ، وأهمها هو صدق النية والبعد عن الرياء والسمعة وحضور القلب عند أداء هذه الفريضة فاذا تحقق ذلك تحقق معنى الحج وكان ذلك أمارة دالة على تمامه وكماله وعاد بالخير المقصود كما جاء فى الحديث : « أدوا الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد » .

ان نفحات الله لا يتعرض لها الا القلوب الخالصة الصافية وأقرب القلوب صفاء واخلاصا هى قلوب قفلت من حج الى بيت الله وخلصت من الاكدار وطهرت من الاثام فيقبض الله عليها بأسراره ونفحاته فيملؤها نورا وايمانا وسعادة واذا امتلات القلوب بنفحات الله وأسراره أفاضت على من حولها خيرا وسعادة وسلاما .

وفى هذه الاجواء الزكية بالعبادة والدعاء والـ..سريات الكريمة تعيش هذه الوفود ، وفود الله فى صفاء وطهر قد خلصت قلوبهم ونفوسهم من فضلات الاثم واللغو ، وعادوا رضى الله عنهم ورضوا عنه : قال صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم مادعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا والذى نفس أبى القاسم بيده ما كبر مكبر على نشز ولا أهل مهل على شرف من الاشراف الاأهل ما بين يديه وكبر ، حتى يتقطع به منقطع التراب » فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أواشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الاخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » .

الحج في الإسلام وقبله

فضيلة الشيخ
منصور الرفاعي عبيد

لقد كان الحج معروفا قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان الانسانية عرفته منذ اللحظة التى نادى فيها الخليل ابراهيم بأمر ربه فى الوجود من على جبل الصفا « يا أيها الناس أن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه : وقد قيل : ان الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الارض وأسمع من فى الارحام والاصلاب وأجابه كل شىء من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج الى يوم القيامة ومن ساعة هذا الاعلان والناس ما زالوا يحجون الى البيت العتيق الذى هو أول بيت وضع فى الارض لعبادة الله تعالى: وقال ابن عباس ان آدم لما هبط من الجنة الى الارض قال الله له يا آدم اذهب فابن لى بيتا وطف به واذكرنى عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى وانه رفع الى السماء ايام الغرق • ثم بناه ابراهيم عليه السلام ومعه ولده اسماعيل بامر الله الذى وضح ذلك بقوله سبحانه : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » ولما فرغ ابراهيم من البناء صاح جبل ابى قبيس « يا ابراهيم ، يا خليل الرحمن ان لك عندى وديعة فخذها فاذا هو بحجر ابيض من ياقوت الجنة كان قد نزل مع آدم من الجنة « وهو الحجر الاسود » وقد وضعه مكانه بامر ربه سبحانه وعلى اى فالبيت الحرام هو اول بيت وضع فى الارض لعبادة الله مصداق قول الله » ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » وكان الناس يطوفون بالبيت ولكنهم لطول عهدهم غيروا وبدلوا وحرفوا فكانوا يطوفون بالبيت عرايا • وكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل وكان مقصدهم بالطواف عرايا أن يكونوا كما ولدتهم امهاتهم وليس عليهم الثياب التى أذنبوا فيها . ولم يكن يطوف بملابسه الا الحمس • والحمس هم قريش ومن ولد منهم وكانوا يسمون بذلك اعتقادا منهم بانهم لم يذنبوا ولذا كان الناس يأخذون ملابسهم يطوفون فيها ملابس الرجال للرجال • وملابس النساء للنساء فلما جاء الاسلام وفرض الحج أعلن ابطال هذه العادة وأبدلها بلباس الاحرام وهى الازار والرداء ملابس ليس فيها خيط ولا زينة ولا زركشة بل هما ثوبان ابيضان خاليان من كل شىء ليظهر الانسان بمظهر التقشف وليتذكر وهو محرم بانه اذ يلقى الله فى بيته فى زى مخالف لعادته وهيئته فسيلقى الله بعد الموت وهو فى زى مخالف لزى اهل الدنيا • وقد ابطل الاسلام الطواف للانسان وهو عريان فى قول ابى بكر رضى الله عنه حينما كان أميرا على الحج بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع بقوله « الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت بعد اليوم عريان • كما كان أهل الجاهلية يتقربون الى الله بان يطوف احدهم ويده مقرونة بيد انسان آخر بخيط فيسيران فى الطواف مقترنين • وقد أبطل النبى هذا الفعل حسبما جاء فى رواية البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم مر وهو يطوف بالكعبة بانسان

قد ربط يده بانسان آخر فقطعه صلى الله عليه وسلم بيده ٠

وقد شرع الطواف حول البيت الحرام لانه أشرف بقعة فى الارض واطهر موضع خلقه الله وجعله حرما آمنا يلجأ اليه الخائف والضعيف مصداق قول الحق سبحانه « او لم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » وقوله « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » والطواف ثلاثة انواع ١ ـ طواف القدوم على البيت ٠ ٢ ـ طواف الافاضة بعد رمى جمرة العقبة يوم النحر ٠ ٣ ـ طواف الوداع : والواجب منها الذى يفوت الحج بفواته هو طواف الافاضة المعنى بقول الله سبحانه « ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » ويبدأ الطواف من الحجر الاسود ويقبله الانسان ان استطاع أو يلمسه او يشير اليه ويجعل البيت على يساره ويطوف سبعة اشواط ويستحب استلام الحجر الاسود فى كل شوط ان امكن وكذا استلام الركن اليمانى ويرحل فى الاشواط الثلاثة الاول « والرمل هو الاسراع فى المشى مع تقارب الخطى » والمقصود من ذلك اظهار النشاط والقوة قطعا لطمع الكفار فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة مع اصحابه وارادوا ان يطوفوا بالبيت فوقف المشركون عند دار الندوة ينظرون الى المسلمين ويقولون انهم ضعفاء لقد أوهنتهم حمى يثرب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك رمل وقال رحم الله امرأ أبدى من نفسه جلدا ٠ كما كان العرب قبل الاسلام يسعون بين الصفا والمروة ولكنهم كانوا قد وضعوا صنما على الصفا يسمى « اساف » وصنما على المروة يسمى « نائلة » وكانوا يسعون بينهما ويتمسحون بهما وقد زعم قوم ان الصنمين كانا لرجل وامرأة زنيا داخل الكعبة فمسخهما الله حجرين فوضعهما الناس على الصفا والمروة ٠ ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله ٠ وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه كان فى الجاهلية شياطين تعزف الليل كله بين الصفا والمروة وكان بينهما آلهة ، فلما جاء الاسلام ورمى بهذه الاصنام واعلن مبدأ الحق فى قول الله « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » تحرج الناس من الطواف بين الصفا والمروة لما كان يصنعه اهل الجاهلية من اجل اوثانهم فانزل الله سبحانه « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما » فما دامت الاصنام قد أزيلت والنية متجهة الى الله سبحانه فليس هناك حرج ٠ وقد شرع السعى بين الصفا والمروة لما فيه من تجديد الوقوف برحاب الله واظهار النشاط والبعد عن مظاهر الكسل والانسان يتذكر لقاء آدم وحواء ، فقد قيل انما سمى الصفا بذلك لان صفى الله آدم جلس عليه وسميت المروة بذلك لجلوس امرأته حواء عليه ٠ استحضار هذا المشهد الرائع لهذه السيدة الفاضلة هاجر وهى تسعى بين الصفا والمروة تبحث لولدها الصغير اسماعيل عن ماء ٠ وذلك ان ابراهيم عليه السلام حينما توجه بزوجته وولدها بامر ربه واودعهما عند البيت الحرام دعا بقوله « ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » وكان مع هاجر ماء تشرب منه حتى اذا نفد ما معها من الماء عطشت وعطش ولدها فجعلت تنظر الى ولدها الصغير وهو يتلوى من شدة العطش ويضرب بنفسه فى الارض فانطلقت تبحث له ولها عن ماء فوجدت الصفا أقرب جبل يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر لعلها تجد ماء او اى شىء فلم تجد شيئا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف ردائها وسعت سعى الانسان المجهود المكدود حتى جاوزت الوادى واتت المروة فقامت عليها ثم نظرت تبحث عن ماء فلم تجد ولم تر أى شىء وفعلت ذلك سبع مرات وكانت امنا هاجر وهى تفعل ذلك تطلب الغوث من الله وتتذلل اليه وتسأله ان يكشف كربتها ويؤنس غربتها ويفرج شدتها وقد استجاب الله لها وانبع لها زمزم من تحت كعب صغيرها بامر الله ومن يومها وزمزم ماؤها « طعام طعم وشفاء سقم » كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا ينبغى للساعى ان يستحضر ذلك كله وان يستشعر فقره وحاجته الى الله فى هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه ٠ وان يبدأ فى السعى بما بدأ الله به « الصفا » وقد روى فى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه بالبيت عاد الى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وهو يقول « ان الصفا والمروة من شعائر الله » ثم قال « ابدؤا بما بدأ الله به » وقد كان بعض الناس فى الجاهلية اذا حج ورجع لا يدخل من باب بيته ويلتزم الواحد منهم ان لايحول بينه وبين السماء حائل وكان الرجل يتسنم ظهر بيته ويأمر بحاجته فتخرج اليه ويرى ان هذا من النسك والبر فأنزل الله سبحانه قوله « وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها » فيبين لهم ان البر ليس فى تسلق الجدران والخوف من الدخول من الابواب ولكن البر فى التقوى والخوف من الله العليم الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور » ٠

وقد كان الناس يفيضون من عرفات اما قريش ومن دان دينهم ممن يسمون الحمس فكانوا يفيضون من مزدلفة ٠ فلما جاء الاسلام امر الله نبيه ان يأتى

عرفات ويقف مع الناس ويفيض منها لا فرق بين الحمس وغيره وذلك حيث يقول الله سبحانه **ثم افيضوا من حيث افاض الناس** » كما كان العرب يرون ان العمرة فى اشهر الحج من افجر الفجور وكانوا يسمون المحرم صفر يؤخرون ويقدمون لئلا تتوالى عليهم ثلاثة أشهر محرمة فيضيق عليهم ما اعتادوه من القتال والغارة فضللهم الله فى ذلك وبين لهم ان هذا من النسىء المحرم فقال سبحانه : « **انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله** » .

والاشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب . ثلاثة سرد وواحد فرد ولما كان ذو الحجة شهر الحج حرموه وحرموا معه الشهر الذى يتقدمه والشهر الذى يليه ليتأتى لكل من يفد على مكة ان يرجع منها وهو آمن . اما رجب فيقال ان العرب كانوا اشد صونا له منهم لغيره من الاشهر الحرم لان هذا الشهر كان فى الاصل يقع فى الربيع وهو الفصل الذى يظهر فيه النتاج فيجدر ان يكون شهر سلم وامان كما ان الانسان يتذكر قصة الفداء التى وقعت مع ابى الانبياء ابراهيم عليه السلام حيث أمر بذبح ولده اسماعيل فاستجاب لامر ربه وقال لولده « **انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا ابت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه . ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين** » .

كل ذلك فى تلك البقعة الطيبة من الارض المباركة فى الاشهر الحرم .

وذكرياته تذكرنا بمجد تليد واصالة عريقة للامة العربية والاسلامية فما أولانا بالذكرى والذكرى تنفع المؤمنين .

الليالى

لقد فضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ لحكمة يراها : ولسر يدركه ـ بعض الاشخاص على بعض كما فضل بعض الامكنة والازمنة على بعض .

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن فضل أياما معدودة ، وأزمنة محدودة ، ليتدارك العبد فيها ما فاته من صالح الاعمال ، فتضاعف حسناته ، وتمحى سيئاته .

ومن الايام التى فضلها الله ـ عز وجل ـ العشر الاوائل من ذى الحجة ، لقوله تعالى : « **والفجر وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل اذا يسر ، هل فى ذلك قسم لذى حجر** » .

والمراد بالفجر فجر اليوم الاول من العشر الاوائل من ذى الحجة ، وقال بعض المفسرين بل المراد فجر كل يوم ، لان الملائكة تشهد صلاته « **وقرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهودا** » .

أما الليالى العشر فقد ذكر كثير من المفسرين أن المراد بها العشر الاوائل من ذى الحجة .

ويقول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى شأنها : « **ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله من هذه الايام قال راوى الحديث** : يعنى العشر الاوائل من ذى الحجة ـ قالوا ولا الجهاد يا رسول قال ولا الجهاد الا رجل خرج بنفسه وماله فى سبيل الله ، فلم يرجع بشىء من ذلك » أى مات شهيدا وهذه الايام المباركة حافلة بالامجاد الدينية ، ذاخرة بالذكريات الخالدة ، ففيها يلتقى الحجاج بربهم فى بيته الحرام ، وعند زمزم والمقام ، والمشاعر العظام ، يطوفون ويركعون ويسجدون يتعارفون ويتشاورون ويتناصحون . فتقوى الروابط بين المسلمين ، وتتوثق العرى ، فيعظم شأن الامة الاسلامية ـ بهذا المؤتمر السنوى الكبير ـ ويرسخ بنيانها ، ويعلو قدرها ، ويرتفع بين الانام ذكرها .

ومن هذه الايام المباركة يوم عرفة ، يجتمع فى صعيده الحجيج من كل فج عميق ، على اختلاف الوانهم ولغاتهم وأجناسهم ، يجتمعون فى مكان واحد ، بلباس واحد ، مجردين من المخيط والمحيط ، لا فرق بين غنى وفقير ، ولا بين عزيز وحقير يدعون ربا واحدا ، ويهتفون هتافا واحدا يدوى فى الفضاء وتتجاوب معه السماء ، قائلين فى خشوع وضراعة « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » فيقول الله عز وجل مباهيا بهم ملائكته انظروا الى عبادى أتونى

العشر

فضيلة الشيخ رجب العابدى

شعثا غبرا ، أشهدكم يا ملائكتى بأنى قد غفرت لهم ذنوبهم » .

وورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما نزل بالمزدلفة رؤى ضاحكا ، فقيل له وما أضحكك يا رسول الله ؟ – أضحك الله سنك – وقد عهدناك لا تضحك فى مثل هذا الموقف ، فقال الرسول « ان الله لما استجاب دعائى ، وغفر للحجاج ذنوبهم أخذ ابليس يحثو التراب على رأسه ، ويدعو بالويل والثبور » .

وفى يوم عرفة ذكرى مجيدة خالدة ، حبيبة الى القلوب ، عزيزة على النفوس ، ذكرى حجة الوداع ، وهى آخر حجة حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وألقى فيها خطابه المشهور ، وقرر فيه مبادىء هامة لا تتسامى اليها أحدث الدساتير الوضعية .

ومن هذا الخطاب قول الرسول عليه الصلاة والسلام « ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا ، وفى شهركم هذا ، أيها الناس : كلكم لادم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربى على عجمى ، ولا لابيض على أسود الا بتقوى الله وحسن الخلق « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

وعن عمر بن الاحوص الهاشمى رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى حجة الوداع بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال : « ألا واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم ، لا تملكون منهم شيئا غير ذلك ، الا ان يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ضربا غير مبرح ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا . ان لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ، الا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن » رواه الترمذى وقال : حديث صحيح ، وفى ختام خطابه قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ألا قد بلغت ، اللهم فاشهد ، وليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع » .

وفى هذه الحجة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر آية من القرآن الكريم ، وهى قوله تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا** » فكانت ايذانا بقرب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل كانت نعيا لوفاته كما أدرك ذلك الخليفة الثانى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد ورد أنه بكى عند نزول هذه الاية فسئل فى ذلك فقال : « انها تنعى الرسول ، لان الشىء اذا تم أخذ فى النقصان » ، وقد تحققت مخاوف عمر ، اذ لحق الرسول بالرفيق الاعلى بعد نزول هذه الاية بواحد وثمانين يوما .

لهذه المعانى السامية الجليلة سن رسول الله للمسلمين صيام يوم عرفة ، فعن أبى قتادة رضى الله تعالى عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة فقال : « يكفر السنة الماضية والباقية » رواه مسلم .

ومن هذه الايام المباركة أيضا يوم عيد الاضحى ، ويوم عيد الاضحى هو يوم الامجاد والذكريات الخوالد ، يوم التضحية ، يوم الطاعة والبر ، يوم الرحمة والفداء .

وتخليدا لهذه الامجاد ، شرع الله الاضحية ، وجعلها رسوله سنة على كل قادر ، لقوله تعالى « **انا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الابتر** » والكوثر الخير الكثير من النبوة والوحى والقران والتبليغ ، والمراد بالصلاة صلاة العيد ، وبالنحر الاضحية ، وتجزئى بنت ستة أشهر من الغنم ، وبنت سنة من الماعز ، وتذبح بعد ذبح الامام لاضحيته بعد صلاة العيد ، ويستحب أن تقسم أثلاثا ثلث للاهل ، وثلث للاهداء ، وثلث للصدقة .

وورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أقرنين أملحين ذبحهما بيده الشريفة ، ووضع رجله على صفاحهما ، وسمى وكبر ، فلما ذبح الاول قال : بأسم الله الله اكبر ، اللهم ان هذا عن محمدوآل محمد ، ولما ذبح الثانى قال : باسم الله ، الله أكبر ، اللهم ان هذا عن من شهد لى بالبلاغ ، وشهدت له بالتصديق ، ولقى الله لا يشرك به شيئا » .

أيها القارىء الكريم : عما قريب تهل علينا طلعة العيد السعيد ونكون فى ضيافة رب العيد وقد أباح لنا فيه الترويح عن النفس بما اباحه من الطيبات ، فلنفرح بهذا اليوم ولنشكر الله على ما أنعم به .

وينبغى فى هذا اليوم أن تتصافح الايدى وتتصافى القلوب ، وتطرح الاحقاد وينزع الغل من الصدور ، وتنبذ الخلافات والحزازات الشخصية ، وأن نتزاور ونتواد ونصل الارحام ، ونذكر الفقراء والمعوزين ، والارامل والايتام ، وأن نضحى بمصالحنا الشخصية فى سبيل المصلحة العامة ، وأن نبذل كل ما فى وسعنا ، لاستعادة أمجادنا ومقدساتنا الغالية .

المعنى الإسلامي للحج وأثره في حياة المسلمين

الأستاذ محمد فوزي عبد اللطيف

الحج قديم فى تاريخ البشرية ، عرفته الامم والشعوب منذ فجر التاريخ ، وذاع بين أهل الديانات الكتابية وغير الكتابية ، ومارسته كل امة وفقا لطقوسها وشعائرها ، وما درجت عليه من مظاهر التقديس لمعبوداتها وأربابها ٠

كان اليهود يحجون منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى المكان الذى فيه تابوت العهد ، وكانوا يخرجون الى هذا الحج ثلاث مرات كل عام ، وقد ظلوا يمارسون هذا الحج حتى أحرق الامبراطور الرومانى طبطوس بيت المقدس وأجلاهم عنه سنة ٧٠ للميلاد ، وعاشوا بعيدين عنه أكثر من خمسمائة عام ، فلما استولى المسلمون على بيت المقدس عام ٦٣ من ميلاد السيد المسيح أقرهم الخليفة عمر بن الخطاب مع النصارى على ما كان لهم فى بيت المقدس ، وأوجب لهم حق الامن والرعاية ولكن اليهود لم يحفظوا جميل عمر ولا فضل المسلمين الذين قاموا برعايتهم وحمايتهم ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، وصاروا عونا لاعداء المسلمين على المسلمين ، وهذا هو شأنهم دائما فى كل زمان ومع كل انسان ٠

وكان النصارى أتباع السيد المسيح يحجون الى بيت المقدس منذ عام ٣٠ للميلاد ، وهى السنة التى سارت فيها هيلانة ام الامبراطور قسطنطين الى اورشليم وبنيت بها كنيسة القبر المقدس المشهورة باسم كنيسة القيامة ، ودرج المسيحيون على هذه السنة ، وكانوا يخرجون الى هذا الحج من غرب اوربا فى حتفال عظيم وكانت لهم على طول الطريق تكايا وأديرة ينزلون بها أثناء سفرهم الطويل ، وكانوا اذا وصلوا الى القدس تطهوروا فى نهر الاردن حيث تم تعميد المسيح عليه السلام وتطهيره ثم يلتحف كل واحد منهم برداء ليكون له كفنا عند موته ٠

وقبل الاسلام كان العرب يحجون الى الكعبة منذ ثمانيه عشر قرنا ، وعلى الرغم مما كان بين العرب من اختلاف كبير فى الديانات والعبادات ، وعلى الرغم مما كان يجرى بينهم من اغارة وغزو وتشاحن فانهم كانوا على اتفاق تام فى احترام الكعبة وتعظيمها ، لانهم كانوا يعتقدون أنها بيت الله وليس لاحد سلطان عليه ، وتمشيا مع هذا التعظيم كانوا يعتبرون الكعبه مكان أمن وطمأنينة واستقرار ، فلا خوف ، ولا ثأر ، ولا قود : ولا سلب ولا غصب ٠ ولا أى شىء من المكروه التى يعيشون عليها فى حياتهم العامة ، ولكنه مكان حرم ، وشهر حرم ، يتلاقون فيه على المودة وازالة ما بينهم من جفاء ٠

ثم جاء الاسلام فشرع الحج ، وكانت مشروعيته فى السنه السابعة للهجرة ، والذى لا شك فيه أن الاسلام قد أقر كثيرا من التقاليد الخلقية والمعانى الانسانيه التى كان العرب يتعاملون بها ويتلاقون عليها أثناء زيارتهم وقصدهم الى الكعبة ، ولكن الذى لا شك فيه ايضا ان الاسلام قد حول الحج الى معنى انسانى كبير ، وجعل منه قوة انسانية ترتفع بالانسان فوق اعتبارات الطبقيه والعنصريه والجنسية ، ورابطة اسلاميه عظمى تربط بين المسلمين من أنحاء الارض بالتعارف والتراحم كما تربط النفوس بكل معانى الخير والكمال التى يريدونها فى دينهم ودنياهم ٠

فالحج ركن أصيل من أركان الاسلام ، وهو الركن الخامس فى العبادات المفروضة على كل مسلم ، وقد قسم الفقهاء العبادات من حيث أدائها الى أقسام ، عبادة بدنية مثل الصلاة والصوم ٠ وعبادة مالية مثل الزكاة والصدقة ، وعبادة تجمع بين الاثنين وهى الحج ، فالحج فى أدائه والقيام بشعائره عبادة بدنية ومالية ، أما هو فى معناه ودلالته والغاية منه فهو قوة موجهة وحافزة الى كل ما تضمنته رسالة الاسلام ودعوته من المعانى والدلالات والغايات الشريفة السامية ٠

أول ما يفرضه الحج على المسلم أن يقف الى جانب أخيه المسلم أمام الله متحررا من كل زخارف الدنيا وما تؤثره الغرائز الضاريه فى الانسان من التعالى بحقيقته الانسانية التى لا تخالطها أوضار الغرائز أبدا ، ولا يثلمها غرور أو زهور أو بطر ٠ وبهذه الحقيقة يجد الانسان نفسه الى جانب كل انسان ، لا

فرق فى ذلك بين أسود وأبيض : ولا بين جنس وجنس ، وقومية وقومية ، وهذا هو المعنى الانسانى الذى قامت عليه رسالة الاسلام ودعوته . والحت التعاليم الاسلامية على تحقيقه . ولقد امتاز الاسلام على كل ديانات العالم كما يقول أحد الكتاب الاوربيين بأنه وصل الى أعظم وسائل النجاح فى تحطيم حواجز الجنس واللون والقومية ، وكل ما هناك من فوارق طبقية وشعوبية مازالت مدنية العصر تتشبث بها ، وكان من أقوى معانى القوة فى الاسلام أنه جعل الانسانيه الرباط الوثيق المتين بين سائر الناس فى هذه الارض .

والى جانب هذه الرابطة الانسانية تتمثل فى الحج قوة اجتماعية موحدة لها تأثيرها العميق فى حياة المسلمين ، وهى فى الحقيقة تأكيد لتلك الغاية الانسانية وتثبيت لما فى النفوس والقلوب ، ففى ساحة الحج حيث يتجلى الفيض الالهى فى وجدان الناس وضمائرهم يلتقى المسلمون من أطراف الارض وشتى أنحاء الدنيا ، فيتعارفون ويتآلفون على المودة والمحبة ، والتعارف دليل التعاون والتراحم ، وتبادل المصالح والمنافع ، ولهذا كان التعارف المعنى الاول لانسانية الانسان ، وهو المعنى الذى أرشدت اليه الاية الكريمة « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وليس التعارف فى الحج هو مجرد التعارف بالاسماء والمظاهر والسمات ،واذ ما القصد بالتعارف هو تبادل المودة ، والمخالطة النفسية ، والتناصح بكل ما ينفع المسلمين فى حياتهم . ويؤكد رابطتهم ويوحد كلمتهم ، ويصلح أحوالهم ، ومن هنا كان لمجتمعات الحج الاسلامى تأثير كبير فى الحياة الاسلامية ، وفى الدعوات الاصلاحية التى كانت بمثابة التجديد لحياة المسلمين .

والحج واجب على كل قادر ، وشرط القدرة هذا يجعله أوجب ما يكون على الحكام والولاة والقادة ومن بيدهم مقاليد الامر فى المسلمين ، لانهم يملكون لذلك القدرة الكاملة ، ولا شك أن قيامهم بهذا الواجب يجعل من الحج مؤتمرا اسلاميا لا يمكن أن ترقى اليد أو تبلغه دعوة من الدعوات المعاصرة الى عقد المؤتمرات الدولية والاحتشاد فى المحافل العالمية لتبادل الاراء فى توزيع المصالح والمنافع . لان مؤتمر الحج يعقد تحت رعاية الهية ، ويلتقى فيه المؤتمرون على أساس من التقوى وابتاء الخير ودفع الضر ، ولهذا كان الخلفاء والولاة فى الصدر الاول للاسلام يؤثرون الخروج الى الحج بأنفسهم ، لانهم كانوا يجدون فى ذلك فرصة للتعرف الصحيح المباشر على أحوالهم وشئونهم ، وقد أفادهم ذلك فائدة عظيمة فى سياسة ملكهم ، وفى تدبير شئون المسلمين وحكمهم .

ومن شعائر الحج التضحية والفداء ، وقد اقترن التوقيت لاداء الحج والقيام بشعائره بعيد الاضحى ، عيد البذل والتضحية والفداء ، وهو توقيت له دلالته ومغزاه فى المعنى الاسلامى للحج ، فالحج ليس استسلاما أو ضعفا او معنى من معانى الموت والفناء ، ولكنه تجديد لحياة المسلم ، ومدد روحى يملأ نفسه ووجدانه بالقوة والسماحة والمجاهدة لكل مظاهر الشر ووسائل الطغيان ، فعيد الاضحى هو عيد تحرير الرقاب الانسانية التى كانت تطيح بها جهالة الوثنية قربانالاربا بها واصنامها ، وهو معنى ينسحب اليوم على تحرير الرقاب من كل نير للاستعباداو الاستغلال ، وكان بعض الفرق الاسلامية قد ادركت هذا المعنى القوى فى الحج اذ جعلت الجهاد ركنا سادسا من أركان الاسلام ، وقرنته بفريضة الحج ، فالحج دعوة الى اجتماع اسلامى شامل ، وتدبر مصالح المسلمين ، وكذلك الجهاد دفاع عن مصالح المسلمين فى مختلف افكارهم وعلى امتداد أرضهم ، وكما أن الحج واجب على كل مسلم قادر ، فكذلك الجهاد واجب على كل مسلم قادر ، وكأن الخليفة هارون الرشيد كان يقر هذا المبدأ ويسير اليه ، فكان من عادته ان يخرج للحج سنة ، ويخرج للجهاد سنة ، وعلى هذا النحو أمضى ذلك الخليفة العظيم حياته فى تدبير أمر المسلمين وحماية مصالحهم ، ودعم كلمة الاسلام ودعوته بين مختلف الامم، ويعتبر عهد الرشيد أزهى وأقوى عصور الاسلام .

هذا هو المعنى الاسلامى للحج ، رابطة انسانية تضع الانسان دائما فى عون أخيه الانسان ، وقوة اسلامية تؤثر البذل والتضحية والجهاد فى تدبير شئون المسلمين ورعاية مصالحهم ، وهو المعنى الذى عاش به المسلمون يوم كان الامر أمرهم والدنيا تحت اقدامهم ، ولكننا مع الاسف افتقدنا هذا المعنى فى حياتنا ونحن احوج الناس اليه ، فالحج فى حياة المسلمين اليوم جموع تغدوا وتروح ، وأصوات ترتفع ثم تذهب مع الريح وكلمات يرددها الحجاج متبعين المطوفين وليس لها فى قلوبهم او فى حياتهم اى معنى أو أثر حميد .

الحج فريضة وذكرى

الأستاذ محمد عباس محمد

ان الاسلام يعلى من شأن العمل الجماعى ، ويجعل له ثوابا مضاعفا بالقياس الى العمل الفردى . تقديرا منه للاثار المترتبة على فائدة العمل الجماعى .

ففريضة الصلاة تؤدى فردية كما تؤدى جماعية ، ولصلاة الجماعة ثواب يعادل سبعة وعشرين مرة لصلاة الفرد .

والحج يمتاز على غيره من الفرائض بأنه يؤدى جماعى ولا يؤدى فردى فى أى سنة من السنين ، والجماعة فيه تبلغ مئات الالاف وقد تصل الملايين فضلا عن ذلك ، فانه تجمع لشتى الاشخاص من مختلف الشعوب من جميع الامم الاسلامية ،ويبذل فى الحرص على تأدية هذا الفرض جهد عظيم ، وبذل للمال مع الحرص على أمن الطريق والتفرغ الكامل لعدة أيام لتحقيق المناسك المطلوبة من الحج بعد مفارقة الاهل والولد والوطن وما تملك الايدى .

كل ذلك بسخاء نفس واخلاص قلب وطهارة ثياب.

كما أنه يوحد بين الحجيج فى أسلوب الاداء .

فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، ودرهم ينفق فى سبيل الله بسبعمائة ضعف .

وقد كان المسلمون يولون وجوههم قبل هذا المزار ، أهل المشرق منهم وأهل المغرب ، ومسلمو الشمال ومن كان منهم فى الجنوب .

وفى الحج تجميع للقلوب المسلمة للتوجه الى هدف واحد هو التخطيط الذى رسمه رب البيت .

انه استجابة لدعوة خليل الله ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عندما قال : « **فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » .

فيه انتقال من الوطن الى أشرف بقعة فى خير بلد وأحب أرض الله الى الله ورسوله ، بصورة يصاحبها الاخلاص والحرص على التوفيق والامل فى القبول ، والحج المبرور .

انه اذابة لفوارق الجنس ، وتعدد الطبقات ، وتشتت الالوان واختلاف السن والقوى .

مساواة فى غير بغى أو استعلاء أو كبرياء أو تمييز ، يجمع الله بالحج أبناء أمة محمد عليه الصلاة والسلام فى مؤتمر عام اشتراكى اسلامى توحد فيه القلوب وتحقق فيه الالفة والتعارف والتآخى والاتحاد والمساواة فى سبيل المصلحة العامة للمسلمين .

انه مؤتمر الثياب البيض ، الذى يتواصى الحاضرون فيه على الاخلاص للبشرية . وترديد ذكريات الايام المليئة بالعدل الالهى . خصوصا الايام التى أنزل الله فيها لاهل الارض الدين القويم والمنهج الكامل للسعادة الدنيوية والاخروية ، انه دين الله الذى به تمت نعمة رب العالمين لخلفائه على الارض من أبناء آدم وذرية ابراهيم واسماعيل وأمة محمد خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ان ضباط الاتصال فى هذا المؤتمر . الذين يقومون بعملية تسجيل ونقل ما يجرى فيه من احاديث القلوب . ملائكة - نازلة من السماء وصاعدة اليها ، هم جنود الرحمن الى المسلمين ، يدفعونهم نحو تشييد خير امة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتخبرهم بأن هذه الايام التى هم فيها . جليلة الاثر . عظيمة الشأن . كثيرة النعم . جمة الخيرات والبركات ، فيها تدريب على التعاون على البر والتقوى بصورة أوسع : وتحقيق الاخوة الاسلامية والاعتصام بحبل الله المتين بأسلوب فيدى عملى لانفكاك له ما دام الحج لم يفقد اثره المنشود من فرضيته على أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

فى هذا المقام يتطلع المجتمعون لاحوال المسلمين ، ويتذاكرون ما وصلوا اليه من حال ، وموقف الحبيب منهم والعدو . ودرجة الضعف والقوة فى التمسك بتعاليم الاسلام . يحاسبون أنفسهم - فى حضرة الله ورسوله - على مبلغ صيانتهم لمجد الاسلام . الذى ورثوه عن المجاهدين الاولين من المهاجرين والانصار والتابعين ، الذين قاسوا الكثير تثبيتا لدعائم هذا الدين واستمساكا بعروته الوثقى التى بانفصامها تهوى الشعوب فى المادية الجائرة والصراع المميت والطغيان البشرى الذى يمليه ابليس وجنوده على الذين اتخذوهم آلهة من دون الله .

لذلك جعل الله على رأس هذه الايام « **العيد الاكبر** » تمييزا لها على غيرها من أيام السنة جميعها ، وتفضيلا لها على الايام التى تعقب شهر الصيام شهر القرآن على ما لها من شأن عظيم والتى يعقبها « العيد الاصغر » . وتعظيما منه بهذه الفريضة على غيرها من الفرائض الاخرى . واشهارا للاثر البعيد الذى يترتب على هذا الاجتماع الخالد ، لنخبة ممتازة من الصابرين الطائفين الركع السجود ، الذين استضافهم الله فى بيته على الارض ، ومسح على قلوبهم ، وتجلى عليهم من رحماته ، ومنحهم من فضله ، وأوصاهم بقوله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز :

« فاذا قضيتم مناسككم ، فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ، فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » .

هؤلاء الذين سيجمعون بين خيرى الدنيا والاخرة ، رجح اعمالهم واهتماماتهم تشهد لهم بتفضيل أعمال الاخرة على الدنيا . سيكونون نواة الجماعة الاسلامية ، وسيبلغ الشاهد منهم للاراضى المقدسة الغائب الذى لم يظفر بالتكريم الالهى والنفحات الربانية تحت هذه القبة السماوية .

انه معاينة للاراضى القاحلة والمناطق الصحراوية واماكن مجاهدة الكفار والتقشف الذى عاناه خيار الناس : المسلمون الاولون ، تحقيقا للاهداف الاسلامية من استخلاف الانسان على الارض بصورة كاملة ونشر الدعوة الاسلامية التى أحدثت الانقلاب الكبير العادل فى المجتمع البشرى والعمل على ارساء المبادىء الانسانية السليمة . والتعريف بحقوق الانسان وأسلوب السير على الصراط المستقيم الذى خططه الله من فوق سبع سماوات وقال سبحانه وتعالى :

« ان الدين عند الله الاسلام » .

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الاخرة من الخاسرين » .

يرجع الحاج بعد هذه الزيارة الى وطنه ، مقدرا ما نحن فيه الان من مدنية زاهرة ، وعمران اجتماعى ، واستمتاع مادى - وبضده تتميز الاشياء -

فالعلوم قد سخرت لنا كل شىء . وخيرات لا حصر لها فى الجو والبحر وفى باطن الارض .

ومع ذلك فلسنا سعداء كهؤلاء الذين بنوا مجدهم فى الصحراء ، وعاشوا بالكفاف ، وكان من عنده قوت يومه وآمنا فى سربه ومعافى فى بدنه كأنه حيزت له الدنيا بحذافيرها .

لعلنا بهذه الذكرى نعود الى الله . بقلوب مضحية بزخرف الحياة الحيوانية مفضلين عليها الحياة الملائكية ، وقد عاهدنا الله ، أن نحترم آداب دينه وعاهدنا رسول الله بالتمسك برسالته - يوم أن كنا بمكة والمدينة ملبين طائفين زائرين راجين رحمة الله وغفرانه وشفاعة رسوله وقبول الزيارة ، ومن ورائنا جميع المسلمين فى جميع بقاع الارض ملبين أيضا ومستغفرين وملتمسين الرحمة والغفران من رب العالمين .

من وحى الحج

المسجد الحرام رباط مادى بين المسلمين

المسجد الحرام وما أدراكَ ما هو ؟ .. أول بيت وضعه الله فى الارض متعبداً لعباده ، اليه تتجه ذوات الملايين من المسلمين فى أقطار الارض عند كل صلاة ، وفى كل عام تهفو لرؤيته والطواف حوله قلوب الموحدين من كل عمران ، أمان الخائف ، وملاذ العائذ .. تجبى اليه ثمرات كل الارض بأمر الله ، ومن رحابه تفجرت ينابيع الهداية للبشرية لتستقيم بها ولها الحياة ، وهو فى مكان الوسط من الارض تجاه البيت المعمور فى السماء ، ومكة من حوله أم القرى ، ومقامها مرفوع من أجله بين الورى ، بنته الملائكة بأمر الله ، وحرمه الله من يوم خلق السموات والارض . لا يختلى خلاؤه ولا يصطاد طيره ، ولا يعضد شجره ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله « أو لم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » « أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا » سورة العنكبوت ، القصص ، كما أعلن ذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، اذ قال :

[ان هذا البلد ــ مكة ــ حرام حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة] .. فهو محفوظ بحفظ الله ، وفدت اليه الامم أمة بعد أمة ، وتعاقب على رعايته الرسل ، رسول بعد رسول ، كلما تهدم أعلاه ، قيض الله له من أصطفاه فبناه ، واحترم حماه ، قال تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » . وعلى مر الزمان وتعاقب الحدثان ، لم يستطع الطوفان العام ، ولا السيول الجوارف ، ولا الحرائق المدمرة أن تستأصل جذوره ، أو تمحو قواعده ، أو تصد البشر عن شد الرحال اليه رغم انتشار الوثنية الطاغية التى غيرت عقول الناس وعقائدهم ، وعددت من معبوداتهم وأصنامهم ، كذلك لم تستطع المنازعات والحروب بين العرب منذ القدم أن تنال من مقام المسجد الحرام فى القلوب ، بل رغم كل هذه الاحداث مجتمعة ، بل وأضعافها وأضعاف أضعافها لم تستطع ان تمحو البيت الحرام من فوق الارض كما محت من حوله جبالا وأنهارا ،

فضيلة الشيخ عبد الفتاح شهاب

وابادت أمما ، وطوت آثارا ، وأقفرت خصبا وخربت عمرانا ، ذلك لانه بيت الله « والله غالب على أمره » وحاميه من كل سوء . محفوظ بحفظ الله ، وما قصده جبار بسوء الا قصمه الله ، ولا بغى فيه باغ او ألحد ملحد أو فسق فاسق الا محقه الله أو أخرجه منه مذموما مدحورا ، وعد من الله الغيور عليه القائل فيه « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » .

والتاريخ ينبىء عن قبيلة جرهم ، التى عاشت حول البيت الحرام قرونا متطاولة ، ما دامت ترعى له الزمام ، فلما فسقت فيه وارتكبوا المناكير فى رحابه غار عليه ربه فأخرجهم منه أذلاء مندحرين ، قال زعيمهم مضاض بن عمرو الجرهمى ، بعد أن طمس بئر زمزم على أثر غلبة خزاعة لهم وطردهم من مكة ، بعد أن عاثوا فيها فسادا وانتهكوا حرمة البيت الحرام .. قال يتحسر على ما فاتهم من نعيم مكة ، وما كان لهم فيها من شأن ورعاية وأمان فى رحاب بيت الله :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد ثابت
نطوف بهذا البيت والخير ظاهر
وكنا لاسماعيل صهرا وجيرة
فأبناؤه منا ونحن الاصاهر
فاخرجنا منها المليك بقدرة
كذلك يا للناس تجرى المقادر
وصرنا احاديثا وكنا بغبطة
كذلك عضدتنا السنون الغوادر
وسحت دموع العين تبكى لبلدة
بها حرم آمن وفيها المشاعر

وسل تبعا اليمانى عندما قصد بيت الله الحرام بسوء .. ما الذى حول قصده ؟ .. فدخله خاشعا طائعا ، فنحر الجذور ، وأطعم فيه الفقير ، وكسا العريان ، وحوط الكعبة بالاستار ، انها هيبة الله ، ألقاها حول بيته الحرام تخشع له بها القلوب ، فان أبت الا الطغيان ، أذلها وأخرجها منه الرحمن ، ومن انفعال هذا الاحساس نحو بيت الله الحرام ، قالت سبيعة بنت الاجب لابن لها يدعى خالد بن عبد مناف :

يا بنى لا تظلم بمكة ... لا الصغير ولا الكبير
أبنى من يظلم بمكة ... يلق أطراف الشرور
أبنى قد جربتها ... فوجدت ظالمها يبور
والله أمن طيرها ... والعصم تأمن فى ثبير
وأذل ربى ملكه ... فيها فأوفى بالنذور
واحفظ محارمها بنى ... ولا يغرنك الغرور
أبنى يضرب وجهه ... ويلح بخديه السعير
الله أمنها وما ... بنيت بعرصتها قصور
ولقد غزاها تبع ... فكسا بنيتها الحبير
يمشى اليها حافيا ... بفنائها ألفا بعير
فاسمع اذا حدثت ... وافهم كيف عاقبة الامور

وسل كذلك أبرهة ، وجيش الفيل معه ، عن طير الابابيل التى أبادتهم ، وفى ذلك يقول عبد الله الزبعرى ، واصفا ما صنع الله بهم ، ومحذرا لهم :

تنكبوا عن بطن مكة أنها
كانت قديما لايرام حريمها
سائل امير الجيش عنها ما رأى
ولسوف تنبى الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم
بل لم يعش بعد الاياب سقيمها
دالت بها عاد وجرهم قبلهم
والله من فوق العباد يقيمها

البقية ص ٢٨١

البلاء المبين و الصبر الجميل

الأستاذ محمد السباعى الديب

لعل أروع بلاء حدث فى تاريخ الانسانية منذ ظهرت الانسانية فى عالم الوجود ومنذ وضعت قدمها على ظهر هذا الكوكب الارضى هو البلاء الذى اختبر الله تبارك وتعالى به رسوله الكريم أبا الانبياء ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام اذ أراد الله فى رؤيا منامه أنه ذبح ابنه قربانا لله تعالى فقام من فوره يجر ابنه بيمينه وسكينه بيساره وذهب به الى حيث أمر الله لينفذ مشيئة الله فى ابنه وقرة عينه والابن لا يابى ولا يرفض ولا يعارض بل يسأل اباه عن مقصده ولكن اباه يوفر عليه مئونة السؤال ويقول يا بنى انى ارى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى فيسمع الابن الجواب الحاسم الذى يريح فؤاده ويخفف من المه واحزانه وجزعه اذ يقول الابن لابيه يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين .

يا عجبا .. الوالد لا ينكر الرؤيا ولا يشك ولا يرتاب فى أمر ربه والابن لا يعصى لوالده آمرا ولا ينكر من رؤيا أبيه شيئا ولا يشك ولا يرتاب فيما أراد الله . وامتثل الاثنان للامر الالهى واضجع ابراهيم ولده وتله للجبين ليذبحه قربانا لله – يا له من بلاء وأى بلاء ..... !

لا أخال الوالد فى هذه اللحظة الرهيبة قدتحجر قلبه وجمد الدمع فى عينيه أو نضبت عنده عاطفة الابوة الرحيمة نحو فلذة كبده – حاشا لله أن يكون كذلك .. فما كان لنبى اتخذه الله خليلا أن يتحجر قلبه على ولده أو يفقد عاطفة الابوة نحو وحيده أو يجف الدمع فى مقلتيه فى هذه الساعة الرهيبة .

هيهات هيهات أن يتجمد الدمع فى عينى ابراهيم وهو الاواه الحليم ولئن جمد الدمع برهة أو لحظة فى عينيه ريثما يستجمع قواه لينفذ مشيئة الله فى ابنه الحبيب الذى يملأ شغاف قلبه وحنايا ضلوعه ويملك عليه لبه وهواه – فلن يجمد الدمع فى عيون الاجيال المتعاقبة حين تسمع قصة التضحية والفداء فيتأثرون ويبكون وان كان كل شىء فى سبيل الله يهون .

لا شك أن ابراهيم كان يكابد من الالم والحزن والاسى ما لا قبل للبشر كلهم مجتمعين أن يتحملوه ولكنه كان من المرسلين أولى العزم فتحمل ما تحمل وهو صابر لامر الله تعالى وما كانت عاطفته نحو ولده تقل عن عاطفة جده نوح عليه السلام نحو ولده الشارد الابق حين شاهده مع الكافرين وخاف عليه من الغرق وسط موج الجبال فنادى نوح ابنه يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . ولم تكن عاطفة ابراهيم نحو ولده أقل من عاطفة يعقوب عليه السلام نحو أولاده حين خاف عليهم من الحسد لكثرتهم عند دخولهم مصر فقال لهم يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة .

لا ريب أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كانت تتنازعه عواطف شتى نحو ابنه الذى سيجتز رأسه بسكين أحكمت عليها قبضته وهو الابن الذى رزقه بعد أن صار شيخا كبيرا قد ناهز المائة سنة وتجاوز ابنه الاربعة عشر عاما فهو الدعوة المستجابة حين سأل ابراهيم ربه قائلا : رب هب لى من الصالحين – وليس من المضمون أن يؤتى له بأخ آخر يشد أزره ويعينه على نوائب الدهر .

كل هـذه النوازع وضعها الخليل ابراهيم فى كفة ومشيئة الله تعالى فى كفة أخرى فرجحت عنده كفة المشيئة وامتثل ابراهيم وابنه لامر الله .....

أيتها السماء ... أبك ما شاء لك البكاء وكفى عن ابداء فالامر سيان .

وانت ايتها الارض فلتذرفى من الدمع ما تسيل من الاوديه او ابلعى ماءك فالامر سيان . اذ أن ابراهيم ماض فيما اعترمه لا يتردد ولا يتراجع ولا يثنيه عن عزمه شىء . واسماعيل هادىء صبار مستسلم لحكم ربه السميع العليم الذى لا معقب لحكمه ولا راد لقضاءه .

وما أن أقدم ابراهيم على تنفيذ المشيئة الالهية حتى سمع صوتا ربانيا يامره بالكف عن ذبح ابنه ويقول له يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ونفذت أنت وابنك مشيئة الله . وهذا هو البلاء المبين . وفدى الله الابن بكبش من الجنه ليذبح بدلا من الغلام وظل قرنا هذا الكبش بضاحية فاران (مكة) ليكونا شاهدين على واقعه هذا البلاء العظيم وهو أروع بلاء عرفه التاريخ فى سائر عصوره المختلفه .

لقد امتحن الله خليله ابراهيم قبل ذلك بالنار حينما قام يدعوا الى عباده الله الواحد القهار فصبر لهذا البلاء وقال الله « يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . ولكن شتان بين هذا البلاء وذاك البلاء فقد فرض احدهما عليه فرضا وأما الثانى فكان باختياره ورغبته نزولا على ارادة الله أحكم الحاكمين والفرق بين الاثنين كالفرق بين شخص كتب عليه القتال فى سبيل الله وشخص قاتل باختياره ومحض ارادته . ولقد كان فى وسـع الخليل أن يعتبر رؤياه اضغاث احلام ولا لوم عليه لولا أن رؤيا الانبياء حق فقام ينفذ ارادة الله فى صدق وعزم ويقين واستحق بذلك أن يكون أمة لله قانتا وان يكون للناس اماما كما قال رب العالمين « واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس أماما) .

ولحكمة بالغه أبقى الله تعالى على هذا الابن الذى عاش وكثر نسله كثرة ساحقة وجاءت منه امة عظيمة هى خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، نعم ادخره الله لتجىء منه هذه الامة وليجىء من نسله خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

اذ أن ذلك الابن الذى كرمه الله وفداه ونجاه من الهلاك ليخرج من ظهره هذه الامة العظيمة التى تغطى اليوم مساحة كبيرة من الكرة الارضية هو اسماعيل عليه السلام أبو العرب ووالد العرب وجد العرب الوارد ذكره فى بعض أسفار التوراة اذ ورد بالاصحاح ١٧ آية ٢٠ وما بعدها من سفر التكوين ما يلى : ــ

« وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنذا اباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد واجعله أمة كبيرة » وأبناء اسماعيل الاثنا عشر قد كانوا رؤساء قبائل فهم بنايوت وقيدار وادئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وقيدار ودائيل ونافيش قدمه . (ينظر الاصحاح الخامس والعشرون من سفر التكوين) .

فالذبيح اذن اسماعيل وليس اسحق بن ابراهيم عليهما السلام اذ يزعم اليهود أن الذبيح هو اسحق يريدون بذلك ان يجعلوا شرف التضحية وشرف الفداء منسوبا الى جدهم اسحق والد يعقوب المسمى اسرائيل جد بنى اسرائيل وهو زعم باطل من أجله حرفوا التوراه وغيروا وبدلوا فيها كما هى عادتهم وقد فضحهم الله فى القرآن الكريم وكشف زيفهم بقوله : من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه .

وقوله تعالى : افتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . وقوله مهددا لهم ومتوعدا : فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون .

ان اسماعيل هو الذبيح بنص القرآن وبنص التوراة غير المحرفة وبنص الحديث النبوى الشريف .

فالقرآن الكريم يذكر قصة الذبيح فى أسلوب واضح معجز رائع جذاب يتضح لك منه أن الذبيح اسماعيل اذ يقول الحق تبارك وتعالى فى سورة الصافات :

رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه فى الاخرين . سلام على ابراهيم ـ كذلك نجزى المحسنين . أنه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين .

فانت ترى انه بعد أن فرغ القران من قصة اسماعيل وواقعة الفداء انتقل الى قصة التبشير بأخيه اسحق الذى ولده بعده بنحو أربعة عشر عاما أو يزيد وجعله الله نبيا من الصالحين مما لا يدع مجالا للشك فى كون اسماعيل هو الذبيح وليس اسحق كما يدعى اليهود وكما ظن خطأ بعض المسلمين وبعض المستشرقين .

وأما التوراة فقد ورد بها فى سفر التكوين أن الله خاطب ابراهيم قائلا :

خذ ابنك وحيدك الذى تحبه (اسحق) الى موضع كذا ..... الخ .

فذهب ابراهيم الى الموضع الذى أمر بالذهاب اليه ومعه الغلام والسكين فبعث الله اليه ملكا وناداه يا ابراهيم لا تفعل بالغلام شيئا لانى علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى فنظر ابراهيم بعينه فوجد كبشا فذبحه الخ ..

فلفظ ابنك وحيدك المقصود به اسماعيل لانه كان وحيد أبيه فى ذلك الوقت ولم يكن اسحق قد ولد بعد ولكن اليهود تعمدوا أن يحشروا كلمة (اسحق) بعد

البقية ص ١٣٦

أصول العقائد الإسلامية طواف بالفكر والروح حول الكعبة المعظمة

الأستاذ أحمد وافي

فى هذه الايام المباركة ، وفى شوق متوهج ، يتدفق على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة مئات الالوف من المسلمين أوتوا القدرة على آداء فريضة الحج والزيارة ، قادمين اليهما من شتى اقطار الارض ، متحملين فى رضى وراحة نفس : مشقة السفر ، وفراق الاهل والاحباب واحتمالات الخطر على طول الطريق .

وغير هؤلاء « السعداء » مئات الملايين من اخوانهم ليسوا أقل منهم شوقا الى هذه الرحلة الربانية ، ولكنهم لا يجدون السبيل اليها ، من نفقة وصحة بدن وأمن طريق ، وليس فيهم الا من يدعو الله مخلصا أن ييسره لها قبل فوات العمر ، وانهم جميعا ليشاركون اخوانهم هناك بالصلاة والتلبية والدعوات والاضحية ، وليست هذه المشاركة بالامر الجديد ، فابن بطوطة يروى لنا مظهرا من مظاهرها فى رحلته المشهورة (٧٢٥) هـ حيث يقول :

ومن عادة أهل دمشق وسائر تلك البلاد انهم يخرجون بعد صلاة العصر من يوم عرفة ، فيقفون يصحون المساجد كبيت المقدس ، وجامع بنى أمية ، وسواهما ، ويقف بهم ائمتهم كاشفى رؤوسهم داعين خاضعين خاشعين : ملتمسين البركة : ويتوخون الساعة التى يقف فيها وفد الله وحجاج بيته بعرفات : ولا يزالون فى خضوع ودعاء : وابتهال وتوسل الى الله تعالى بحجاج بيته : الى ان تغيب الشمس ، فينفرون كما ينفر الحاج ، باكين على ما حرموه من ذلك الموقف الشريف بعرفات داعين الله تعالى أن يوصلهم اليه ولا يخيبهم من بركة القول فيما فعلوه .

وهذا الذى شهده ابن بطوطة من نحو ستة قرون ، لا يزال مشهودا فى سائر بلاد الاسلام على صور قد تختلف اشكالا ، ولكنها تتفق معنى وشعورا .

وهى تقاليد صالحة محببة ، نرجو ان تزداد فى المسلمين تمكنا وشيوعا ليزدادوا بها ايمانا وقربا من الله تعالى ، ومن المحقق انها لا تغنى غناء الحج ، ولا تسقط تكليفه ، ولكنها ـ كما قلنا ـ مشاركة معبرة ، من بعيد : عن الوجدان الاسلامى الطهور ، وفيها الاحساس بالوحدة وقوة الجماعة .

ومن بعيد يحلق بنا الفكر مطوفا مع الطائفين فى هذه البقعة المقدسة من ارض الله وان لها لحديثا . ؟ من أربعة الاف عام هاجر ابراهيم صلوات الله عليه من أرض الشام ، موليا وجهه شطر الجنوب ، حاملا معه ولده اسماعيل وام ولده هاجر ، يبتغى لهما موضعا من ارض الله ، يقران فيه بمنآى من زوجته سارة ، فلم يزل يخب ويضع خلال دروب وشعاب ووديان وجبال ، حتى انزله الله منزله الموعود ، وهو حينذاك قفر لا ماء فيه ولا شجر ، ولا انسان ، ولا حياة » .. فاستودعهما الله به ، وتركهما الى رحمته ، عائدا الى حيث أتى ، ولم يكن ابراهيم عليه السلام ، يفعل ذلك مختارا ، وانما هو امر الله اليه يشع فى نفسه وحيا والهاما : فهو الذى يوجهه ويحدوه : ولا يسعه الا الطاعة والامتثال : وكذلك كان شأنه مع الله فى سائر احواله .

وقد تولى الله برحمته اسماعيل وأمه ، ففجر لهما الماء سلسلا من الصخر ، فحوم الطير معلنا المعجزة ، وتوارد الناس وعمر الوادى ، وشب اسماعيل وتزوج وانجب ، ومن حين الى آخر كان يلم به أبوه زائرا شاكرا ما صنع الله له ولذريته وهناك تلقى أمر الله باقامة بيته الاول تعظيما للمكان واعلانا لدين الله وتجميعا للناس عليه ، فاقامه مستعينا بولده اسماعيل ، (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم) . ثم نادى فى الناس بالحج اليه (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وتنودى بهذا الاذان فى اقطار الارض الشتى ، فتوافى اليه الناس من شرق وغرب ، واقيمت حوله مدينة الله الاولى « مكة المكرمة » وقد ذهب بعض العلماء الى أن موضعها يقع فى قلب العالم ، وهو (النقطة المركزية التى تنبعث

منها انصاف اقطار الى محيط جميع دائرة الاقطار) فكانت مجتمع الحجيج ومعقد الاسواق ، وملتقى القوافل ، وساحة النسك والصلاة وعبادة الله ، ومهوى افئدة الناس ؟

وتعاقبت الدهور والاحداث ، وتغيرت احوال الناس ، واختلفت عقائدهم ، وفشا فيهم الجهل فتساقطوا فى مهاوى الكفر ، واستحال بيت الله الواحد الاحد ، الى معبد وثنى كبير ، يعبدون فيه من دون الله اصناما من حجر وطين ؟ !

وعندما اطبق الظلام ، وشرى الفساد اقتضت رحمة الله بعباده ان يبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم من صفوة ذرية ابراهيم واسماعيل . رسولا يدعوهم الى الله باذنه ، وسراجا منيرا يهديهم سواء السبيل ، مؤيدا بالذكر الحكيم الذى شرفت مكة بنزوله - ففيها بدأ التنزيل وفيها كان ختامه : « **اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا** » وقد تلقى رسول الله هذه الاية الكريمة فى آخر حجة له (حجة الوداع) ! **فكانت هذه اشارة ربانية الى ان فريضة الحج هى ختام الفرائض ، وتمام النعمة ، وكمال الاسلام ، وفيها الى ذلك تشريف لبيت الله المحرم الذى جعله الله مثابة للناس وامنا .**

وقد ازال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد ادخلوه على هذا البيت الكريم من شعارات الكفر وطقوس الوثنية ، وحطم ما قد اقاموه به من أصنام وانصاب ، ورده الى اصله حرما طهورا مقدسا .

وما نريد ان نواصل الحديث هنا فى شعائر الحج ومناسكه واسراره وادابه . فذاك حديث طويل ، موضعه الاخر الاكثر سعة والاوفر مادة وبيانا ، وحسبنا منه اليوم ان الله سبحانه وتعالى يجمع المسلمين فى هذه البقاع المقدسة ليعبدوه احرارا على قدم المساواة تثبيتا لمعنى التوحيد والاخاء وليشهدوا منافع لهم اى ليتدبروا منافعهم الدنيوية من خلال هذا الصفاء الروحى الشامل وهم لا شك يعلمون أن معالم الاسلام وحرماته تتمثل فى المساجد الثلاث المعظمة التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرحال لا تشد الا اليها . وهى : البيت الحرام - قبلة المسلمين - (بمكة) والمسجد النبوى بالمدينة المنورة) والمسجد الاقصى (بالقدس) .

وهم ولا شك يعلمون ان المسجد الاقصى ، قبلتهم الاولى ، ومسرى رسول الله . قد بغى عليه اعداء الله اعداء البشر ووقع فى قبضتهم - فك الله اسره - وخطر عدوانهم يتزايد ، ومطامعهم الشريرة لا تقف عند حد ، وقد وضحت تطلعاتهم الى الاراضى الاسلامية والاماكن المقدسة يطلبونها سيطرة ونفوذا واطفاء لنور الله وتقليصا لظل الاسلام ، واستعمارا للوطن الاسلامى الكبير ، وقد نشرت احدى الصحف اخيرا ، احدى خرائطهم التى كان قد عثر عليها الالمان فى الحرب العالمية فى خزائن روتشيلد الصهيونى الراسمالى المعروف . وفيها تخطيط واضح لامبراطورية اسرائيل العنصرية فى البلدان العربية من النيل الى الفرات ممتدة الى منابع البترول العربى والى المدينة المنورة (دار الهجرة والحرم النبوى وتاج الاسلام وموضع التقديس والاعزاز من المسلمين قاطبة) . وهذا التخطيط قديم سابق على الحرب العالمية وقبل ان يكون لليهود وجود على ارض فلسطين ، فهم الان وقد صاروا دولة عن طريق العدوان المستند الى قوى الاستعمار المعادية للاسلام ، اشد افتنانا وامعانا فى التوسع ، تحقيقا للدولة الكبيرة التى يحلمون بها ، ومواقفهم العدوانية الاخيرة تدل على ذلك ، ومما يذكر فى الدلالة ايضا على هذا الاتجاه أن روزفلت الرئيس الامريكى السابق ، كان قد أجتمع فى اثناء الحرب العالمية الثانية بالمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، فطلب منه ان يفتح أبواب المدينة المنورة أمام اليهود لاستيطانها مدعيا انها كانت موطنهم قبل الاسلام ، فاستنكر الملك عبد العزيز هذا الطلب الشاذ ورفضه من فوره ، ولم تكن علاقة اليهود بالامريكان فى مثل قوتها الان ، فكيف بهم وقد توثقت هذه العلاقة وازدهرت فى ظل من جاءوا بعد روزفلت من ترومان الى نيكسون ؟ واسرائيل بفضل امريكا احتلت فلسطين وشردت اهلها واصحابها ثم واصلت عدوانها فاحتلت ارضا عربية أخرى ، وما برح خطرها قائما على الامة العربية والارض العربية وعلى المقدسات الدينية جميعا . ؟

والعدوان على مراكز القداسة الاسلامية غرض واضح من اغراض التعصب العنصرى عند اعداء الاسلام ، فمن المعروف تاريخيا ان الفرنجة فى الحروب الاستعمارية المسماة بالصليبية ، احتلوا طريق الحج ومنعوه - كما فعل اليهود الان - ثم بعثوا بقوة عسكرية مسلحة للاغارة على المدينة المنورة ، ونبش قبر رسول الله ، **ولكن السلطان صلاح الدين بعث بقوة اسلامية فى اثرهم ، فلحقتهم وقضت عليهم قبل ان يصلوا الى المدينة المقدسة » .**

فالمسلمون المجتمعون هنا وهناك ، للحج وللاحتفال بعيد التضحية والفداء » ، يجب ان يذكروا هذا وان يذكروا كذلك انهم امناء الله فى دينه ومقدساته ، وفى ذممهم ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم وميراث اصحابه الذين جاهدوا فى الله بأموالهم وأنفسهم ، وهذا عدو الله وعدوهم وعدو دينهم ، مازال سادرا فى طغيانه ، مستمرا فى عدوانه ، مستعلنا بأطماعه واهدافه ، ولم يعد غير القوة سبيلا للخلاص منه واتقاء شره وخطره ، فهم معه فى حالة جهاد مقدس والجهاد فى مثل هذه الظروف فريضة مفضلة مقدمة فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اى الاعمال افضل ؟ قال : الايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ قال ، « جهاد فى سبيل الله ! قيل ثم ماذا قال حج مبرور فحق على المسلمين كافة أن ينفروا لعدوهم نفره الحج والجهاد ، وان يصدقوا لقاءه بالعلم والايمان والمال والارواح ووحدة الصف ، فذلك هو طريق النصر ولينصرن الله من ينصره .

معالم الجلال على طريق الحج

الأستاذ أحمد يوسف أحمد

ليت جماعات المضللين ، الذين يلمزون الدين الاسلامى ، من قريب أو من بعيد ، يشاهدون المسلمين المحتشدين فى موسم الحج ، بأرض مكة فى الجزيرة العربية .. ليروا بأعينهم مايرغمهم على تقدير هذا الدين واحترامه ، والاعتراف بجدارته وعظمته .

فلو ان دولة ، كائنة من كانت ، مهما بلغ اكتمالها وشأنها ، ومهما كان تقدمها وتطورها ، أنيط بها أن تنظم موسم الحج ، على الصورة والوضع ، المثاليين ، اللذين يبدأ بهما موسم الحج وينتهى ، ما أمكنها أن تخطط وتنظم لمثل هذا الشمول والنجاح ، الذى يقام به اداء هذه الفريضة .

ولو اجتمعت وزارات السياحة ، فى كل الدول عامة ، لتضع الترتيبات والوسائل ، لضمان سير الحركة ، والامان ، لهذه الجحافل المتلاصقة المتلاحقة ، من الطائفين حول الكعبة الشريفة ، بالالوف والملايين ، من الكتل البشرية فى تيارات متوالية ، متدفقة ، دون أن يسقط احد ، أو يقتحم احد ، أو يضار أحد .. وفى مثل تلك الليونة والسهولة التى يتم بها مسار هذا الحشد الهائل المذهل ، من الناس من شتى الاقطار . يتجاورون من أجناس مختلفة ، ولكن تجمعهم أخوة واحدة ، ويشملهم ايمان واحد ، وعقيدة واحدة ، وهدف واحد ..

لو اجتمعت وزارات السياحة فى كل الدول لتخطط لذلك ، وتنظم ذلك ، ما تم لها نجاح ، ولو صرفت هذه الوزارات مجتمعة كل وقتها وطاقات رؤسائها ومهندسيها .

مليون ونصف المليون ، أو يزيد على ذلك ، فى يوم واحد ، وساعة واحدة ، يبدأ بها أفواجهم الطواف حول بناء الكعبة المشرفة ، من كان محدد ، يدخلون من باب ويخرجون من باب .

ثم نفس الافواج التى تزيد عن المليون ، تؤدى شعيرة أخرى من شعائر الحج ، وشعيرة ثالثة ، ورابعة ، بنفس هذا العدد الضخم ، فى أماكن متقاربة ومتباعدة ، ويتم كل شئ بتيسير وأمان ، دون ان يحدث كبوة أو خلل ، او كارثة .

هذا كرم الله تعالى على عباده المؤمنين . وفضله الاكمل على المسلمين الذين تبعوا دينه الحنيف .

ان كل ذلك من أمر الله .. ومن كرمه .. ومن فضله .

وهذه صورة نابضة من اصالة الدين الاسلامى ، وعظمته .

الوادى غير ذى الزرع

ونبدأ استعراض المعالم البارزة على طريق فريضة الحج .

تبدأ هذه المعالم من وقت ما أوحى الى رسول الله وخليله سيدنا « ابراهيم » عليه السلام ، ليرحل بزوجه « هاجر » عليها السلام ، وولده « اسماعيل » عليه السلام من الشمال الى الجنوب ، لتنتهى الرحلة عند البيت المحرم .

« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة . فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم . وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

المكان ، كما هو واضح من سياق الاية ، قاحل لا زرع فيه .. اى أصلا لا ماء فيه ينبت الزرع .. وانه واد من الاودية التى تقع بين بعض الاماكن الجبلية ، لايجرى فيها ماء الامطار . لانه لو كان ذلك لكان فى الوادى بعض الزرع الذى ينمو على مياه الامطار .

فكيف يترك « ابراهيم » زوجه وولده الرضيع ، فى مثل هذا المكان بالذات ، ويعود الى وطنه بفلسطين حيث المعيشة الميسورة الاسباب ؟

ثم هل كان من المتعذر أن تقيم اسرة ابراهيم عليه السلام صلاتهم فى أرض فلسطين ، ليتحملوا مشاق هذا الطريق الطويل ، ليقيموها هنا ؟

ان ذلك طبعا لا يكون منطقيا الا اذا أدركنا ارادة الله تعالى فى ذلك .

فان الصلاة والعبادة ستقوم فى أرض فلسطين لدينين ، غير الدين الاسلامى . وهما الدين اليهودى ، والدين المسيحى .. وحيث ستقوم فى الارض التى كان يسكنها « ابراهيم » هاتان الديانتان ، فان الدين الجديد .. الاسلام .. قصد الله تعالى فى علم غيبه ، ان يخصص له موضعا طهورا ، لم يشغله بشر من قبل . فنقل نبيه « ابراهيم » بذريته اليه ، ليقيموا فيه دعائم الدين الجديد الذىسيكون ناسخا فيما بعد للدينين السابقين.

« هذا هو القرآن . وهذا هو الاسلام » ـ لاحمديوسف احمد »

وبعد ذلك تتحقق معالم من الاية الشريفة ، فى اقامة « ابراهيم » ، وولده « اسماعيل » ، عليهما السلام لبناء الكعبة المشرفة لتقوم فيها صلاة المسلمين كما أراد الله ذلك .

الناس تعمر الوادى والثمرات تعم

ثم تتحقق معالم أخرى « فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم » .. ويجتذب المكان البشر .. « وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .. وينبعث فى المكان بئر زمزم ، وينبت الزرع ، ويعمر المكان ، ويصبح مدينة عظيمة . ثم موضعا يتلاقى فيه جميع المسلمين من شتى انحاء الارض ليقوموا بأداء فريضة كبرى ، فى يوم معين ، هى فريضة الحج .

وهنا تتجلى عظمة المولى عز وجل .. اذ الملايين من الناس ، الذين يجتمعون فى هذا المكان من كل عام ، يجدون فيه بيسر كل ما يكفيهم من طعام وشراب واقامة سعيدة .

أليس هذا أعظم دليل على جلال هذا الدين القويم ، دين الاسلام ؟

بناء البيت :

ويبدأ النبى « ابراهيم » عليه السلام فى بناء القواعد من البيت الحرام .

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل . ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . »

وفى « رفع القواعد من البيت » ما يفيد ـ حسب آراء بعض المفسرين ـ ان البيت كان قائما قبل بناء « ابراهيم » ، تؤيده الاية فى سورة الحج : « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت » .

وبذلك يكون البيت الحرام أقدم بناء دينى فى أرض الشرق العربى . يعود تاريخه الى عهود سحيقة . يفرضها بعض مؤرخى الاسلام القدامى انها من عهد « آدم » عليه السلام .

« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » .

سورة آل عمران

وليس من اعتراض على بناء « ابراهيم » لهذا البيت فى صورته التى اختارها مع ولده « اسماعيل » عليهما السلام ، والتى أوحى الله لهما بها .

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل . ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » .

سورة البقرة

الكعبة قبلة المسلمين :

وان « ابراهيم » عليه السلام قد أقام بناء البيت الحرام ، والله هو الذى جعل هذا البيت مثابة للناس وأمنا ، وليكون قبلة للنساك والمتعبدين .

« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا . واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى . وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل . ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » سورة البقرة

« وطهر بيتى للطائفين والقائمين ، والركع السجود » .

سورة الحج

« فيه آيات بينات مقام ابراهيم » .

سورة آل عمران

« جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » .

سورة المائدة

وليكون هذا البيت والكعبة قبلة للناس بعد ذلك يتجهون اليها فى صلواتهم :

« ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام . وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

مكة . البلد الامن :

وقد دعا سيدنا « ابراهيم » عليه السلام لمكة التى أقام فيها بناء البيت والكعبة ، برجائه من الله تعالى أن يجعل البلد أمنا مرزوقا من الثمرات والخير .

« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا » .

سورة ابراهيم

« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا . وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر » .

سورة البقرة

وقد أصبح اسم مكة علما على هذا البيت الذى بناه رسول الله وخليله « ابراهيم » .. والتسمية بمكة كلمة بابلية الاصل [مكا] ومعناها فى هذه اللغة « البيت » .

الحجر الاسود :

ويطلب « ابراهيم » عليه السلام ، من ولده « اسماعيل » عليه السلام ، كما جاء بالتواتر عن رسول الله « محمد » صلى الله عليه وسلم ، أن يأتيه بحجر يضعه علامة للناس ، يبتدئون منه الطواف . فأتاه بالحجر الاسود .

هل نزل هذا الحجر من السماء ، ليجده « اسماعيل » صدفة . وكانت تلك ارادة من الله تعالى فى سبيل انجاز بناء البيت الحرام ، الذى سيكون فيه كعبة المسلمين ؟

وهل هو من الحجارة التى تصل الى الارض من طريق النيازك ؟

أو هو من بعض الاحجار [المجزعة] أو [المفصصة] التى تشتهر بها بقعة جنوب الجزيرة العربية ؟

على اية حال فان لون هذا الحجر يخالف لون البناء .

وهو موضوع فى الركن العراقى من الحرم ، المقابل لزمزم وهو الركن الجنوبى الشرقى ، الذى يبدأ منه الطواف .

وهو يعلو عن الارض بقدر متر ونصف المتر . وطوله قدر عظم الذراع .

وهو ذو تجويف أشبه بطاس الشرب . وقد عمل له فى سنة ١٢٩٠ هجرية غطاء من الفضة ، فى وسطه فتحة مستديرة . قطرها ٢٧ سنتيمترا . وكان ذلك من أثر تشقق حدث فيه بسبب أحداث وقعت فى خلعه من مكانه ثم اعادته .

[المحمل . والحج . للمرحوم الاستاذ يوسف أحمد . كبير مفتشى الاثار العربية .]

وفى موضوع الحجر الاسود ، القائم فى بناء البيت الحرام ، وجد المضللون والمشككون فى كمال الدين الاسلامى سبيلا للمز والطعن .. ذلك أن نبى الاسلام سيدنا « محمد » عليه الصلاة والسلام ، قبل ذلك الحجر ، وان خلفاءه الراشدين قبلوه من بعده . قبله « أبو بكر » وقبله « عمر بن الخطاب » رضى الله عنهما .. فقام الطعن على الدين الحنيف ، كيف يستبيحون تكريم الاحجار .. والاحجار أصنام .. والدين الاسلامى يحارب الوثنية .

وما درى أولئك حكمة النبى فى تقبيل الحجر الاسود .. انه لم يقبل الحجر لشأن الحجر .. ولكنه قبل فيه ذكرى اليد الشريفة التى حملته ووضعته فى مكانه ، يد جد الانبياء « ابراهيم » عليه السلام ، ويد أصل أمة العرب « اسماعيل » عليه السلام .

وكان النبى يقف عند هذا الحجر ، ويقول : انى لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ثم يقبله . وكان لا يزاحم عليه اذا وجد عليه زحاما ، بل يشير اليه بيده أو بعصا معه .

ولذلك قال « عمر بن الخطاب » ، وهو يقبله : « والله انى لاعلم أنك حجر لاتضر ولاتنفع . ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » .

وقد قال « عمر » ذلك لخشيته أن يظن الجهلاء ان استلام الحجر الاسود من باب تعظيم الاحجار كما كانت العرب تفعل ذلك فى الجاهلية .

هذا . ولم يسمع عن العرب فى جاهليتهم كلية أنهم عبدوا الحجر الاسود فيما عبدوا من احجار ، مع احترامهم للحجر كل الاحترام ، واجلالهم اياه .

الاسلام والتقويم الهجرى :

ويجب أن يعرف المضللون والمشككون فى أصالة الدين الاسلامى ، أن الحكمة فى جعل شعائر العبادة فى هذا الدين تلتزم بالدورة القمرية ، دون الدورة الشمسية ، ان الله تعالى أراد ، فى الصلاة مثلا ، أن تتوالى نداءات الاذان لها على تتابع الدقائق فى ساعات اليوم ، على مدار العام كله .. فتستمع الدنيا على صيحاتها فى كل مدة تمر من وقت الزمن ، وفى كل يوم خمس مرات ، حتى يكون العام كله نداءات لله بالتوحيد ، وبالحث على العبادة له ، وعلى العمل من أجل انسانية الانسان .

وكذلك فى الصيام ، بحيث لا يصام فى وقت محدد من عام ، بل هو يتبع هلال الشهر ، فتارة يصام رمضان فى صيف ، ثم يصام فى شتاء .. ويصام فى ربيع ، أو فى خريف .. كذلك فى شهر من عام ، ثم فى شهر آخر .

وفى الحج ، لا تقع هذه الفريضة فى فصل واحد من فصول السنة .. بل يختلف موقعها من الفصول ، بسبب تفاضل مابين السنة الشمسية والسنة القمرية ، اذ تزيد أيام السنة الشمسية عن القمرية بأحد عشر يوما ، وبذلك يتسبب وقوع أيام الحج فى الصيف تارة ، وفى الشتاء أخرى .

جلالة النهج فى الحج :

وان الصلاة تتكرر فى اليوم بتكرر أوقاتها .. وتتكرر فى كل جمعة أيضا فى صلاة الظهر .. وتقام بعد فجر العيدين الاسلاميين : الفطر والاضحى .

ولكل وقت ، مع ذلك صلاته .

أما الحج فلا تكرار فيه بتكرر الوقت .. بل هو حج واحد يأتى فى زمنه من اى سنة كانت .. وقد استمر كذلك من منذ السنة التاسعة للهجرة الشريفة . حيث نزل الامر بفريضته فى القرآن الكريم ، فى السنة الثامنة من الهجرة . فأذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالحج فى السنة التاسعة ، ولكنه لم يقمه بامامته ، بل ترك ذلك لصفيه ورفيق دعوته سيدنا « أبو بكر » رضى الله عنه . فقام بها .. ثم أدى الرسول الفريضة بامامته فى السنة العاشرة . وهى الحجة المعروفة بحجة الوداع .. حيث ودع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بقوله : فانى لا أدرى . لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا .

وقد كان لامتناع الرسول عن امامة الحج بنفسه فى السنة التاسعة من الهجرة سبب قوى ، هو موضوع التقويم بالنسىء ..

الذى كانت تتبعه العرب قبل عهد الدعوة المحمدية .. وهو تقديم الشهور أو تأخيرها ، حتى يدرك موسم الحج الى الكعبة [فى الجاهلية] ميقات ظهور الغلال والفاكهة ، واعتدال الزمن فى الحر والبرد ، ليسهل على الناس السفر الى الكعبة ، وليتجروا بما معهم من البضائع والارزاق .

ولم يحج الرسول فى السنة التاسعة للهجرة ، لان وقت الحج حينذاك وافق التاسع من ذى القعدة .

ملايين المسلمين مع الله فى الكعبة :

ومرة أخرى أيضا نقدم لجماعات المضللين والمتشككين فى الدين الاسلامى ، صورة نابضة بالجلال من صور الدلالة على عظمة الدين الاســـــلامى .

فان المسلمين يجتمعون فى موسم حجهم ، وافدين الى بيت الله الحرام من كل مكان :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كــل ضامر ، يأتين من كل فج عميق » .

سورة الحج

يجتمعون فى حرم الكعبة ، وهم جميعا فى زى واحد ، بلون واحد [اللون الابيض] ، وشكل واحد [هو ازار الاحرام] ، وفى أرجلهم نعال . ويشتركون بهذا المظهر فى قصد واحد .. فى اتجاه واحد ، ونظام واحد ، وطاعة واحدة .

يلهجون بحديث واحد ، هو عبارة التلبية لله رب العالمين : « **لبيك اللهم لبيك** » . ويتحركون بحركة واحدة فى طوافهم حول الكعبة المكرمة ، متجردين من كل شائبة الا التوجه الى الله .

الههم واحد . ورسولهم واحد . وايمانهم واحد . وقبلتهم واحـــــدة .

وهل يمكن أن يجتمع الناس بهذا النظام ، وهذا الاتحاد ، وهذا الالتزام ، وهذا التوافق ، وهذا الامان ، وهذا الصفاء ، وهـــذا الرضـــا ؟

وهل اجتمعوا ، ولو مرة .. حتى ولو بعدد قليل ، يتناسون ما بينهم من حقد وفتن .. ويتخلون عما فى نفوسهم ، الا من وئام جامع ، وود وتراحم ؟

هل اجتمع الاقوام عامة فى أى عهد من العهود ، بمثل هذا التوافق والوفاء .. ليس بينهم شر ، وليس فى أفئدتهم عداء ؟

[كتاب هذا هو القرآن . وهذا هو الاســـلام . لاحمد يوســـف احمـــد]

ولقد جعل الله من شعائر الحج ثيابا غير مخيطة . ليذكر الناس بتصورهم أنفسهم ، فى عرضهم ، بعد البعث . على ربهم يوم القيامة .. كأنهم فى ثياب أكفانهم .. قد تجردوا عن الدنيا وزخرفهـــا .

بالاضافة الى لفتة أخرى ، هى لكيلا ينكسر قلب الفقير . اذا ما رأى الغنى الى جواره فى زينته وأبهته .

فقربت شعائر الحج ما بين الناس جميعا من فوارق ، ليكون اقتراب الزى مدعاة لاقتراب الارواح والقلوب والنفوس .

ألا ما أعظم الاســـلام !!

بقية مقال « الصبر الجميل »

كلمة وحيدك ليوهموا غيرهم انه هو الذبيح وهو تعمد ظاهر البطلان وظاهر التزييف والتحريف ولا عبرة بما يقول اليهود بأن وحيدك معناه وحيده فى الحب يعنون بذلك أن اسحق كان أحب الى أبيه من أخيـــه اسماعيل – ولما رأوا أن هذا القول غير وجيه قالوا أنه وحيده من حيث المكان فقد كان اسحق بالشام وأخوه اسماعيل بالجزيرة العربية وفى مكة بالذات مع أمه هاجر وهو أيضا تأويل سخيف تأباه اللغة أيا كانت اللغة ويأباه المنطق والعرف فكون أحدهما بالمشرق والاخر بالمغرب فان ذلك لا يغير من الواقع شيئا فهما اخوان حبيبان الى قلب الوالد الرحيم العطوف مهما شط المزار وبعدت الديار .

ثم عادوا يقولون أن اسماعيل مات قبل اسحق فيكون اسحق وحيد ابيه بعد موت اسماعيل وهذا افتراء على التاريخ وعلى الواقع لان ابراهيم مات قبل اسماعيل فكيف يكون اســحق وحيد أبيه بعد موت والده ومع وجود أخيه الاكبر اسماعيل ؟ اللهم ان ادعاءهم مردود وخطأهم مقصود فالذبيح هـــو اسماعيل رغم أنف اليهود ورغم أنف التلمود حسبما جاء بالقرآن المهيمن على سائر الكتب الســماوية وحسبما جاء بالتوراة غير المحرفة .

نعم هو اسماعيل الابن البار والبكر الصـــالح والغلام الحليم الذى باركه الله وفجر ماء زمزم تحت قدميه وهو طفل رضيع ليروى ظمأه وأسكنه وذريته بواد غير ذى زرع عند البيت المحرم وجعل أفئدة الناس تهوى اليهم من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم وليطوفوا بالبيت العتيق .

ذلك هو اسماعيل الذى قال الله تعالى فى شأنه : واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صـــادق الوعـــد وكان رسولا نبيا . وكان يامر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا .

وأما المصدر الثالث الذى يؤيدا القول بأن الذبيح هو اسماعيل وليس اسحق عليهما السلام فهو الحديث النبوى الشريف المنسوب الى النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : انا ابن الذبيحين فالذبيح الاول هو اسماعيل الجد الاعلى للعرب والنبى محمد صلى الله عليه وسلم كما أوضحنا والذبيح الثانى عبد الله بن عبد المطلب وهو والد النبى صـــلى الله عليه وسلم وقصته معروفة ومشهورة فى كتب السيرة .

كما يقول المرحوم العقاد فى أحد مؤلفاته : ان عبد المطلب – جد النبى عليه السلام – أوشك أن يذبح ابنه (عبد الله) فديه لرب البيت لانه نذر لئن عاش له عشره بنين لينحرن احدهم عند الكعبة ولم يتحلل من نذره حتى استوثق من كلام العرافة بعد رمى القداح ثلاث مرات .

ان قصة هذا البلاء المبين تذكرنا دائما وتدفعنا دائما الى التضحية والبذل والفداء من أجل الحق ولتبقى المبادىء سليمة ولتستمر القيم رفيعة ولتكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا – ولا غرو فانه من أجل ذلك جعل الله لذكرى هذه التضحية عيدا يفرح به المؤمنون الصادقون وغدا ان شاء الله يفرحون بالنصر القريب وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم .

مؤتمر الحج الأكبر

الأستاذ محمد دياب

اكتب هذه السطور بينما وفود المسلمين من كل أقطار الارض وقاراتها تشد الرحال الى حج بيت الله الحرام .

والحديث عن الحج حديث مفعم بالمعاني والتأملات والخواطر .. الحج رحلة .. الحج ركن وفريضة وعبادة .. الحج تطهر وتوبة وغفران .. الحج تضحية .. الحج مساواة .. الحج دستور للحياة وميثاق لحقوق الانسان قبل أن تكتب الدساتير والمواثيق والمعاهدات ..

الحج كل ذلك وأكثر من ذلك .. جسر عريض طويل يصل بين الدين والحياة .. بين الدنيا والاخرة .. بين الناس والحرية فى أعلى ذرى الحرية ..

ولكن معنى واحدا من بين هذه المعانى الخالدة يشدنى اليه ويشغل فكرى منذ أكرمنى الله قبل عامين بالحج والزيارة !

ولا أدعى اننى وحدى به المشغول .. هناك أيضا كل غيور على الاسلام وأوطان الاسلام .. هناك كل أصحاب الدعوة الى التحرر والكرامة والحق والعدل .. وهناك قادة الفكر الاسلامى منذ القرن الماضى بدءا بجمال الدين الافغانى ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى ..

ذلك المعنى هو الحج وحدة وجماعة وقوة
فأين هذا المعنى فى صورة الحج ؟!
البعد الخارجى للصورة .. حشد اسلامى عالمى يتجمع فى وقت واحد فى بلد واحد حول بيت واحد على نداء واحد »

والعمق الداخلى للمسلمين .. شتات وتفرق واختلاف وضعف وأغلال !

تناقض واضح بين العرض والجوهر .. بين الشكل والمضمون !!
لماذا ؟!

لان الناس ــ كما رأيت على الطبيعة ــ يذهبون الى الحج بأمل واحد .. هو أن يموتوا مسلمين . لا أن يعيشوا مسلمين !!

لان أخطر برلمان اسلامى عالمى ينعقد كل سنه ويفض دورته .. دون اصدار قرار فى أخطر ما يواجه المسلمين من قضايا المصير !
لان اعلى مؤتمر قمة لكل الشعوب الاسلامية يجتمع كل سنة وليس فى جدول أعماله موضوع للحوار وتبادل الاراء فى مشاكل الساعة !

كيف يعقل هذا ؟
كيف يلتقى المفكرون والعلماء والقادة والكتاب والشباب ورجال الصناعة والاقتصاد والتجارة من كل

أنحاء الوطن الاسلامى . دون أن يكون لقاؤهم السنوى قوة متصاعدة مؤثرة فى سير الاحداث .. وفى تغيير الموازين العالمية فى الفكر والعلم والاقتصاد والسياسة ؟!

ان الذى لا يعيش مسلما لا يمكن أن يموت مسلما .. هذه هى المعادلة الصحيحة .

ان الاسلام يدعو أهله الى الحياة القوية المشحونة بالنبض والتحرك .. ويحذرهم من الحياة الهامشية الخاملة الضعيفة .. ويحب لاهله معالى الامور واشرافها ويكره سفسافها .. ويسمى الحركة ولودا والسكون عاقرا ..

وتلك هى الحياة التى نكسب بها الاخرة .. ومن لا يستطيع أن يحياها فقد خسر الدنيا والاخرة .

وتلك هى حكمة الله العليا من الحج الاكبر :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم »

والمنافع تعارف وتعاون فى مواجهة الخطر .. تطهير وتعمير والتقاء على تأمين الحياة والوجود .. تبادل وتشاور فى كل ما يحقق المصلحة الواحدة لاهل القبلة الواحدة .

ولا أنكر أن هناك محاولات فى بعض هذه الجوانب تقوم بها المنظمات الاسلامية العالمية فى بعض مؤتمراتها بمكة خلال مواسم الحج .. كذلك لا أنكر جهودا تقوم بها وزارة الحج والاوقاف بالمملكة العربية السعودية فى هذا السبيل أثناء الحج ..

وأذكر عندما طرقت هذه القضية خلال مقابلة فى جدة مع الشيخ حسن كتبى وزير الحج والاوقاف .. أنه قال لى :

ـ اننا نقوم بواجبنا . نعقد ... الندوات .. وتخصص منتدى للمفكرين المسلمين فى الحرم المكى ليلتقوا فيه ويتشاوروا ويتدارسوا .. بل اننا نعد لهم دراسات فى القضايا الاسلامية المطروحة للبحث والدراسة !

أذكر ولا أنكر .. ولكن هذا لا يكفى !

ان جهودا يقظة وكبيرة مازالت مطلوبة ـ خارج نطاق الحكومات ـ على صعيد كل الدعاة والعلماء والمفكرين والشباب والاقتصاديين والسياسيين ورجال الرأى فى كل الدول الاسلامية وعلى اتساع رقعة العالم الاسلامى .. من أجل التخطيط لمؤتمر الحج الاكبر .. أعلى وأغلى مؤتمر قمة للشعوب الاسلامية .

ان مؤتمر الحج يجب ان يكون قوة اسلامية وسياسية ضخمة .. تخطط لسياسة البلاد الاسلامية .. وتتابعها عاما بعد عام ..

ان الخشوع فى الحج لا يتصادم مع القوة بل هو عين القوة والتجرد من المطامع يعنى شرف النضال والعمل .. والضعف أمام الله يعنى القدرة على العدو .. والامل فى الاخرة يعنى الايمان بمكاننا تحت الشمس ..

ان السبعمائة مليون مسلم فى هذا العالم يستطيعون أن يهزوا الوجود فوق هذه الارض .. اذا استطاعوا أن يحققوا معنى الحج وحدة واجتماعا وقوة .

ان الثروات والامكانيات والموارد المادية والروحية التى يملكها المسلمون تفوق بكثير ما تملكه أغنى الدول التى تضربنا الصهيونية بأموالها وسلاحها .. وتستطيع هذه الطاقات الاساسية والاستراتيجية ـ لو تعاونت ـ أن تملك شريان الحياة العالمية وتفرض ارادتها وتكون لها الكلمة المسموعة .

ولست فى حاجة الى القول بأن الخطر الصهيونى الاستعمارى الذى يحتل الاراضى العربيه والاسلاميه وينتهك أقدس مقدسات الاسلام .. لم يكن الا نتيجة لتفرق العرب والمسلمين .. وأن هذا الخطر العنصرى الاستيطانى المتعصب لا يستهدف بلدا بعينه من بلاد العروبة والاسلام .. وانما هو يبنى تقديراته وحساباته وخططه على أساس ابتلاع الجميع .. فاسرائيل ليست الا الترجمة السياسية لاطماع كل القوى الامبريالية والاستعمارية فى الوطن العربى والاسلامى .

ولست أيضا فى حاجة الى القول بأن الاستعمار العالمى ينهب أعز ثرواتنا ليحولها الى طائرات وقنابل ونابالم وصواريخ فى أيدى الصهاينة ليدمروا بها بلادنا .. وكأننا نخرب بيوتنا بأيدينا ..

وغنى عن البيان كذلك أن الاستعمار يأخذ منتجاتنا ومحاصيلنا ومواردنا بأرخص الاسعار ثم يبيعها لنا بأغلى الاسعار .. وكأننا ضيعته ومزرعته ومخازنه وأسواقه وعبيده !

. . . . . .

فاذا لم تتجمع قوى الامة العربية والاسلامية وطاقاتها .. واذا لم تنظر الى موتمرها العالمى الشعبى يوم الحج الاكبر نظرتها الى مخاض لابد منه قبل الميلاد .. نظرتها الى اشارة بدء حقيقية فى الاتجاه الصحيح .. فاننا سنظل الى آخر الزمان نحج ونحج .. ولكن الله لا يقبل منا حجا .. لاننا نأبى الا أن يكون حجنا للموت .. لا للحياة !

حجة الرسول

صلى الله عليه وسلم

الدكتور عبد الله محمود شحاتة

الحج ركن من أركان الاسلام وشعيرة من شعائره ، يجتمع المسلمون من كل فج عميق من شتى بقاع الارض ، ويفدون الى بيت الله الحرام معظمين شعائره مكبرين مهللين طائفين بالبيت العتيق ، ساعين بين الصفا والمروة ، واقفين على عرفات فى يوم واحد وفى وقت واحد يصطف الجميع داعين مكبرين متبتلين ، ويباهى الله ملائكته بالحجيج يوم عرفات فيقول : يا ملائكتى انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا من كل فج عميق يسألون رحمتى ولم يرونى ويتعوذون من عذابى ولم يرونى ، أشهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت لهم .

حكمة الحج :

الحج مؤتمر اسلامى عام ، وسياحة دينية روحية بدأت من زمن بعيد لم تكن فيه الدنيا تقدر فضل السياحة .

وفى الحج يتعارف المسلمون ببعضهم ويقفون على مشاكل اخوانهم ، فهو وسيلة من وسائل الترابط والتعاون والتآلف ، ترى المسلمين قد قدموا من كل مكان : من تونس والجزائر ومراكش ، من ليبيا ومصر والسودان والحبشة وكل افريقيا ، من الشام والعراق والكويت ، من الهند وباكستان وتايلند ، من الفلبين واندونيسيا والملايو ، من اوروبا وأمريكا والبرازيل . من كل هذه البلاد وغيرها يتوافد المسلمون بألسنة مختلفة وألوان مختلفة ، ولكنهم يناجون ربا واحدا ويحجون الى قبلة واحدة ويؤمنون بدين واحد وكتاب واحد ونبى واحد وهدف واحد . (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

قد وحد بينهم مظهر واحد يستوى فيه الغنى والفقير والكبير والصغير ، وقد سوى بينهم قصد مشترك ودعاء موحد وتلبية لله واستجابة لندائه فيجهر الجميع قائلين : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

حجة الرسول صلى الله عليه وسلم :

عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على الحج ليؤدى الفريضة وليبين للناس مناسك الحج والعمرة ، وكان ذلك فى ذى القعدة من السنة العاشرة للهجرة .

وما كاد النبأ يذيع فى الافاق حتى توافد الناس الى المدينة استعدادا لنيل شرف الصحبة فى هذه الحجة العظيمة .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس من المدينة فى أواخر ذى القعدة فنزل بذى الحليفة وصلى فيها العصر ركعتين وأحرم منها ثم رفع صوته بالتكبير والتلبية .

فى مكة :

سار صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد الحرام من باب عبد مناف ، الذى يسمى اليوم باب بنى شيبه . فلما رأى الكعبة رفع يديه وكبر وقال :

اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام ، حينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة بسلام اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما .

الطواف بالبيت :

قصد صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود فاستلمه ولم يزاحم عليه ودعا الله عنده ثم بدأ طوافه .

وابتدأ الطوف من عند الحجر الاسود جاعلا الكعبة عن يساره وطاف سبعة أشواط مهرولا فى الثلاثة الاولى منها . ثم صلى فى مقام ابراهيم وقرأ قوله تعالى (**واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى**) .

السعى بين الصفا والمروة :

ثم رقى الصفا حتى رأى البيت فاستقبله ، وقال ثلاث مرات : **لا اله الا الله والله أكبر ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، لا اله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده .**

وسعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة سبعة أشواط مبتدئا بالصفا ومنتهيا بالمروة .

ولم يسع صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة فى حجته غير سعيه هذا .

يوم التروية :

لما كان يوم التروية ـ وهو يوم الثامن من ذى الحجة ـ أهل الناس جميعا بالحج وأحرم كل من كان قد أحل ، وسار صلى الله عليه وسلم بالحجيج ضحى الى منى وبات بمنى ليلة التاسع من ذى الحجة وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح وبقى بها حتى طلعت الشمس .

الوقوف بعرفات :

بعد طلوع الشمس يوم التاسع سار صلى الله عليه وسلم الى عرفات والناس حوله يكبرون ويلبون فلا ينكر على أحد منهم ، ونزل فى مكان قريب من عرفة عد له بنمرة .

ولما انتصف النهار خطب على راحلته خطبة خالدة بين فيها للناس انتهاء عهد الشرك وفساد أعمال الجاهلية وقرر حرمة الدماء والاموال والاعراض وأسقط الربا وأوصى بالنساء خيرا . وبعد انتهاء خطبته أمر بلالا فأذن وأقام الصلاة وصلى بالناس الظهر والعصر وجمع بينهما وقصر الصلاة من أجل السفر ثم ركب وأتى الموقف وقال للناس **وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف ، وخير الدعاء يوم عرفة وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلى : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير .**

ثم استقبل القبلة ورفع يديه الى صدره كما يستطعم المسكين ودعا وتضرع الى غروب الشمس .

الافاضة الى مزدلفة :

ولما غربت الشمس واستحكم غروبها بذهاب الصفرة يوم عرفة افاض من عرفة الى مزدلفة ، وتسمى جمعا ، ولما وصل الى المزدلفة صلى المغرب والعشاء وجمع بينهما جمع تأخير ولم يصل بينهما شيئا .

ونام صلى الله عليه وسلم بمزدلفة حتى طلع فجر يوم النحر وهو يوم الحج الاكبر ، فصلى الصبح بأذان واقامة ، ثم ركب فأتى المشعر الحرام ـ وهو جبل يسمى قزح ـ فاستقبل القبلة وهلل وكبر ودعا حتى قرب طلوع الشمس وقال : وقفت هاهنا والمزدلفة كلها موقف

الافاضة الى منى :

سار صلى الله عليه وسلم من مزدلفة الى منى ملبيا ، وبعد شروق الشمس توجه الى جمرة العقبة ورماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة ، مكبرا عند رمى كل حصاة .

ثم ذهب صلى الله عليه وسلم الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة بعدد سنى عمره ، ثم أمر عليا أن ينحر ما بقى من المائة وقال : نحرت ها هنا ومنى كلها منحر وفجاج مكة طريق ومنحر فانحروا فى رحالكم . ثم دعا صلى الله عليه وسلم بالحلاق فحلق شعره .

طواف الافاضة :

فى يوم النحر رأينا أن النبى صلى الله عليه وسلم عمل ثلاثة أعمال هى :

١ ـ رمى جمرة العقبة
٢ ـ ذبح الهدى
٣ ـ حلق الشعر .

ثم أفاض صلى الله عليه وسلم من منى الى مكة قبل ظهر يوم العيد الاكبر فطاف بالبيت طواف الافاضة وهو طواف الركن ، ويسمى طواف الزيارة . ثم صلى ركعتين فى مقام ابراهيم ، ثم شرب من ماء زمزم ، ثم عاد الى منى فصلى بها صلاة الظهروخطب الناس بعد الظهر خطبة جامعة جاء فيها :

(ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا) .
وامر الناس ان يأخذوا عنه مناسكهم .

رمى الجمار :

لما انتصف النهار ثانى ايام العيد ذهب الى الجمار ماشيا فرمى الجمرات الثلاث الصغرى والوسطى والكبرى ، ثم كرر الرمى فى اليوم الثالث والرابع من أيام العيد .

طواف الوداع :

ذهب صلى الله عليه وسلم الى مكة فطاف بالبيت طواف الوداع ثم عاد الى المدينة المنورة ، ولما رأى المدينة كبر ثلاثا وقال : (لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، أيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده) .
وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وصية لسيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم

الأستاذ
صلاح عزام

ومع موسم الحج .. يتوافد عشرات الالوف الى مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. يؤدون حق الوفاء .. وحق الحب .. وحق فضل الهداية الى طريق الحق ..

ومع الوفود .. ذكريات تهتز لها المشـاعر .. وتخشع لها القلوب .. ومواقف أمام عظمة الذكرى وخلودها ..

وبين الذكريات تبعث من الاعماق والى الاعماق وصية سيد الخلق الى أمـة الاسـلام حتى تقوم الساعة .

والوصية توكيد على أهم ما جاءت به الدعوة .. واعلان رسمى لحقوق الانسان وواجباته قبل أن يولد حق الانسان فى انجلترا خلال القرن السادس عشر .. وفى العالم اليوم باعلان حقوق انسان الامم المتحدة عام ١٩٥٠ ..

و .. هى ورقة عمل لنظام كل دولة تهتدى بالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسـولا .

و .. هى أمانة يحملها الدعاة عبر التاريخ وجيلا وراء جيل فى أن يبلغوا الرسالة ويدعون للحق تبارك وتعالى ويهدون الناس الى طريق مستقيم .. ويسألون عن ذلك يوم القيامة .

و .. هى برنامج تربوى يجب أن يحفظه الطلاب والعلماء على السواء .. ويجب أيضا أن تتذاكره مع موسم كل حج .

ولنقرأ .. ومعا . وصية سيد الخلق كما يرويها لنا الامام على كرم الله وجهه . اذ يقول .. (لما نزلت : اذا جاء نصر الله والفتح . مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث أن خرج الى الناس يوم الخميس وقد شد رأسه بعصابة فرقى المنبر وجلس عليه مصفر الوجه تدمع عيناه ثم دعا (بلال) بأن ينادى فى المدينة أن اجتمعوا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها آخر وصية لكم فنادى بلال فاجتمع صغيرهم وكبيرهم وتركوا أبواب بيوتهم مفتحة وأسواقهم على حالها حتى خرجت العذارى من خدروهن ليسمعوا رسول الله حتى غص المسجد بأهله والنبى صلى الله عليه وسلم يقول . وسعوا وسعوا لمن وراءكم ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم يبكى لله ويسترجع فحمد الله وأثنى عليه وصلى على الانبياء وعلى نفسه عليهم الصلاة والسلام ثم قال .. أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم العربى الحرمى المكى الذى لا نبى بعدى .

أيها الناس :

اعلموا أن نفسى قد تعبت وحان فراقى من الدنيا واشتقت الى لقاء ربى فواحزناه على فراق امتى .

ماذا يقولون من بعدى اللهم سلم سلم ·
أيها الناس :
اسمعوا وصيتي وعوها واحفظوها وليبلغ الشاهد منكم الغائب فانها آخر وصيتى لكم ·
أيها الناس :

قد بين الله لكم فى محكم تنزيله ما أحل لكم وما حرم عليكم ، وماتأتون وماتتقون فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وآمنوا بمتشابهه واعملوا بمحكمه واعتبروا بأمثاله ، ثم رفع رأسه الى السماء فقال: اللهم بلغت فاشهد ،

ايها الناس

اياكم وهذه الاحوال الضالة المضلة البعيدة من الله تعالى ومن الجنة القريبة من النار وعليكم بالجماعة والاستقامة فانها قريبة من الجنة بعيدة من النار ·· ثم قال اللهم قد بلغت ·

أيها الناس ··

الله · الله فى دينكم وأمانتكم الله الله فيما ملكت أيمانكم فاطعموهم مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم الا ما يطيقون فانهم لحم ودم وخلق أمثالكم ·· ألا من ظلمهم فأنا خصمه يوم القيامة ·· والله حاكمهم · الله الله فى النساء اوفوا لهن مهورهن ·· ولا تظلموهن فيحرمكم حسناتكم يوم القيامة ·· الا هل بلغت ·
أيها الناس ··

قوا أنفسكم وأهليكم نارا وعلموهم وأدبوهم فانهم عندكم عوان وأمانة ·· الا هل بلغت ··
أيها الناس ··

أطيعوا ولاة اموركم ولا تعصوهم وان كان عبدا حبشيا مجدعا فان من أطاعهم فقد أطاعنى ومن عصاهم فقد عصانى ومن عصانى فقد عصى الله ·· ألا لا تخرجوا عليهم ولا تنقضوا عهودهم ·· ألا هل بلغت ··

أيها الناس ·

عليكم بحب حملة القرآن عليكم بحب علمائكم لا تبغضوهم ولا تحسدوهم ولا تطعنوا فيهم ·· الا من أحبهم فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله ·· ومن ابغضنى ·· فقد ابغض الله . ألا هل بلغت ··
ايها الناس

عليكم بالصلوات الخمس باسباغ وضوئها واتمام ركوعها وسجودها ·· ايها الناس ·· ادوا زكاة اموالكم ألا من لم يؤد الزكاة فلاصلاة له ومن لا صلاة له فلا دين له ولا صوم له ولا حج له ولا جهاد له ·· ألا هل بلغت ·

ايها الناس ··

ان الله قد فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على أى حال شاء يهوديا او نصرانيا أو مجوسيا الا أن يكون به مرض حابسه أو منع من سلطان جائر ألا لا نصيب له فى شفاعتى ولا يرد حوضى ·· الا هل بلغت ·

ايها الناس ··
احفظوا ألسنتكم وأبكوا عيونكم واخضعوا قلوبكم واتعبوا ابدانكم وجاهدوا اعداءكم وعمروا مساجدكم ·· وخلصوا ايمانكم ، وانصحوا اخوانكم ، وقدموا لانفسكم ، واحفظوا فروجكم ، وتصدقوا من اموالكم ولاتحاسدوا فتذهب حسناتكم ولا يغتب بعضكم بعضا فتهلكوا ·· الا هل بلغت ··

ايها الناس

اسعوا فى فكاك رقابكم واعملوا الخير ليوم فقركم وفاقتكم ·
ايها الناس ··
لاتظلموا فان الله هو الطالب لمن جار وعليه حسابكم واليه ايابكم انه لا يرضى منكم المعصية ··
ايها الناس ··

انه من عمل منكم صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ·· واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ·
ايها الناس ··

انى قادم الى ربى وقد نعيت الى نفسى فاستودع الله دينكم وأمانتكم والسلام عليكم معشر أصحابى وعلى جميع أمتى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ··
ثم ··
نزل فدخل المنزل فما خرج بعد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومحبيه وسلم ·

معالم الإنسانية في خطبة الوداع

بعد ثلاثة وعشرين عاما من النضال والكفاح والجهاد انتقل النبى عليه الصلاة والسلام الى ربه راضيا مرضيا وقد أدى رسالته ونقل الامانة ، انتقل الى ربه بعد أن اخرج العقل الانسانى من ظلمات الجاهلية الى نور العرفان ، وبين للناس المحاور الاساسية التى تقوم عليها دعائم الدين الخاتم وبالحكمة والموعظة الحسنة واجه محاولات التشكيك والتكذيب والصد والانكار ، وجادل فى الله بحجة الله بالتى هى احسن ، وان اضطر أحيانا الى مواجهة سيف بسيف « لا يفل الحديد الا الحديد ». فما ترك دنيانا الا والناس تظللهم روح الاخاء الذى شمل البشرية كلها ، على اختلاف الالسنة والالوان ، — والمساواة فى الخصائص الانسانية والطبيعة البشرية ، وأصبحت الامة الاسلامية تشمل المسلم وغير المسلم تحقيقا لقاعدة التعارف العامة والتعاون بين البشر جميعا لما فيه خير الانسان ورقيه وسعادته ، والى قبلة الخير والتقوى التى يتساوى أمامها العاملون الصالحون اتجهوا حيث رب الكون الواحد الخالق المبدع — المستحق وحده للربوبية ، وحيث لا تفاضل بينهم امامه الا بالعلم والعمل ، والمسئولية مسئولية ضمير مكلف ومحاسب بقدر ما يستطيع ، وبعد الايمان بالله ايمان بالرسل والانبياء والملائكة والبعث والحساب ليعمل الكل فى دار الممر كأنهم يموتون غدا ، وليفوزوا بالسعادتين فرضت العبادات لتنظيم علاقاتهم بربهم وعلاقاتهم بعضهم مع بعض لتنصلح باخلاقيات الرسالة أمور حياتهم فى ظروفها المتغيرة المتعاقبة كما تنصلح آخرتهم يوم البعث والحساب فينعمون فى جنة الخلد مع الابرار والصالحين .

ولم تكن مهمة محمد عليه الصلاة والسلام هينة يسيرة ، فلم يكن طريق الدعوة مفروشا بالورود فهو وان كان نبيا هاديا ومبشرا ومنذرا ، كان ايضا حاكما منفذا يرتقى لامته مبادىء وقواعد اجتماعية واقتصادية وسياسية نابعة من تعاليم الاسلام وقيمه لتكون لمن بعده منهاجا يسيرون على هداها وينسجون على منوالها ، مع توالى العصور وتعاقب الازمنة ، ولم يكن هؤلاء القوم الاميون يتقبلونها فى سهولة ويسر .

وقد سجل التاريخ للنبى العربى خلال تلك المدة اليسيرة انجازات هائلة غيرت وجه الحياة وأثرت فى مسيرة الشعوب .

* الم يخرج قومه من ظلمات الجهل الى نور العلم والعرفان وأيقظهم من سباتهم العميق ، فهبت فى عروقهم الحيوية والنشاط حتى صاروا فى يوم من الايام سادة العلم فى الدنيا كلها ، ولا تزال علومهم المصدر الاساسى للعلم الحديث بعد تنقيح وتطوير .

* الم يجمع قوما متنافرين متخاصمين متقاتلين لاوهى الاسباب ، وصهرهم فى بوتقة واحدة فأصبحوا بنعمة الله اخوة متحابين ، وقوى أواصر المحبة بينهم فأصبح الواحد منهم لا يعيش لنفسه فقط وانما يعيش للجماعة كلها لانه جزء منها يتأثر بها ويؤثر فيها ومن تمام ايمان المؤمن أن يحب لاخيه ما يحب لنفسه فوجه بذلك ضربة قاصمة للنعرة العصبية والعرقية .

* الم يسلح العقل البشرى بالمعارف العرفانية ليواجه الخرافات والاوهام والاساطير والسحر والشعوذة فعرف بنور العرفان حقائق الطبيعة وسننها ووجه العقل وشحذ الذهن ليطالع صفحات الوجود ليعرف ويطلب العلم ليستغله فى السيطرة على الطبيعة لرقيه وسعادته ، ولذا عد الاسلام طلب العلم فريضة من فرائض الدين والعبادات .

وبهذه المبادىء القويمة ، افسح محمد عليه الصلاة والسلام المجال امام رسالة الاسلام ، وضيق الخناق على عبادة الاصنام والاوثان والاشجار فاذا تم فتح مكة كان مصير تلك العبادات قد تقرر سقطت واسقطت معها عبادة الالهة القمرية ، وتوالت القبائل ترسل وفودها تعلن ولاءها للدين الجديد وتعطى تعهداتها بالانضواء تحت راياته والالتزام بآدابه وتعاليمه ، وعلى الفور انطلقت وفود علماء المسلمين الى مختلف الاقطار يعلمون الناس القرآن ويفقهونهم فى احكامه .

وبعد ذلك اطمأنت نفس محمد الى أن شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ترفرف عاليا لاتعلو عليها عبادة اخرى ، احس ان رسالته توشك أن تتم وان مهمته آذنت بالانتهاء ، وانطبع لديه ان حياته ذاتها قد قاربت على النهاية فقد بلغ الرسالة وأدى الامانة ، ومسلمات الحياة تقضى أن ليس بعد الحياة الا الموت ، وليس بعد الكمال الا النقصان ولا بعد النور غير الظلمة .

ولذلك حزم امره على أداء فريضة الحج تلبية لنداء جده ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وأذن فى الناس فهبت جموع المؤمنين تلبى نداء نبيها ، وخرج وفد الحجيج بقيادة النبى يوم الخامس والعشرين من ذى القعدة فى مائة الف مسلم :

وما كان اجمل منظر الحجيج وهم يؤدون شعائر الحج وكأنهم يوم الحشر يبتهلون ويرددون نفس الكلمات التى قالها ابراهيم ، الدموع تنهمر من العيون تعبر عن معنى واحد ، انه التوبة ، انه الندم انه الرغبة فى أن يقبل رب البيت السؤال ، ليس من المهم ان يتفوه الواحد منهم بكلمات معينة ، المهم النية ومصدرها القلب وحده ، والله اعلم بالقلوب وان خان اللسان وكثيرا ما يخون ، ورحمة الله واسعة كتب ربك على نفسه الرحمة وهو أرحم بعبده من أمه وأبيه وولده وأخيه ، « اللهم اليك توجهنا وبك اعتصمنا وعليك توكلنا فاللهم اجعلنا ممن تباهى بهم ملائكتك يوم القيامة » كأنهم فى يوم حساب لا شك فيه ، تحرروا من كل ما يفاخر به الناس من متاع الدنيا الزائل ،

الاستاذ محمد حسن عبد العزيز

فى أبهى صورة من صور الاخاء الانسانى الذى يرقى فوق الجنس واللون والمكانة الاجتماعية ، تشدو قلوبهم بنشيد واحد فى شوق يفيض حبا وتعبيرا وامتنانا للخالق العظيم ، فتتجاوب الصحراء مع اصداء النشيد ، وكأنما ملائكة السماء تردد معهم ، أو كأنما تشاركهم كل ذرة من ذرات الكون الواسع الفسيح .

ولعل أبسط ما يعبر عنه زحف جموع الحجيج فى كل عام تلك الوحدة التى جعلها الله تعالى ابلغ تعبير لامة قد خلت من قبلها الامم ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وبذلك تستحق لقب خير أمة اخرجت للناس .

وبكل ما فى اعماق محمد عليه الصلاة والسلام من مشاعر الحب ، وهو فى موقف مودع الدنيا المقبل على حساب لاشك فيه ، وتلك رسالته توشك أن تكتمل آخر لبناتها وتتم معالمها ، ودستورها قد صار بين ايدى المؤمنين أمانة يتحملون مسئولية الحفاظ عليها ونشرها من بعده فى فجاج الارض اعلاء لكلمة الله والا كانوا مقصرين فى حق دينهم ، واذ اطمأن الى مايرى أمام عينيه رأى ان يفرغ فى وجدان أمته المجتمعة آخر ما لديه من نصح ورشد ويحذرهم وينذرهم من وساوس الشيطان وعاقبة الاهمال أو التفريط ولو فى شىء يسير من أمر هذا الدين لان الشىء اليسير هو الشىء الكبير سواء بسواء فى مجال العقيدة .

فلما اشرقت شمس يوم التاسع اعتلى وفد الحجيج عرفات ، ووقف النبى وسط المسلمين ، وبعد أن اثنى على ربه وحمده ، خطب قائـلا :

« ايها الناس : اسمعوا قولى هذا فانى لا ادرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف ابدا

أيها الناس ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، فى بلدكم هـذا وانكم ستلقون ربكم فيسألكم وقد بلغت .

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها

وان كل ربا موضوع [مهدر] ولكن لكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون

قضى الله ان لا ربا وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله

وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وان اول دمائكم اضع دم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية . والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

اما بعد ايها الناس فان الشيطان قد يئس من أن يعبد بارضكم هذه أبدا ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من اعمالكم فاحذروه على دينكم .

ايها الناس ان النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما احل الله .

وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرام ، ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مفرد الذى بين جمادى وشعبان الاهل بلغت اللهم فاشهد .

ايها الناس ان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن الا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه وعليهن الا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لايملكون لانفسهن شيئا وانكم انما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا . الا هل بلغت اللهم فاشهد .

فاعقلوا ايها الناس قولى فانى قد بلغت وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا امرا بينا كتاب الله وسنة رسوله .

ايها الناس : ان ربكم واحد . وان اباكم واحد . كلكم لادم وآدم من تراب اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى . الا هل بلغت اللهم فاشهد

ايها الناس : اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم وان المسلمين اخوة فلا يحل لامرىء من اخيه الا ماأعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن انفسكم .

ايها الناس : ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصية فى أكثر من الثلث والولد للفراش والعاهر للحجر من ادعى الى غير ابيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فى هذا الايجاز الشديد لخص النبى عليه الصلاة والسلام مبادىء الاسلام . وفصل فيه ما يجب أن تكون عليه خير أمة اخرجت للناس . وأوضح سمات المجتمع الجديد واخلاقياته العامة النابعة من عقيدته والروابط التى تنضبط عليها علاقات الناس بعضهم مع بعض على مستوى الاسرة والمجتمع الانسانى كله . لتغدو الحياة عزيزة كريمة تليق ببنى الانسان خلفاء الله فى أرضـه .

وبدافع الاحساس بان هذه الخطبة ستكون آخر لقاء له فى مثل هذا الجمع الحاشد . اهتم عليه الصلاة والسلام أن تصل كل كلمة يقولها الى كل فرد سماعا ووعيا فكان يستوثق بمثل قوله : « هل تدرون أى يوم هذا ؟ فيقولون : يوم الحج الاكبر » كما كلف ربيعة بن امية بن خلف أن يردد وراءه كلما خطب مقطعـا .

ونزلت آيات الوحى . فى آخر لقاء بين الارض والسماء .. حيث لا رسالة بعد ذلك ولا نبوة ولا كتاب « اليوم اكملت لكم دينكم . وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » فلما سمع الصديق هذه الايات ادرك بصدق حسه . أن ليس بعد الكمال الا النقصان . وليس بعد النور الا الظلمة . ولا بعد الحياة غير الموت فالرسالة قد تمت ونعمة الله اكملت وأن محمدا أدى واجبه نحو ربه . ونحو البشرية كلها . بطريقة لم يسبقها مثيل . وبعد عناء ومشقة شديدين لا يحتملهما الا من أيده الله بتوفيقه . وأمده بقوة من عنده فاندفع يجهش بالبكاء . فقد آن لصديقه وحبيبه وزميل عمره ونبيه أن يستريح بعد كل هذه المعاناة فى سبيل نشر الدعوة . وارساء قواعد الحق والعدل والسلام . آن له أن ينتقل الى جوار ربه . راضيا مرضيـا .

وبعد أيام قليلة تجتمع وفود الحجيج فوق ثرى الارض المقدسة التى حفظت لنا ذكريات عزيزة وغالية فوق كل شبر من أرضها . ومناسك الحج ذاتها . تذكرنا بمواقف غالية . وفوق عرفات ينعقد المؤتمر الاسلامى السنوى الكبير . يضم ابناء الدين الواحد فى اتحاد نادر ووحدة هما فى حقيقة الامر هدف العبادات فى الاسلام ، يذكرون ماضيهم المجيد ويتمنون أن يعودوا كما كانوا قوة وبأسا ، يتدارسون مشكلاتهم ويعملون على ايجاد الحلول الناجعة لها من ثنايا احكام وقواعد دينهم الحنيف .

يتجهون الى قبلة الارض كلها ، التى اختارها ربهم لهم ، يذكرون قبلتهم الاولى التى ترزأ الان تحت نير الاستعمار الصهيونى الامبريالى ، المعادى للاديان كلها .

يذكرون مساجد وكنائس منعت العبادات فيها ، وتحولت الى مخازن للاسلحة ومراكز للاستطلاع .

يذكرون بيت المقدس وقد استعمله الصهاينة حماما للسباحة ، وساحة للرقص والفجور .

يذكرون أراض اسلامية اخرى تتجه نية ابناء صهيون ضمها الى مخططهم الذى يستهدف الامة العربية كلها لينشىء فوق انقاضها أرض صهيون التاريخية .

البقية ص ١٤٩

صاحب القليس يفشل في القضاء على الكعبة !!

فضيلة الشيخ مصطفى الحديدي الطير

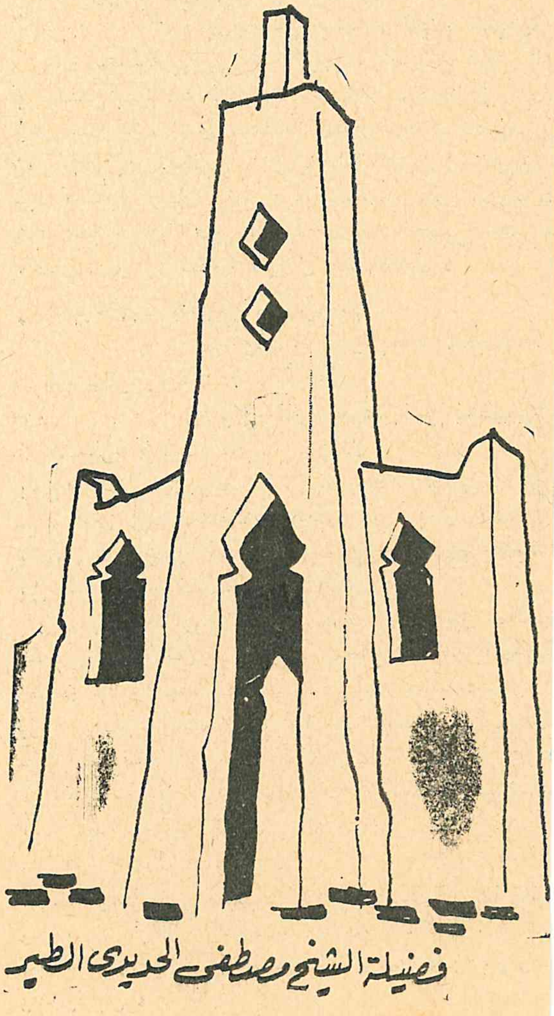

كم من غاشم جبار ارتكب أفظع الجرائم ، فلم يعجل الله عقوبته ، بل أخره ليأخذه فى دنياه أخذ عزيز مقتدر ، أو ليعاقبه فى اخراه ، على ما قدمت يداه .

ولكن جبارا عند قصد الكعبة ليهدمها ، فجعل الله عقوبته ولم يؤجله ، اراه من العذاب ما ليس له نظير فى التاريخ ، وجعل قصته عبرة للمعتبرين ، وارهاصا لبعثة سيد المرسلين ، وتكريما للقبلة التى رضيها للمسلمين ، واليك البيان :

غلب على اليمن رجل حبشى اسمه ابرهة بن الصباح الاشرم - وكنيته أبو يكسوم - وحين جاء موسم الحج رأى الناس يتأهبون لاداء المناسك بمكة ، ولا يدخرون وسعا فى البذل والجهد ، ولا يثنيهم عن رحلتها الشاقة شيخوخة أو فقر ، لينعموا بالطواف بالبيت الذى بناه خليل الله ابراهيم ، بمعونة ابنه البكر اسماعيل - جد العرب المستعربة .

فاشتعل قلبه حقدا وغيظا ، وعزم على بناء كنيسة عظيمة ، يصرف العرب فى حجهم اليها ، فأمر بنقل الحجارة من قصر بلقيس ملكة سبأ الى صنعاء فنقلوا اليها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب ، وبنى بها كنيسة لم ير الناس مثلها ، وكتب الى النجاشى ملك الحبشة : انى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف اليها حج العرب - واطلق ابرهة على هذه الكنيسة اسم (القليس) . فلما علم العرب ذلك ، غضب رجل من النساءة ، أحد بنى فقيم بن عدى من بنى كنانة ، فخرج حتى أتاه وأحدث فيها ، ولطخ قبلتها بحدثه ، ثم خرج ولحق بارضه ، وقصدها رفقةمن العرب ، فأوقدوا حولها نارا فحملتها الريح فأحرقتها ، فاستشاط ابرهة غيظا لذلك ، وأمر بتجهيز حملة تأديبية للعرب فى شخص أهل مكة حراس الكعبة وحماتها ، ثم خرج فى ستين ألفا من رجاله ، يتقدمهم فيل اطلقوا عليه اسم (محمود) وكان فيلاقويا عظيما مدربا على القتال أحسن تدريب

تحمس العرب لقتاله

فلما علم العرب بخروجه لهدم الكعبة وغزو اهل مكة حراسها ، عزموا على تعويقه وقتاله ، حماية للبيت الذى يفتدونه بأرواحهم .

فخرج اليه رجل من أشراف اليمن وملوكهم ، اسمه ذو نفر ، وخرج معه من اطاعة من قومه ومن العرب ، فقاتلوه فهزمهم ، واخذ (ذا نفر) اسيرا حتى اذا كان بأرض خثعم (نفيلا) أسيرا عرض له نفيل ابن حبيب الخثعمى بمن‌معه‌من قومه وغيرهم‌فقاتلوم فهزمهم

فلما مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معيب بن مالك الثقفى فى رجال من ثقيف ، وأخبره ان البيت الذى يريده بمكة ، اما البيت الذى لديهم‌فهوبيت (اللات) وبعث معه أبار غال ليدله على طريق مكة وكانت هذه خيانة منه وفجورا من أبى رغال .

فخرج ابرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس - هو موضع بطريق الطائف - فلما نزله هلك أبو رغال ودفن هناك ، فرجمت العرب قبره - كما رواه ابن

ثم بعث ابرهة وهو بالمغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصور • الى مكة • فساق اموال اهل تهامه من قريش وغيرهم ، وكان فيما اخذه مائتا بعير لعبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم • وكان وقتئذ سيد قريش ، فهمت قريش وكنانه وهذيل ومن كان بالحرم بحربه ، ثم عرفوا ان لا طاقة لهم به فكفوا وبعث أبرهه حياطة الحميرى الى مكة وقال قل لسيد هذا البلد : ان الملك يقول انى لم آت لحربكم ، بل جئت لهدم هذا البيت ،فان لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لى بدمائكم ، فان هو لم يرد حربى فائتنى به ، فلما دخل حياطة مكة ، سأل عن بيت رئيسها ، فدلوه على بيت عبد المطلب ، فلما أخبره بما قاله أبرهة : قال : هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم ، فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع •

ثم انطلق معه عبد المطلب وفى صحبته بعض بنيه ، وكان عبد المطلب اوسم الناس واجملهم ، فلما دخل على ابرهة ورأى ما له من جمال وجلال اكرمه عن أن يجلس ادنى من مجلسه ، ولكن كره أن يراه جنده يجلسه معه على عرشه ، فنزل عنه وجلس على بساطه واجلسه الى جنبه ، ثم قال لترجمانه ، قل له ما حاجتك فقال حاجتى أن ترد على ابلى فقال لترجمانه قل له : قد كنت اعجبتنى حين رأيتك ، ولكنك كلمتنى فى مائتى بعير وتركت الكلام عن البيت الذى يرتبط به دينك ودين آبائك ، مع أننى جئت لهدمه ، فقال عبد المطلب : انى رب الابل – اى صاحبها – وان للبيت ربا سيمنعه ، قال ابرهة : ما كان يتمنع منى • قال عبد المطلب أنت وذاك ، فرد الابل على عبد المطلب ، فانصرف الى قريش فاخبرهم بما كان بينه وبين ابرهة ، وباستعداده الحربى الذى لا قدرة لهم على دفعه ، فتحرزوا فى شعف الجبال •

ثم أخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش ، يدعون الله ويستنصرونه وقال وهو آخذ بالحلقة :

يارب لا أرجوا لهم سواكا
يارب فامنع عنهمو حماكا
أن عدو البيت من عاداكا
امنعهم ان يخربوا فناكا

وقال شعرا آخر جاء فيه :

جروا جموع بلادهم
والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم
جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدالك

ثم أرسل الحلقة وانطلق هو ومن معه الى شعف الجبال – اى رءوسها – ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها ، فلما أصبح تهيأ للدخول

قاذفات السجيل

عبأ ابرهة جيشه وهيأ الفيل لدخول مكة ، ولكن الفيل أدبر ، ولم يقبل عليها ، فضربوه وأوجعوه فبرك وابى ان يقوم ، فوجهوه الى اليمن فقام واتجه اليها مسرعا ، ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ، ثم وجهوه الى مكة فبرك ولم يستجب الى ما ارادوا فسقوه خمرا ليذهب تمييزه فزاد اصرارا على الاباء والامتناع •

وحينئذ ارسل الله عليهم طيرا مثل الخطاطيف جاءت من ناحيه البحر ، ومع كل طائر ثلاثة احجار ، حجر فى منقاره وحجران فى رجليه كأمثال الحمص والعدس ، لا تصيب احدا منهم الا هلك ، فخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاءوا منه ، فانشد نفيل الذى مر ذكره

أين المفر والاله الطالب
والاشرم المغلوب ليس الغالب

وجعلوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون فى كل مكان ، واصيب أبرهة فى جسده ، فحمله من سلم منهم حتى جاءوا به الى صنعاء ، وكانت اعضاؤه تسقط منه عضوا عضوا ، ولحمه يتساقط قطعة قطعة حتى هلك وفى ذلك يقول ابن الزبعرى

سائلين أمير الجيش عنا ما ترى
ولسوف ينبى الجاهلين عليهما
ستون ألفا يؤوبوا أرضهم
بل لم يعش بعد الاياب سقيمها

وعن عائشة رضى الله عنها : ادركت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس وعن عكرمة ان من اصابه الحجر اصيب بالجدرى وهو أول جدرى ظهر – أى بأرض العرب – ويروى ان عبد المطلب ارسل أحد بنيه ليستطلع خبر القوم فلما عاد اخبره ان القوم هلكوا جميعا ، فخرج أهل مكة فاخذوا أموالهم غنيمة ، وقال عبد المطلب :

أنت منعت الجيش والافيالا
وقد رعوا بمكة الاحبالا
شكرا وحمدا لك ذا الجلالا
وكل أمر منهمو معضالا
شكرا وحمدا لك ذا الجلالا

وفى قصة الفيل وأصحابه يقول الله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول » •

ولم يرو التاريخ واقعة كهذه فكم من مقدسات اعتدى عليها أهل البغى ، ولم يعاجلهم الله بالعقوبة استدراجا وامهالا حتى يأخذهم بظلمهم بعد حين ، أو يرجئهم ليوم الحساب ، أما أمر الكعبة فكان العقاب على قصدها بالسوء فوريا ، وبتلك الصورة المفزعة لان للبيت مستقبلا عظيما يأتيه وشيكا ، حيث جعله الله قبلة لخير أمة أخرجت للناس بعد زمن قصير من تلك الحادثة العجيبة .

فقد ولد النبى صلى الله عليه وسلم بعدها بخمسين وخمسين يوما ، فكانت ارهاصا لنبوته ، وتشريفا لمقدمه ، وتعظيما لمقام قبلته ؟ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

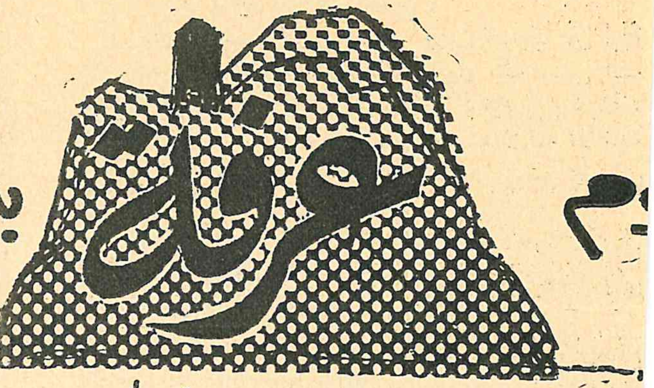

يوم عرفة بين التاريخ والتشريع

فضيلة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا

يوم عرفة : هو ذلك اليوم ، الذى يقف الحجيج فيه
عرفات : الموضع الذى يعرفون فيه ربهم بالتضرع
الابتهال : فيعرفهم تبارك وتعالى بالاحسان
الافضال . ذلك : هو اليوم التاسع من أيام العشر
الاول من ذى الحجة ، الذى قال فيه رسول الله صلى
له عليه وسلم : (ما من أيام العمل الصالح فيها
حب الى الله من هذه الايام - يعنى أيام العشر الاول
ن ذى الحجة - قالوا : يا رسول الله . ولا الجهاد
ى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله : الا
جل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء)
واه البخارى فى صحيحه ، والترمذى ، وابن ماجة ،
ن ابن عباس رضى الله عنهما .

فالله تبارك وتعالى - يحب الاعمال الصالحة
خالصة له : فى كل وقت ، وبخاصة فى عشر ذى
حجة الاول ، الذى لم يفضل الاعمال الصالحة فيه الا
ل رجل : جاهد فى سبيل الله ، فمات شهيدا وقد
ق ماله فى سبيل الله ، القائل فى كتابه الكريم :
ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم
جنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا
يه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى
هده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك
الفوز العظيم) .

ولا غرو أن يفوز الذى يعمل الصالحات فى ذلك
شر بالدرجة الرفيعة عند الله تعالى : فانه اذا كان
مهبط الوحى : حيث يطوف بالبيت الحرام ،
سعى بين الصفا والمروة ، ويؤدى شعائر الله فى
البقاع - فقد تمثل العبودية بأظهر معانيها ،
لت له الربوبية بأجلى مجاليها ، حيث تخشع
وب لبارئها هيبة واكبارا ، وتذل النفوس له تعالى
ية واعتبارا ، ويتفضل الجليل على الحجاج بالعفو
غفران ، والصفاء والرضوان ، والفلاح ، وحسن
ال فى الحال والمآل ، ولذلك - قال رسول الله
ى الله عليه وسلم : (العمرة الى العمرة كفارة لما
هما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) رواه
البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، والحج المبرور هو الذى لا يرتكب صاحبه فيه معصية .

ومن لم يكن له نصيب فى الحج : ممن يعمل الصالحات فى أيام عشر ذى الحجة - فقد تشرف بمشاركة الحجاج فى السعى الى رضا الله تعالى ، ومضاعفة الحسنات بالتزام طاعته جل شانه : من اغاثة ملهوف ، واعانة ضعيف ، وبر بالارحام ، ونصرة مظلوم ، وما الى ذلك من كاسبات حب الله ورضاه ، فقد قال تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) .

ويوم عرفة : من بين أيام هذا العشر ، الميمون الغدوات والروحات - يوم من مواسم الطاعة ممتاز بأن الفائزين فيه من العذاب - أكثر من الفائزين منه فى غيره ، روى ابن حبان فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : (ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ، ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا ، فيباهى باهل الارض أهل السماء ، فيقول : انظروا الى عبادى شعثا غبرا ضاحين - أى بارزين للشمس - جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ، ولم يروا عذابى ، فلم ير أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة) .

وفيمن استحقوا قرب الله منهم برحمته وكرمه تعالى : لطاعتهم فى يوم عرفة ، وان لم يسعدوا بوقفة عرفة - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا كان يوم عرفة - لم يبق أحد فى قلبه مثقال ذرة من ايمان الا غفر له ، قيل له : أللمعرف أى الواقف بعرفة - خاصة ، أم للناس عامة ؟ قال : بل للناس عامة) . رواه أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما .

واذا كانت مغفرة الله تعالى - قد أصابت من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان - فلقد فاز بها من ازداد ايمانا ، ودلت شعب الايمان ، بالمتحلى بها على أشراق الايمان بقلبه .

وقد روى ابن خزيمة ، والبيهقى - أن الفضل بن العباس رضى الله عنهما - كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه على ظهر الدابة ، التى هو راكب عليها ، فجعل الفتى يلاحظ النساء ، فصرفه صلى الله عليه وسلم عن النظر اليهن ، فقال : (ان هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه - غفر له) ٠

فيوم عرفة - يوم عتق من النار : لمن وقف بعرفة ، ولمن لم يقف بعرفة ، ممن صان سمعه عن القبيح ٠ وما يغضب الله تعالى ، وغض بصره عن الحرام ، ولم يشهد زورا ، ولم يلغ فى عرض ، ولم يدنس لسانه بسباب ولا كذب ، وترك الجدال حرصا على ود أخيه ، وخلصت سريرته ، فكان من أهل الجنة المشار اليهم بقوله صلى الله عليه وسلم : (أنا زعيم - أى كفيل - ببيت فى ربض الجنة - أى فيما حولها - لمن ترك المراء - أى الجدال - وهو محق ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الذنب ، وهو مازح ، وبيت فى أعلى الجنة لمن حسنت سريرته) رواه الطبرانى فى معجمه الاوسط عن ابن عمر رضى الله عنهما ٠

وقد روى أبو الشيخ بن حبان فى كتاب الثواب ، والبيهقى عن الفضل بن العباس رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : (من حفظ لسانه ، وسمعه ، وبصره : يوم عرفة - غفر له من عرفة الى عرفة) ٠

ومن الصالحات فى يوم عرفة - الصيام ٠ روى مسلم فى صحيحه عن ابى قتادة رضى الله عنه - قال: (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة ؟ قال : يكفر السنة الماضية ٠ والباقية) ٠

وانما يفوز - بتلك المكرمة ، ويكسب طهارة النفس ، ومغفرة الذنب ، ويستقبل الغد فى طهر ونقاء - المسلم ، الذى يصوم يوم عرفة صوما صحيحا كاملا ، مؤدى لا بترك الطعام والشراب فحسب ، بل باجتناب كل زور وباطل ، وسائر ما يغضب الله تعالى ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لم يدع قول الزور والعمل به - فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه ٠

والصدقة كالحج - تعود على مؤديها بالغنى ، وغفران الذنوب قال تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ٠

وتزيد الصدقة على الحج بفائدة انتفاع المتصدق عليه بهـــا ، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : (لان أعول أهل بيت من المسلمين شهرا أو جمعة أحب الى من حجة ٠ بعد حجة) أى من حجة التطوع ٠ بعد حجة الفريضة ٠ فحرى بالمسلم يوم عرفة - أن يتوسل الى الله تعالى فى يوم تجليه على المسلمين برحمته - بادخال السرور على اخوانه المؤمنين ، باعطائهم مما تفضل الله به عليه ، ليستقبلوا العيد فى ابتهاج ، ويمضوه فى هناء ، فيستحق - بذلك - من الله تعالى أن يسره كما سر غيره ، فالجزاء من جنس العمل ، وقد قال تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) ٠

والله تبارك وتعالى - يتجلى على المسلم الصادق فى يوم عرفة - بقبول دعائه ما دام تقيا ٠ قال جل وعز ، (انما يتقبل الله من المتقين) ٠

وروى الترمذى عن ابن عمر وابن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : (خير الدعاء - دعاء يوم عرفة ، وافضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى - لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير) ٠

والدعوة الجامعة لخيرى الدنيا والاخرة ، وبها الوقاية من شرهما : (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار) ٠

والدعاء - سلاح المؤمن : به يدرأ العدو ، ويدفع الشر ، ويجلب الخير ، ولذلك - قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : (يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (يا سعد ٠ أطب مطعمك - تكن مستجاب الدعوة ٠ والذى نفس محمد بيده ٠ ان العبد - ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما ، وايما عبد نبت لحمه من سحت - فالنار أولى به) رواه الطبرانى فى معجمه الصغير عن ابن عباس رضى الله عنهما ٠

وما احوجنا فى هذه الاوقات الى اعداد سلاح الدعاء لنكسب به النصر ٠

فلنكن يوم عرفة بحال طيبة تصلح للعرض على الله تعالى : التقوى زادنا ، ولباسنا ، وقد صمنا عن جميع الاثام ، ونبذنا الحقد والخصام ، وأظلتنا راية الاتحاد عالية ، ونحن رحماء بيننا ٠

لنكن كذلك ، حتى يتقبل منا الدعاء حين نرفع أكف الضراعة الى السماء ، قبلة الدعاء فى يوم عرفة المبارك سائلين الله جلت قدرته - أن يرزقنا خير الدنيا والاخرة ، وأن ينصرنا على أعدائنا ٠

(وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) ٠

وروى الطبرانى فى معجمه الكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - دعا بعرفة ، فقال : (اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى لا يخفى عليك شىء من أمرى ، وانا البائس الفقير ، المستغيث المستجير ، الوجل المشفق ، المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسمه ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك شقيا ، وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين ، ويا خير المعطين) ٠

فلنحرص فى يوم عرفة على الانتفاع بنفحات هذا الدعاء ، سائلين الله تعالى - أن يتقبله منا - ونصب أعيننا - قوله تبارك وتعالى : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) ٠

ولعظم يوم عرفة ، وفضله عند الله جل علاه - انزل تبارك وتعالى فيه من حجة الوداع - سنة عشر ...

الهجرة ـ قوله جلّ شأنه : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) وقد بكى عمر رضى الله عنه حين سمع هذا القول الكريم ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : انه ليس بعد الكمال الا النقصان ، وكأنه رضى الله عنه ـ أحس قرب وفاته صلى الله عليه وسلم ، بل استشعر صلوات الله وسلامه عليه ـ قرب وفاة نفسه فى يوم عرفة من تلك الحجة فى تلك السنة ، فألقى خطبته الجامعة فى ذلك اليوم ، قال عليه الصلاة والسلام : (الحمد لله • نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا • من يهد الله ـ فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أوصيكم ـ عباد الله ـ بتقوى الله : واحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذى هو خير • أيها الناس • اسمعوا قولى • فانى لا أدرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا ، بهذا الموقف أبداً • أيها الناس • ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم • كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وانكم ستلقون ربكم ، فيسالكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة ـ فليؤدها الى من ائتمنه عليها ، وان كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ، ولا تظلمون قضى الله أنه ـ لا ربا ، وأن ربا عباس بن عبد الله المطلب ـ موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية ـ موضوع ، وان أول دمائكم أضع ـ دم ابن ربيعة بن الحارث ، وكان مسترضعا فى بنى ليث ،فقتله هذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية •

أما بعد ـ أيها الناس ـ ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه ان يطع ـ فيما سوى ذلك ـ فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس ان النسىء زيادة فى الكفر : يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وان الزمان ـ قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله ـ اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاث متوالية ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ، أما بعد ـ أيها الناس ـ فان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا : لكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن : فان الله ـ قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فأن انتهين ـ فلهن رزقهن ، وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فانهن ـ عندكم ـ عوان لا يملكن لانفسهم شيئا ، وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا ـ أيها الناس ـ قولى ، فانى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به ـ فلن تضلوا ابدا أمرا مبينا : كتاب الله ، وسنة نبيه • أيها الناس : اسمعوا قولى ، واعقلوه ـ تعلمن أن كل مسلم ـ أخ للمسلم ، وأن المسلمين اخوته ، فلا يحل لمسلم من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن انفسكم الا هل بلغت ؟ فقال الناس : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد •

روى تلك الخطبة بهذا النص ابن هشام فى سيرته ، والنسىء : التأخير فى الوقت ، وكان العرب يؤخرون بعض الاشهر الحرم الى شهر آخر ، فذم الله ذلك ، ونفر منه ، والاشهر الحرم المتوالية هى ذو القعدة وذو الحجة • والمحرم ، ومعنى عوان : أى أسيرات : أى فى حكم الاسيرات ، وفسر ذلك فى القول بعده : لا يملكن لانفسهن شيئا ، وفى رواية : فانهن أى النساء ـ عندكم عوار : بالراء ، أى أمانات •

وبعد : فما أسعد المسلمين ، وما أعزهم اذا استمسكوا بما تضمنته هذه الخطبة العظيمة من مبادىء وتعاليم ، بها صلاح الفرد والجماعة ، وخير الدنيا والاخرة •

والله تعالى أسال أن يعيد يوم عرفة ، والمسلمون فرحون بنصر الله العزيز الحكيم •

بقية مقال « معالم الانسانية فى خطبة الوداع »

يذكرون مسئولية الجماعة المتحدة ، ازاء اخوة لهم طردوا من أرضهم يعيشون فى الفلاة هائمين على وجوههم ، لاجئين ومهجرين •

يذكرون ما يمكن أن تضيفه امكانيات تسبعمائة مليون مسلم ، لترد وبحسم تلك الاهانة البالغة ، وتؤثر بما فيه الكفاية ويزيد.

فيهبون لاداء واجبهم المقدس ، يبذلون النفس والمال رخيصين للفوز باحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ، لتحرير أرض مسلمة وبيوت أذن الله أن يذكر فيها اسمه ، وانسان مشرد اراده الله عزيزا كريما ، اليس الاعتداء على جزء من ديار المسلمين اعتداء عليهم جميعا ؟ اليس فى الاعتداء على بيوت الله اعتداء على الاسلام كله فى أقدس شعائره وأماكنه ؟ ، اليس القتال حينئذ قد فرض على كل من شهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله .

واسرائيل بعد احراق المسجد الاقصى ، تعلن فى هذه الايام اتجاه نيتها الى هدم مسجد ابراهيم عليه السلام ، وهو مسجد اسلامى مقدس ، تشد اليه الرحال سواء بسواء كمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ضمن مخطط مسبق يستهدف ازالة كل أثر للاسلام والعروبة من المنطقة ، وفصلها عن كل شىء يذكرها بتاريخها القديم ، لنكون أمام أمر واقع بغيض علينا ان نتقبله . والاسلام لا يرضى بذلك ابدا . فهل يرضاه المسلمون ، كلا والف كلا •

لتنطلق كلمة الاسلام عالية ، توجه من فوق عرفات فى مؤتمرها الاسلامى السنوى الكبير النداء الى قلوب سبعمائة مليون مسلم فوق ظهر الارض لحشد قواهم وتقديم العون المادى والمعنوى لتحرير الارض المقدسة لتعود كما كانت مدينة السلام ، وطرد اليد الاثمة عن بيت المقدس وسائر الارض العربية اعلاء لشريعة الحق فى العدل والسلام .

مناجاة العيد

فضيلة الشيخ أحمد دريري

أول ما يحيؤك به العيد : كل عام وأنتم بخير • وأول ما تبادر اليه يومه : التطهر والاغتسال ، ثم التكبير والتهليل حتى تشرع فى الصلاة ، وبعدها تسارع الى اراقة دم الصدقة •

وكل شىء من هذه الامور يوحى باتجاه ، وينطق يفرض تحية العيد تحمل اليك امانى كريمة ، وترشد الى حرص من جانبه على حسب الخير لك على الدوام ، وفى طياتها تشوق الى أن يراك متطلعا الى قمة الكمال تتدرج اليها صعدا ، فى كل عام ترتقى درجة حتى تتبوأ الذروة •

وطهرك فى مستهل يومك ، يرشد الى تخلصك من الادران الظاهرة لتطيب نفسك الى التخلص من الادران المعنوية ومن الإثام والخطايا ، فاذا انطلق لسانك بالتكبير والتهليل ووصل صدى ذلك الى قلبك فملاه بقدرة الله القاهرة التى لا تحدها حدودا فهو أكبر من كل ما تقع عليه العين أو يسرح فيه الخيال ، من احتمى بحماه فقد عز ، ومن قصد سواه باء بالخيبة والخسران ، يؤيد المؤمنين به بنصر عظيم من عنده ، وعندما يجتمع المؤمنون فى المصلى يكبرون بلسان واحد ويخشعون بين يديه فى الصلاة ، ويستمعون الى ارشادات دينهم تحفهم الرحمة ، ويذكرهم الله فيمن عنده ولا ينسى المسلم فى هذا اليوم من قعدت به الحاجة وضيق اليد عن التوسعة على عياله ، فيقصد فور عودته من المصلى الى نسكه ينحره او يذبحه ويقدمه طيبة به نفسه الى اخوانه المحتاجين حتى يعم الخير ، وتشعر الجماعة كلها بفضل العيد وبره •

فى هذا الجو الحافل بالبر والرحمة ، والسرور والمودة يناديك قائلا : هاأنذا قدعدت اليك كما عهدتنى ، وفى صدرى نصائح أود أن أزجيها لك عسى أن تتقبلها بارتياح ، عدت اليك ودأبى العود فهو جزء من حقيقتى ، ومنه أخذت اسمى ، جئت أشاركك المسرة والبهجة ، وأحمل اليك مشعلا عسى أن تستفيد به ، يدفعنى الاخلاص والوفاء لامنع عنك ما آمنت أنه خير لك وفيه قوام أمرك . لا تعجب فأنت ابنى ، وأنت أخى ، وأنت سيدى •

أنت ابنى لانى سبقتك فى الوجود ، وعاشرت آباءك وأجدادك الاقدمين ، بل انى قديم قدم التاريخ ، شهدت الرسالات تتنزل من السماء فيؤمن بها البعض ، ويكذب بها ، ويصد عنها ، ويقف فى طريقها الضالون المكذبون ، دائما كانت الغلبة لشرعة الله تظهر وتزدهر بها قلوب المؤمنين فى وقت تندحر فيه جماعة الكافرين بما يرسل الله عليهم من ألوان العذاب والتدمير ولكن تطاول الزمن ، ومرور الايام • كم رأيت من أمم تقوم ، ودول تنقضى ، وأمواجا من البشر تتلوها أمواج ، وعادات وأخلاقا تتغير وتتبدل ، وقد أكسبنى

كل ما رأيت عبرة ، وحصيلة لا تنفذ من التجارب والعظات .

أنت أخى لانى أعيش معك فى كل عام أياما كلها سعادة واخاء ، وطيب عيش ووفاء ، أياما تحكى صورة الواحة تكتنفها صحراء زحمة الحياة ، وما فيها من قسوة وعناء ، مما يجعلنى واياك لا ننسى حلاوة تلك الايام .

أنت سيدى لان قوامى بك ، والشعور بوجودى غرس أياديك ، وثمرعنايتك ، انت صاحب المال المبذول ، واليد الحانية التى تمتد بالبر الى القانع والمعتر ، وتعين على الضعف المنكوب والغارم وابن السبيل ، تمسح رؤوس اليتامى ، وتكفكف دموع الارامل ، وصرعى أحداث الايام ، أنت الذى يحيينى باقامة الصلاة ، وتقديم الصلات ، والتزاور والتعاطف والتراحم ، أى شىء أكون لو خلت أيامى من جميل صنعك ، وصادق برك انى أعترف انى أكون مجرد أيام خاوية خالية من كل بهجة ومتاع ، أياما لا تختلف عن بقية الايام .

اللهم ان هذه روابط قوية ، ووشائج لا تنقطع ، وانا وهى حساس لا أنكر الجميل ، ولا أدخر جهدا فى رده ، فكما أعطيتنى من مالك وبشاشتك وجهدك ، لا أضن عليك بتجربة كررت دراستها حتى محصتها وتأكد لدى صدقها .

اى بنى اسمع ترشد ، وفكر فيما اقول تسعد ، يجب ألا تشغلك مسرات العيد ولينه وموائده عن التفكير فى مستقبلك وسبل تأمينه وتزكيته ، والمنهج الذى يوصلك الى ما أحببت من غاية ، ودار بخلدك من أمل ، وثق أنه لا يتحقق الامل الا بالعمل ، لا يسعدنى الا ان أرى يومك خيرا من أمسك ، وغدك خيرا من يومك ، أريد أن أعود اليك من قابل فأجدك قد قطعت شوطا كبيرا الى غايتك ، ولا تنس أن لكل انسان غاية يعينها ويحددها طموحه وعقله أو خواطر نفسه تسمو بسمو الالباب ، وتهبط بهبوط الاخلاق والاداب ، فكن على حذر ان تنحدر الغاية ، او تدنو عن آمال رؤس القوم وأبعدهم همة ، واذا حددت المطلب تخيرت أقرب الطرق اليه ثم سرت جاهدا لا يعوقك عنه شىء .

هب أنك تخيرت مرضاة الله « واكرم بذلك من اختيار » ، فعليك أن تذكر الله كأنك تراه لانه يراك ، اذكره فى كل أعمالك حتى تأخذ مالك ، وتترك ما لغيرك ، لا تعمل عملا يسىء الى أحد بغير حق ، نق سريرتك من الغل والحسد والكيد والمكر وعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به لا تغضب الا لله ، ولا تركن الى الظلم فتمسك النار ، واشفع كل ذلك بجهد فى العبادات يناسب عظمة ربك ، واجعل فعلك بالحق الحسن فانه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أحسن الحسن الخلق الحسن ، ولا تضع نفسك موضعا تخشى أن يطلع عليه الناس .

فاذا أحببت الرياسة والسلطان فلتسع الناس بعفوك وخلقك ، اسهر على مصالح الناس وقد ناموا عنها ، ابسط لهم وجهك ويدك وعدلك ، ولتكن قرة عينك فى راحة قومك وسعادتهم ، كن بجانب الضعيف حتى يقوى وكن على الباغى المتجبر حتى يهذب ، اذكر نصيحة ربك لنبيه : فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله .

عندئذ ترقى عرش القلوب وعرش القلوب لا تزلزله الكروب ولا يتخلى عن صاحبه ابدا ، ولا يذوب عندما تذوب العروش ، واذا رغبت فى سعة العيش وكثرة المال ، فلا تركن الى الكسل ، ولا تتهيب مغامرات الحياة ، وكن شجاعا فى تعقل ، وحصن ما تملكه يدك بتحرى وجوه الكسب الحلال ، وطهره وزكه وأربه بالزكاة .

وهكذا أنى ذهبت فى اتجاهاتك ومقاصدك فلا تنس نبل الغاية وقصد السبيل ، وحق الله ، وحق المجتمع .

اخى ، لقد انعم الله عليك فى شرعة الاسلام بيومين فى العام تستريح فيهما من ركب الحياة العاتى ، وتذكر الله فى نفسك وفى من حولك تتنسم فيهما ريح البهجة والسعة ، وتنسى الاحقاد والاضغان ، هذان اليومان هما العيد الاصغر وانا .

أما العيد الاصغر فيأتى عقب الانتصار على الشيطان فى معركة جهاد النفس ، واتمام الصوم والعبادة والصبر على قهر الشهوات ، والتزود بأكبر زاد من الطاعة فى شهر رمضان المكرم .

ووفودى اليك بين الايام المعلومات ، والايام المعدودات ، أحمل على جناحى موسم الحج المبارك حين يلتقى المسلمون وقد قدموا من فجاج الارض على مختلف وسائل الانتقال برا وبحرا وجوا ، فضلا عن القادمين رجالا ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا الله ، يطوفون حول البيت الحرام ، ويشهدون الوقوف بعرفة ، رافعين أكف الضراعة الى الله أن يعمهم بفضله وتوفيقه فى هذا الحشر الحاشد ، وقد اختفت بينهم أثواب الزينة ، وتميز الطبقات ، كل يلف جسمه بثوبين ما أشبهما بأكفان الموتى ، اشعارا بالذلة لرب العالمين والاستعداد للقاء الله ، ومن ثمرات هذا المؤتمر تلاقى هذه الجموع فى صعيد واحد ليشهدوا منافع لهم ، ويتعرفوا أحوال هذه الامة المترامية

الاطراف ، وعلى ضوء هذا التعرف يتحقق العون والاخاء فى الله ٠

ومن غير الممكن أن ينظم هذا الجمع كل مؤمن ، وفيهم ذو الحاجة ، ومن قعد به المرض أو الاعذار ، كما أن الكثير منهم سبق له أداء هذه الفريضة التى تجلت فيها رحمة الله فألزمت المؤمن أن يؤديها مرة واحدة فى حياته ، وهؤلاء يشاركون اخوانهم الحجاج كل مشاعرهم ويتتبعون أخبارهم ، ويقدمون الضحايا كما يقدم الحاج الهدايا ، ويستبدلون بالتلبية التكبير والتهليل ، انظر الى وقد جمعت على مائدتى المؤمنين جميعا لم يتخلف عنهم اللائذ بالبيت ، ولا المقيم بين أهله ٠

ولا غنى لى عن تذكيرك بألا تقصر همك فى العيد على المتمع بالملذات ، او القيام ببعض العبادات ، فان الله قد استخلف أباك آدم عليه السلام لعمارة الارض ، وأنت خليفته من بعده ، فانظر يارعاك الله ما قدمت فى عمارتها ، أنت واحد من أتباع محمد بن عبد الله عليه السلام الذى أنزل الله عليه : ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » اين جهدك فيما اضفاه الله عليك من هذا الفضل ؟ أين هذه العزة وقد انتهكت حرمات الله ، ودنست بلاد المؤمنين بشرذمة من شذاذ العالم ، وطريدى الامم يسيمون اخوانكم الخسف والذل ، ويعبثون بالمقدسات دون حياء أو ارتداع . ستقول ماذا أصنع وقد وضعت فى أيديهم من أسباب الهلاك والتدمير ما يمكنهم من تسعيرها جحيما لا يطاق ؟ فى امكانك أن تضع يدك فى يد أخيك مع صدق الايمان ، وأنتم ولله الحمد كثرة مخيفة ، وفى أيديها من الوسائل السياسية والمالية والقوة المادية ، ما يجعل نفس الباغى ومن يسانده تطير شعاعا أمام صمود الوسائل الاسلامية ٠ لا أكتمك أن العدو المتربص بك لا يتمتع بشىء من الشجاعة المخيفة ، ولكنه ينتظر فرصة الخلافات والانقسامات يتسلل من خلالها الى أغراضه ومقاصده ، ثق أنه جبان رعديد لا يختلف كثيرا عن أسلافه الذين وصفهم الله بقوله : « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » ٠ ليست الوقاحة والتحديات التى تسمعها من هؤلاء الا استئساد القط خلا له الجو ، ولعل كلمة « جميعا » فى صدر الاية توحى بشىء مما أشرنا اليه من فعل الوحدة واثرها ٠

أما عمارة الارض كما آمنت بها من كتابك فأراك قد قصرت فيها كثيرا عما ينبغى ، كنت فى الطليعة فضيعت وتهاونت حتى تزحزحت الى المؤخرة ، كنت القائد والامام فصرت المقلد والمبهور بما ترى من نتاج وتقاليد ٠

لا أدلك على شىء تعوض به ما فات أو تكاد ، تمسك بمحامد الاخلاق ففيها صلاح نفسك ، واذا صلحت النفس استطاعت ان تقوم قصدك ، وأن توجهك الى صلاح فعلك ، وحينئذ تتخلص من الكسل ، والتهاون فى الاجادة تنأى بك عن نسبة ما لغيرك لنفسك ، فتعود الى عملك بكثرة الانتاج وجودته لان منزلتك رهينة به ، وليس كما فهمت من اغتصاب حسنات الاخرين ونسبتها اليك زورا وظلما ، لا تشوه عملك فى خدمة الجماعة بانتظار الثمن من أصحاب المصالح وقد تقاضيته من الدولة ، واعلم أن الحرام يورثك نهما لا يملؤه الحرام والحلال ولو كان اضعافا ٠ كن صادق الاخوة لا مستثمرا لها ، فان ذلك يسىء الى هذه الاخوة والصداقة ، وما أجمل الصفاء والوفاء وفى تاريخنا صور عالية جود الدهر بمثلها بخيل ومن ذلك ما روى عن الصديقين الحميمين عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، وقد جلسا فى دار حينما فاجأهما دخول جماعة يسألون : أيكما عبد الحميد « وتوجس كل من الصديقين شرا لمن يسأل عنه ، فبادرا معايقول كل منهما ، أنا عبد الحميد ٠ طمعا فى تقديم نفسه فداء لصاحبه ، وعندئذ قال عبد الحميد فى شجاعة الوفى ، ان عبد الحميد له علامات يعرفها من أرسلكم فتحفظوا علينا ، وابعثوا اليه من يذكر له العلامات ، ففعلوا ، وأخذ عبد الحميد ، ونجا ابن المقفع ، هذه صورة أخلق بها أن تكتب بحروف مكبرة من نور فى اطار من أخلص أنواع البلور لتكون هاديا للاخلاق وفى أعلى مراتبها الوفاء ٠

مسيرة الإيمان

الأستاذ عبد الحكيم النجار

•• الايمان الذى يسكن قلب الانسان •• هو النور الذى يضىء جنباته •• ويطهر روحه وسلوكه •• ليعلو هذا القلب بالفكر والوجدان الى سماء الحقيقة • الخالدة يثوى اليها فى بهر من نور الجلال •• يستشف من ثناياها الخير والفضيلة والجمال فى تيه الحياة وبحرها الهادر بالظلمة رفع راية العقيدة •• التى رسمت للانسان وللحياة خير سبيل وأقوم طريق فيطهر نفسه •• وتمضى به السفينة باسم الله مجريها ومرساها •• !

وهنا وفى هذا الجو الواسع الشاسع يستطيع الانسان أن يدخل مرحلة جديدة من مراحل الحياة •• وأن يلمس ويلتمس آفاقا عالية فى علاقته بربه عز وجل ••

فهناك فى مطلع النوريهرع الى رحاب الله ، والى مثوى الطهر •• الى الارض المقدسة •• الى البيت العتيق •• الى عرفات الله •• الى مثوى العظمة والجلال •

وبين ليلة وليلة يجد نفسه على الارض الطيبة التى شهدت (بدرا) والتى كانت نقطة فاصلة فى حياة الرسول والمسلمين •• والتى تعطينا الصورة القوية للايمان الذى يفعل الاعاجيب •• العطاء الذى زلزل الجبال وغير وجه التاريخ ••

وبين هذه الاحاسيس •• تمر علينا مراحل حياة الرسول وكفاحه ونضاله •• وهنا يحتاج الانسان الى ان يلقى على حياة صاحب التشريع سيدنا رسول الله صلوات الله عليه وسلامه •• الاضواء ويتدارس جوانبها لتكون ذخيرة لنفوسنا •• وخطا فاصلا فى حياتنا ونبراسا يضىء لنا الطريق ••

شعور بالامن

وأمام منظر الكعبة الشريفة •• نشعر أننا بين يدى الله •• بالقرب من ساحته التى لا تضيق •• وينسى الانسان نفسه ودنياه •• ويتطلع الى آخرته والى ربه •• يستغفره من ذنوبه •• ويبتهل اليه أن يمنحه رضاه وأن يمنحه القدرة والالهام والعطاء الذى لا حدود له •• على مواصلة المسيرة •• وان يجعله من الاتقياء المؤمنين •

وتتحول الرهبة الى شعور عميق بالامن والسلام •• شعور بالخشوع والاطمئنان والامان ••

وفجأة •• تعلو كلمة التوحيد •• تدوى بآذان الفجر •• الله أكبر •• الله أكبر •• ويزداد الجو خشوعا •• وتزداد حرارة الدعاء •• ربنا اغفر لنا •• ربنا وفقنا فى الحياة الدنيا •• وارعنا فى الاخرة انك خير الراعين ••

هنا أحسست بالدموع تتوالى دون أن أدرى • وبشعور يتملكنى •• بأننى أقف فى أعز مكان عرفته البشرية فى تاريخ انسانيتها ••

فتسأل نفسك •• من الذى دعاك •• فلبيته •• يوم وفقت لاداء شعيرة الحج •• فلا بد وان تذهب •• لمن •• الى الله •• الى رحابه •• الى زيارة الرسول

الاعظم محمد بن عبد الله .. الذى رسم طريق الحياة للانسانية كلها .. فكانت هديا للعالم وما زالت وحتى وقتنا هذا شريعة تجلى حقيقة الوجود .. الوجود الانسانى فلم يرق اليها فكر حتى يومنا هذا ..

فلنمض على الطريق .

ما أروع منظر السعى بين الصفا والمروة .. آلاف من المؤمنين يسيرون مهرولين .. وما أن يصلوا الى المروة حتى يكبروا عائدين مهرولين الى الصفا .. وتعلوا أصواتهم بالدعاء وتخفق قلوبهم بالابتهال وما أن يصلوا الى هدف حتى يتجهوا الى هدف آخر ..

هكذا الحياة لا يهدأ فيها الانسان ولا يستقر .. ولكن هنا الاطمئنان !!

ان أنين المحبين ودموعهم وقلقهم علامة من علامات الطريق ..طريق الحب الالهى .. لرحلة الحج لتطهر النفس من ماديتها وأحزانها فيضفى عليها الرحمة والمحبة والسلام ساعين بملابس الاحرام البيضاء ...

وتبدأ التلبية من تلك الجموع الحاشدة الهائلة .. لبيك اللهم لبيك .. لا شريك لك لبيك .. ان الحمد والنعمة لك .. والملك لا شريك لك .. فيصبح الانسان متصلا بشىء يجعله أكثر ارتباطا بما هو أعظم .. وينحصر شعوره فى هذا المكان فى نور الله .. وعظمة الله .. وملكوت الله .. تبارك وتعالى .. فى عرفات الله ..

مسيرة لا تتوقف

وبعد التوفيق فى اداء شعائر الله من حج واحرام وطواف وسعى لمنى ومزدلفة .. بعد هذه الرحلات الروحية المتتالية المنظمة .. ننظر الى الاجناس المتباينة من أقصى الارض تتقابل معهم .. بل وتكاتفهم فى الصلاة .. هناك تتلاشى الفوارق وتزول القدرات .. ويتجلى الرحمن الرحيم على بيته الحرام .. على تلك الجموع الهادرة المسبحة بحمده لا اله الا الله .. وحانت ساعة وداع .. من مكة .. بعد أن عاشت هذه الجموع .. جموع المحبين فى رعاية الله ورحمته بين توفيقه وشكره وذكره .. بين التسابيح والخشوع والخضوع لرب هذا الكون وصانعه ..

وتبدأ الرحلة الثانية الى أين .. ؟ الى زيارة سيد الوجود وقائد الركب ومعلم الدنيا وواحدها الى المصطفى الذى اعطى حياته وشفاعته لامته .. وجدت نفسى مصليا فى الروضة الشريفة .. ذلك المكان الطاهر من ، المسجد النبوى بالمدينة المنورة .. والذى يقع بين قبر الرسول صلوات الله عليه وسلامه وبين منبره ..

.. ربى ما أرهب هذا الموقف .. !!

وهذه الجموع الهادرة أمام حبيبهاوسيدها .. بأى شىء يدعون !

بأن يحفظ الاسلام ويرعى المسلمين .. لتمسك بدينهم .. وليحموا عقيدتهم ويفك أسر مسجدهم الاقصى .. ويعود العرب الى أراضيهم التى نالها الاغتصاب فى غفلة من الزمن .. وان تحرير الارض من الرجس .. بنصر عزيز قريب على اعدائهم .. وان تشرق الشمس مرات ومرات فى قوة واعتزاز واعتداد على أرض الاسلام والعرب ..

ساعة الوداع .

وحانت ساعة الوداع .. ساعة مغادرة المدينة .، فى الطريق الى جدة والعودة الى الوطن .. ويشعر الانسان بالحنين الى هذا الجو الرائع الشفيف .. ويحس الانسان ايضا .. بأسى الفراق .. ويدعو الله أن يتيح له العودة .. الى الارض المباركة .. أرض الله المقدسة .. ارض الايمان .. الى جبل الرحمة والنور ..

وتبدأ رحلة العودة .. مشاغل الدنيا مرة أخرى متزاحمة متراكمة ويعود الانسان الى قلقه .. وتترد فى نفسه مشاكل الحياة حلوها ومرها ..

ثم ماذا بعد العودة .. ؟

يعود وهو أكثر ايمانا .. بعد أن زال الحقد الاسود .. وتفككت الغلظة .. وانتهى الجمود والقحط الروحى .. ويعود للنفس الحانية صفاؤها وحبها لله .. والروح طهرها ونقاؤها .. وللجسم جماله .. لان الله جميل يحب الجمال .. والله رؤوف رحيم والله يغفر كل الذنوب .

يعود بقلب ممتلىء بالنور والثقة والتقوى والحب .. يعود حامدا شاكرا لله الذى وفقه واتاح له القيام بهذه الرحلة الخالدة الرائعة .. رحلة الحج والعمرة المسيرة التى لا تتوقف .. مسيرة الايمان ..

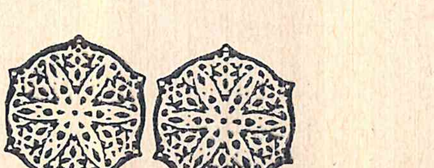

فريضة الحج

التعبئة للمعركة

فضيلة الشيخ عبدالرحمن العدوى

يأتي موتمر الحج على المسلمين وهم يستعدون لمعركة مصيرية حاسمة بينهم وبين عدو يستهدف السيطرة على مقدراتهم واستعبادهم فى اوطانهم واغتصاب أرضهم التى يعيشون عليها ويذكرون اسم الله فيها مخلصين له الدين حنفاء .

وتدوم المسلمين الى مكة لاداء فريضة الحج فى هذه الظروف التى يواجهها المسلمون اليوم يجعلنا فى حاجة الى استلهام المعانى العظيمة والحكم الجليلة التى تنطوى عليها هذه الفريضة وتتجلى فى مناسكها وشعائرها والتى تهدف الى وحدة المسلمين وتقوية الروابط بينهم حتى يصبحوا جميعا كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر .

وان المسلمين اليوم لفى أشد الحاجة الى امتزاج نفوسهم بهذه المعانى والى وضعها فى حياتهم موضع التنفيذ والتطبيق حتى يكون تصرفهم فى جميع المواقف نابعا من روح الاسلام وغاياته ومتفقا مع الاهداف السامية التى شرعت لها العبادات ومن بينها فريضة الحج الى بيت الله الحرام .

أمر الله تعالى نبيه ابراهيم عليه السلام أن يطهر البيت الحرام وان يرفع قواعده ليكون مثابة للناس وأمنا . كما أمره أن يؤذن فيهم بالحج الى هذا البيت المطهر فقال : « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » واستجاب ابراهيم لامر ربه فرفع قواعد البيت مع ابنه اسماعيل وطهره ليكون لعبادة الله وحده لا شريك له ونادى فى الناس ان الله قد كتب عليكم الحج فحجوا فهفت القلوب وتعلقت النفوس بهذا البيت العتيق الذى بارك الله فيه وبارك من حوله وجعله مركزا يلتقى عنده عباد الله الموحدون . وقد اخلصوا نياتهم لربهم وتجردوا من مظاهر الدنيا وزينتها وخلعوا من الثياب ما يميزهم عن بعضهم وارتدوا ملابس الاحرام فى طهارتها وبساطتها لبتوائق ظاهرهم مع باطنهم ولتكمل وحدتهم واندماجهم مهما تباعدت بهم الديار واختلفت الاقطار والامصار . يأتون لاداء هذه الفريضة وقد تركوا وراءهم أهلهم وأولادهم ومواقع عملهم فى الدنيا وانتزعوا أنفسهم من جميع شواغلها استجابة لنداء الله تعالى ووفاء بحقه فى الطاعة له واسلام الامر اليه وامتزجوا فى وحدة اسلامية جامعة يسيطر فيها صوت الشعور الاسلامى ويعلو على اصداء القوميات الاخرى فتكون التعبئة العامة لكل الطاقات المبعثرة فى الحركات الاقليمية ويتركز العمل لخدمة الهدف العام المشترك وهو نصرة دين الله وتحقيق عزة المسلمين فى أوطانهم والتمكين لهم للسيطرة على مقدرات حياتهم .

ومن هنا كانت فريضة الحج ـ وقد خاطب الله بها جميع المؤمنين بقوله :

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ـ تعبئة عامة للقادرين من المسلمين من كل الاقطار الاسلامية يجب الانتظام فيها والسعى اليها على كل قادر بالنفس والمال ، يحرك هذه التعبئة هدف واحد واتجاه واحد وايمان مشترك يعمر قلوب الافواج المتدافعة لبلوغ الموطن الذى يجتمعون فيه بقلوبهم ونفوسهم واجسامهم وعندئذ تتجلى الوحدة الاسلامية فى أروع مظاهرها وأقدس حالاتها .

وهذه التعبئة الاسلامية الشاملة لها من الخصائص الاصيلة ما يجعلها ليست مجرد اجتماع تلتقى فيه الاجسام ثم تتفرق بعده بل هى تدريب عملى فى موقف سلام على ما يجب أن تكون عليه حال المسلمين من مواقف الحرب والقتال وهذه الخصائص تكشف لنا وجود الصلة بين تعبئة المسلمين لحج البيت الحرام وتعبئتهم فى معارك القتال لمواجهة أعدائهم ـ **ويمكن ان تبرز هذه الخصائص المشتركة فيما يأتى :**

١ – الحج فريضة على المستطيع من المسلمين والمسلمات ، والجهاد كذلك فريضة عليهم عندما يعتدى العدو على أوطانهم ويغزو أرضا من ديارهم فيعلن الامام التعبئة العامة التى تخرج فيها النساء مع الرجال ولا يحل لقادر أن يقعد عن المشاركة بنفسه وماله ما استطاع الى ذلك سبيلا وفى ذلك يقول الله تعالى : « **لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما** » .

٢ – يسقط الحج عن المريض والمعذور وغير المستطيع كما يسقط الجهاد عن هؤلاء كذلك وفى هذا يقول الله تعالى : « **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا انصحوا لله ورسوله** » .

٣ – لا يقبل الله الحج من انسان لم يخلص فيه النية لله تعالى أو كان كسبه من حرام مهما تحمل من مشاق السفر ومتاعب الطريق فان اساس القبول هو الصدق الكامل والنية الخالصة والرغبة الصادقة فيما عند الله وما أعده للمخلصين الصادقين . ومن اجل ذلك كان شعار الحج الذى يهتف به كل حاج فى غدوه ورواحه وفى تحركه وسكونه هو : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » . فهذا الهتاف يعلن أن الاستجابة لله وتدوم الحاج الى بيته الحرام كان دافعه الاوحد ايمان صادق وطاعة مطلقة لله صاحب النعمة ومستحق الحمد وحده لاشريك له .

ومعارك المسلمين مع اعدائهم لا يحرزون فيها النصر الا بمقدار طاعتهم لله وارتباطهم به واخلاص النية له فى كل ما يأتون ويتركون ، وفى كل ما ينفقون من مال وما يتحملون من جهد ومشقة وتضحية تصل الى بذل النفوس فى سبيل اعلاء كلمة الله والاستشهاد فى سبيله . واذا خالطت النية بعض الرغبات فى الدنيا من ارتفاع ذكر أو الحصول على مغنم أو جاه أو منصب لم يكن ذلك جهادا فى سبيل الله ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، اى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » .

٤ – فى اداء فريضة الحج لا يختلط بالمسلمين غيرهم ولا ينضم الى جماعتهم الا من شهد لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وبذلك تكون المنطقة التى تؤدى فيها شعائر الحج خالية من غير المسلمين وتكون دائرتها مغلقة عليهم وحدهم يمارسون عبادتهم ويتشاورون فى أمورهم ويرسمون خطتهم لنصرة أوطانهم ويضعون الحلول لمشاكلهم فى كل قطر من اقطارهم ويتحدثون معا فى حرية تامة ومأمن من أن يكون بينهم وسط هذه الجموع الغفيرة من يتسمع أخبارهم أو يكيد لهم أو يتربص بهم الدوائر وهذا الوضع فى جملته اشبه ما يكون بحشد المقاتلين فى ميدان المعركة لا يشاركهم من ليس منهم ولا يختلط بهم من لا يأمنونه على أسرارهم وأعدائهم وهذا هو ما يقرره الاسلام فى ظروف القتال وخروج المسلمين لجهاد أعدائهم واعداء دينهم . فقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت « خرج النبى صلى الله عليه وسلم – قبل بدر – فلما كان بحرة الوبرة [موضع على اربعة أميال من المدينة] أدركه رجل يذكر بالجرأة والنجدة ففرح به الاصحاب فقال للنبى صلى الله عليه وسلم جئت لاتبعك وأصيب معك فقال : « تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا ، قال : فارجع فلن استعين بمشرك .

٥ – فى الحج تتحقق المساواة التامة بين المسلمين جميعا وتزول الفوارق بينهم مهما اختلفت الاجناس والالوان والاقطار ومهما اختلفت حظوظهم من الدنيا ومواقع عملهم فيها فيتجردون جميعا من كل ما يفرق بينهم من المظاهر ويبتعدون عن كل ما يضع الحدود والحواجز بينهم وما يجعل الفقير منهم لا يأنس فى الحديث والمعاشرة الى من هم أكثر منه حظا فى الدنيا ، ويسلكون فى ذلك سلوكا عمليا فيخلعون المألوف من ثيابهم ويهملون التزين والتطيب ينشغلون عن ذلك باستغراقهم فى عبادة الله والتقرب اليه وربط قلوبهم به لا يلهيهم عن ذلك شىء سواه ، وفى هذا الجو المشحون بالايمان والعبادة والتقوى تتقارب نفوس المؤمنين ويأنس كل فرد الى اخيه يفتح له قلبه ويتحدث معه عن مشاكله كفرد أو عن مشاكل أمته كأمة دون تخوف أو حساسية أو اخفاء لبعض الحقائق فالكل فى سبيل الله اخوة والكل يحكمهم ايمانهم ويظللهم الاخلاص فى عبادة ربهم ويفرض عليهم التزامات متساوية يسهمون فيها قدر استطاعتهم لنصرة وطنهم الاسلامى الكبير لتكون كلمة الله هى العليا ويكون المسلمون فى أمن وسلام وقوة ومنعة .

هذا الامتزاج الكامل بين المسلمين فى فريضة الحج وهذا الايمان الذى يحكم تصرفاتهم واقوالهم وهذه الصلة التى يوثقونها مع ربهم ويعاهدونه فيها على نصرة دينه وحماية الاوطان التى ترتفع عليها راية الاسلام ، كل ذلك يربط بين فريضة الحج وما فيها من هذه المعانى وبين المعارك التى يخوضها المسلمون وما تحتاج اليه من تعبئة القوى وتجميع الصفوف والمشاركة الجادة الصادقة ابتغاء وجه الله وعملا على نصرة دينه كواجب مفروض على كل مسلم وان بعدت دياره عن أرض المعركة فالمسلمون أمة واحدة ذات هدف واحد يلتقون حول البيت الحرام ويطوفون حوله ليكون مركز دائرتهم ورمز تجمعهم ورابطة عقدهم .

٦ – فى فريضة الحج تتحرك الجموع الغفيرة من كل جنس ولون وقطر حركة محسوبة منظمة لها مواقيتها الزمانية والمكانية ولكل فرد من هذه الجموع عمله الذى يعرفه ويقصد اليه كغيره من الافراد سواء فى ذلك الطواف حول البيت والسعى بين الصفا والمروة والوقوف بعرفات والافاضة منه ورمى الجمرات والمبيت بمنى وغير ذلك من اعمال الحج تجرى كلها فى نظام محكم بديع وتتحرك الجماهير مع ضخامتها واختلاف اجناسها والسنتها حركة واحدة هادئة . وهذه الصورة فى كمالها وتناسقها وانتظامها كصورة الجيش فى ميدان المعركة يتحرك كل فرد فيه لعمل معروف له تمام المعرفة ، محسوب زمانه ومكانه وهو مرتبط فى عمله مع بقية الجنود لا ينفك عنهم ولا يباشر عملا لا يدخل فى اطار الخطة الموضوعة له ولهم والجيش كله تحكمه رغبة صادقة فى الانتصار على عدوه وتحرير أرضه منه وحماية عرض أمته وشرفها وهو فى سبيل ذلك لا يضن بنفس ولا مال ولا يبخل بتضحية مهما غلت ولا يثنيه عن ذلك الانشغال بأهل أو ولد أو مال وفى هذا نرى التوافق التام بين الجندى وسط الجيش وبين الحاج وسط جموع الحجيج .

٧ – فى فريضة الحج يوصى الله تعالى الحجيج أن يذكروه كثيرا ليحققوا لانفسهم الفلاح فى الدنيا والاخرة فيقول تعالى : « **فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم** » ويقول : « **فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا** » . ويقول : « **واذكروا الله فى أيام معدودات** » ونرى هذه الاوامر ذاتها مطلوبة كذلك من المقاتلين عندما يخوضون المعارك ويلتحمون بأعدائهم . يقول الله تعالى « **يايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » . فأمر المقاتلين بالثبات وذكر الله كثيرا ليحققوا لانفسهم وأمتهم الفلاح والنصر كما أمر الحجيج بذلك .

٨ – فى بعض مواقف القتال قد يصدر الامر من القيادة الى الجنود بالقيام بعمل معين دون أن تبين لهم القيادة أهداف هذا العمل وما يترتب عليه أو يتلوه من أعمال اخرى . وواجب الجنود فى المعارك والامتثال والطاعة التامة وتنفيذ الاوامر عند صدورها وان لم يتضح لهم الهدف وتظهر لهم الفائدة . ولما كان الحج يحكى صورة التدريب العملى للتعبئة للقتال وقد فرضه الله على المستطيع من عباده وحدد ميدانه وزمانه وطريقة

التحرك فيه ـ فاننا نجد كذلك أن الحاج مطالب ببعض الاعمال التى قد لايفهم معناها أو يغيب عنه وجه الحكمة فيها . من ذلك مطالبته برمى الجمرات فى أوقات معينة وبأعداد محددة ومطالبته بتقبيل الحجر الاسود دون أن يذكر الشرع وجه الحكمة فى ذلك ـ تدريبا له على الامتثال التام فى المواقف الحاسمة التى تقتضى ضبطا وانتظاما كاملين والتى لا تحتمل المناقشة والمجادلة والتى يجب أن تكون القيادة فيها فى يد أمينة واحدة تعرف حكمة أوامرها وتقدر لكل خطوة موقعها ثم تصدر الامر الذى يجب امتثاله وطاعته وتنفيذه وان لم يظهر وجه الحكمة فيه . وهذه التربية على السمع والطاعة ادركها وفهمها حق الفهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن نجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ ومواقفه فى المعارضة والمناقشة مشهورة ـ يقبل الحجر الاسود ويقول « انى اعلم انك حجر لاتضر ولاتنفع ، ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك » فهو فى هذا الموقف يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم ويمتثل أمره فى قوله : « ايها الناس خذوا عنى مناسككم » وقد عبر عن هذا الامتثال المطلق لهذا الامر الصادر من قائد المسلمين ورسولهم بقوله « ولولا انى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » . وهذا مبدأ من المبادىء العظيمة التى يغرسها الحج فى نفوس المسلمين ليكونوا جنودا مخلصين طائعين مستجيبين فى المواقف الحاسمة التى لا تحتمل ترددا او تساؤلا .

٩ ـ ووقوف الحجيج بعرفات واجتماعهم فى مكان واحد فى وقت معين وكون هذا الوقوف هو الركن الاعظم الذى لايتم الحج الا به ولا يتحقق للمسلم ثمرة حجه من تكفير الذنوب وقبول الفريضة منه الا اذا حضر هذا الموقف نجده يشبه اجتماع الجيش فى ميدان المعركة وضرورة وجود كل فرد فى موقعه المحدد له فى الزمن المعين لذلك حتى تتحقق ثمرة القتال بالانتصار على عدو المسلمين كما تتحقق ثمرة الحج فى عرفات بهزيمة الشيطان والانتصار عليه وفوز الحاج برضا الله ومثوبته . وهكذا يتأكد الشبه وتتلاقى الثمرة بين عرفات وميادين القتال . اجتماع لكل الافراد ووحدة فى المكان والزمان ووحدة فى الهدف والقصد والنية ومعركة بين الايمان فى سموه وعظمته وتجمع اوليائه وبين الشيطان وقبيله وشروره وآثامه ، ولا يفيض الناس من عرفات حتى يكون الشيطان قد لحقت به هزيمة ساحقة ماحقة فان الله يغفر للحجيج ذنوبهم ويرجعهم كيوم ولدتهم امهاتهم ، وكذلك شأن المسلمين لا يفيضون من معارك قتالهم حتى يحققوا النصر على اعدائهم وينزلوا بالشر واهله الهزيمة التى تمنعهم من التصدى مرة اخرى لاهل الخير والايمان .

١٠ ـ والدعاء والابتهال الى الله والضراعة اليه واجب مطلوب فى الحج والجهاد معا فلا يزال الحاج منذ احرامه داعيا مهللا ملبيا سائلا مولاه كل خير فى طوافه وسعيه وفى جميع مواقف الحج ومناسكه . والمجاهدون كذلك علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستنصروا بالله ربهم ويجعلوه فى نحور اعدائهم وان يكونوا فى ذكر دائم له كلما اشتدت المعارك وحمى الوطيس فقد روى عن عبد الله بن ابى اوفى رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض ايامه التى لقى فيها العدو وانتظر حتى مالت الشمس ثم قام فى الناس فقال : « **ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف** ، ثم قال : **اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم** » وعن انس رضى الله عنه قال « **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا قال** : « **اللهم انت عضدى ونصيرى بك اجول وبك أصول وبك أقاتل** » ، وعن ابى موسى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خاف قوما قال « **اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم** » .

١١ ـ واذا نظرنا الى الثواب الذى وعد الله به المجاهدين فى سبيله الذين باعوا انفسهم واموالهم لله ونظرنا الى الثواب الذى وعد به اصحاب الحج المبرور نجد توافقا تاما فى مثوبتهم جميعا مما ينبىء بتوافق منزلة الحج واهدافه مع منزلة الجهاد واهدافه فان الحج كما قلنا تدريب عملى وتجربة لتعبئة القوى الاسلامية وتحريكها حركة منظمة مدروسة ليكون ذلك التدريب وهذه التعبئة عونا للمسلمين فى قتالهم وتعبئة جيوشهم لمواجهة اعدائهم . ويظهر لنا هذا التوافق فى الثواب فى قول الله تعالى : « **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة** » وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « **العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما** . والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » كما تظهر منزلة الحج بجوار الجهاد فى سبيل الله فيما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : **سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى العمل افضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور** » وهذا الحديث ينطق بما نطقت به الاية الكريمة فى قول الله تعالى « **يايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** » ويزيد الحديث الحج المبرور بعد الايمان والجهاد . ومما يظهر كذلك علاقة الحج بالجهاد قول الرسول صلى الله عليه وسلم « **جهاد الكبير والصغير والضعيف والمراة الحج والعمرة** » وللامام احمد قيل « **يا رسول الله هل على النساء من جهاد قال : نعم عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة** » فقد سمى الرسول صلى الله عليه وسلم الحج جهادا غير انه لا قتال فيه .

وبعد . فان هذه العلاقة القوية بين فريضة الحج التى فرضها الله على القادرين من المسلمين وبين جهادهم وقتالهم لاعدائهم تجعل هذا الموسم من مواسم الحج وقد جاء فى وقت انتهك العدو فيه حرمات المسلمين واعتدى على ارضهم وداس مقدساتهم وشرد كثيرا منهم ـ تجعل فريضة الحج فى هذه الظروف لها وضع خاص يلتزم المسلمون ازاءه بمسئوليات محددة تكون تعبيرا عن وحدتهم فى الايمان « ذلك بأن يسارعوا الى عمل ايجابى يكشف عن مدى استفادتهم من اداء هذه الفريضة والتقائهم جميعا فى رحلة روحية وجو اسلامى خالص فى مكان يذكرهم بنشأة دينهم واخلاص السابقين من اسلافهم ويربط بينهم وبين الامجاد الاسلامية فى مواقعها ويعمق فى نفوسهم جذور تاريخهم الاسلامى يوم ان كانوا امة واحدة لم تفرقها مطامع الشهوة ولم تنل منها الاحداث بل كانت تزداد صلابة وقوة ونضالا كلما اشتدت الخطوب وتكاثر عليها الاعداء .

الى المسلمين فى جميع بقاع الارض وقد ذهبت وفودهم الى مؤتمر الحج الجامع فى اقدس بقعة واشرفها نسوق حديثنا هذا مؤكدين ان الاسلام وضع من المبادىء والقواعد والعبادات مالو تمسك به المسلمون واجمعوا عليه وطبقوه فى واقع حياتهم لاستعادوا به مجدهم الغابر وعزهم المفقود واوطانهم السليبة .

ان تفرق المسلمين الى قوميات مختلفة وتعصب كل قومية لنفسها والعمل فى حدود مصلحتها الخاصة قد اضعف قوة المسلمين وفرق جمعهم وسهل لعدوهم ان ينال منهم واعطاه الجراة على مهاجمتهم وان الاسلام لا يقبل منهم الا ان يكونوا امة واحدة متماسكة كالبنيان المرصوص يحس افرادها بالاخوة الاسلامية ويتعاطفون ويتراحمون فيما بينهم لا يهنأ لاحدهم عيش وله اخوة مقهورون مشردون من وطنهم معتدى عليهم من عدو الله وعدوهم . وان عدونا ليعرف ان قوتنا فى وحدتنا ولذلك فهو يركز دائما على ان يفرق بيننا ويغرى بعض المسلمين بأن لديه من المصالح والمغانم ما يفيدهم ان ابتعدوا عن مشاكل الاخرين ومتاعبهم . ولا نشك ان كل مسلم حريص على عزته

(البقية صفحة ١٦٠)

العيد الأكبر

« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم . فلا تخشوهم واخشون . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » صدق الله العظيم ..

لقد ثبت من التاريخ القديم والحديث ان لكل امة عيدا او اعيادا تمجدها وتقدسها وتتذكر من كل سنة تمر وتتجدد فى حياتها أيام وقائعها المجيدة . وحوادثها ذات الآثار الجليلة وانتصاراتها التى كان لها الاثر البين فى تحويل مجرى حياتها من عبودية الى حرية ومن ضعف الى قوة . ومن ظلمات الجهالة الى نور العلم واليقين . ومن تأخر فى حياتها الى تقدم ورفاهية وازدهار فلزاما على كل مسلم أن يتذكر ويتفكر ويديم التفكير فيما حدث فى العيد الاكبر هذا . من الانقلاب الخطير فى تاريخ الانسانية . والتحول الانسانى والفكرى فى تاريخ البشرية منذ أربعة عشر قرنا .

ولا ينسى فضائل العيد الاكبر فى يوم الحج الاكبر وهو العاشر من ذى الحجة وما وجد فيه من تقرير المصير وتشريع مبادىء حقوق الانسان . وتمام تشريعات الاحكام بنزول آخر آية من القرآن الصالحة لكل زمان ومكان لسعادة الانسان فى الدنيا والاخرة .

ففى هذا اليوم التاريخى العظيم « العيد الاكبر » ابتهج المسلمون وفرح المؤمنون بما أتم الله عليهم من نعمته بتمام الدين وكماله .

فى يوم عرفة وهو يوم الجمعة عام حجة الوداع ونزل قوله تعالى « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » وبذلك يئس الكفار وخاب رجاؤهم بانتصار دين الله فقد حقت كلمة الله فأكمل نعمته على خلقه نعمة الاسلام والدين القويم « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » وفى يوم عرفه هذا وقد أنزل الله هذه الاية المباركة بكمال الدين وتمامه . أتى النبى محمد صلى الله عليه وسلم الموقف فى بطن جبل عرفات عند الصخرات وخطب الناس خطبته المشهورة بخطبة الوداع الجامعة لاسمى المبادىء وأشرفها فى تاريخ الاجتماع البشرى . فا[illegible] من يتأمل هذه الخطبة يجدها قد وضعت المبادى الاساسية التى يرتقى بها أى مجتمع انسانى فقد قرر حق المصير وحقوق الانسان من السلام والامان والمساواة والاخاء للانسانية جمعاء ... هذه هى الحقوق التى قررها الاسلام ونزل بها القرآن وبلغها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبى الانسانية وقائد الحركة التحررية للعالم أجمع . ووضعت هذه الحقوق موضع التنفيذ ونفذت فعلا وعم العالم كله السلام والامان والتكريم لبنى الانسان فلا عنصرية و[illegible] طبقية ولا رجعية ولا ظلم ولا استبداد وكل النا[illegible]

فضيلة الشيخ
السيد خليل
الجرامى

سواء · فأين هذا من الدول المتحضرة فى العصور الاخيرة وقد تمثلت بهذه الحقوق الاسلاميه وأعلنت وقررت حقوق الانسان عقب الحرب الكبرى وحرب النازيه ففشلت فى تطبيقها فان الدول الباغية حادت عنها وعن السلام ومالت الى الظلم والاستبداد والاستعمار · ولا يزال الاستعمار يساند ويشارك الصهيونية العنصرية فى اشعال الفتن فى كل مكان ويشعل الحروب بنية السيطرة والغلبة لاستغلال الدول واحتكار مواردها ولا تزال دولة اسرائيل المزعومة تعبث فى أرض الدول العربية بالقتل والارهاب وتدنس المقدسات الاسلامية والمسيحية ولا تستجيب لقرارات الامم المتحدة ومجلس الامن ولا تبالى بالقيم الاخلاقية ودواعى الانسانية ومن ورائها أمريكا والصهيونية العالمية تمدها بالمال وآلات الحرب والقتال · ولكن دولة الظلم ساعة ودولة الحق والعدل الى قيام الساعة ...

ان ما وقع وحدث فى العيد الاكبر والحج الاكبر من امور عظيمة الاثر جليلة الخطر كبيرة المعنى والعبر تحفز الهمم وتحيى الضمائر وتثير العواطف والميول وتدفع بالانسانية المؤمنة المخلصة الى مزيد من النظر والفكر والدفاع عن دينها وحقوقها ومقدساتها · فان التاريخ المتواتر لحياة الرسول محمد بن عبد الله العربى · والقرآن الكريم الذى أنزله على سيدنا محمد · ونبيه وبلغه للناس بعمله وقوله وتقريره · يحدثنا عن حقيقة الاسلام · وكيف انبثق نور الايمان وانطلقت الدعوة المحمدية الى آفاق بعيدة عمت جميع الاقطار لا تعوقها ظلمات الشرك · ولا تحول دون انطلاقها قوة الظلم والكفر والطغيان · ولا يقف فى سبيل انتشارها وذيوعها اشد الناس عداوة وضراوة للنبى محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين · الا وهم اليهود أهل الغدر والخيانة والاجرام والعناد حتى تمت نعمة الله الكبرى وكمل الدين بقوانينه وأحكامه ومبادئه ونظمه وتعاليمه فى العيد الاكبر يوم الحج الاكبر فكان للعيد الاكبر ذكريات وفضائل تتمثل للمسلمين وتتجدد فى كل عام فيكون بذلك الاقتداء والاهتداء « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » ·

ولقد ضرب المؤمنون أروع الامثال فى التضحية والفداء والجهاد فى سبيل الله اعلاء لكلمة الله والحفاظ على تراث الاسلام ومقدساته ومناسكه وتعاليمه · وخاضوا حروبا بكل بطولة وبسالة مع أعداء الدين والوطن فكتب الله لهم النصر فى كل الميادين · وتأسوا بالرسول الاعظم والقائد المثالى الاوحد والمسلم الاول سيدنا محمد نبيهم الكريم على الله وعلى الناس · واتبعوا مناهج القرآن ومبادىء الاسلام وتمسكوا بالسنة والقرآن لقوله عليه الصلاة والسلام « لقد تركت فيكم أمرين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدى كتاب الله وسنتى » ·

ويسمى هذا العيد بالعيد الاكبر بالنسبة ليوم الحج الاكبر وهو يوم النحر من السنة التاسعة من الهجرة المذكور فى الاية من أوائل سورة التوبة (سورة براءة) وهى قوله تعالى « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر » أى اعلام من الله ورسوله الى الناس عامة يوم الحج الاكبر وهو يوم النحر فقد برئا من عهود المشركين وقد نبذت اليهم . وذلك أنه لما خرج الرسول لغزوة تبوك وهى غزوة العسرة ليؤمن شبه الجزيرة والمسلمين من أغارة الروم وزحفهم . جعل المشركون واليهود ينقضون العهود والمواثيق التى بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وخانوا أماناتهم نزلت هذه الايات من أوائل سورة التوبة فحاربهم محمد وقهرهم وحارب اليهود وأخرجهم من حصونهم وصياصيهم بعد امهالهم أربعة أشهر وكان النصر الاكبر للمؤمنين . وسمى بالعيد الاكبر أيضا لاذان بلال رضى الله عنه فوق الكعبة بصيغة الاذان المشروع يوم فتح مكة بأمر النبى صلى الله عليه وسلم بعد تحطيم الاصنام التى كانت فوقها وحولها وتطهير البيت الحرام للطائفين والقائمين والركع السجود وتحقق بهذا قول الله تعالى « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود » . .

وسمى هذا العيد . بالعيد الاكبر بالنسبة للعيد الصغير عقب رمضان المبارك بنزول القرآن وبغزوة بدر الكبرى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان . والعيد الكبير جاء بعد تمام الدين وكمال نزول القرآن . ويسمى بالعيد الاضحى من الاضحية . ويوم النحر للتضحية والفداء اقتداء واهتداء وذكرى لسيدنا ابراهيم الخليل أبى اسماعيل جد النبى عليه وعليهما الصلاة والسلام . اذ أمر الله سبحانه ابراهيم بذبح ولده وفلذة كبده اسماعيل الذى وهبه الله له بعد عمر طويل وبعد دعاء عريض من ابراهيم « رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم » فداه الله بكبش عظيم القدر من الجنة ، وبذلك صارت الاضحية سنة مشروعة للقادر عليها . وقد ضحى النبى صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أحدهما قال عند ذبحه اللهم ان هذا عنى وعن اهل بيتى . وقال عند ذبح الاخر اللهم أن هذا عن أمتى وعمن شهد لى بالبلاغ . .

قال مالك والشافعى وأحمد وصاحبا أبى حنيفة أن الاضحية سنة مؤكدة . وقال ابو حنيفة هى واجبة على المقيمين من أهل الامصار واعتبر فى وجوبها أن يكون المضحى مالكا للنصاب . وأول وقتها طلوع الشمس يوم العيد بقدر ركعتين . صلى الامام ام لا ، ذبح ام لم يذبح اضحيته واخر وقتها عند الشافعى آخر أيام التشريق . وعند أبى حنيفة ومالك آخر اليوم الثانى من أيام التشريق الثلاثة واذا كانت واجبة لم يسقط ذبحها بفوات التشريق بل تذبح ويكون قضاء . وقال أبو حنيفة يسقط اذا كان فقيرا واشتراها . أما الغنى فيتصدق بالقيمة مطلقا وجوبا ويستحب أن يأكل المضحى من الاضحية عند الائمة الثلاثة . وقال الشافعى أن يأكل الثلث : ويهدى الثلث . ويتصدق بالثلث . ولا يجوز بيع شىء من الاضحية . ولا يبيع الجلد بالاتفاق . والله أكبر كبيرا وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا .

بقية مقال « فريضة الحج والتعبئة للمعركة »

وقوة امته الاسلامية لا تفريه مصلحة يلوح بها الاعداء ولا يقبل ان يحقق عرضا من اعراض الدنيا او رغدا فى المعيشة على انقاض شعوب اسلامية اخرى وينسى بذلك امر ربه ونداءه للمؤمنين من عباده « يايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

ان على المسلمين ان ينتهزوا فرصة اجتماعهم عند بيت الله الحرام ويدرسوا فى صدق واخلاص مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وينظموا المؤتمرات التى تناقش هذه المشاكل على المستوى الاسلامى كله . وان على قادتهم واهل الراى والفكر فيهم واولى الامر منهم واجبا مقدسا ان يسارعوا الى اقتنام فرصة هذا الاجتماع ويعملوا للوصول الى حل فى قضاياهم العاجلة وفى مواجهة المعارك التى يشنها عليهم اعداؤهم ليوقفوا مسيرتهم ويعوقوا تقدمهم ويحولوا بينهم وبين صياغة حياتهم بأنفسهم كما ارادها الله .

وليعلم المسلمون جميعا ان ما يجرى على الارض العربية له صداه وتاثيره القوى فى كل ارجاء العالم الاسلامى فان هذه المنطقة بالنسبة للمسلمين بمثابة القلب تتوقف على نوعية ضرباته حياة باقى الجسد ، وان المسلمين فى جميع انحاء الكرة الارضية ليتاثرون بالاحداث الجارية على ارض هذه المنطقة من وطنهم الاسلامى وذلك امر فى غاية الوضوح لا يحتاج الى برهان او دليل .

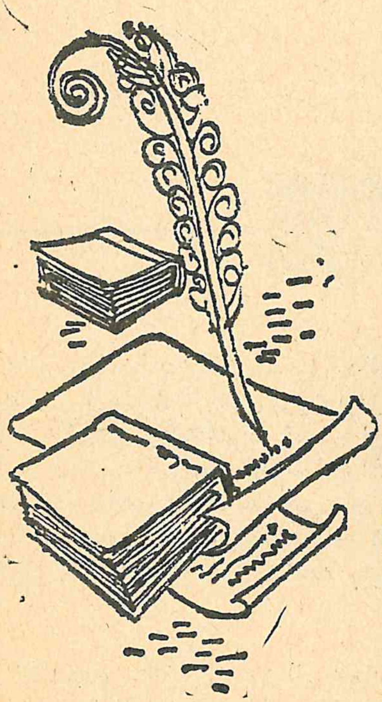

العلم والإيمان

الجانب الروحي والأخلاقي
في التنمية الاقتصادية

الدكتور صلاح الدين نامق

يدعو بعض الاقتصاديين من الشرق والغرب لرأيهم فى التنمية الاقتصادية الذى يرون فيه العناية الكاملة بالجانب المادى والاهتمام به كعنصر أوحد فى تحقيق التنمية الاقتصادية وأبعاد أية عوامل أخرى قد يراها غيرهم من الاقتصاديين داخله فى هذه العملية كالجوانب الروحية والنفسية والاخلاقية للانسان ونوع العلاقات التى تربطه فى مجتمعه بغيره من الناس .

وهؤلاء الاقتصاديون الذين يدعون الى ابعاد كل ما عدا الجانب المادى والعناية به وحده والعمل الدائب الجاد على زيادة الثروة عن طريق التقدم العلمى والتكنولوجى واستخدام الاموال فى المجالات الصناعية والزراعية والتجارية لتحريك عجلة التنمية بأقصى سرعة ممكنة وتحقيق الرخاء المادى العام عن طريق هذا العمل — هؤلاء الاقتصاديون يمثلون فى هذا العصر الفكر المادى الذى لا يعترف بغير المحسوس ويعيش أصحابه لدنياهم وحدها لانهم لا يؤمنون بوجود حياة أخرى ولا يعترفون بما وراء هذا المحسوس المشاهد فهم لذلك يرجعون كل شىء فى الحياة الى سبب مادى يقولون بتأثيره ويحصرون تفكيرهم فى كل ما هو مادى ولا يشغلون انفسهم بغير هذا الجانب بل يرون الاشتغال بغيره مضيعة للوقت دون ثمرة أو فائدة .

وهؤلاء الاقتصاديون الماديون ينظرون للانسان على انه آلة منتجة فحسب ويبحثون كيف يزيدون فى امكانياته ليزيد فى انتاجه وكيف يمكن الاستفادة من قدراته الى أقصى حد ممكن ، فهو اذا تعلم او اكتسب خبرة قويت صحته فان ذلك لا يعنيهم الا من جانب واحد هو جانب الانتاج وقدرته عليه وأثر ذلك فى التنمية الاقتصادية كعملية انتاجية مادية ، وهم من اجل ذلك يدعون الفرد الى ان يعيش لدينا فقط ولتحقيق رغباته فيها وزيادة الانتاج لمواجهة زيادة الاستهلاك واستخدام كل وسائل العلم وتسخيرها لتحقيق المزيد من الثروة والسعى الى تكديسها وليستمر جرى الانسان فى هذه الحياة وراء رغباته التى لا تحد ، وليعمل على اشباع هذه الرغبات ما استطاع الى ذلك سبيلا فأن ذلك هو الذى يدفعه الى المزيد من الجهد والمزيد من العمل والمزيد من

على الثروة والاستزادة منها . وقد جعله ذلك فى الانتاج وهذا هو ما يطلبه عالم الاقتصاد — فى نظر هؤلاء — وليس للاقتصادى — عندهم — أن يشغل نفسه بجوانب أخرى تبعد به عن الجانب المادى الذى هو الهدف الاول والاخير عند علماء التنمية الاقتصادية .

وكان من آثار هذا الراى أن تعلقت نفوس الجماهير فى الدول الصناعية التى ظهر فيها هؤلاء الاقتصاديون - بالرخاء المادى وتحقيق الرفاهة فى العيش وزيادة الدخل من اى طريق وبأى أسلوب وأصبح التركيب الحضارى قائما على الانتاج السريع والاستهلاك الكثير والسباق الخطير فى التنمية والمال والثروة وانتشرت هذه الدعوة فى المعسكرين الراسمالى والشيوعى واستوى فى ذلك الاتجاه دول السوق الاوربية المشتركة التسعة ودول الكمنكون الشيوعية فالكل يجرى وراء الماديات وان اختلفت الاساليب فى هذا الجرى .

وكان من آثاره كذلك أن خف وزن الاخلاقيات فى حياة الناس وضاعت قيمة الروابط الطيبة بين افرادهم واصبحت العلاقة بينهم تستمد قيمتها من مقدار ما يفيد الانسان من نفع عن طريق هذه العلاقة ، فلا شىء يسمى بالعلاقات الانسانية ولا التعاون بين الافراد والسعى فى قضاء مصالح الاخرين وظهرت الانانية باجلى صورها واصبح القادر يأخذ ويتحرك ويربح ويكدس الثروة على حساب غيره من الجياع غير القادرين .

وتبع ذلك السخرية من الاخلاقيات والنظر اليها على انها معوقات للتقدم المادى ، وامتدت السخرية والكراهية لكل ما هو قديم فارتفعت أصوات ترفضه وتطالب بعدم الالتفات اليه فانه التفات الى الخلف والعالم فى حاجة الى ان ينظر للامام دائما ، ولم يكن هذا الرفض على أساس موضوعى بل لمجرد انه قديم فهو مرفوض دون بحث عن المفيد منه وغير المفيد .

وازداد تبعا لذلك الصراع فى الحياة على اكتساب المادة وتجميعها ، وارتكب فى سبيل ذلك كل أساليب الغش والخداع وانتهاك حرمات الاخرين والتجسس عليهم وفضح عوراتهم دون وازع من خلق أو دين فذلك ليس من الحسبان فى شىء .

والسؤال الذى يواجهنا الان ، هل حقق أصحاب هذا المذهب خيرا لامتهم واوطانهم ؟

وهل شعر الانسان بالامن والسعادة فى ظل هذا الاتجاه ؟

والاجابة على هذا السؤال تقتضى استعراض النتائج والاثار التى ادى اليها اعتناق هذا المذهب والسير فى تنفيذه ، وقد رأينا انه كان من نتائجه اهدار الاخلاقيات والثورة عليها وتقطيع الروابط والعلاقات الانسانية ، واحساس الفرد بانه فى صراع دائم لا من أجل لقمة العيش لحفظ حياته وبقاء نوعه بل من أجل زيادة الرفاهة المادية والحصول

نصب دائم وجرى مستمر تقطعت منه أنفاسه ؟ وهو فى هذا الجرى من أجل تحقيق السعادة التى يتوهمها والتى يظنها فى وفرة المال والثراء يفقد سعادته الحقيقية ويشقى نفسه ويستعبدها حب الشهوات من المال والمنصب والجاه، وهذا الشقاء يبلغ ذروته عند بعض الافراد فيجدون حياتهم قد فقدت قيمتها واصبحوا لا يطيقون الاستمرار فيها بالرغم من توفر كل وسائل المعيشة الرغدة بين أيديهم فيضعون نهاية حياتهم بأنفسهم ويقدمون على الانتحار فرارا من البؤس والشقاء الذى لا يحتملون وطأته فى صراعهم الدائب الشاق ، وهذا ما يفسر كثرة حوادث الانتحار فى بيئات توفر لاصحابها كل ما يتمنون من ثراء وجاه وجمال وشهرة .. الى غير ذلك .

وبعد هذا الاستعراض السريع للاثار المدمرة لحياة الناس نتيجة انغماسهم فى المادية المطلقة وافراطهم فيها دون سائر الجوانب الاخرى التى يحتاج اليها الانسان والتى لا تقل أهميه عن اشباع رغباته المادية — بعد هذا الاستعراض تسهل الاجابة على السؤال الذى طرحناه ويسهل القول بأن هذا الفكر المادى قد حقق الشقاء والتعاسة للانسان الى درجة تصل به أحيانا الى التبرم بحياته والعمل على التخلص منها .

وفى الطرف الاخر المقابل لهذا الاتجاه نجد الدعوة الى اعتزال الحياة الدنيا وتحقير شأنها والحث على الرهبانيه فيها والزهد والتقشف ، وازلال النفس بالفقر والحرمان ، وتأخذ هذه الدعوه احيانا سمة التدين ويدعو اليها قوم ساء فهمهم للدين ومراميه ، وان كان هذا الانحراف قد خف بدرجة كبيرة بعد ما ازدادت الثقافة الدينية وبدأت الدراسات الاصيلة والفهم الصحيح يأخذ طريقه فى حياة الناس ، وأصبح من غير المقبول أن يصدق الانسان ما ورد فى بعض كتب أصحاب الاديان غير الاسلام من أن مرور جمل من ثقب أبرة أيسر من مرور رجل غنى من أبواب الجنة .

ان الغنى والثراء ليس ذنبا على الاطلاق يبعد صاحبه من ابواب الجنة ويحرمه من ثواب الله ولكن الذنب والاثم ان يتكون هذا الغنى من ظلم الناس والاعتداء عليهم وغشهم فى المعاملات وارتكاب الوسائل المحرمة للوصول الى جمع الثروة والمال ثم يتضاعف الاثم عندما يصير الغنى انانيا لا يرعى حق المجتمع فى ماله ولا يقدم معونته الى المحتاجين ولا يمد يده لتفريج كربة أو حل ازمة وكان جميع من حوله لا وجود لهم مادام هو مستريحا فى ثرائه وغناه .

هذا هو الذى يجعله بعيدا من رحمة الله ومن جنته اما اذا كان على العكس من ذلك بارا رحيما مؤديا حق الله وحق أمته فى ماله متصدقا عطوفا مسارعا الى الخير ينفق ماله فيه عن رضا وطواعية واطمئنان نفس فانه ولا شك يكون أفضل وانفع من فقير لا يجد

ثمينا ينفقه ؟ فانه قد شكر نعمة الله عليه وجعلها فى مرضاة الله ابتغاء وجهه فكانت له الحسنى « فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » .

وكلا الاتجاهين السابقين مذموم فأحدهما افراط والثانى تفريط ، فالدعوة الى المادية والاستغراق فيها افراط يشقى أصحابه ، والدعوة الى البعد عن الدنيا واعتزالها تفريط يذل اتباعه ، والله لا يرضى لعباده الشقاء والذل .

من هنا كان التوازن بين الدعوتين والتوسط بين الامرين هو طريق الامن والسلامة وهو الطريق الذى ارتضاه الاسلام لاتباعه ودعاهم اليه وسماهم لذلك أمة وسطا فقال تعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ونهى عن الافراط والتفريط فى كل مسلك يسلكه الانسان فقال « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » ، وامتدح عباد الرحمن ووصفهم بقوله « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ». والاسلام لذلك يدعو اتباعه الى الاخذ بأسباب القوة المادية فى الحياة دون ان يستغرقوا فيها حتى تستنزف قواهم وتستذلهم بل عليهم ان يباشروا هذه الاسباب فى سياج من الاخلاق التى رسمها لهم والروحانية التى هى احدى عناصر التكوين الانسانى ، فالانسان ليس جسما فقط فيحتاج الى الاشباع المادى وحده ، وليس روحا فقط فيعتكف فى مسجد أو يترهب فى معبد ويعتزل الحياة ، ولكنه جسم وروح ولكل منهما مطالبه واحتياجاته وعلى المرء ان يقيم التوازن بينهما ويحقق للجسم رغبته وحاجته وللروح رغبتها وحاجتها ، وهذا التوازن هو الذى يحميه من الوقوع فى أحد الطريقين المفسدين للحياة .

يسعى الانسان فى الحياة ويعمل فيها وتنشط عنده الرغبة فى تحسين مستوى معيشته وايجاد فرص جديدة للعمل وابتكار الوسائل والاساليب التى تسرع بتحقيق التنمية الاقتصادية من أجل الرخاء العام — ولكن سعيه هذا يجب ان يكون فى الاطار الانسانى والاخلاقى الذى لا يؤذى الاخرين ولا يضيق عليهم فى حياتهم ولا يهدر آدميتهم بما لها من الخصائص . والغنى الذى يتحقق فى ظل الاخلاقيات وحماية حقوق الاخرين يمكن ان نسميه « الغنى الرشيد » . وهو أمر مقبول ومستحب ولا مانع من السعى الى تحقيقه وقد كان كثيرون من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أغنياء وكانوا فى الصفوف الاولى من التقدير والاحترام من أجل مسلكهم الرشيد فى أداء حق المجتمع وبذل أموالهم للدفاع عنه وسد حاجاته — نذكر منهم عثمان بن عفان رضى الله عنه الذى جهز جيش العسرة من ماله وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم ارض عن عثمان فانى راض عنه » ونذكر عبد الرحمن بن عوف الذى لم يقصر فى حق وجب عليه ولم يبخل فى موقف يحتاج الى انفاقه ومساعدته . ووجود الجانب الاخلاقى والروحى فى عملية التنمية الاقتصادية يحميها من الاثار المدمرة التى رأيناها عندما اغفل هذا الجانب وكان الميل كله الى الجانب المادى وحده ، كما انه يجعلها فى الاطار النافع المفيد الذى يحقق سعادة الافراد نفسيا وروحيا وماديا ويحقق التكامل الانسانى برعاية عنصريه معا وفى ذلك يقول الله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » فيقرر بذلك وجوب التوازن بين الجانبين الروحى والمادى ويعتبر الميل الى احدهما فساد لا يحبه الله ولا يرضاه .

والنشاط الاقتصادى فى سبيل التنمية والتوسع فى مجالاتها جزء من نشاط الانسان الواسع فهناك النشاط الاخلاقى والروحى والنفسى وهى أنشطة يجب رعايتها وعدم السماح بأن يطغى الجانب المادى عليها فهى التى تميز الانسان عما عداه من الحيوانات الاخرى التى تعيش للاكل والنسل دون ان يكون لها حظ من الجانب الروحى أو النفسى ، وقد وصف الله الكافرين الذين لا يزكون أنفسهم بهداية الله تعالى ولا يلتزمون أوامره التى بعث بها رسوله لخير البشرية — وصفهم بأنهم كالانعام أو أضل سبيلا فقال : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم » وعاب الاسلام على أولئك الماديين الذين تلهيهم الدنيا بشهواتها وتأسرهم بملذاتها فيؤثرونها بسعيهم وجهدهم فقال تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » . وقال : « ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا قليل » . وتوعد أصحاب الاتجاه المادى الذين يسخرون من هداية السماء — بالخزى فى الدنيا والعذاب الاليم فى الاخرة فيقول الله تعالى ، « أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ، لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم » . ويقول ، « زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا ، والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب » ويقول : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » .

البقية ص ١٦٦

هل من ثورة علمية ؟!

الدكتور محمد محمد خليفة

تهيم الشعوب باجترار أمجاد ماضيها لعلها توقظ الغفاة ، أو تبعث من فى القبور ، أو تحرك جمود المتقاعدين والمتواكلين ، والمستهترين بالمستقبل ، وكثيرا ما تتحرك ثورة الاشفاق فى نفوس المشفقين فتغلى مراجلها ، وتغلى معها أرواحهم ، بل تحترق حين ترى اجيالا جوفاء من قادة المستقبل الذين سوف يتربعون فى مواقع المسئولية ونفوسهم خاوية من كل ايمان بالواجب وكل شعور بالمسئولية ، وتفكيرهم لا يلم من الحياة بنصيب يثبت لهم حياة ، وماذا يملك المشفقون غير نفثات تهيب بالاجيال لتعد نفسها لمسئولياتها اعدادا تخلع فيه انحلال حاضرها ، وتعالج التمزق الداخلى الذى تتمزق معه قواها وامالها وكيان مستقبلها ؟

ان اجيال شبابنا أحوج ما تكون الى ايمانها بقدرتها الزاحفة فى المزدحم العلمى العالمى الصاخب لخلق مكانها فيه كقوة اسلامية او عربية كان لها دورها ومكانها وخطرها فى المجتمع العام ، لقد كان العربى فى المدينة والكوفة ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة معلم الدنيا ، يهدى ، ويربى ، ويرشد ، ويسوس ، ويقود ، ويبنى ، ويشيد ويشحذ العقول ، ويثقف النفوس ، وتعمل يده فى مجال الفنون ، ويطلق فكره وراء الادواء والعلل الجسمية والاجتماعية فيفحصها ويدرسها ، ويملا الوجود بثمرات ابحاثه وتوجيهاته ، فكان الصبح الموقظ الذى يمحو عن الوجود ماران عليه من ظلمات الجهل والتخلف وكان الاشراق الهادى الذى تمتد اشعاعاته الى حواضر العالم وهى تغط فى غيبوبة النوم ، فيوقظها ، ويأخذ بيدها الى حيث نور العلم والمعرفة لتشعر بانسانيتها ووجودها ·

هكذا كان العربى فى فجر الاسلام وضحاه تتطلع اليه الدنيا لتنهج نهجه ، وتسير على دربه ، وتتسمع أخباره كرحالة فى طلب العلم لا يكاد ينفض غبار السفر الشاق ، ويلقى رحاله حتى يتهيأ لرحلة اخرى الى بلد تتفجر فيه ينابيع العلم ، فينهل منها ويعب ما شاء ، ولم يكد يشعر بالتخمة العلمية حتى يعود اليه نهمه العلمى ، فينطلق وينطلق فى أرض الله يعطى ويأخذ لا يضن بما عنده ، ولا يغتر او يدل بما لديه ·

وكم من نازح من عرب الاندلس أو متعربيها شد الرحال ، وفارق الصحب والال ، ليضرب فى آفاق الشرق يطلب علوم الاسلام والعربية والعلوم التى ترجمها العباسيون ، وملاوا بها مكتباتهم ، فراح ذلك النازح يلتهم العلم التهاما يكشف عن نهم لا يشبع ، ثم عاد الى الاندلس ليثقف الاجيال ويؤلف فى شتى العلوم وليكون تحت مشرق العلم والحضارة ، وبالجهود المتضافرة بين عرب الاندلس ومتعربيها وبينهم وبين الشرق اسسوا هنالك دولة علمية كانت محط انظار الاوروبيين الذين خيم الجهل على بلادهم فطلبوا العلم فى الاندلس المتعربة ومن هنا كان العرب والمتعربون الحلقة التى ربطت مدنية اوروبا القديمة بمدنيتها الحديثة · فأين شبابنا ليسمع قصص الشباب العربى الذى عاش حياته للعلم يطلبه حتى عنت له الدنيا ، وخشعت له الهامات اعجابا واكبارا ؟

ليت شبابنا يعلم أن قافلة الحياة تسير وانها لن تتوقف حين يتوقف · ولن تتعثر حين يتعثر ، ولن تنم حيث ينام · وليته يعلم حين يتخلف ان الدنيا لا تبكى عليه ، وان شلله العقلى لن يثير اشفاق أحد من غزاة الفضاء او المتسابقين فى الميادين العلميه ليمدوا ايديهم اليه ·

وليت شبابنا يعلم أن ما يهدف اليه من طلب العلم للمال لن يجعل منه لبنه حيه فى بناء مجتمعه ، فليكن همه العلم للعلم اولا ثم للمال ثانيا ، لان الوصول الى المال قد يتوقف به عن طلب العلم والبحث والدرس وكانى بشباب العرب اكثره لا هم له غير الحصول على مؤهل يفتح له حياة كل ما يسعده فيها رخاء العيش وجمال الثياب والزينة دون ان يفكر فى مكانه من امته كعضو اما أن تثبت حياته فتحيا به امته ، والا فهو العضو الاشل ، وكيف يكون مصير امة اكثر بنيها اعضاء أشلاء ؟ وعندئذ لا توصم الامة بالتخلف فحسب ، بل قد يكون الموت خير اوصافها فى المجتمع العلمى ، ولعل الغرور يطغى بعض شعوبنا حين ترى المدارس تزدحم بها حواضرها وقراها والجامعات المنتشرة بين عواصمها تغص بالالوف من الفتيان والفتيات ولعلها ترى فى ذلك ما تزعم به أن لها مكانا فى المزدحم العلمى ، والحقيقة المرة أنها تقنع من دنيا العلم بالقشور التى لا تصلح زادا فى رحلة الحياة المنطلقة بين عوالم الفضاء ·

وكم بين ذلك الشباب من متخلف لم يحصل حتى على القشور العلمية ، لان دنياه موزعة بين ما لا يفيد حياته العلمية بين الشوارع والمسارح والملاهى والكرة والاندية والمتنزهات ، وبين شواغله الشاغلة بمظاهره بهندامه وجماله وملبسه اما العلم فحسبه منه ساعات

فى نهاية العام يدبر فيها كيف يفوز فى الامتحان بل كيف يتفوق على المبرزين ممن سهروا الليالى فى طلب العلم .

أيها الشباب :

ان لنا تراثا فرعونيا من العلم عاش مثار اعجاب البشرية عبر الماضى ، ولم يزل موضع تقديرها فى الحاضر .

وان لنا حضارة عربية فى الاندلس بهرت العالم بعلمها وفنها وهى نواة النهضة العلمية الاوروبية الحديثة .

وان آباءك هم الذين عاشوا قرونا يعلمون الدنيا ، ويحملون رسالة الاسلام ويبلغونها للعالم ، حملوها الى الافاق أمانة من ربهم فأدوها صادقين ، لم يتهيبوا ما عسى ان يلاقيهم من جدل الباطل وقوته ، كانوا أصحاب رسالة آمنوا بها واعدوا انفسهم بالزود عنها بالحكمة والموعظة الحسنة ففتح الله لهم القلوب حيثما كانوا ، ما شابت همتهم ، ولا شاخت عزيمتهم ، ولا تقاعست جهودهم عن المضى فى الدفاع عنها بقوة اليقين ، وبقوة البراهين التى الموابهافى دراساتهم للاسلام .

ليتك يا شباب العرب طورت عقلك لا مظهرك ، وعرفت واجبك قبل أن تسىء استعمال حقك .

لقدفتحت لك الدولة ابواب جامعاتها لتأخذ نصيبك من العلم فأدرت ظهرك للدرس والبحث ، وأقنعت نفسك بالفتات التافه من الموائد العلمية ، وزهدت فى كل ما يبنى عقلك ويكون شخصيتك العلمية .

فياترى من المسئولون عن هذا الركود العلمى الذى منيت به أجيال الشباب فى البلاد العربية بعد أن بذلت الحكومات ما وسعها فى تشييد المدارس والجامعات وفى استعارة الاساتذة من مختلف البلاد للعمل فيها الحق انمسئولية التخلف العلمى يحمل وزرها الطالب العازف عن العلم التائه فى دنيا الضياع ، تتجاذبه ملاهيها ومشاغلها قبل أن يحمل وزرها المربى والمفكر والسياسى والدولة .

فهل من ثورة علمية تتحرك فيها الشعوب العربية كلها على اختلاف مستوياتها الى تخطيط عام لنهضة علمية يضع خطوطها المفكرون ورجال التربية والعلم والفكر والاخلاق والسياسة بعد بحث اجدى الوسائل فى دفع الشباب لحمل اعباء تلك النهضة المنشودة على أن يكون الهدف الاول هو تأسيس دولة علمية تعمل فيها جهود الشيوخ والشباب لتبعث فيها الحياة بل القوة العلمية التى تخلق لها مكانها بين صنوف الامم المتقدمة علميا ، وتستعيد كيانها فى سباق الحياة ، بل تسترد تلك الصدارة التى تربعت على عرشها فى الغابر البعيد والابعد من البعيد ؟

وهل من صرخة توجيهية يشعل نارها المفكرون واصحاب الاقلام لتنير الطريق لشبابنا الذى مزقته الحيرة والقلق حتى تاه فى دنياه لا يدرك قيمة نفسه ولا يدرى انه يستطيع أن يخلق لامته الحياة حين يؤمن بأنه عضو فيها وأنه سيحمل غدا مسئولياتها ، ان كلمة الحق ياحملة الاقلام تنتظر صرختنا فهل يحقق الله رجاء الامة فى كلمة تقولونها لله ولهذه الامة .

بقية مقال « الجانب الروحى والاخلاقى فى التنمية الاقتصادية »

ويأمر الله تعالى رسوله ان يعرض عن اولئك الذين لا يريدون غير الدنيا فهى مبلغ علمهم وهمهم وسعيهم فيقول : « **فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى** » .

لا يظن أحد أننا بهذا نقلل من قيمة التنمية الاقتصادية أو ندعو الى التهاون والاهمال فيها فذلك بعيد كل البعد عما نريده وهو ان نضع التنمية الاقتصادية فى وضعها الصحيح ونهيىء لها المناخ الصحى الذى تنمو فيه دون متاعب أو عقبات أو سيئات وقد أوضحنا هذا المناخ الذى رسمه لنا الاسلام فى الطريق الوسط الذى يحقق التوازن والتكامل ، وهذا هو الدرس المفيد الذى تلقيناه من كتاب ربنا وسنة نبينا ، وهو درس لم تتعلمه الدول المتقدمة ماديا لانها فقدت مصدره فاستغرقت فى المادة ولا شىء غير المادة وافرغت كل جهدها فى هذا الطريق ونسيت القيم الاخلاقية والروحية ولم تعطها شيئا من اهتمامها فكانت الكوارث التى شقيت بها البشرية بسبب هذا التقدم المادى المحروم من ضوابط الاخلاق والعلاقات الانسانية ، ورأينا فى العصر الحديث تدمير المدن وابادتها ابادة كاملة بفعل التقدم العلمى الذى أوصل الى صنع القنبلة الذرية التى القيت على نجازاكى وهيروشيما ، **ولو كان لهذا التقدم ضابط اخلاقى أو انسانى ما وصل شره الى هذا المدى الذى هو عكس المقصود والمطلوب من التنمية الاقتصادية والتقدم العلمى ، فان الغاية النهائية هو اسعاد البشر وتيسير سبل معيشتهم فى هذه الحياة ، ولن يتحقق ذلك الا بتكامل الانسان ورعاية جانبيه الروحى والمادى معا دون ان نسمح بطغيان أحدهما على الاخر .**

العدل في الإسلام

المستشار عبد الستار آدم

— ١ —

العدل لغة القصد فى الامور .. وهو خلاف الجور (الظلم) .. يقال عدل فى أمره عدلا وعدل على القوم عدلا ومعدلة .. وعدل الشىء (بكسر العين وسكون الدال) مثله من جنسه أو مقداره .

والعدالة والمعادلة لفظ يقتضى معنى المساواة .. ويقال عدلت فلانا اذا سويت بينهما .

ويعرف الفقهاء العدل بانه اعطاء كل ذى حق حقه .. وضده الظلم وهو الاعتداء على حقوق الاخرين .

والعادل هو الذى لا يفرق فى المعاملة بين الناس لهوى أو قرابة او صداقة أو غير ذلك مما يؤثر فى النفس فينحرف بها عن الحق .

وعرفه البعض بانه الذى لا يميل به الهوى فيجور فى الحكم .

وساتحدث ، بعون الله سبحانه وتعالى ، عن العدل فى الاسلام طبقا لتعريف الفقهاء .

• • •

كان العرب فى جاهليتهم قبائل متنازعة على الحياة ، متنافسة فى السؤدد ، يتنازعون على مواقع الغيث ومنابت العشب ، كل قبيلة تعتز بقوتها وتفخر بانسابها ومآثرها ، وما فخرها وعزها الا فى أنها أغار تفغلبت ونهبت ، وانها ظلمت وفسدت ، فالظلم والنهب عندها محمدة ، وهو من اغراض الحياة .

يقول عمرو بن كلثوم :

بغاة ظالمين وما ظلمنا
ولكنا سنبدا ظالمينا

ويقول زهير :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

فجاءت الدعوة الاسلامية تنقض كل ما يتمسك به العربى من الدعوة للظلم ، وجعلت اولئك الظالمين قوما يعتزون بنشر السلام والقانون والعدل .

فالاسلام دين العدل والمساواة ، فقد حرص الاسلام على ان يقيم الحكم على اساس من العدل الشامل الذى ينظم شتى الحقوق ، سواء تعلقت بالاموال ، أم الارواح ، ام الاعراض ، أم الحريات ، وبذلك فقد سبق الاسلام كل نظم العدالة الحديثة .

قال تعالى فى سورة النساء :

« ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها : واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به، ان الله كان سميعا بصيرا » .

وقال عز وجل فى سورة النحل ،

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

والاسلام يقر العدل والمساواة بين الناس جميعا ، لا فرق فى ذلك بين ذكر أو انثى ، ولا بين غنى وفقير ، ولا بين صغير وكبير ، ولا بين أبيض وأسود ، ولا بين عربى وعجمى ، ولا بين قريب او بعيد ، فكل مخلوق مهما كان شأنه شأن غيره خلق من ذكر وانثى ، والله هو الخالق فيقول سبحانه وتعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

فالشريعة الاسلامية السمحة تقرر أن المؤمن أخو المؤمن ، وانه فى مشرق الارض او مغربها له من الحقوق مالا سبيل لنكرانه ، له النصفة غاب الحاكم أو قام .. وبذلك فقد قضى العدل فى الاسلام على القومية والعصبية والوطنية ، وجعل المساواة فوق كل اعتبار ، فللمسلم ما للمسلم فى كل زمان ومكان .

قال تعالى فى سورة النساء .

« **يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والاقربين . ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا** » .

وقال ، جل شأنه ، فى سورة الانعام :

« **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله اوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون** .

كما امر الاسلام بالعدل حتى مع الاعداء ، لانه جعل العدل فوق كل شىء ، فهو يزن بالقسطاس المستقيم بين الكافر والمسلم ، والعدو والموالى والمعاهد ، جميعا فى نظره امام العدالة سواء .

قال ، عز وجل فى سورة المائدة :

« **يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا أعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون** » .

والاسلام يبشر العادل بمحبة الله ورضوانه ، كما ينهى عن الظلم ويحذر من سوء عاقبته .

قال ، عز وجل فى سورة المائدة .

« **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين** » .

وقال سبحانه وتعالى فى سورة ص :

« **يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** »

وقال جل وعلا فى سورة هود :

« **الا لعنة الله على الظالمين** » .

كما قال سبحانه فى سورة الزخرف :

« **فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم** » .

كما ان الاسلام جعل العدل اساس نظام الخليقة

• • •

فقد قال تعالى :

« **والسماء رفعها ووضع الميزان . الا تطغوا فى الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان** » .

وكفى ، فوق كل ذلك ، ان العدل من اسماء الله الحسنى : فهو الحكم العدل اللطيف الخبير .

وقد زخرت الاحاديث النبوية الشريفة بالحث على العدل ، والامر به ، والوعد بالاثابة عنه .

فقال ، صلى الله عليه وسلم

« **أمرنى ربى بتسع آمركم بهن :**
أمرنى بالاخلاص فى السر والعلانية
والعدل فى الرضا والغضب
والقصد فى الغنى والفقر
وان اعفو عمن ظلمنى ، واصل من قطعنى واعطى من حرمنى وأن يكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرا » .

وعن ابى هريرة ، رضى الله تعالى عنه قال :
قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال ،

« سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله .

أمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود اليه ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته أمرأة ذات منصب وجمال ، فقال انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

وعن ابى سعيد ، رضى الله تعالى عنه ، قال :
قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« **ان من اغظم الجهاد كلمة عدل عند امام جائر** » .

كما حث ، صلوات الله وسلامه وتحياته عليه ، الانسان على قول الحق ، ولو على نفسه فقد روى انه وجد مكتوبا على سيفه عليه الصلاة والسلام : « **اعف عمن ظلمك ، وصل من قطعك ، واحسن الى من اساء اليك ، وقل الحق ولو على نفسك** .

وكذلك نهى ، صلى الله عليه وسلم ، عن الظلم فقال :

« **اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة** » .

وفى الحديث القدسى :

« **يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا** » .

وقد وعد رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، العادل بمحبة الله والظالم ببغضه وكراهيته ، ووضح ما يناله العادل من نعيم فى الجنة والظالم من عذاب فى نار جهنم .

فقال صلوات الله وسلامه وتحياته عليه .

« **المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن** » . « **احب الناس الى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا امام عادل ، وأبغض الناس الى الله يوم القيامة وابعدهم مجلسا منه أمام جائر** » .

« **من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ، ومن غلب جوره عدله فله النار** » .

« ما من والٍ يلي شيئا من أمور الناس الا اتى به يوم القيامة ، مغلولة يده الى عنقه : لا يفكها الا عدله » .

« ما من أحد يكون على شيء من أمور هذه الامة فلم يعدل فيهم الا كبه الله فى النار » .

« أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله فى سلطانه فجار فى حكمه » .

وكذلك نهى ، عليه الصلاة والسلام ، عن مساعدة الظالم فقال :

« من مشى مع ظالم ليعينه ــ وهو يعلم انه ظالم ــ خرج من الاسلام » .

• • •

وقد تحدث اصحاب الرسول الكريم وخلفاؤه واتباعه كثيرا عن العدل .

فقال الخليفة الاول ابو بكر الصديق ، رضى الله تعالى عنه :

« اجعلوا الناس في الحق سواء : قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم .. » .

اما الخليفة الثانى ، عمر بن الخطاب عليه رضوان الله ، فقد قال فى كتاب له الى سعد بن ابى وقاص :

« .. أما العدل فلا رخصة فيه فى قريب ولا بعيد ، ولا فى شدة ولا رخاء ، والعدل وان رئى لينا فهو اقوى واطفأ للجو وأقمع للباطل » .

وفى كتاب آخر له ، رضى الله تعالى عنه : الى أبى موسى الاشعرى ــ وكان حينذاك قاضى البصرة قوله :

« .. وآس (أى سو) بين الناس فى مجلسك ، وفي وجهك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

ومن وصاياه لمن يلون الحكم قوله :

« الزم خمس خصال يسلم لك دينك ، وتأخذفيه بافضل حظك

اذا تقدم اليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة أو اليمين القاطعة ، وادن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه ، وتعهد الغريب ، فانك ان لم يتعهده ترك حقه ورجع الى أهله ، ضيع حقه من لم يرفق به ، وآس بين الناس فى لحظة وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء » .

• • •

وكتب الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، رضى الله تعالى عنه ، الى عماله وولاته عقب توليته الخلافة يقول :

« أما بعد فان الله خلق الخلق بالحق ، فلا يقبل الا الحق خذوا الحق واعطوا الحق ، والامانة الامانة قوموا عليها ، لا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم ، الوفاء الوفاء ، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد ، فان الله خصم من ظلمهم » .

اما الخليفة الرابع ، على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، فقد قال فى وصيته لاحد عماله :

« انصف الله وانصف الناس من نفسك ، ومن خاصة اهلك ، ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فانه ان لم تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه ، وليس شىء الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم ، فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد » .

ويقول ابن القيم :

« ان الله سبحانه وتعالى أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذى قامت به الارض والسماوات فاذا ظهرت امارات العدل واسفر وجهه باى طريق كان ، فتم شرع الله ودينه » .

ويقول الامام الشاطبى :

« ان أحكام الشريعة ما شرعت الا لمصلحة الناس وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله ! » .

ويروى عن الامام الشافعى ، رحمه الله ، انه قال :

« ان القاضى ينبغى أن يسوى بين الخصمين فى خمسة اشياء ، فى الدخول عليه ، والجلوس بين يديه ، والاقبال عليهما ، والاستماع منهما ، والحكم عليهما » .

• • •

وقد كانت حياة الرسول الكريم ، صلوات الله وسلامه وتحياته عليه ، وحياة خلفائه واتباعه ، رضى الله تعالى عنهم ، حافلة بالمثل العالية فى اقرار مبدأ العدالة واشاعة العمل به .

وفى الاعداد القادمة ــ من هذه المجلة الغراء ــ سأقدم ان شاء الله سبحانه وتعالى وكان فى العمر بقية ــ أمثلة توضح ذلك .

يراجع فى كل ما تقدم الكتب الاتية :

١ ــ المصباح المنير

٢ ــ مختار الصحاح

٣ ــ التاج الجامع للاصول

٤ ــ التربية الدينية.. تاليف الاستاذين يوسف الحمادى ومحمد شفيق عطا الله .. طبعة سنة ١٩٦٤ .

٥ ــ اعلام الموقعين عن رب العالمين .. تاليف العلامة ابن قيم الجوزية .. تحقيق السيد الاستاذ الكبير محمد محيى الدين عبد الحميد .

٦ ــ الرسالة الخالدة .

٧ ــ بطل الابطال

تاليف السيد الاستاذ الكبير عبد الرحمن عزام ــ والله سبحانه وتعالى ، ولى التوفيق والسداد .

دعائم ثلاث للمجتمع الإسلامي

الأستاذ عبد المنعم مغربي

لقد أرسى القرآن لامة الاسلام دعائم ثلاث لو تمسك المسلمون بها وأحسنوا فهمها وتطبيقها لاستطاعوا أن يقيموا أمة اسلامية لها خصائصها ومميزاتها كما تكون لها قوتها وعزتها بين الامم وهذه الدعائم الثلاث هي :

١ - الدعامة الاولي - الموالاة - وقد رددها القرآن الكريم فى آيات كثيرة منها قوله تعالي « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » ومعني ذلك أن الولى الذى نركن اليه ونتعلق بحبه ونقدم على طاعته والتضحية فى سبيله هو أولا - وقبل كل شىء - الله سبحانه وتعالى ٠

وثانيا - رسوله صلوات الله عليه - لانه حامل الدعوة اليهم من عند ربهم وهو قائدهم الى الغايات المنشودة في حياة يراد بها ان تكون حياة لخير امة أخرجت للناس٠

وثالثا - المؤمنون - لانهم الطائفة التى التزمت عهود الله وتآخت فى الطاعة لله ولرسوله على تعاطف ومحبة وتعاون والقصد أن يكونوا كتلة متضامنة مع ولاة الامر فيهم ٠

وتوجيه القرآن للمؤمنين الى الموالاة على النحو السالف

كله توجيه مفروض قبوله منهم وهو حتمى عليهم فانهم أمة واحدة يربطها دين واحد وهدف واحد ٠

والموالاة بين تابعهم ومتبوعهم وحاكمهم ومحكومهم ميسورة ومرجوة اذ أنهم أمة متفقة فى الدين والمنهج العملى المستمد منه فى شئون الحياة ٠

وحينئذ تكون دعوة القرآن للمؤمنين الى موالاة بعضهم لبعض وتكون تبليغهم لهذ الدعوة غير مشبوبة بلون العصبية المعيبة أو المعاندة ٠

ومن تمام التوجيه الى موالاة المؤمن أن يكون الولاة المتبوعون بررة فى الدين على الوجه الذى ذكره الله سبحانه فى قوله « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » يعنى ان يكونوا هم كذلك في جانب الله مثابرين على الصلاة مؤتين الزكاة متواضعين بين الناس تواضع الخشية لله كما تكون خشية الراكع فى صلاته ٠

وبتوافر هذه الصفات فيهم يكونون أهلا للقدوة بهم والموالاة لهم على السمع والطاعة ٠

فاذا تمت صفات الموالاة بين الجانبين كانوا جميعا حزب الله وحزب الله - لاشك - هم المفلحون ٠

وعلى هذا ترددت الايات الكريمة بالدعوة الصادقة أن ينصر الله من كانوا على هذه الشاكلة - ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم - ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده - وما النصر الا من عند الله ٠

وقصارى الحديث فى هذا المقام أن الله دعانا ووعدنا وتحقيق وعده مشروط علينا بتلبية دعوته ٠

وهذه سنة فيما يجرى لعباده ، وقديما جرب المسلمون أنفسهم الى اوضاع عدة فحينما كانوا حزب الله كانت لهم النصرة على من عداهم وكانت لهم جولات مرموقة فى مسالك الحياة وفى نظام الحكم واتساع السلطان وشيوع المهابة لهم حتى عند أقوى الامم ٠

وحينما تراخت صلة الولاية بربهم ووهنت الروابط بين صفوفهم وهانت على المسلمين دعوة الله أصبحت خطاهم وئيدة ثم صارت جماعتهم غثاء كغثاء السيل لا قوام لها ولا منعة فيها ، لم يستمروا حزب الله كما كانوا فتخلف عنهم ما كان مرجوا لهم ، ولم يخلف الله وعده فينا ٠

بل نحن الذين خرجنا عن الجادة ورغبنا عن مواصلة السير على ما كان أسلافنا ٠

ومع ذلك فباب الموالاة مازال مفتوحا ولا تزال دعوة القران اليه صارخة مدوية فى المسامع وتجارب الحياة تدفعنا دفعا نحو الرجوع اليه لنستعيد ما فات ٠٠ ولعلنا فاعلون ٠٠

ب - الدعامة الثانية للمجتمع الاسلامى :-

المسالمة : فى غير ضعف - فان الاسلام دين عمرانى يدعو الجماعة الاسلامية الى كل خير ويود لها أن أن تسير نحو المثالية ، ولا يمنع أن يتعاون المسلم مع غير المسلم فى شئون الدنيا ٠٠ بل ينشد فى المسلم أن يكون مثلا واضحا فى الكمال ٠ ومصدر نفع لنفسه ولغيره ، حتى يكون فى مسلكه الشخصى حجه للدين فى سموه لا حجة على الدين عند خصومه « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » أى العادلين ولو مع غير المسلمين ، وفوق ذلك أباح للمسلم أن يتزوج زوجة كتابيه اذا أراد ٠٠ وشرع لنا أن نأكل من طعامهم الحلال ، وحتم علينا أن نجادلهم بالحسنى ، وأن نكسب مودتهم بالاحسان ، لا ضعفا ولا هوانا « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » « وجادلهم بالتى هى أحسن » « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » ٠

بل نهى المسلم أن يشاتم انسانا لا دين له لئلا يغضبه ويستفزه الى المقابلة بالمثل أو أشد « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » ٠ وهكذا من ضروب التهذيب التى تكفل المسالمة بين المسلم وغير المسلم وكل ذلك للرغبة فى تركيز السلام بين الناس وليتفرغوا للعمل المشترك فى تعمير دنياهم وليظهر المسلم طابعه الدينى الحق ولونه الصحيح وكان السلف المسلمون يقولون فى دعائهم الذى يحكيه عنهم القرآن ويعلمنا اياه « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم » ٠

ج - الدعامة الثالثة - الحذر من أعداء الاسلام : وذلك حتى لا يكون المسلمون اغرارا يخدعهم عدوهم حتى يفتنهم عن دينهم بما يبديه من وسائل الاغراء وبما يبث بينهم من النزعات الباطلة والانحلال المموه بلون المدنيه والحرية الشخصية والميوعة المعسولة التى تزحزح المسلم عن رجولته وتسلب حياءه وغيرته وتجعله أشبه بالانثى فى تخنثه وتجعل الانثى كالرجل فان هذه هى الشرارة المحرقة للمقومات الشخصية فى

الافراد ثم هى العاصفة الجائحه للقومية التى يمتاز بها الوطن العربى ونحن نستهين بالخطر فى اوله ونستسلم للفتنه ملفوفة فى ملامح الزينة حتى نغلب على أمرنا وينهار مجتمعنا - وكانت وصيه الله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - قوية فى هذا الشأن - واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك - فاحذرهم قاتلهم الله - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فرطا !

ثم كانت وصية الله كذلك عامة موجهة للمؤمنين ٠

« يأيها الذين امنوا خذوا حذركم »

« ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » فهذه دعائم ثلاث ألقينا عليها ضوءا من اشعاع القران لتبين أن نظم الحياة الاسلاميه والمجتمع الاسلامى مرسومة فى كتاب الله وأن الرجوع اليها فى موطنها اجدى على الناس من كل تفكير مستحدث وما يجهل ذلك الا من حيل بينه وبين تقوى الله ٠

ولم يبق بعد هذا البيان الا أن تكون الضلالة طامسة على المدعى والفتنة غالبة على المدارك والقلب فارغا من الايمان ٠

ولا حيلة فيمن كان كذلك حتى يهديه الله سواء السبيل ٠

اللهم نسألك الهداية والرشاد

تكامل الرسالات السماوية

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

١ ـ أصول الأديان :

تقوم الأديان السماوية كلها على أركان ثلاثة هي :

أولا : الايمان بالله الواحد . ثانيا : الايمان بالجزاء فى الآخرة .

ثالثا : العمل الصالح فى الدنيا .

هذه الأصول الثلاثة كفيلة بأن تحقق للانسان سعادته فى الدنيا وفوزه فى الحياة الأخرى ، فهى تحقق التوازن فى حياته بين غرائزه التى تدفعه بلا شعور وعقله الذى يفكر به ويرجح ويختار قبل أن يدفع الى العمل والسلوك .. ان الدين هو الذى يحقق هذا التوازن مع كل الناس فى كل العصور ، وليست الفلسفة ولا القانون لان الدين من الله رب العالمين بينما الفلسفة والقانون كلاهما من صنعة الانسان والانسان له ادراكه المحدود ، وله فكره الذى يتأثر بظروفه الخاصة ، ولهذا نرى من بين الفلاسفة من يفهم الخير على أنه مالاءم المصلحة الشخصية ومنهم من يفهمه على أنه مالاءم مصلحة الجماعة ومنهم من يرى اذابة الفرد فى الجماعة ، ومنهم من يرى العكس بأن تكون الجماعة فى خدمة الفرد ، ومرد هذه الاختلافات كلها الى محدودية الانسان والى عدم عصمته فى تقرير نظرياته ، ولكن الدين ليس فيه صنعة لانسان فلا يخضع اذن لعدم عصمته واحتمال خطئه ، ومن هنا احتاجت البشرية الى الدين الموحى به من الله الحكيم القادر العادل الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

٢ ـ وحدة الدين ،

والاسلام يقرر وحدة الدين فى هذه الاصول العامة ، ويقرر أن الانبياء جميعا مبلغون عن الله وأن الكتب السماوية كلها من وحيه ، وأن المؤمنين جميعا فى أية أمة هم عباد الله الصادقون الفائزون فى الدنيا والآخرة ، وان واجب البشرية جميعا أن تتوحد بالدين ، وأن ذلك هو الدين القيم وهو فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** » . سورة الشورى

ويقول القرآن الكريم مخاطبا النبى محمدا صلى الله عليه وسلم ، « **فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم ، لنا اعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير** » الشورى ويصور هذا المعنى سيدنا محمد رسول الله أبلغ تصوير فى قوله: (**مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين**) أخرجه الشيخان .

٣ ـ أثر عقيدة التوحيد فى سلوك الانسان :

عقيدة التوحيد تؤكد كرامة الانسان فهو لا يخضع لاية قوة مخلوقة من أصنام الحجر وأصنام البشر ،

انها تدرب الانسان على الاحتفاظ بحريته وانسانيته ، فهو لا يحنى جبهته الا لبارئها ، ولا يمحض ولاءه الا لخالقه ، ولا يمنح تقديسه الا لقيوم السموات والارض القائم على كل نفس بما كسبت .

وهى بالتالى تستهدف المساواة بين جميع الناس فى الاعتبار الانسانى ، وفى المشاركة فى الخصائص الانسانية فليس فى المجتمعات المتدينة مجموعات تتميز على الاخرى على أساس غير انسانى على اعتبار أن لها قداسة وأن لقولها عصمة ، وأنها منزهة عن الخطأ ، بل الجنس الانسانى مكرم كله مفضل على كثير من المخلوقات « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**» . سورة الاسراء والناس جميعا يوجه اليهم الخطاب من الله بفعل الخير واجتناب الشرور « **يا أيها الذين آمنوا اركعوا وأسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** » سورة الحج .

اذن الدعوة الى التوحيد تنطوى على تعريف الانسان بمنزلته وقيمته فى الحياة فهى اذن دعوة الى التحرير والتحرر دعوة الى العزة والكرامة ، دعوة الى الانطلاق والتقدم ، دعوة الى سيادة الحق والعدل والسلام .

٤ ـ أثر الايمان بالجزاء فى الاخرة ،

ان الايمان بالجزاء فى الاخرة يدفع الانسان الى حسن السلوك والى الاستقامة والى التعاون والتآخى بين الافراد ، ويدفعه الى أن يفعل الخير ما استطاع الى ذلك سبيلا . والى ان يؤدى الواجب لانه واجب بدون نظر الى منفعة عاجلة تعود عليه نتيجة أداء الواجب ، **الايمان بالاخرة خير حافز للانسان على أن يثرى الحياة بالجديد وان يسهم فى تطويرها والا يبالى بالعراقيل التى توضع فى طريقه . عليه أن يبذر المعروف ولا يعنيه الثمر العاجل ، ولولا الايمان بيوم الجزاء لمات الناس هما وكمدا ولقعد كثير منهم عن فعل الخير** ، اننا نرى كثيرا من المخلصين فى أعمالهم لا ينالون جزاءهم فى الدنيا ونرى من يصنعون الشر يستطيعون بذكائهم أن يفلتوا من يد القانون . فأى عزاء اذن للشرفاء فى الارض ؟ اى عزاء لهؤلاء الكادحين المطحونين الذين يملؤون حياتهم بالعمل والعناء ، ولا يكادون يجدون ما ينفقون ؟ أن عزاءهم فى عدالة السماء ، فى يوم الجزاء ، انها العدالة التى لايستطيع أحد أن يطرق بالشك ابواب قلبها ، هى العدالة المبصرة التى لا تخدع ولا تغفل ، انها حق وصدق لانها عدالة الله الذى يقول : « **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وأن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين** » سورة الانبياء .

والايمان بالاخرة لا يعنى أن الدنيا شر ، فيصرف الانسان عن زينتها وعن الانتفاع بمباهجها بل ان هذه الارض وما فيها من خيرات مسخرة للانسان ، والدين يحثه حثا على أن يستخرج هذه الخيرات الكامنة فيها وأن ينتفع بها ، والله تعالى لم يخلق هذه النعم لنفسه فهو غنى عن العالمين ولم يخلقها لملائكته ، فالملائكة جنس لا يجوع فيحتاج الى طعام ، ولا يظمأ فيحتاج الى شراب ولا يعرى فيحتاج الى لباس ، ولكن خلقها للانسان « **الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » سورة ابراهيم .

ولقد استنكر القرآن الكريم تحريم زينة الدنيا وأكد حل ما فيها من طيبات الرزق والزينة فقال تعالى : « **قل من حرم زينه الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق** ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون ، **قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون** » . سورة الاعراف .

وطالب القرآن نفسه أن لا يكون أداء العبادة عاملا على تجاهل الدنيا وعدم الحركة فيها لتحصيل الرزق كما لا يكون السعى فى الدنيا شاغلا عن آداء العبادة فيقول : « **يأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » . سورة الجمعة والذى يمنعه الاسلام هو الاسراف الذى يؤدى الى التبذير واضاعة المال وترك الانسان نفسه لما ترغب بلا ضوابط يقول الله تعالى : « **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » الاعراف

وبهذا يكون الايمان بالاخرة فى الاديان دفعا الى العمل والانتاج ، وحفزا الى النشاط والبذل والعطاء .

٥ ـ قيمة العمل الصالح فى الاديان ،

الاديان كلها تقدس العمل وتنفر من السلبية والكسل ، انها تدعو الى العمل فى جميع مجالاته ، العمل الفكرى والعمل اليدوى فى مجال الزراعة ، وفى مجال التجارة وفى مجال الصناعة والعمل الصالح ويتسع ليشمل عمل العبادات وعمل

البقية ص ١٨٦.

التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه

الدكتور محمد الدسوقي

عرض ومناقشة

١٠٣ - ان التامين بصورته الحديثة وقوانينه السائدة اليوم لم يعرف قديما ، ومن ثم لم ترد لهفى الفقه الاسلامى أحكام خاصة به ، فهو نظام حديث نقل الينا من الغرب مع ما نقل من قوانين ونظم كثيرة فى أواخر القرن الماضى ، ويعدالامام محمد أمين بن عمر المشهور بابن عابدين الدمشقى الحنفى المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ - ١٨٣٦ م أقدم فقيه تحدث عن التأمين ، ثم كثرت بعده آراء الفقهاء والباحثين المحدثين ، وسأعرض هنا لهذه الاراء عرضا يقوم على التحليل والمناقشة الموضوعية ، ثم أحاول بعد هذا استخلاص النتيجة التى يرشد اليها هذا العرض .

١٠٤ - أما ابن عابدين فقد تحدث عن التامين البحرى لانه كان أول نوع من أنواع التأمين ظهر فى البلاد الاسلامية ، بسبب النشاط التجارى بين الشرق والغرب ابان النهضة الصناعية فى أوربا ، فكان التجار الاجاب الذين يقيمون فى بلادنا لعقد صفقات الاستيراد هم حملة هذا النوع من التامين الينا عن طريق التأمين على هذه الصفقات الاستيرادية .

١٠٥ - وقد تحدث ابن عابدين عن التامين البحرى هذا فى فصل استئمان الكافر من باب الجهاد فى الجزء الثالث ص ٢٧٣ من حاشيته ، كما تحدث عنه أيضا فى رسالته المسماة أجوبة محققة عن أسئلة مفرقة » وهذه الرسالة منشورة فى الجزء الثانى من مجموعة رسائل ابن عابدين ص ١٦٦ ، وما ذكره ابن عابدين فى هذه الرسالة تلخيص لبعض ما جاء فى الحاشية .

١٠٦ - أما كلام ابن عابدين فى الحاشية فقد بين أنه جرت العادة أن التجار اذا استأجروا مركبا من حربى يدفعون له أجرته ، ويدفعون أيضا مالا معلوما لرجل حربى مقيم فى بلاده ، يسمى ذلك المال « سوكرة »على أنه مهما هلك من المال الذى فى المركب بحرق أو غرق أو نهب أو غير ذلك ، فذلك الرجل ضامن له ، بمقابلة ما يأخذه منهم ، وله وكيل عنه مستأمن فى دارنا يقيم فى بلاد السواحل الاسلامية باذن السلطان يقبض من التجار مال السوكرة ، واذا هلك من مالهم فى البحر شىء يؤدى ذلك المستأمن للتجار بدله تماما .

وبعد أن عرض ابن عابدين هذه الصورة قال : والذى يظهر لى أنه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك من ماله ، لان هذا التزام ما لا يلزم ، فهو يرى أن هذا النوع من التامين علىهذه الصورة غير جائز شرعا ، لانه التزام ما لا يلزم بالنسبة للمستأمن الحربى ، لان الاحتراز منه - وهو غير جائز - ولا يحل لمسلم أن يعقد مع المستأمن فى دار الاسلام - محل اجراء الاحكام الشرعية - الا ما يحل من العقود مع المسلمين ، لهذا كان أخذ التاجر بدل الهالكمن ماله لا يحل ، لان المستأمن لا يلزمه شرعا ذلك ، ولا يجوز أن يؤخذ منه الا ما يلزمه وان جرت العادة به كالعوائد التى تؤخذ من زوار بيت المقدس .

١٠٧ - وناقش ابن عابدين بعد ذلك ما قد يثار حول رأيه من اعتراضات فتحدث عن المودع اذا أخذ أجرة على الوديعة ، فبين أن المودع يضمن الوديعة اذا أخذ أجرة عليها ثم هلكت فى يده ، وهذا بخلاف التأمين »

لان المال فى التامين ليس فى يد صاحب السوكرة بل فى يد صاحب المركب ، وان كان صاحب السوكرة هو صاحب المركب يكون أجيرا مشتركا قد أخذ أجرة على الحفظ وعلى الحمل ، وكل من المودع والاجير المشترك لا يضمن ما لا يمكن الاحتراز عنه كالموت والغرق ونحو ذلك ، فليست مسالة التامين من قبيل مسألة الوديعة ، لان المال فيها يكون بيد المودع بخلاف التامين فان المال يكون بيد صاحب المركب وليس بيد صاحب السوكرة .

١٠٨ – ثم تحدث الامام ابن عابدين عن بعض صور الكفالة وبين انها ليست من قبيل هذا اللون من التامين ، فمثلا : اذا قال رجل لاخر : أسلك هذا الطريق فانه امن ، فسلك واخذ ماله لم يضمن ، ولو قال ، ان كان مخوفا وأخذ مالك فانا ضامن ، ضمن ، وعلله الشارح فى باب الكفالة بانه ضمن الغار صفة السلامة للمغرور نصا ، اى بخلاف الاولى فانه لم ينص على الضمن بقوله فانا ضامن .

وتطرق بعد هذا الى الكلام عن حق المغرور فى الرجوع على الغار فذكر بأن فى كتاب « جامع الفصولين » لابن قاضى سماونه « أن المغرور انما يرجع على الغار لو حصل الغرور فى ضمن المعاوضة ، أو ضمن الغار صفة السلامة للمغرور ، فصار كقول الطحان لرب البر : اجعله فى الدلو فجعله فيه ، فذهب من النقب الى الماء ، وكان الطحان عالما به ، اذ غره فى ضمن العقد وهو يقتضى السلامة .

وعلق ابن عابدين على ذلك بقوله : قلت لابد فى مسالة التغرير من أن يكون الغار عالما بالخطر كما يدل عليه مسألة الطحان المذكورة وان يكون المغرور غير عالم ، اذ لا شك أن رب البر لو كان عالما بنقب الدلو يكون هو المضيع له باختياره ، ولفظ المغرور ينبىء عن ذلك لغه ، فالقاعدة اذن أن الغار لا يضمن الا اذا كان عالما بالخطر ، وكان المغرور غير عالم به ، ثم قال بعد ذلك ، ولا يخفى أن صاحب السوكرة لا يقصد بتغرير التجار ولا يعلم بحصول الغرق هل يكون أم لا ، واما الخطر من اللصوص والقطاع فهو معلوم له وللتجار ، لانهم لا يعطون مال السوكرة الا عند شدة الخوف طمعا فى أخذ بدل الهالك .

١٠٩ – يلاحظ أن ابن عابدين يفرق بين التامين من الغرق ونحوه ، والتامين من اللصوص ، وان كان النوعان لا يدخلان تحت قاعدة الضمان ، لان صاحب السوكرة فى تامين الغرق لا يقصد تغرير التجار ، لجهله بالخطر ، والشرط فى الضمان أن يكون الغار عالما بالخطر ، والمغرور جاهل به ، وأما الخطر من اللصوص فانه معلوم للطرفين فلا يتحقق شرط الجهل به بالنسبة للمغرور حتى يجب الضمان على الغار .

والنتيجة التى يرمى اليها الامام ابن عابدين هى مباينة التامين للكفالة وانتفاء تحقق التغرير من جانب صاحب السوكرة « المؤمن » وجهل صاحب المال « المستأمن » بالخطر ، فيكون التزام صاحب السوكرة من ثم غير صحيح شرعا ، ويبطل أن يكون هذا التامين صورة من صور الكفالة الجائزة ، كما يبطل جواز قياسه على الوديعة .

١١٠ – ثم فرق ابن عابدين بعد هذا بين أن يكون عقد التامين معقودا فى دار الحرب ، وأن يكون معقودا فى دار الاسلام ، فافترض الصور التالية :

أولا ، اذا كان للتاجر شريك حربى عقد مع صاحب السوكرة فى بلادهم هذا العقد ، وأخذ منه بدل الهالك ، ثم ارسله الى التاجر فانه يصح له أخذه ، لان العقد الفاسد جرى بين حربيين فى بلاد الحرب ، وقد وصل مالهم الى التاجر برضاهم فيصح أخذه .

ثانيا ، اذا كان التاجر فى دار الحرب ، وعقد العقد هناك ، فيحل له أن يأخذ بدل الهالك من المستأمن فى بلادنا لان العقد الذى صدر فى دار الحرب لا حكم له ، فيكون قد اخذ مال حربى برضاه ، غير انه اذا حصل خلاف بين التاجر وصاحب السوكره فى بلادنا لا يقضى للتاجر بالبدل .

ثالثا : اذا حصل العقد فى دار الاسلام ، والقبض فى دار الحرب لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك ، ولو برضا الحربى لابتنائه على العقد الفاسد الصادر فى بلاد الاسلام .

١١١ – ويتضح مما تقدم أمران :

أولا : حرمه التامين البحرى الذى كان فى عصر ابن عابدين ، لانه التزام ما لا يلزم بالنسبة للمستامن الحربى ، ولانه ليس صورة من صور الكفالة الجائزة شرعا ، وهو بهذه الصوره عقد فاسد شرعا لا يجوز الاقدام عليه فى دار الاسلام .

ثانيا : أحكام الاسلام لا تنفذ الا فى دار الاسلام ، والمسلم لا يؤاخذ بما يفعله فى دار الحرب وان أوخذ عليه فى دار الاسلام ، وهذا راى ابى حنيفة ومحمد ، لان الامام لا يقدر على اقامة الحدود فى دار الحرب ، لعدم الولاية (انظر بدائع الصنائع للكاسانى ج ٧ ص ١٣١) ولكن ابا يوسف يقول : لا يجوز للمسلم فى دار الحرب الا ما يجوز له فى دار الاسلام » .

ويرى الائمة الشافعى ومالك وأحمد أن المسلم يلتزم أحكام الاسلام حيث كان ، والمسألة اجتهادية (انظر اختلاف الفقهاء للطبرى ص ٥٩ ، والمغنى لابن قدامة ج ٧ ص ٧١) غير أن الرأى القائل بأن المسلم يجب عليه ان يلتزم حدود الله فى كل وقت وكل مكان يتمشى مع مبادىء الاسلام ومثله العليا . أما رأى أبى حنيفة ومن شايعه فيراعى مبدأ تحقق المنعة للمسلمين – بالاضافة الى ظروف الحرب ومن تقتضيه من السياسة فى معاملة المحاربين – حتى يتسنى تنفيذ الاحكام التى يناط أمر تنفيذها الى الامام ، ولا يعقل أن ابا حنيفة يقصد أن المسلم بمجرد انتقاله من دار الاسلام الى دار الحرب يجوز له أن يتحلل من قواعد دينه وآداب شريعته .

من أعلام

الطريق إلى الإيمان

الأستاذ مصطفى عبد الحليم الجندي

(٣)

ان تؤسس ايمانك (أيها القارئ العزيز) على علم ومعرفة ، وتعقل وتفكر ، وتأمل وتدبر ، وبصر وبصيرة - لا سيما فى عصر تقدم العلوم وازدهارها - هو ما يليق بك ، ويتسق مع فطرتك وطبيعتك ، كانسان متفتح ، يعيش يومه ، ويحيا تطور عصره ، بل هو ما يتفق مع دينك وعقيدتك ، وينسجم مع شريعتك وطبيعة رسالتك ، التى اختارها ربك والتى ارتضاها دون سواها : لتكون خاتمة الشرائع والاديان ،ومسك الختام لصرح النبوات والرسالات، لها طابع الهيمنة عليها ، ولها ميزة التصديق لكل ما فيها ، والتى اتخذت لنفسها طابعا معينا ، وشعارا مميزا ، قد حددته أمثال هذه الاية الكريمة التى يقول فيها سبحانه : « قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين » (يوسف) .

لقد اكدنا من قبل : أن من الواضح الذى لا يحتاج الى توضيح ، بل من البديهى الذى لا يحتاج الى اقامة دليل : استحالة أن يتساوى من يؤسس ايمانه على علم وبصيرة مع من لم يؤسس ايمانه عليهما ، ليس فى الادراك والفهم ، والبصر والوعى فحسب ، بل فى الرتبة والفضل ، والمنزلة والقدر ، والمكانة والدرجة فى الدنيا وفى الاخرة جميعا حتى لقد استنكر القرآن الكريم نفسه بمنطقه الحاسم مبدأ هذا التساوى بينهم وبين غيرهم ممن لا يرقون الى وصفهم وممن لم ينالوا فضلهم وذلك فى قوله سبحانه « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ » (الزمر) .

ان أهل الايمان عن علم فى دنياهم : هم من أسعد الناس بمعرفتهم بربهم وعرفانهم لحقه ، انهم بعلمهم من أكثر الناس بصرا وبصيرة ، بل ومن أعظمهم بهجة وسعادة ، وبشرا وبشاشة ، بسبب سموهم الروحى والعقلى المستمر ، وترقيهم الدائم فى كل لحظة على قدر ما يتاح لهم من علم ، وما ينكشف لهم من حقيقة ، ولعل أصدق ما قد يصور سعادة أهل المعرفة بربهم والعلم به ، بل ويوقفنا على بعض ما هم فيه من حال طيب ، وسعادة دائمة ، ما أشار اليه الشيخ الرئيس ابو على بن سيناء من احوال العارفين فى قوله « العارف : هش ، بش ، بسام يبجل الصغير من تواضعه كما يبجل الكبير ، وينبسط من الخامل مثلما ينبسط من النبيه ، وكيف لا يهش : وهو فرحان بالحق ... وبكل شىء فانه يرى فيه الحق ، وكيف لا يسوى والجميع عنده سواسية » (ص ٨٤٣ من الاشارات والتنبيهات ط دار المعارف سنة ١٩٥٨) .

ان أهل الايمان عن علم ومعرفة : هم من أعظم الناس حظوة عند ربهم ، وقربا منه ، بل ومن أرفعهم قدرا ورتبة عنده فى دنياهم وفى آخراهم « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة) .

وإذا كان العلم هو الاساس المتين للايمان الكامل ، واليقين الصادق ، فان العلماء لذلك يحيون أوقاتهم كلهاوقد سخر اللهلهم من فى السموات والارض يدعون لهم بالخير ، ويرجون لهم من ربهم المغفرة ، ذلك هو ما يرويه أبو داود والترمذى بسندهما عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : « **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء »** ٠

أما حقيقة مرتبتهم ودرجتهم التى ارتفعوا اليها عن طريق علمهم وبسببه فهى التى يكشف عنها ، ويشير اليها هذا الحديث الذى رواه أبو نعيم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما – **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم** – قال : « **أقرب الناس من درجة النبوة : أهل العلم ، وأهل الجهاد ٠٠٠ أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل ، واما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ماجاءت به الرسل** ».وأماحجم هذا الفضل الذى نالوه بسبب علمهم المدعم بدوره لايمانهم ويقينهم ، فقد تولى بيانه وايضاحه الرسول صلى الله عليه وسلم – فيما رواه الترمذى عن أبى امامه رضى الله عنه من قوله « **فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم** » وقوله فى حديث آخر « **فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب** (رواه أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء) ٠

أما فضل أهل العلم والايمان فى الاخرة ، فهو فضل يختلف بقدر ما نالوه من علم ، كما أن منازلهم ومراتبهم هناك تتفاوت بقدر ما أتيح لهم من معرفة : دعمت من ايمانهم ، وثبتت من يقينهم ٠٠.

فاذا كان القرآن الكريم – كتاب الله المسطور ، والهادى الى التأمل فى كتابه المنشور – قد أكد لنا فى كثير من محكم آياته بما لا يدع مجالا لشك أو ريبة – أن الكون كله : هو فى حقيقته كتاب للعلم بالله سبحانه وتعالى ، وأنه فى جوهره : مجموعة من النواميس الالهيه التى يؤدى اكتشافها الى زيادة المعرفة بالله تعالى والى زيادة الخشية منه ٠٠ فقد دفع القرآن الكريم بذلك أهل الايمان دفعا ، الى مختلف مجالات المعرفة فى الكون ، لكى يصلوا من وراء ذلك الى اكتشاف قوانينه والى تسخيرها ، بل والى السيطرة عليها وامتلاك زمامها ، وقد استطاع القرآن الكريم بأدائه لهذا الدور الخطير الذى يرتبط بقضية العلم والايمان أن يجعل من نفسه علما عظيما من أعلام الطريق الى الايمان بالنسبة لكل من يطلب الايمان أو يسعى الى تحصيله ، وبابا كبيرا من أبواب العلم بالله والكون لكل من نظر فيه ، أو تأمل آياته ، أو أدمن تلاوته ٠٠٠ لذلك كله : لم يكن بكثير ولا مستغرب أن يكون الفضل والاجر ، والرتبة والمكانة ، والدرجة والمنزلة عند الله تعالى على قدر النظر فيه ، والتأمل لاياته ، والاخذ عنه ، والاستجابة لما يوجه اليه ، ويدعو له ، بل ان درجة الفضل ، ورتبة الكرامة والمكانة عند الله لتقف عند آخر آية ، انتهى اليها نظر الناظر ، ووقف عندها تأمله ، وانقطعت عندها تلاوته « **فمن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يقال لصاحب القرآن – يوم القيامة – اقرأ ، وارتق ، ورتل : كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأها** » (رواه أبو داود والترمذى) ٠

غير أن أعظم فضل على الاطلاق قد ادخره الله لاهل العلم والايمان الذين جعلوا العلم أساسا للايمان ، ودعامة لما وقر فى قلوبهم من يقين ، هذا الحديث القدسى « **يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة** ، : **انى لم أجعل علمى وحلمى فيكم الا وأنا أريد ان اغفر لكم على ماكان فيكم ولا أبالى** » (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن ثعلبة بن الحكم الليثى عن النبى صلى الله عليه وسلم) وبعد :

فبالرغم من أن طريق الايمان : طريق كامل الرؤية ، واضح المعالم ، تام البصر ، لكننا سبق أن قدمنا فى مقالين سابقين من العددين الماضيين (من أعداد هذه المجلة الغراء) بعضا من أعلام الطريق لتكون بمثابة اشارة الامان لكل من يجتاز طريق الايمان رغبة فى تأسيس ايمان كامل ، ويقين راسخ ، وكان مما ذكرناه من هذه الاعلام :

أ – ضرورة وقوف طالب الايمان الساعى الى تحصيله وتأسيسه على علم – على تحديد محدد وتعريف واضح لمعنى الايمان ومفهومه ٠

ب – اليقين الكامل بأن الايمان مسألة فطرية ، لا تحتاج الى اقامة دليل أو سوق برهان ٠

ج – الانتباه الى حقيقة : ان الله تعالى قد تجلى على عباده فى عصر العلم كأعظم وأبهى ما يكون التجلى ٠

د – ضرورة أن يستيقن طالب الايمان الساعى الى تحصيله على أساس متين : أن جمعه بين الادلة العلمية المادية التى اتيحت له فى عصر العلم ، والادلة الدينية الروحية : هو الطريق الامثل الى تحصيل أعظم درجات الايمان واسمى مراتب اليقين ٠

هـ – اليقين التام بأن وجود الله تعالى : هو التفسير المنطقى الوحيد لكل من وما فى الوجود ٠

غير اننا نستدرك بالنسبة لما قدمناه فنؤكد : انه مع هذا التجلى للحق سبحانه على عباده فى عصر العلم يجب عدم اغفال هذه الحقيقة التى تقرر : أن النظر فى كتاب الكون والحياة : باب كبير من الابواب التى يتجلى من خلالها الحق سبحانه ٠ غير أنه لا يفوتنا أيضا أن نشير الى ان قضية النظر فى كتاب الكون والحياة أمر لا يحسنه كل الناس ، لان آيات القدرة الباهرة ، والاعجاز فى الصنع والخلق ، لا يظهران للعين الناظرة ، والنفس المتأملة المتدبرة الا اذا كان

وراءها فكر نقى ، وعقل ذكى ، كهذا العربى مؤمن الفطرة ، سليم النظرة ، الذى تدبر وتأمل والذى نظر الى كتاب الكون والحياة فقال : (**البعرة تدل على البعير ، واثر السير يدل على المسير ، فسماء ذات ابراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحر ذت أمواج . أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير ؟**) ان هذا المعنى بنفسه ، هو ما قد أشار اليه الحق سبحانه فى كتابه المسطور ليكون دليلا للنظر فى كتابه المنشور فى قوله « **ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهارلايات لاولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » . آل عمران .

لذلك كان لابد وان نجعل الفكر والنظر والتأمل والتدبر من أعلام الطريق الى الايمان :

و - الفكر والنظر والتأمل والتدبير لكل ما فى الكون والحياة :

ولكى نقف على قيمة الفكر والنظر كعلمين من أعلام الطريق الى الايمان ، فان علينا ان نشير الى موعظة القرآن الكريم ووصيته الفريدة فى بابها ومغزاها حين قال « **قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا** » .

ذلك لان الفكر والنظر هما البابان اللذان ينتهيان بصاحبهما حتما الى اليقين الراسخ والايمان الكامل ولان الفكر ينتهى دائما وفى الغالب بصاحبه الى الايمان الكامل .. والايمان الكامل هو الوسيلة والسبب ، والباب والطريق الى دخول الجنة ، والفوز بدرجاتها ، فقد أشار لقمان عليه السلام الى هذه الحقيقة فى قوله « **طول الفكرة : دليل على طرق باب الجنة** » .

ولذلك : فان المريد الذى يسعى جاهدا الى طريق الايمان الحق لكى يكون من الصفوة الممتازة ، لا يستطيع أن يزعم لنفسه أنه قد استكمل مدارج السالكين ، وقطع الطريق كله من أجل نيل المعرفة ، من قبل أن ينعم ويسعد بثمرات الفكرة ، ومن قبل أن يتلذذ قلبه ويحيا فى اشراقها ونورها ، ومن أجل هذا نجد ان الشيخ ابن عطاء الله السكندرى قد قرر فى كتابه الحكم أنه « **ما نفع القلب مثل عزلة ، يدخل بها ميدان فكرة** » (ص ١٣ من متن الحكم وشرحيه للرندى وقد علق الرندى : فى شرحه للحكم العطائية فقال : « **لا تتم (للمريد) منفعة العزلة الا باشتغال القلب بالفكرة** ، وهى المقصودة هنا ، وكانت العزلة مقدمة لها ومعينة عليها ، وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهرة ، والقيام بمراعاة آدابه الباطنة ص ١٤) ويكفى دليلا وبرهانا على خطر التفكير والتأمل وعظيم أثرهما : **انه قد جاء فى الخبر أن « تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنه » ذلك أن « قليل العلم خير من كثير العبادة »** ولا سبيل الى **تحصيل العلم الا عن طريق ادمان الفكر وامعان النظر ..**

لقد كان للفكر والنظر قدرهما وقيمتهما حتى فى الشرائع السابقة حتى **لقد حكى عن عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قوله « طوبى لمن كان قوله ذكرا ، وصمته فكرا ، ونظره عبره »** . لقد كان الصحابة والتابعون يرون فى التفكر والتأمل فضلا لا يعدله فضل آخر ، وشرف لا يرقى اليه عمل آخر : ولذلك كان ابو الدرداء رضى الله عنه من أشد الناس حرصا على التفكر .. حتى قيل لام الدرداء يوما : (**ما كان أفضل عمل ابى الدرداء ؟ قالت : التفكر ..**)

وكان كعب رضى الله عنه يقول ، « **من أراد شرف الاخرة فليكثر التفكر** » كأن **المنازل السامية فى الاخرة ، والمراتب الرفيعة فيها هى وقف كل من أدمن التفكر وأطال التأمل ..**

ولذلك فلقد كان الحسن البصرى : وهو واحد من أعلام الاسلام : قولا وعلما وعملا ، وخلقا وسلوكا وحالا - من اكثر المدمنين للتفكير والتأمل ، وكان له رأى فيهما : انتهى به الى ان جعله يعيش **حياته يدعو لهما ، ويغرى المريدين بهما مثل قوله : « الفكرة مرآة** تريك حسنك من قبيحك ، **وتطلع بها على عظمة الله تعالى وجلاله اذا تفكرت فى آياته ومصنوعاته ، وتطلع بها أيضا على آلائه الجلية والخفية ، فتستفيد بذلك أحوالا سنية ، يزول بها مرض قلبك : وتستقيم بسببها على طاعة ربك** » (من شرح الرندى على متن الحكم العطائية ص ١٤ ط سنة ١٣٢٠ هـ) .

واذا كانت حقيقة الفكر بحاجة الى من يقيمها ويحسن تقديرها من غير ان يبخسها شيئا من حقها ، فليس هناك من هو اولى واعدل فى تقييمه وتقديره من سفيان بن عيينه الذى قال عنه « **الفكر نور يدخل قلبك** » ولان هذه هى حقيقة الفكر والنظر ، والتأمل والتدبر « **فقد اتفق المسلمون الا قليلا ممن (لا يعتد برأيه منهم)** على أن أول واجب يلزم المكلف ان يأتى به : **هو النظر والفكر لتحصيل الاعتقاد بالله** ، لينتقل منه الى تحصيل الايمان بالرسل وما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة » (٤٨ - ٤٩ من الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للاستاذ الامام محمد عبده الطبعة الثامنة سنة ١٣٧٣ هـ للمنار) .

« **ان الاسلام فى (دعوته) وفى (مطالبته) بالايمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شىء سوى الدليل العقلى ، والفكر الانسانى : الذى يجرى على نظامه الفطرى ، فلا يدهشك بخارق للعادة ، ولا يغشى بصرك باطوار غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة الهية** » .
(ص ٤٨ من المصدر السابق) .

وللاستاذ الامام (محمد عبده) فيما ساقه القرآن الكريم من آيات تدعو الناس الى الفكر والنظر فى آيات الكون من أجل تدعيم الايمان الكامل بالله رأى يقرره فيقول : « يذكر القرآن الكريم اجمالا من آثار الله فى الاكوان (ما يذكر) تحريكا للعبرة ، وتذكيرا بالنعمة ، وحفزا للفكر : لا تقريرا لقواعد الطبيعة ولا الزاما باعتقاد خاص فى الخليقة » (ص ٤٧ من نفس المصدر السابق) .

كما قرر الاستاذ الامام (ص ٤٦ ـ ٤٧ من نفس المصدر) ان قضية الاعتقاد بوجود الله تعالى واليقين به ، والاقرار بربوبيته ، أمر لم يعول فيه الاسلام الا على تنبيه العقل البشرى ، وتوجيهه الى النظر فى الكون ، واستعمال القياس الصحيح ، والرجوع الى ما حواه الكون من النظام والترتيب ، وتعاقد الاسباب والمسببات ليصل بذلك الى ان للكون صانعا ، واجب الوجود ، عالما ، حكيما ، قادرا ، وان ذلك الصانع واحد ـ لوحدة النظام فى الاكوان ، وأطلق للعقل البشرى أن يجرى فى سبيله الذى سنته له الفطرة بدون تقييد ، فنبهه الى أن خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح : على وجه يتيسر للبشر أن يستعملها فى تسخير الفلك لمنافعه ، وارسال تلك الرياح لتثير السحاب ، فينزل من السحاب ماء فتحيا به الارض بعد موتها ، وتنبت ما شاء الله من النبات والشجر ، مما فيه رزق الحى ، وحفاظ حياته ـ كل ذلك من آيات الله عليه أن يتدبر فيها ليصل الى معرفته) ١٠٠ هـ .

ان هذا الذى أشار اليه الاستاذ الامام : لم يكن ضربا من المبالغة ، ولا لونا من ألوان المغالاة فى الدعوة الى الاسلام اوالتبشير به ، وانما هوفى واقعه تقرير لما قرره القرآن الكريم وتأكيد لما دعا اليه ، بعد أن اتضح للمتأمل أن القرآن الكريم قد سبق العلم ومناهجه ، ومنطقه وتطبيقاته : فيما اتخذه لنفسه من منهج تقدمى فذ ومعجز ، يقتضى كل منصف أن ينحنى له تقديرا وانبهارا ، ان هذا الخط التقدمى الذى سبق به القرآن الكريم ، انما يقوم فى أساسه على منهج منطق العلوم الحديثة نفسها فى تطورها وتقدمها (من قبل أن ينكشف للناس منهج منطق العلم الحديث بعد) وذلك وجه من وجوه اعجاز القرآن الكريم جديد يجب أن يضاف الى أوجه اعجاز القرآن الكريم التى وصل اليها اهل العلم بالقرآن الكريم حتى الان ..

فاذا كان العلم الحديث فى تطوره وتقدمه انما وصل الى ما وصل اليه ، وبلغ فى ازدهاره وتقدمه ، ورقيه ونموه ما بلغه وانتهى اليه ، بسبب أنه قد قام على منطق التجربة والاستقراء ، والملاحظة والفكر ، والتأمل والتدبر : فان من يتأمل آيات القرآن الكريم ، التى تدعو طالبى الايمان فى كل وقت وحين الى ادمان التفكر وامعان النظر من أجل تحصيل الايمان واليقين بالله رب العالمين ـ يجد ان ذلك المنهج بعينه هو (منهج منطق العلوم المسمى بالمنطق الحديث) قد سبق القرآن الكريم اليه ، ولم يسبق من أحد قبله بابتداعه أو نسج خيوطه .. أو رسم حدوده ومعالمه « وما على (القارىء العزيز) الا أن يتأمل هذه الايات القرآنية ، ويتدبر ما تدعو اليه من ادمان للفكر ، وأكثار للتأمل وامعان للنظر ، وصبر على الملاحظة والاستقراء : منها قوله تعالى : « أو لم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون » (الروم)

وقوله فى سورة أخرى : داعيا أهل الايمان الى أن يتفكروا فى اطراد حكمه وجريان سنته فى خلقه ، على قاعدة لا تتخلف كقوله : « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون » (يونس)

وقوله سبحانه : مستثيرا لملكة التفكير والتأمل عند كل انسان يطلب ايمانا أو يرجو يقينا : « الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا : ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » (الرعد)

وفى موضع آخر يقول : « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات أن فى ذلك لاية لقوم يتفكرون » (النحل)

وفى آيات أخرى من نفس السورة يقول : « وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ، ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون . وأوحى ربك الى النحل : ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون » (النحل)

وقوله جل شأنه « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون .

وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » (الجاثية) ولعل من الايات التى تحتاج الى وقوف طالب الايمان عندها طويلا مفكرا ومتأملا وملاحظا ومتدبرا هذه الاية الكريمة « الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » (الزمر)

على ان اكثر آيات الله سبحانه استحقاقا لمزيد من التامل والنظر ، والتدبر والفكر هذه الاية الكبرى التى تجلت فى خلقه « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » (الروم)

وبعد : فلقد بلغ الامر بالقرآن الكريم أن يؤكد لكل متامل فيه ناظر اليه متدبر لاياته : ان الغاية من توالى النبوات ، والهدف من توالى الرسالات على أيدى البشر انما هو التأمل والتفكر ، بل ان الهدف من انزال القرآن الكريم نفسه على سيد الاولين والاخرين انما يتلخص : فى دعوة المخاطبين به الى النظر والفكر ، والتأمل والتدبر حتى يؤمن أهل القرآن الكريم به وبربهم عن يقين ويصدقوا بهما عن بصر .. ذلك هو ما يفهمه من تدبر قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا . فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا . وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس اية واعتدنا للظالمين عذابا أليما . وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا » (الفرقان) .

وقوله سبحانه « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » (النحل) .

وكما دعا القرآن الكريم فى منهجه الايمانى المؤسس (على منطق الفكر والتدبر) الى استدامة الفكر وادمان التأمل لكل ما يقع تحت بصر الانسان من ظواهر الكون ، ومعالم الابداع والخلق ، حتى يصل الانسان بنفسه الى أن الله حق فقد دعا القرآن الكريم الى امعان النظر مع استدامة التأمل من أجل بلوغ الهدف نفسه ، وتحقيق الامل ذاته وذلك هو سر تكرار الدعوة الى النظر فى القرآن الكريم فى أساليب مختلفة ومواضع متعددة منه :

من ذلك قوله تعالى « فلينظر الانسان الى طعامه : انا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فانبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا : وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولانعامكم » (عبس) .

وقوله فى موضع آخر « فلينظر الانسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر » (الطارق) .

وقوله سبحانه « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون » (الاعراف) .

ويوجه ربنا نظر عباده الى تامل ما فى السماء والارض بقوله « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » (ق) .

وقوله جل شانه :

« وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجنات من اعناب ، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه أن فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون » (الانعام) .

ولعل أجمل خطاب قرآنى اتجه الى كل فرد من أفراد الانسان ليدعوه الى النظر فى الكون فى أجمل سياق وألطف أسلوب وأعذب نظم قول الله سبحانه متجها بالخطاب لى واليك ايها القارىء العزيز فى قوله « فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير » (الروم) .

وبعـــد

فلقد كان سليمان الدارانى : على حق فى حرصه على ادمان الفكر ، وامعان النظر ، وكثرة التامل وطول التدبر من أول لحظة يخطو فيها خطوة واحدة خارج بيته « ذلك أنه كان يسير فى ذلك على نهج ما وجهه اليه القرآن الكريم وهداه اليه من اجل تدعيم ايمانه وترسيخ عقيدته وتثبيت يقينه » حتى لقد حكى عنه قوله :

« انى لاخرج من بيتى : فما يقع بصرى على شىء الا رأيت لله فيه نعمة .. ولى فيه عبرة » .

(للبحث صلة)

تأمين المجتمعات من الإنحراف

الأستاذ أنور الجندى

من ابرز معالم عالمية الاسلام : التكامل فى الفكر والمجتمع

١ ـ فقد قرر الاسلام وحده الفكر وترابطه بجميع عناصره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية وقرر فى نفس الوقت وحدة المجتمع بجميع عناصره : اقويائه وضعفائه ، فقرائه واغنيائه وقد ركز على اليتامى والمرضى والمساكين وذوى الحاجة والعلة والمزمنين وجعل أمر حمايتهم ورعايتهم حقا مفروضا على المجتمع كله • وبذلك حمى الاسلام مجمتع المسلمين من الانشطارية التى تفصل بين القيم : وبين الدعوة الى ابادة الضعفاء وتعقيم الفقراء وحررهم من اخطر التحديات وهو عبودية الانسان للانسان •

٢ ـ كذلك اعترف الاسلام بالرغبات الحسية للانسان ودعا الى تحقيقها عن الطريق الطبيعى والمشروع بالزواج وبذلك حمى المجتمع من افة التمزق النفسى وهو حين حرم الزنا قصد به احترام الجنس وتنزيهه عن العبث ورغب الى الارتفاع بالمرأة عن ان تكون متعة للرجل فقد امر المسلمون بالعفة اذا عجزوا عن الزواج ولقد نظر الاسلام الى الخطيئة نظرة كريمة فهى ليست غولا يطارد المخطئين ، ولكنها مما يغفره الله للتائبين ولقد حرر الاسلام المسلمين من ان احدهم مسئول عن خطيئة احد سوى نفسه وقرر بأن لا تزر وازرة وزر اخرى •

٣ ـ ربط الاسلام بين الروح والمادة فى الفكر كما ربط بين الدنيا والاخرة ، فحرر المسلمين من انفصام الشخصية او انحرافها نحو مادية كاملة او روحية مفرقة • وقد جعل الاسلام : الدين للدنيا كالروح للجسد •

٤ ـ ربط الاسلام بين الايمان والعمل وبين الفكرة والتطبيق • واتصل ذكر الايمان فى القرآن بذكر العمل الصالح اكثر من خمسين مرة (الذين امنوا وعملوا الصالحات) وقرر الاسلام ان اخطر التحديات هو انفصال العلم عن العمل : أو بقاء العلم دون ممارسة فى العبادات والمعاملات أو تحول الايمان الاجتماعى الى ايمان فردى بمعنى الزهادة والتنسك

٥ ـ ان اقرار الاسلام لمبدا البعث والجزاء هو دعامة المسئولية الفردية فى الحياة الدنيا ، فلابد ان تكون الحياة الدنيا رسالة ومسئولية ، وان يكون المسلم فيها فى معاناة الشر والخير ، ومن ثم فعليه ان يتصرف بآرادته الحرة ، وان يواجه مسئوليته فى الاخرة •

ولا ريب ان ترتيب البعث على الحياة والموت ليس امرا مستحيلا ولا متناقضا مع الفطرة او العقل او العلم ، لان مفهوم المسئولية الفردية يترتب عليه نتيجة : المحاسبة والجزاء ، فاقرار البعث مطابق

للحقيقة ، وانكارها هو الذى يشكل التناقض ، اذ يصور الحياة الدنيا بانها صدفة عارضة بينما لا يوجد شىء ابدا باسم الصدفة (افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) .

٦ - يقرر الاسلام ان الفرد للجماعة والجماعة للفرد والكل للاسلام وان الايمان بالله قوة دافعة تعطى الامل وتحول دون اليأس وتبعث الثقة وتدعو الى المعاودة فى حالة الاخفاق .

٧ - الغى الاسلام الفكرة التى ليست من رسالات السماء القائلة بان هناك صراعا بين الجسم والروح واعلن ان الجسم والروح متكاملان وبذلك اسقط مفهوم اعتزال المجتمع والرياضة العنيفة وتدمير الجسد من اجل تحقيق الصفاء الروحى .

فقد امن الاسلام بالروح والجسد معا ونظر الى الانسان نظرة متكاملة ، وكرمهما معا فدعا الى الاهتمام بالجسد من ناحية النظافة وجعل الطهارة دليل الايمان ، ودعا الى طهارة القلب ايضا فجمع بين الطهارة والنظافة والزينة وربط بين الدنيا والاخرة وجعل دعوة المسلمين الى العفو والعافية فى الدين والدنيا والاخرة .

٨ - من حيث ان الانسان مستخلف فى الارض عن الله فهو مسئول ومحاسب ، ولقد قرر الاسلام نسبا وضوابط بين مختلف جوانب الحياة وقيمها وجعل لها اسبقيات واولويات وخاصة فى مجال العمل والمعرفة والمال والقوة والعبادة .

٩ - فرق الاسلام بين العلم النافع والعلم الزائد عن الحاجة ودعا المسلمين الى أن يأخذوا من كل علم باحسنه وان يتبعوا أحسن القول الذى يستمعون اليه .

١٠ - هاجم الاسلام الخرافات والسحر والكهانة وانكر العرافين وطارد الاوهام والمعتقدات الباطلة وأنكر ادعاء علم الغيب واعتبر السحر كفرا وحرص على أن يرتفع المسلم بايمانه عن الضعف البشرى الذى يجعله العوبة فى يد أوهام الطوالع وأضاليل العرافين .

١١ - انكر الاسلام العنصرية أو الامتياز الفردى القائم على الدماء والاعراق ، ولا يعرف الاسلام لتقدير الناس والافراد الا مقياسا واحدا هو التقوى والعمل الصالح ولا يعرف الاسلام القداسة او العصمة للبشر فهم سواء فى التعرض للخطأ والصواب .

١٢ - الرسول صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله . كان ولا يزال وسيظل النموذج الاسمى للانسان والمثل الكامل القائم امام كل المجاهدين والمصلحين والنوابغ فهو القدوة المثلى والاسوة الحسنة عبر العصور .

١٣ - ان الاسلام يقرر الارتباط بين الاخلاق وادوات الانسان كلها من لباس وكساء ويدعو دعوة صريحة الى أن يكون لباس الرجل حاسم الدلالة على رجولته ولباس المراة كريما حاميا لها من الشرور . ولا ريب أن الاخطار تستثار باخضاع الملابس للاهواء والدعوات الوافدة .

١٤ - ليس فهم الحياة فى الاسلام بوصفها معبرا الى الاخرة بمنقص من هدف بناءها وعمارتها وتحسينها ولكنه أكثر دعوة وأحكم طريقا ، بالاتجاه الى الله وتقدير المسئولية والايمان بالجزاء الاخر . ولقد دعا الاسلام الى العمل والتعمير والاقتحام ثم الرضا بقضاء الله فى النتائج .

١٥ - ليس فى نشر العلوم والثقافات عوض عن التربية والتهذيب الخلقى ، ذلك لان العلم سلاح ذو حدين يصلح للهدم والتدمير كما يصلح للبناء والتعمير ، ولابد لاستعماله استعمالا صحيحا أن يتم ذلك فى اطار الاخلاق وخير الناس . والاسلام يجمع الى التعليم التربية ويرى أن العلم وحده لا يؤدى مهمته على وجهها الصحيح الا اذا صحبه خلق وغاية واضحة قائمة على تقوى الله .

١٦ - يفرق الاسلام بين الاخلاق والتقاليد ، فالاخلاق ثابتة والتقاليد متغيرة : اما الاخلاق فهى القيم التى رسمها الاسلام (والاديان جميعا) والتى لا تتعرض للتحول والتغيير لانها مرتبطة ببناء الانسان نفسه وليس ببناء المجتمعات وقاعدة الاخلاق الاساسية أن الحق واحد والخير واحد وأساس الاخلاق هو التمييز بين الخير والشر والحق والباطل وسيظل الحق والخير هو الحق والخير على اختلاف الازمنة والامكنة لا يتغير ولا يتحول أما التقاليد فهى ليست كذلك .

١٧ - الحرية التى جاء بها الاسلام هى تحرير الانسان من قيد العبودية وتحرير العقل الانسانى من قيد الجهل والخرافة والوثنية .

١٨ - قرر الاسلام أن كل فرد فى المجتمع الاسلامى يستحق من الاحترام والطاعة بقدر ما يتحمل من المسئولية ويقدر ما يتحلى به من صفات طيبة كالعقل والعلم والخلق . ويعطى الاسلام اهمية كبرى للانسان كفرد فى مجتمع ويؤكد حاجته الى التقدم المستمر ولذلك يحرر طاقاته كلها : فكرية وخلقية وعملية ، لينطلق فى خدمة التقدم كانسان ، وفى خدمة المجتمع ككل ، دون أن يسمح لعائق ان يقف فى وجهه ، سواء عائق الطبقة أو الجنس أو اللون .

نور رسول الله

صلى الله عليه وسلم

الأستاذ محمد عبد السلام الشاذلى القوصى

يقول ربنا جل شأنه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » هذه الاية الكريمة نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالنور الذى جاءناهورسول الله ، والكتاب الذى جاءنا هو القرآن الكريم الذى نزله على قلب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ليكون به من المنذرين . وقد جعل الله هذا النور منحة منه جل جلاله لعباده المتقين الذين عرفوا واجبهم نحوه ونحو رسولـه صلى الله عليه وسلم (من ذكر وأنثى) بالاتباع والعمل الصالح فقال جل شأنه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به) .

وقد فسر الصوفية وبعض أئمة المذاهب بأن « النور » هو العلم : فيقول الامام أحمد بن حنبل صاحب المذهب ليس العلم بكثرة التلقين والرواية وانما نور يقذفه الله في قلوب من اطاعوه فأحبهم .

يقول بعض العارفين فى سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام عندما استدل بالشمس ونورها وعظمتها ثم أفلت (أى غابت) ثم راح ليستدل بالقمر ونوره وعظمته ثم أفل - وانتهى هذا النور الذى لم يدم أمام بصيرة الخليل عليه السلام بأنه نور مخلوق غير دائم ليقول انى لا أحب الافلين ، وليبحث بعده عن النور الباقى ، فلما شرح الله صدره وكشف له عن سبحات وجهه جل جلاله وأحرقته هذه السبحات ، اذمحق جميع ما أدركه وتلاشى فى ذاته وتحققت فى نفسه « كل شىء هالك الا وجهه » ثم لبس كساء المعرفة وارتدى رداء العلم فجعل الله لخليله ابراهيم نورا يمشى به فعرفه الله ثم عرف ابراهيم الخليل ربه .

ويقول بعض علماء الصوفية أن النور الالهى هو علم الباطن ، ولا يصل اليه الا من طابت جوارحه ونظفت نفسه من الدنس والغلس والرجس والشرك ، وكان فى مصاف عباد الرحمن بمافيهم من صفات ذكرها الله فى كتابه الكريم (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) الخ الاية .

وفى هذا يقول ابو يزيد البسطامى لعلماء عصره « أخذتم علمكم من **علماء الرسوم** ميتا عن ميت واخذنا **علمنا عن الحى الذى لا يموت** » ويقول محيى الدين بن عربى لفخر الدين الرازى : (ان الرجل لا يكمل عندنا فى مقام العلم حتى يكون علمه من الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ) ، ومن هنا نقول انه لا فرق بين علمى الشريعة والحقيقة أو الظاهر والباطن ، فكلاهما متمم للاخر كما يقول بعض كبار الصوفية . الشريعة هى الشجرة ، والحقيقة ثمارها .

وأخرج البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت « اختصم سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن زمعة فى غلام ، فقال سعد : هذا يارسول الله ابن اخى عتبة بن ابى وقاص ، عهد الى انه ابنه انظر الى شبهه . فنظر رسول الله فرآى شبهابينهما بعتبة ، فقال له هو اخوك يا عبد بن زمعة . الولد للفراش وللعاهر الحجر » .. وقد استدل بالحديث على أن حكم الحاكم بالظاهر لا يحل الامر فى الباطن ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حكم بأنه أخ لعبد بن زمعة ، بقوله هذا اخوك يا عبد ، وبالتالى فهو أخ لسودة ومع ذلك ، امرها رسول الله بالاحتجاب عنه . لان رسول الله جعله أخا لعبد واخته بحكم ظاهر الشرع ، لان الولد للفراش . ونفى أخوته الحقيقية عن سودة بمقتضى حكم الباطن فامرها بالاحتجاب وقد كانت سودة أخت عبد من ابيه . وهذا هو أيضا حكم الظاهر والباطن معا .

يقول الله تعالى « **ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** » والعلم المستنبط عند الصوفية هو علم الباطن .. ويؤيد ذلك أيضا ما قال ربنا جل جلاله « **وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** » ومن هذه النعم علم الباطن (النور) الذى ورد فى الاية التى ذكرت فى أول هذا المقال .

وفى الرياضة الروحية التى حدثنا بها حجة الاسلام الامام الغزالى عن نفسه يقول : نظرت الى نفسى فرأيت كثرة حجبها ، فدخلت الخلوة واشتغلت بالرياضة والمجاهدة اربعين يوما فانقدح لى من العلم ما لم يكن عندى أصفى وارق منه مما كنت أعرفه ، فنظرت فيه فاذا فيه قوة فقهية ، فرجعت الى الخلوة واشتغلت بالمجاهدة والرياضة أربعين يوما فانقدح لى علم آخر أرق وأصفى مما حصل عندى أولا ففرحت به ، ثم نظرت فيه فاذا فيه قوة نظرية ، فرجعت الى الخلوة ثالثا أربعين يوما ، فانقدح لى علم آخر هو أرق وأصفى فنظرت فيه ، فاذا فيه قوة ممزوجة بعلم ، ولم ألحق بأهل العلوم اللدنية ، فقلت ان الكتابة على المحو ليست كالكتابة على الصفاء والطهارة والنور » وهكذا يبلغنا الامام الغزالى رحمه الله أن التقوى ومعرفة الله تعالى هى « النور » الذى يمشى بين أيدينا باذن من الله لنهتدى به الى صراطه المستقيم .

وفى قصة (غزيه بنت جابر بن حكيم القرشيه العامريه) والتى أسلمت فى بدء دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم الجو الممزق الذى كان يحوطها وبين أهل الكفر والنفاق وهى التى تسمى « أم شريك » وينتهى نسبها الى عامر بن لؤى وكانت زوجة لابى العسكر الدوسى ، وعاشت معه فى مكة حتى اذا ظهرت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت من أسبق النساء لاجابته . وهى تحكى قصة حياتها وسط أهلها وقومها فتقول : جاءنى أهل زوجى فقالوا ؟ لعلك على دين محمد » قلت « أى والله انى لعلى دينه »

قالوا « لا جرم والله لنعذبنك عزابا شديدا » ثم ارتحلوا بى من دارنا بذى الخلصة بصنعاء ، وحملونى على جمل هو شر ركابهم وأغلظ ، يطعمونى الخبز بالعسل ويمنعونى الماء ، حتى اذا انتصف النهار وسخنت الشمس نزلوا فضربوا أخبيتهم وتركونى فى الشمس قائمة ، وفعلوا بى ثلاثة أيام حتى ذهب عقلى وسمعى وبصرى ، وفى اليوم الثالث قالوا لى « أتركى دين محمد وما أنت عليه ، وما دريت ما يقولون الا الكلمة بعد الكلمة • وكنت أشير بأصبعى الى السماء « علامة التوحيد » فوالله أنى لعلى ذلك وقد بلغ بى الجهد ، اذ وجدت برد دلو على صدرى فأخذته فشربت منه جرعة واحدة ثم انتزع منى فنظرت (وهى التى فقدت بصرها) فنظرت فاذا هو معلق بين السماء والارض فلم أقدر عليه ، ثم تدلى الى ثانيه فشربت منه جرعة ثم رفع ، ثم تدلى ثالثه فشربت حتى رويت وأهرقت على رأسى ووجهى وثيابى « ثم تقول فخرج أهلى ونظروا وقالوا « من أين لك هذا ياعدوة الله » فقلت لهم « ان عدو الله غيرى ، انه من خالف دينه ، أما هذا الذى تتساءلون عنه فهو من عند الله ، رزقا رزقنيه الله ، فانطلق أهلها سراعا الى قرابهم المملوءه بالماء والى أوعيتهم الاخرى فوجدوها موكوءة لم تحل ، فعادوا لها وقالوا « نشهد بان ربك هو ربنا ، وان الذى رزقك فى هذا الموضع بعد ان فعلنا بك ما فعلناه ، هو الذى شرع الاسلام » ، ثم أسلموا وهاجروا جميعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • وهذه المرأة أيضا هى التى وهبت نفسها الى رسول الله زوجة وفيها نزل قرآنا كريما (يأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى » •

وفى هذا يقول أبو عبد الله الانطاكى (ان أقل اليقين اذا وصل الى القلب يملأ القلب نورا وينفى عنه كل ريب ويمتلىء القلب شكرا ومن الله تعالى خوفا) •

ويقول السكندرى رحمه الله : لو أشرق نور اليقين لرأيت الاخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفه الفناء عليها » •

ويقول الحارثة بن سراقة « وكأنى انظر الى اهل الجنة فى الجنة ينعمون ، والى أهل النار فى النار يعذبون ، وكأنى ارى عرش ربى بارزا • من اجل ذلك أسهرت ليلى وأظمأت نهارى » فهداه الله الى هذا النور الذى قاده الى صراط الله العزيز الحميد •

« لقد جاءكم من الله نور » صدق ربى جل شأنه ، فهذا النور العظيم هو الذى نزل عليه من عند ربه كلمات من نور فى كتاب فصلت آياته يهدى الى صراط الله المستقيم ، فهذا النور الذى نزل الى الارض وبعد دقيقة واحدة من مولده صلوات الله وسلامه عليه • أخذ (الحبر اليهودى زيد بن سعيه) يصرخ بأعلا صوته كما رواه ابن اسحق عن حسان بن ثابت قال (والله انى لغلام ابن سبع سنين او ثمان أعقل وادرك ماسمعت ، قال : اذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلا صوته على أطمة بيثرب : يامعشر اليهود ، حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا له ويلك ، مالك « قال طلع الليلة نجم احمد الذى ولد الليله

وقد كان من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أن اخمدت نيران الفرس ، ويروى الحافظ أبو بكر فى كتاب هواتف الجان عن مخزوم بن هانىء عن ابيه قال : لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرتج أيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفه وخمدت نار الفرس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوه ، ورأى الموبذان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة ، وانتشرت فى بلادهم •

هكذا آمنت النار برسالة سيدنا محمد فخمدت ايذانا بظهور نور صاحب الرسالة وهكذا آمنت البحيرة فغاض ماؤها وكانت تعبد من دون الله ، وهكذا آمن أيوان كسرى بأن القوة لله تتهدم أيمانا بظهور نور رسول الله ، وهكذا آمن من هذا الجماد برسالة سيد الخلق ، الجماد الذى لا يعقل ليقول للناس الذين يعقلون أن هناك آية فى كتاب الله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) فآمنوا به ياأصحاب العقول •

وفى هذا يقول ثمامة بن آثال الحنفى من عظماء بنى حنيفه وهو بين الاسرى فيستدعيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرض عليه الاسلام بحلم وكرم فيأبى تدمه ثم يطلق رسول الله سراحه ، ثم يعود ثانية « ثمامه » بعد لحظات مسلما مؤمنا بالله واحدا وبرسول الله نبيا ورسولا ، ثم يقول لرسول الله (يارسول الله ، والله ما كان على الارض من وجه ابغض الى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه

كلها الى ، ووالله ماكان على الارض من دين أبغض الى من دينك . فقد أصبح أحب الدين كله الى ، ووالله ماكان من بلد أبغض الى من بلدك ، فقد أصبح أحب البلاد الى ، وهكذا قاده نور محمد صلى الله عليه وسلم للايمان والاسلام

وروى ابن أسحق عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أخبرنا عن نفسك » قال عليه الصلاة والسلام « نعم ، أنا دعوة ابى ابراهيم (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك) وبشرى عيسى عليهما السلام (واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراه ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) : ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر ، فبينما أنا فى بهم أتانى رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجا ، فاضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاه فأخرجا منه علقة سوداء فألقياها ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج ، حتى اذا أنقياه رداه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه ، زنه بعشرة من أمته فوزننى بعشرة فوزنتهم ، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزننى بمائة فوزنتهم ، ثم قال زنه بألف من أمته فوزننى بألف فوزنتهم ، فقال فدعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنهم ».

وفى البداية والنهاية لابن كثير (ان الله تعالى اوحى الى داود فى الزبور : ياداود أنه سيأتى من بعدك نبى اسمه احمد ومحمد صادقا سيدا لا أغضب عليه أبدا ولا يغضبنى أبدا وقد غفرت له قبل ان يعصينى ، ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة ، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء ، وفرضت عليهم الفرائض التى افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء) .

اخى المسلم : يا أمة خير المرسلين . سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (من ذكر وأنثى) أتريدون أن تكونوا فى نور رسول الله صلى الله عليه وسلم (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) (وافعلوا الخير لعلكم ترحمون) . ثم اكثروا من الصلاة على رسول الله تحصلون على هذا النور ، ان كنتم تؤمنون برسالة سيدنا ومولانا محمد النبى العظيم الذى قال الله فيه (ان الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

بقية مقال « تكامل الرسالات »

المعاملات ، وقد ورد فى تاريخ الانبياء أن العمل كان طريقهم فى الحياة مع منزلتهم عند الله فآدم احترف الزراعة ، ونوح التجارة وداود الحدادة وموسى الكتابة وكل منهم قد رعى الغنم ، وفى الاثار أيضا : أن ادريس كان خياطا ، وسليمان كان يصنع المكاتل من الخوص ، وعيسى كان يأكل من غزل أمه الصديقة وقد عمل هو نفسه فى حداثته صباغا) رواه ابن الاثير فى كتابه الكامل فى التاريخ جزء ١ ص ١٢٣) ومحمد رسول الله بدأ حياته عاملا ، ففى صباه رعى الغنم لاهل مكة وفى شبابه عمل فى التجارة . ومن أصحابه المقربين عمال مثل : خباب ابن الارت وكان حدادا ، وعبد الله بن مسعود وكان راعى الغنم ، وسعد بن أبى وقاص وكان يصنع النبال ، والزبير بن العوام وكان خياطا وقد كان عمر ابن الخطاب يقول انى لارى الرجل فيعجبنى فأقول : أله حرفة ؟ فان قالوا لا ، سقط من عينى ولقد طلب العمل يوسف عليه السلام قال : اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم .. ولقد ذكر الله فى القرآن الكريم شأن الحديد ومنفعته للناس ليحث عباده على استخراجه من الارض ، وعلى تصنيعه ليحافظوا به على حريتهم وعزتهم وكرامتهم وليحققوا به العدل والحق والخير : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز » سورة الحديد .

فالرسالة واحدة فى جوهرها ، جاء بها الرسل ومعهم البينات عليها ومعظمهم جاء بالمعجزات الخوارق وبعضهم أنزل عليه كتاب ، وكل الرسالات والديانات جاءت لتقر فى الارض وفى حياة الناس ميزانا ثابتا تقوم عليه البشرية ميزانا لا يحابى احدا ولا يظلم أحدا ، بل هو العدل الكامل لان الله رب الجميع وامتن الله على عباده بوجود الحديد ليتخذوا منه أسباب القوة وهو قوة فى الحرب وفى السلم وتكاد حضارة البشر تقوم الان على الحديد (فيه بأس شديد ومنافع للناس) .

وبهذا تكون الاديان كلها داعية الى تكريم الانسان ، وداعية الى تقدم الانسانية والى احترام الحياة وداعية الى المساواة بين الناس جميعا ، ولا يكون التفاضل بينهم الا على أساس قوله تعالى : « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .

افريقية وحضارتها

الدكتور
أحمد شلبي

يتجه بعض الباحثين الغربيين الى انكار حضارة آفريقية أو الاستهانة بها : وينسب هؤلاء الى الاستعمار الغربى أنه وضع بذور الحضارة بالقارة السوداء : وأن كل ما يدب بها من ديمقراطية وعلم ونظم اجتماعية انما كان بفضل الدول المستعمرة ، وهؤلاء يبنون هذا الاتجاه على دعائم ثلاث ليستطيعوا أن يصلوا الى تقرير هذه الفكرة ، وهذه الدعائم هى :

١ ـ محاولة عزل مصر عن افريقية فان حضارة مصر قد أذهلت العالم ، وليس هناك من طريق لانكارها ، واذن فليلجأ الباحثون الغربيون الى تجاهل مصر عند الحديث عن افريقية ، واعتبارها كيانا ليس افريقيا ، وقد استطاع الاتجاه الغربى أن يخلق له صدى فاذا بالخديوى اسماعيل يجعل واجهة اصلاحاته أن تكون مصر قطعة من أوربا وليس من شك فى أن الخديوى اسماعيل لم يشأ هذا العزل بدليل أنه وجه عناية كبرى للتوسع داخل افريقية ومصر متمسكة بافريقيتها وتستمد منها ماء الحياة ، وعناصر التاريخ ٠

٢ ـ والدعامة الثانية لتقليل شأن حضارة افريقية أوسع مدى من الدعامة الاولى ، فالكتاب الغربيون فى هذه المرة لا يكتفون بعزل مصر ، بل يعمدون الى عزل الشمال الافريقى كله عن افريقية جنوب الصحراء ، وهم بهذا يتكلمون عن افريقيتين لا افريقية واحدة ، وفى ذلك يقول دوفى انا الاحظ انه على خريطة افريقية السياسية توجد قارتان لافريقية ، ويفصل هاتين القارتين محيط هائل من الرمال والفراغ هو الصحراء ، ففى شمال الصحراء توجد افريقية التى تعتبر جزءا من الشرق الاوسط أكثر من كونها منطقة افريقية ، وتلك هى افريقية المسلمة التى تضرب فى أغوار التاريخ بحضارتها العريقة البارزة ، أما فى جنوب الصحراء فتقع افريقية التى تسمى أحيانا افريقية السوداء وهى جديدة على التاريخ والجغرافيا ٠ وافريقية السوداء هذه تختلف عن افريقية الشمالية اختلافها عن بقية انحاء العالم ٠

٣ ـ والدعامة الثالثة لتقليل شأن حضارة افريقية بنيت كذلك على أساس خاطىء ، ذلك أن الكتاب الاوربيين نظروا الى افريقية فى القرن التاسع عشر عندما بدأ الاحتلال الاوربى يمتد الى قلب القارة ، أو نظروا الى افريقية عقب استقلالها عن الاحتلال ، وقد كانت افريقية قد تغيرت تغيرا تاما منذ امتد لها الاستعمار ابتداء من القرن السادس عشر ، وغيرت هذه القرون حياة القارة تغييرا تاما ، وعلى هذا فاية نظرة الى افريقية بعد ذلك لن تعطى الا الصورة المشوهة التى خلقها الاستعمار ، والا الخراب والدمار الذى جره المحتل الاوربى ٠ وينبغى هنا أن نلتقط لقطات سريعة عن مساوىء الاستعمار بالقارة ونشير لها اشارة موجزة هى :

(أ) الرق : عن الرق ونتائجه يقول وارد انه بسبب تجارة الرقيق اخذ كثير من الفنون والحرف فى الاضمحلال والتلاشى ، فكم من العمال وأصحاب الحرف قتلوا فى الحروب أو أرسلوا عبر البحار ، وكان تهديد القرى بالحرق ، والمزارع بالدمار ، خلال الغارات لصيد العبيد ، من أسباب توقف العمران والزراعة ، فلم يكن فى استطاعة المرء أن يعرف مستقبله ومستقبل اسرته الى الغد ، ويصرح « دريك كاردتون » بأن تدهور الشعوب السوداء كان نتيجة مباشرة لتجارة الاوربيين فى العبيد ٠

(ب) الاستعمار : قطع الاستعمار كل صلة بين افريقية بعد الاستعمار وافريقية قبله ، وأنهى حضارة هؤلاء القوم ويقول باسيل : ان البرتغاليين وجدوا شعوب شرق افريقية تعيش فى ثقة ورخاء ، ثم وضع البرتغاليون بهمجيتهم نهاية هذه الحياة ٠

(جـ) المبشرون : كان المبشرون كما يقول ابراهام مجرمون بما اقترفوه من اعمال التدمير للحضارة الافريقية ، فقد خيل اليهم ان الافارقه يعبدون تحفهم الفنية ، فجمعوا منها ما استطاعوا جمعه وأوقدوا فيها النيران ، ولعل من معجزات القدر أن بعضها نجا من هذا المصير الاليم .

(د) المستوطنون : ان الذين جاءوا من أوربا ليعيشوا فى افريقية كانوا حثالة الناس ، ويقول السير كورونوول لويس فى عام ١٨٣٧ : ان حثالة بريطانيا قد تدفقت على المستعمرات ... محامين فاشلين وتجار مفلسين ، واسوأ انواع الناس .

تلك هى المؤثرات التى تجعل البعض يقلل من أهمية الحضاره الافريقية ، وهى مؤثرات غير عادله ، فمن الحق أن يتضح أن من الواجب أن نتعرف على الحضاره الافريقية قبل أن تمشى أقدام الاوربيين على أرض افريقية ، وأن يتضح لنا أن هناك افريقية واحدة وأن مصر جزء لا يتجزأ منها ، **وأن الحضارة المصرية لم تقف عند حدود الارض المصرية بل سارت شوطا طويلا فى القارة مع المهاجرين ومع التجار وخلال الاتصالات المتعددة بين مصر وأجزاء مختلفة من القارة ،** وأن مصر لم تكن المصدر الوحيد لحضارة افريقية فهناك حضارات هنا وهناك استمدت جذورها من أمكنة مختلفة أو نبتت حيث وجدت ، وفى ضوء هذا التفكير السليم نتحدث عن حضارة افريقية الاصيلة :

ولنبدأ حديثنا بأن نورد وصفا أورده باسيل عن جانب من حضارة شرقى افريقيا عندما وصلها فاسكو دى جاما فى رحلته المشئومة قال :

بين سنة ١٤٨٨ و١٤٨٩ وصلت سفن فاسكودى جاما الى الساحل الشرقى لافريقية وقد أصابت الدهشة رجال هذه السفن ، اذ رأوا هناك مدنا ساحلية مزدهرة عامرة بالسكان ، وبحارة يعرفون جيدا طرق الملاحة الى الهند وما وراءها ، ممن اعتادوا القيام برحلاتهم مستخدمين الخرائط والبوصلات وأجهزة لقياس خطوط الطول والعرض مما يماثل ما كان فى حوزة الاوربيين وربما تفوقها دقة . فهم بحارة كانوا على معرفة أكثر من الاوربيين بالعالم الخارجى ، هذا فى الوقت الذى كانت فيه الاكتشافات الاوربية لا تزال فى بدايتها .

ألقت هذه السفن مراسيها فى خضم تجارة المحيطات ، ونزل بحارتها الى المدن الموجودة آنذاك ، والتى كانت تتماثل فى روعتها المدن القليلة التى وجدت بأوربا فى تلك الايام ، ولقد كان واضحا أن هؤلاء البحارة الاوربيين فى السنوات الاخيرة من القرن الخامس عشر لا يمكن أن يفوقوا فى مدنيتهم هؤلاء الذين كانوا يعيشون فى سواحل شرقى افريقية ، فهؤلاء كانوا على قدر كبير من المعرفة بالعالم ، وعلى قدر كبير من التمدين وكانت موانيهم ومدنهم مؤسسة على أحسن طراز ، حتى أن هؤلاء الاوربيين وجدوا أنفسهم أشبه بالغرباء عن هذا العالم الجديد .

ويقتبس درك كارتون ما ذكره فاربنيوز فى كتابه « الحضارة الافريقية » عن دهشة تجار القرون الوسطى الاوربيين عندما وجدوا بافريقية طرقا معتنى بها ، مظللة لمسافات طويلة بصفين من الاشجار ، ورأوا حقولا مزدهرة ، ومدنا يسكنها رجال يلبسون ملابس زاهية ، وجمعا من الناس يلبسون الحرير والمخمل ، ودولا منظمة ، وملوكا أقوياء ، وحرفا مزدهرة وصلت الى حد كبير من المدنية .

اما عن حضارة مصر فقد عرفت طريقها الى نواح متعددة من القارة عن طريق الهجرات المصريه وعن طريق الحملات الحربية والتجارية ، وان الحضارة المصرية ذهبت الى مدى أبعد مما وصلت له هذه الحملات ، وقد كانت هجرة المصريين الى نواح شتى بافريقية وسيلة مهمة لحمل الحضارة المصرية الى المناطق التى يهاجر لها هؤلاء المصريون ، يقول ترمنجهوم : ان الشعوب الافريقية تأثرت تأثيرا مباشرا بالثقافة المصرية بسبب الهجرات المصرية المتسمرة التى كانت تتجه الى الغرب والى الجنوب

ولدينا بعض الدراسات التى تتبعت هذه الهجرات وحددت نسبة بعض الشعوب الافريقية الى الدم المصرى الذى هاجر الى هذه البقاع منذ ازمنة سحيقة : فشعب أوغندا مثلا يوصف بانه شعب فرعونى لان أسلافه هاجروا من مصر منذ آلاف السنين حينما كانت لا توجد حدود سياسية تفصل بين أجزاء القارة ، وهناك هجرات مصرية كذلك اتجهت الى السودان وأثيوبيا والصومال ورواندا وبوروندى ، يدلل علماء الاجناس على ذلك بالتشابه الكبير فى الملامح والتقارب فى اللون والتقاليد والعادات ونظم الحكم .

ويقرر بعض العلماء ان اصول شعب الفولانى ترجع الى أرومة مصرية بدليل شبههم القريب من شبه المصريين .

ويقول ديفيدسون ان هناك الكثير الذى يثبت أن الحملات المصرية اتجهت جنوبا فى النيل وعلى شواطىء البحر الاحمر ، والوثائق التاريخية حافلة بالتفصيلات الواضحة المنوعة فى هذا الصدد ، فكثيرا ما وصل التجار والجنود المصريون الى بلاد بنت وبلاد

البقية ص ١٩١

الإسلام والمشكلات الاجتماعية

وقفة تتلوها وقفات !

الأستاذ عامر العقاد

قلنا فى ختام مقالنا السابق عن الاسلام ووسائله فى معالجه المشكلات الاجتماعية أن العقيدة المحمدية حينما أوجبت النفقة للقريب الفقير على القريب الغنى قد وضعت اللبنة الاولى فى بناء ما نسميه اليوم بالتكامل الاجتماعى . وهى من خلال ذلك كله قد عملت على تكوين النفس الخيرة ، المعطية الباذلة .

نحس الانسان الذى ينفق فى السراء والضراء ، بالليل والنهار ، سرا وعلانية . ذلك الذى يحب للناس ما يحبه لنفسه ، بل يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة .. ذلك - أيضا - هو الذى يعد المال وسيلة لا غاية ، وسيلة للانفاق والبر بالناس ، فيفيض قلبه بالخير فيضا ويبسط يده بالعطاء بسطا ابتغاء رضاء الله ومثوبته ، لا حبا فى جاه ، ولا طلبا لسمعة أو شهرة ، ولا خشية من عقوبة سلطان كائنا من كان .

ولا يفوتنا أن نذكر قبل أن نستطرد فى مناقشة هذا الجانب الذى أرست العقيدة الاسلامية أسسه الاولى لتحقيق التكافل بين الناس أن نذكر أن هناك صنف من الناس يظنون أن القوانين والقرارات واللوائح هى كل ما تحتاج اليه الحياة البشرية . وهؤلاء فى نظرنا قوم سطحيون لم يعرفوا حقيقة هذا الانسان . لان الانسان ليس آلة تدار فتدور ، ولا دولابا يحرك فيتحرك ، ويوقف فيتوقف ، انه جهاز معقد مركب من مادة وروح ، ومن بدن ونفس ، ومن عقل وعاطفة ، ومن أعصاب ومشاعر وأفكار وأحاسيس . انه كائن يتصور ويحكم ، ويحس ويشعر ، ويختار ويرجح ، ويفعل ويترك ، ويتأثر ويؤثر فلابد من مراعاة خصائصه والضرب على أوتارها جميعا لنجعل من أخلاقه وضميره ما يجبر نقص القوانين وقصور التنظيمات .

فالاسلام قبل كل شىء دين أساسه المعاملات بين عباد الله فكان لابد أن يعنى بهذا الجانب الخلقى الرفيع ، فلا يكتفى بالحقوق التى تتطلبها القوانين وتحددها الحكومات ، لان هذا الجانب فى نظره ليس مجرد وسيلة ، بل لانه أيضا غاية من غاياته فى تربية الانسان الصالح ، الجدير برضاء الله ومرافقة النبيين فى جنته وان محى الفقر من الوجود .

ومن هذا المنطلق جاءت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم مبشرة ومنذرة ومرغبة ومرهبة ، داعية الى البذل والانفاق ، محذرة من الشح والبخل ، متخذة أروع الصور الفنية وابلغ الاساليب الادبية التى يذيب وعيدها القلوب الجامدة ، ويحرك وعدها الايدى الممسكة فتفيض بالخير وتنبسط بالعطاء .

يقول الله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » سورة البقرة

ويقول : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ويقول سبحانه وتعالى فى موضع آخر من كتابه

العزيز : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء » سورة آل عمران

ويقول : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » سورة الحشر

ويقول : « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب

ويقول من سورة الانسان : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما وأسيرا • انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا • انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا » •

ويقول سبحانه وتعالى من سورة البلد : « فلا اقتحم العقبة وما أدراك ماالعقبة ، فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة • ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة » سورة البلد

وخلاصة القول فى مسألة العقيدة الاسلامية ووسائلها فى معالجة المشكلات الاجتماعية انها عقيدة تعمل من داخل النفس لا من خارجها ، ومن أعماق الضمير لا من السطح تسعى للاصلاح • كذلك لم تغفل أبدا عن الواقع العملى فى محيط الحياة •

فعلى قدر علمها العميق – اعنى العقيدة الاسلامية – بأغوار النفس البشرية شرعت ووجهت وصاغت أوامرها ونواهيها ووضعت حدودها ونفذتها ثم هتف للضمير البشرى أن يتسامى فوق التكاليف المشروعة ما استطاع •

ان كل من ينظر فى هذا الدين نظرة فاحصة منصفة يدرك الجهد الضخم الذى بذله لتهذيب النفس البشرية فى جميع جوانبها ، وفى جميع اتجاهاتها وملابساتها • فهذا الدين هو الذى يجعل أقصى الثناء على نبيه أن يقول : « وانك لعلى خلق عظيم » • فالخلق هو الدعامة الاولى لبناء المجتمع المتماسك الركين ولاتصال الارض بالسماء والفناء بالخلود فى ضمير الانسان الفانى المحدود •

وعلى تلك الاسس المثالية يوجه الاسلام النفوس البشرية الى الصدقة والبر ويحبب فى الانفاق طوعا واحتسابا ، وانتظارا لرضاء الله وعوضه فى الدنيا وثوابه فى الأخرة • فوضع بذلك أجمل الصور للانسانية وأبدعها •

ولم تكن ايات القرآن الكريم وحدها الداعية الى ذلك الخلق القويم • بل تضمنت أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام توجيه المسلمين الى البذل والصدقة ، بل أوجبتها على المؤمنين الذين يبتغون الدار الاخرة والنعيم الابدى • فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « على كل مسلم صدقه • قالوا : فان لم يجد ؟ قال : ليعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق • قالوا : فان لم يستطع ان يفعل ؟ قال : فيعين ذا الحاجة الملهوف • قالوا : فان لم يفعل ؟ قال : فيمسك عن الشر فانه له صدقه » •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول العبد : مالى مالى ، وانما له من ماله ثلاث : ما أكل فافنى ، أو لبس فابلى أو أعطى فاقنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس » « رواه مسلم » •

وقال عليه الصلاة والسلام – أيضا : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه « مهره » أول ما يولد ، حتى تكون مثل الجبل » « رواه الشيخان » •

وروى المفسرون عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له » قال أبو الدحداح الانصارى : يا رسول الله • وان الله عز وجل ليريد منا القرض ؟ قال : نعم يا أبا الدحداح قال : فانى قد أقرضت ربى عز وجل حائطى • قال ابن مسعود : وحائط له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها • قال : فجاء أبو الدحداح فناداها •• يا أم الدحداح قالت : لبيك •• قال : أخرجى فقد أقرضته ربى عز وجل » •

وروى الامام أحمد عن أنس بن مالك قال : كان أبو طلحة أكثر الانصار بالمدينة مالا ، وكان أحب أمواله اليه « بيرحاء » (حديقة له) وكانت مستقبلة المسجد وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدخلها ، ويشرب من ماء فيها طيب • قال أنس : فلما نزلت « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » قال أبو طلحة : يا رسول الله •• ان الله يقول : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وان أحب أموالى الى بيرحاء • وانها صدقة الله أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم : بخ بخ ذاك مال رابح ، ذاك مال رابح • وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها فى الاقربين • فقال أبو طلحة : افعل يارسول الله ، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه » •

وحكوا عن الامام الليث بن سعد أن أمواله كانت تدر عليه كل يوم نحو ألف دينار ومع هذا حكوا أنه لم

تكن تجب عليه فيها زكاة ، لانه لم يكن يدعها حتى يحول عليها الحول بل يتصدق بكل ما جاءه من مال ، وينفقه فى سبيل الله ، قالوا : وكان الليث لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينا .

وحكى أن امرأة سألته شيئا من عسل ، فأمر لها بزق منه ، فقيل له : انها كانت تقنع بدون هذا . فقال: انها سألت على قدر حاجتها ، ونحن نعطيها على قدر نعمة اللـه علينـا .

وكذلك يروى الرواة عن عبد الله بن جعفر أنه كان لا يرد سائلا يسأله حاجة . حتى لامه بعض جلسائه فى ذلك فقال : ان الله عودنى عادة وعودت عباده عادة : عودنى أن يعطينى ، وعودت عباده أن أعطيهم ، فأخشى اذا قطعت عادتى عن عباده أن يقطع عادته عنى .

لقد قلنا فيما سبق من المقالات ان الاسلام حينما دعا الى العمل قد نادى بالسلاح النافع لمحاربة الفقر كمشكله من المشاكل الاجتماعية ولكن هل يحقق العمل فائدته المرجوة اذا كان المرء يعمل فى غير ما يحسنه ؟ أو يعمل فيما يحسنه ولكنه لا يعطى أجره العادل ؟ أو يعطى أجره ولكن لا تتاح له فرصة للترقى باظهار مواهبه وابداعه ؟ وقد يجتهد ويبدع ويحسن ، ولكنه لا يلقى جزاء إحسانه من الاجر والتشجيع ؟ بل يؤخر عن مكانه انتقاما أو حسدا . ويقدم من لا يستحق محاباة أو اتباعا للهوى ، وارضاء لبعض الرؤوس الكبيرة والنفوس الصغيرة . هذا ما حرمه الاسلام ونادى الى تلافيه وعدم الوقوع فيه .وكذلك رأينا مناداته بالعمل بالنسبة للقادرين عليه .. والرسول عليه السلام عندما ينادى بالبذل والصدقة يعلم الناس التعاليم الاصيلة فى الاسلام من اخوة ومحبة وتراحم . كيف لا ؟ ! وهو الذى وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله : وانك لعلى خلق عظيم » .

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « تصدقوا فانه يأتى عليكم زمان يمشى الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها ، يقول الرجل : لو جئت بها بالامس لقبلتها ، فاما اليوم فلا حاجة لى بها » .

فلو أدرك الناس معنى قول الرسول عليه السلام فى هذا الحديث لحرصوا على البذل والصدقة حرصهم على الكسب والغنى .

ويقول أستاذنا العقاد فى كتابه القيم « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » : ان قوام الامر كله فى هذه القضية ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى نظر الى مصلحة الانسان العليا التى يتقدم فيها حساب الزمن الطويل على حساب الزمن القصير .

وسيمضى كل مذهب من المذاهب الاجتماعية الحديثة الى مداه المقدور فى معالجة المشكلات الاجتماعية . وسيتسع الاسلام لاحداث الزمن فلا يتصدى لها فى مجراها ولا يمنعها أن تذهب الى مداها ، وأن تضطرب اضطرابها لمستقر لها تمحصها الايام .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

وتلك هى مزية الاسلام بين المذاهب والاديان ، لا يقف فى طريق رأى صالح ولا يحول بينه وبين التجارب تنبذ ما لا سبيل الى قبوله وتبقى منه ما هو صالح للبقاء .

افريقية وحضارتها الاصيلة

كوش واثيوبيا والصومال والسودان ، بل وصلوا الى بحيرة تشاد وغابات الكونغو ومرتفعات أوغندا ، ويتحدث هذا المؤلف عن رحلات محددة أثبتتها النقوش المصرية ، وعن حملات حربية حققت انتصارات كبيرة .

واتضح هذا التأثير كذلك فى العقائد ، فالقبائل التى كان لها السيادة فى رواندا - اورندى تقدس البقرة ، كما قدس أسلافهم بمصر عجل أبيس ، ويتخذون منها معبودا كما فعل المصريون بالالهة هاتور .

ويعطى بانكر تفاصـيل اوسع لتأثير العقائد المصرية على الفكر الافريقى فيذكر ان الكبش حيوان مقدس عند اليوروبا ، كما هو مقدس عند المصريين ، وديانة اليوروبا تجمعها عناصر شبه تسترعى الانظار بديانة مصر القديمة ، ويوجد شبه مثير بين تابوت مقبرة اتاجلا ذى الشكل الكهفى او القوارب التى كانت تستعمل كتوابيت عند قبائل النوبى وبين الرسومات الموجودة على المقابر المصرية .

وهناك أشعة حضارية اخرى دخلت القارة من الشمال الافريقى حيث أقام الفينيقيون سلطانهم فى القرن الثامن قبل الميلاد بتونس والجزائر ، وحيث سيطرت الدولة الرومانية على كل الساحل ، ومن الفينيقيين والرومان انسابت الى داخل القارة ألوان من الحضارات والثقافات فى نواح مختلفة .

والان بعد هذه العجالة عن الاشعاع الحضارى التى اقتحم القارة قديما من الشرق ومن الشمال نرجىء للمقال القادم حديثنا عن ابراز لون جديد من الحضارة يمكن القول انها نبت الداخل ، فـالى اللقاء .

نحن بين أمانتى القول والعمل

فضيلة الشيخ عبد الحكيم محمد سرور

الامانة فى الاسلام هى الفريضة التى يتواصى المسلمون برعايتها ، ويستعينون الله على حفظها ، ولما كان غاية المؤمن الفاضل ومنتهى أمله سعادة الدنيا ونعيم الاخرة فلقد جمع ذلك الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم فى استعاذته بين الحالين معا . اذ قال فيما رواه عنه أبو داوود فى سننه : « اللهم انى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة » فالفقر والجوع هما الحياة الكريهة فى الدنيا والخيانة هى ضياع الشرف والدين ولقد لقب محمد صلى الله عليه وسلم بالامين فى قومه قبل مبعثه وقبل اضطلاعه بالرسالة، كذلك كليم الله موسى عليه السلام حين سقى لابنتى شعيب وحفظ عليهما حياءهما كانت هذه الصفة هى ما روته البنت لابيها فى قول الله تعالى على لسانها : « ان خير من استأجرت القوى الامين » .

ولخطر الامانة وعدم توافرها أسبابها عند كل الناس . أنكر النبى صلى الله عليه وسلم على أبى ذر رضى الله عنه حين طلب منه الامارة ، لضعفه وعدم استعداده للقيام بمسئولية الامانة فيها ، فعن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله الا تستعملنى ؟ قال : « فضرب بيده على منكبى ثم قال : « يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » .

فهى اذا من الفضائل العظيمة الضخمة التى لا يستطيع حملها كل واحد وانما هى مثل عليا تتجلى فى خلق الله وهذا ما يوضحه أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى قوله : « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علينا رجل من أهل العالية فقال : يا رسول الله دلنى على أخف شىء فى الايمان وأشد شىء فى الايمان . فقال له الرسول : « ان أخف شىء فى الايمان هو شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . وأما أشد شىء فى الايمان يا أخا العالية فانه لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة ولا صيام ولا زكاة » .

ومن معانى الامانة ان يحرص المرء على اداء واجبه كاملا . وهذه هى الامانة فى العمل وان يعنى باجادة ما أسند اليه من عمل ويسهر على حقوق الناس التى وكلت اليه ووضعت بين يديه فان ذلك من الاسس التى يتركز عليها الامن ويستتب بها النظام، ويستقر بها الهدوء وتعتمد عليها المحبة ويستقر بها السلام فى الارض وتستمر بها الثقة بين الناس ويدوم الاحترام بين الاخوة بعضهم مع بعض ، فكل شىء وكل الى الانسان اداؤه فاحسن تأديته كان أمينا عليه رقيبا نحوه مستقرا به فالمطل خيانة لامانة الوفاء بالديون وتأخيرها عن مواعيدها والكذب خيانة لامانة الحديث ، والقتل خيانة لامانة الدماء والسرقة والغش والتدليس والنصب خيانة لامانة الاموال ، والاعتداء على الحرمات خيانة لامانة الاعراض وما أشدها أمانة وما اثقلها حملا . وقد روى ابن مسعود عن النبى قوله : « الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة » .

وأنا أذكر لك يا أخى اننى قرأت على أحد شوارع القاهرة بينما كنت أسير فى الطريق « الوطن أمانة » فسحرتنى هذه العبارة ، حقا وصدقا وتملكت على مشاعرى ، فالوطن أمانة وقد حمل الاوفياء من المواطنين هذه الامانة ورعوها حق رعايتها لان من الخيانة تجاهل الناس وعدم النصح لهم وقلة الشعور بما يصيبهم من آلام ومايصيب عليهم من نكبات ومن ثم فقد عدد الرسول عليهم الصلاة والسلام بعض الصفات وقال فيما يروى عنه بسند صحيح : « أربع اذا كن فيك فما عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة فى طعمة » .

وحينما نفض المسلمون ايديهم من حرب الفرس التى كتب الله فيها النصر لهم وحقق الظفر لابطالهم الغر الميامين وتسلم سعد قائد الجيش الاخماس لم يلبث عندما رأى كثرة الغنائم لم يلبث ان قال : والله ان الجيش لذو أمانة ولولا أن سبق لاهل بدر لقلت انهم على فضل أهل بدر وأرسل سعد هذه الغنائم الى أمير المؤمنين عمر وفيها سيوف كسرى وجواهره فلما رآها عمر قال : « ان قوما أدوا هذا لذوو أمانة فيجيبه سعد : لقد عففت يا أمير المؤمنين فعفت الرعية ...

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

حرب الإشاعات والافتراءات

الدكتور علي حسني الخربوطلي

يواجه العالم العربى اليوم حربا من لون جديد ، لا تعتمد على أسلحة القتال من مدافع وطائرات ودبابات ، بل تقوم على اطلاق الالسنة باشاعات كاذبة وافتراءات باطلة ، ثم الترويج لها على أوسع نطاق ، من أجل بلبلة العقول ، واهتزاز الثقة بـالنفس ، وتشويش الافكار ، وبثبذور الفرقة والانقسام . واذا كنا نستطيع أن نواجه طائرات الاعداء بمدافعنا المضادة ، ونواجه دباباتهم ومصفحاتهم بمثلها ، فانه يمكن لنا أن نقابل أشاعاتهم المضللة وافتراءاتهم الكاذبة ، بوعى كامل ، وبايمان عميق بـأنفسنا ومبادئنا وقيمنا وحقوقنا .

وحرب الاشاعات والافتراءات التى نشهد اليوم معالمها وأبعادها ، ليست بالجديدة أو المستحدثة ، فقد شهدناها عبر العصور التاريخية ، اذ واجه الاباء والاجداد أمثال هذه الحروب ، ولكنهم فطنوا الى مراميها وأهدافها ، وكشفوا الستار عنها ، وواجهوها فى ايمان واصرار ، فسرعان ما تبددت واندثرت ، وأصبحت سحابة صيف ما لبثت أن انقشعت ، وظلت شمس الاسلام والعروبة بازغة مشرقة .

ولنعد الى فجر تاريخنا الاسلامى المجيد ، الى عصر الرسول عليه الصلاة والسلام . فنجد أن الدعوة الاسلامية قد واجهت خلال ثلاث وعشرين سنة من الكفاح والجهاد ، كثيرا من ألوان حرب الاشاعات والافتراءات . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم فى السنوات الاولى من الدعوة الاسلامية ، ينتهز فرصة قدوم القبائل العربية الى مكة فى مواسم الحج لدعوتها الى الاسلام . ورأت قريش المشركة الوثنية وضع حجاب كثيف بين الرسول وهؤلاء الحجاج الوافدين على مكة ، وملاحقة الحجاج بوابل من الدعايات والاشاعات والافتراءات ، تزيد هذا الحجاب كثافة ، وحتى يعود هؤلاء الحجاج من حيث أتوا دون أن يعتنقوا الاسلام .

وقاد الوليد بن المغيرة الحملة الاولى من الاشاعات والافتراءات ، فقد عقد مؤتمرا عاما حضره زعماء قريش الوثنيين ، ثم توجه اليهم بالسؤال عن نوعية وأبعاد الافتراءات التى سيطلقونها بين الحجاج . وتعددت الاقتراحات ، فاقترح البعض وصف محمد عليه الصلاة والسلام بأنه كاهن ، واقترح البعض الاخر وصفه بالجنون ، ورأى فريق ثالث وصفه بالشاعر . ورأى الوليد أن يزعموا للحجاج أن محمدا ساحر ، جاء بسحر يريد به أن يفرق بين المرء وبين أبيه وأخيه وزوجته وعشيرته . وانطلق هؤلاء الوثنيون كالكلاب المسعورة تبث دعاياتها المسمومة .

واخفقت هذه الحملة التى قادها الوليد بن المغيرة ، واستطاع الرسول الكريم أن يخترق ذلك الحجاب الكثيف الذى أرخاه الوثنيون ، ليحولوا دونه وجذب الحجاج العرب الى الاسلام ، وخاصة حجاج المدينة الذين كانوا يسمعون من مواطنيهم اليهود عن قرب ظهور نبى ، كما لمس هؤلاء صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأكاذيب قريش .

وفى المدينة المنورة ، تزعم حزب الاشاعات والافتراءات فريقان كبيران ، هما فريق المنافقين وجماعات اليهود . وقد اختلفت هذه الحرب عن الحرب التى شنتها قريش فى مكة . فقد اتخذت الحرب التى أعلنها المنافقون واليهود الشكل السرى ، وطابع الدسيسة والمكر والالتواء ، مما زاد من خطورتها ، وخاصة أن المدينة كانت تواجه غزوا من الخارج ، فقد تكرر هجوم قريش على المدينة ، فكان على المسلمين مواجهة عدوين من الداخل والخارج .

أثار اليهود كثيرا من الاشاعات والافتراءات هادفين الى بث بذور العداء والخصام بين المسلمين فى المدينة ، واثارة البغضاء والاحقاد بين المهاجرين والانصار ، واحياء العداء القديم الذى كان بين الاوس والخزرج . ووجد اليهود فى المنافقين مطايا توصلهم الى أهدافهم الشريرة .

دس اليهود من أحبارهم من تظاهر بالاسلام ، ثم أخذوا يندسون بين صفوف المسلمين ، متظاهرين بالتقوى والورع ، ثم ينتهزون كل فرصة متاحة لهم لابداء الشكوك والريبة ، ويمعنون فكرهم الباطل لصوغ أسئلة مغرضة ، يقصدون منها زعزعة الايمان الراسخ فى قلوب المسلمين ٠

ووجد هؤلاء اليهود من بعض أبناء الاوس والخزرج الموتورين حلفاء لهم ، فقد تظاهر هؤلاء بالاسلام أيضا ، وأصبحوا من المنافقين ، وهدفهم اثارة الفرقة فى صفوف المسلمين ، كما نهجوا أيضا منهج أولئك اليهود فى توجيه الاسئلة الملتوية الى الرسول ، حتى أنهم تجاسروا يوما فسألوه عمن خلق المولى عز وجل ٠ فكان الرسول الكريم يقول لهم (**قل هو الله أحد ٠ الله الصمد ٠ لم يلد ولم يولد ٠ ولم يكن له كفوا أحد**) ٠

ومضى اليهود فى افتراءاتهم الباطلة المضللة ، حتى أنهم أنكروا أن سليمان بن داود كان نبيا ، ووصفوه بأنه ساحر ٠ بل بلغ من ضلالة اليهود أنهم أنكروا التنزيل بعد موسى ٠ ودفعهم عنادهم الى تحريف التوراة حتى تتمشى مع ما أطلقوه من اشاعات وافتراءات ٠ وبلغ من جهالة اليهود أيضا أنهم أنكروا نبوة عيسى عليه السلام فقالوا للرسول عليه الصلاة والسلام : لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به ! ٠

واتصف اليهود دائما بالتقتير والبخل ، الى جانب ما اشتهروا به من طمع وجشع ٠ وأراد هؤلاء اليهود أن يحرضوا أنصار المدينة على أن يحذوا حذوهم فى تقتيرهم وبخلهم ، فقالوا لهم : لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها ، ولا تسارعوا فى النفقة فانكم لا تدرون علام يكون !! فقال الله عز وجل فيهم (**الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله**) أى من التوراة التى فيها تصديق ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ٠

واستمر اليهود فى غيهم وجهالتهم ، رغم انهم أهل توحيد ويؤمنون بعقيدة سماوية ٠ ولكن حقدهم الاعمى جعلهم يشركون بالله عز وجل ٠ فقد تقدم نفر من اليهود على الرسول ، فقالوا له : يا محمد أما تعلم مع الله الها غيره ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : **الله لا اله الا هو ، بذلك بعثت ، والى ذلك أدعو** ٠

وكادت حرب الاشاعات والافتراءات التى أطلقها اليهود والمنافقون ، أن تمزق الوحدة الدينية والاجتماعية والوطنية التى قامت فى المدينة ، وكاد التشابك يتم بين الاوس والخزرج ، لولا حكمة الرسول عليه الصلاة والسلام ، الذى قال لانصاره : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم !!

وكانت كلمات الرسول الحكيمة خير هداية ، فقد نزلت بردا وسلاما على قلوب الانصار من الاوس والخزرج ٠ فيقول المؤرخ ابن هشام فى سيرته : « فعرف القوم انها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين » ٠

تزعم حرب الاشاعات والافتراءات التى أطلقها المنافقون ، عبد الله بن أبى بن سلول ، زعيم الخزرج الذى كان ينظم التاج ليصبح ملكا على المدينة قبيل الهجرة ٠ وضاعت أحلام عبد الله بن أبى فى الحكم والسلطان ٠ لقد أصبح القرآن الكريم هو دستور المدينة ، وأصبح الرسول هو الزعيم والقائد ، والاسلام كفيل بربط مشاعر أبناء الاوس والخزرج فيصبحون جميعا أنصارا للاسلام والرسول ٠ وأدرك ابن أبى أن الزمام قد أفلت من يده ، وأنه عاجز عن مواجهة انتصارات الاسلام المتتابعة ، فرأى الاكتفاء بحرب الاشاعات والافتراءات والنفاق ، دون حرب المواجهة ، فتظاهر باعتناق الاسلام ، نفاقا ورياءا ، والتفت حوله بطانته القديمة ، من الانتهازيين والطامعين ، وبدأوا نفث سمومهم ، وأصبحوا دعاة الهزيمة فى المدينة ، وبؤرة الفساد والانقسام وخفافيش الظلام ٠

وبحثت جماعة المنافقين عن حلفاء لهم فى المدينة ، فلم يجدوا غير اليهود ، وقد كانوا بالامس وقبل الهجرة على عداء وخصام ، ولكن عليهم اليوم أن يتناسوا الخلافات القديمة من أجل مواجهة الاسلام الذى اعتبروه خطرا عظيما يهدد مصالحهم السياسية والاقتصادية ، ويقضى على أطماعهم ومطامحهم ٠

وأشار الله عز وجل فى كتابه العظيم الى تحالف المنافقين مع اليهود فى هذه الايات الكريمة : (**واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ٠ الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون**) وقد وصف الله سبحانه وتعالى اليهود بالشياطين ٠

وفى العالم العربى اليوم ، يواجه العرب عداء هؤلاء اليهود الصهاينة ، الذين وصفهم المولى عز وجل بالشياطين ٠ وليس هناك أبلغ من هذا الوصف ، فهم شياطين يدعون الى الفساد والانقسام ، ويحرضون على الاغتصاب والارهاب ٠ واليهود اليوم قد كشفوا تماما عن عدوانهم وبغيهم ، وقد أصبحت حربهم لنا سافرة علنية ، تبدو آثارها عيانا بيانا للجميع ، ويتردد صداها فى المحافل الدولية ٠ ولكننا هنا نلفت الانظار الى دعاة الهزيمة فى العالم العربى ، ممن يروجون الاشاعات والافتراءات فيصبحون أعوانا للشياطين ٠ ونقول لاولئك وهؤلاء ، أن دولة الظلم ساعة ، ودولة الحق الى يوم الساعة ، وستبدد شمس العدل والحق ظلام العدوان والاغتصاب ، وستهرب خفافيش الظلام الى أوكارها ٠ وان غدا لناظره لقريب ٠

الأصول الإسلامية و تقاليد التحليل السياسى فى حضارة عصر النهضة

الدكتور حامد ربيع

كثير من العلماء لا يزال يتساءل : كيف حدثت تلك الطفره فى تقاليد التحليل السياسى خلال القرنين السابع عسر والثامن عشر لتقودنا الى ما تواضع المتخصصون على تسميته اليوم بعلم السياسة ؟ جميع التقاليد السابقة على تلك الفترة وبصفة خاصة ابتداء من القرن الرابع قبل الميلاد حتى نهاية القرن الخامس عشر كانت ترفض ولا تسمح بما نسميه اليوم علم السلطة نعم كانت تقودنا الى الفلسفة والتأمل حول الالتزام السياسى وما يرتبط به ولكنها ما كان يمكن أن تقودنا الى تطبيق المنطق الوضعى بخصائصه والتحليل العلمى بمستلزماته على ظاهرة السلطة اى ميدان التحليل السياسى . وعندما يقف العلماء ازاء هذه الظاهرة يعيدون نشأة وظهور علم السياسية الى القرن الثامن عشر ويجعلون من مونتسكيو وزملائه المعاصرين واللاحقين آباء علم السياسة . وعندما يقدر للبعض شىء من الحياد والعمق فى التحليل فهو لابد وأن يعترف بأن علم السياسة فى معناه الحقيقى لم ينشأ الا خلال القرن التاسع عشر وفى أعقاب الثورة الفرنسية وعلى وجه التحديد على يد سان سيمون ومن لحقه من سلسلة من الاسماء تنتهى بكارل ماركس .

والسؤال الذى نطرحه اليوم هو : ما هى العلاقة بين التقاليد الاسلامية فى منهاجية التحليل السياسى والتقاليد الغربية التى أينعت أو ظهرت واضحة فقط فى خلال الفترة التى تمتد منذ نهاية القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر لو قبلنا الكثير من التساهل فى تحديد مدلول الاصول التاريخية العلمية الثقافية السياسية الغرضية التى يقوم عليها عرضنا والتى سوف نستخلص منها الاجابة على السؤال هو أن هذه الدفعة لم يكن مصدرا أساسيا لها سوى ما أقامته ووضعته الحضارة الاسلامية من تقاليد .

ولنصل الى هذه النتيجة علينا ان نثبت :

اولا : كيف أن تقاليد الحضارة الغربية السابقة على القرن الخامس عشر ترفض علمية الثقافة السياسية .

ثانيا - كيف أن التقاليد الاسلامية تفرض علمية الثقافة السياسية .

ثالثا - كيف حدث الاحتكاك والتزاوج بين التقاليد الاسلامية من جانب والتقاليد الغربية من جانب آخر لتقود الى وضع أصول علم السياسة بصفة عامة والنظرية السياسية فى تقاليدها الغربية بصفة خاصة وذلك دائما من النواحى المنهاجية .

١ - أحد المدركات التى يجب أن نؤكدها قبل أن ننطلق فى هذا التحليل الذى يلقى بنا فى خضم التحليل السياسى وفلسفة البحث العلمى هو ضرورة التمييز بين الحقيقة وأسلوب الوصول الى الحقيقة . الذى نعرض له فى هذا التحليل يدور حول المنهاجية العلمية أى كيفية اكتشاف الظاهرة واثبات القضية المرتبطة بجوهر الاستكشاف وبعبارة اخرى فنحن لا نعرض هنا ولا نتناول المبادىء والقيم السياسية . ورغم اننا كما سوف نرى فيما بعد وفى موضع آخر سوف نثبت أن العلاقة بين النظرية الاسلامية والتقاليد الغربية بمعنى التوالد والاستمرارية ليست فقط علاقة منهاجية بل وهى كذلك علاقة استقبال واخصاب من حيث الجوهر والبناء الفكرى ، الا اننا سوف نقتصر فى هذه الدراسة على النواحى المنهاجية . والواقع أن الاستقبال كان مزدوجا : فكر أو تأصيل فلسفى من جانب ومنهاجية او اسلوب الوصول الى الحقيقه - من جانب آخر .

على أن الملاحظة الجديرة بالتعمق والمتابعة هى أن المنهاجية كانت ابعد من المبادىء . بعبارة اخرى كما سوف نرى فان المنهاجية الاسلامية لم تقتصر على علم السياسية بل تعدت ذلك الى جميع العلوم الاجتماعة بما فى ذلك علم القانون واسلوب التحليل الفقهى .

هذه الناحية التى قد تبدو محدودة الاهمية لغير المتخصصين بالنسبة لعلماء السياسـة تقدم الطفرة الحقيقية التى تعكس التجديد الفعلى فى نطاق علم السياسة نقصد بذلك وضع أسس المنهاج التجريبى بخصوص تحليل ظاهرة السلطة . فالتحليل السياسى حتى نهاية القرن السادس عشر لم يكن يقوم على أساس الادراك الحسى أو الاتصال المباشر بالواقعة .

هو منطق فلسفى وفقط منطق مجرد يدور فى كليات عامة دون ان يرتبط بالواقع التجريبى . هكذا كان التراث اليونانى وكذلك التراث الكنسى : فصل بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة الاجتماعية . على العكس من ذلك فان الحضارة الاسلامية رفضت هذه التقاليد وأقامت بنيانا مختلفا لفهم الظـاهرة الاجتماعية .»

فلنتابع التحليل فى خطواته المنطقية .»

٢ - أول سؤال يجب أن نطرحه ونسعى لاجابة عليه محددة : لماذا رفضت التقاليد الغربية حتى القرن الخامس عشر أى امكانية للتحليل السياسى ؟ التحليل السياسى بمعنى البحث العلمى الذى يستند الى الحقيقة الموضوعية والالتحام المباشر بالظـاهرة ؟

أسباب ثلاث كانت لابد وان تقود الى هذه النتيجة .

اولا - رفض المعرفة الا من خلال التجريد
ثانيا - مبدأ العنصرية :
ثالثا - الصراع بين الدين والعلم

اول هذه الخصائص تبرز واضحة من متابعة تاريخ الثقافة العلمية فى الحضارة الاوروبية . فحتى القرن السادس عشر لم يكن العلم يمكن أن يفهم بأنه تحليل للواقع من خلال الخبرة او بعبارة ادق المعرفـة اسلوبها الوحيد او الاساسى هو الاستنباط هكذا فعل ارسطو رغم انه قد يبدو لاول وهلة انه خرج عن هذه القاعدة وهو بصدد تحليله للظـاهـرة السياسية . فأرسطو فى كتابه عن الطبيعة بدأ من مبادىء عامة وسعى من خلالها ومن خلال النتائج المنطقية لتحديد الوقائع القابلة للملاحظة . وذلك على عكس المنطق العلمى المعاصر الذى يبدأ من الوقائع ومن خـلال تجميع الدلالات ومتابعة عملية التكرار يصل الى التجريدات العلمية . وهو لا يوصف بأنه عالم الا لانه عاش فى التجريدات المنطقية . وسوف تظل هذه القاعدة حتى أن الباحث الذى يعيش فى الواقعة لا يمكن أن تقبل التقاليد النظر اليه على أنـه عالم حقيقى . انه مهندس أكثر من أن يكون عالما . ورغم أن ارسطو فى صدد التحليل السياسى خرج عن هذه القاعدة عندما أطلق طلبته وحواريه يجمعـون المعلومات عن النظم السياسية الاخرى غير اليونانية الا أنه فى الواقع لم يفعل ذلك الا من قبيل المصادفة . ذلك ان النظم اليونانية كانت لا حصر لها وهو ليفسر ظاهرة السلطة فى المجتمع اليونانى كان ولا بد أن يتابع بالدراسة ما يربو عن مائة وخمسين دستورا فى المدن اليونانية كل منهاله خصائصه المتميزة .

يأتى مبدأ العنصرية فيضع حدا لمحاولات أرسطو الجانبية . فالعنصرية تعنى سيادة شعب على اخر . ولكن نتائجها من حيث التحليل السياسى خطيرة : فالنظام السياسى الذى يزعم العنصرية يرفض أى تقاليد أخرى ويعتبر نظمه السياسية تمثل المثل الاعلى الذى يرفض كل تقاليد أخرى لانها تعبر عن مستوى أقل حضاريا . هذا المبدأ الذى سيطر على الفكر اليونانى دون أن يعبر عن نفسه تغلغل فى التقاليد الرومانية بصراحة ووضوح . حتى أن شيشرون عندما وقف يخطب أمام الضيوف اليونان لم يتردد فى أن يعلن : نحن لسنا فى حاجة لان نتعلم من الاخرين . العنصرية بهذا المعنى ترفض المقارنة ، اى لا تقبل المتابعه للظاهرة العنصريه .

من خلال التكرار والاضطراد وهى لذلك تجعل من الاستنباط اساسا للمعرفة وترفض الاستقراء كمعيار للوصول الى الحقيقة . هذا المبدأ سوف يظل يسيطر على جميع التقاليد الكاثوليكية . فـالحضارة الكاثوليكية ورغم أنها سوف تعرف مبدأ المساواة الا انها سوف تظل دائما تجعل هذا المبدأ مقيدا بالحضارة الاوروبية . ودون البحث عن مصادر هذه التقاليد فان الحضارة الكاثوليكية هى التى سوف تخلق لاول مرة فى تاريخ الانسانية الفصل المطلق بيـن الشرق والغرب . ان البحر الابيض ظل طيلة تاريخه وحدة حضارية لا تعرف الانفصام حتى خـلال الانفتـاح الرومانى ورغم العنصرية اللاتينية حتى جـاءت الكنيسة وفى ظلال القرون الاولى لفترة العصور الوسطى فاذا بالبحر الابيض ينقسم الى غـرب كاثوليكى وشرق اسلامى . بل ان المسيحية الشرقية سوف تحتفظ بطابع خاص يجعلها تنقفل على نفسها وتنفصل عن التقاليد المسيحية الغربية .

العنصرية سواء فهمت بمعنى شعب أو جنس لابد وأن تقف ضد التطور العلمى لفهم ظاهرة السلطة .

ثم يأتى العامل الثالث والحاسم فى هذه الناحية وهو الصراع بين العلم والدين .

الفن والعلم والدين هى جميعها من حيث حقيقتها تتضمن تصورا للعالم · ومن ثم فلابد من أن تتصارع أو تتناقض كل منها مع الاخرى · الفن هو تصور للعالم من خلال الابداع الذاتى والفردى · العلم يصل الى ذلك من خلال الظاهرة التى تتكلم بنفسها · ان قوه العالم فى أن يجعل الظاهرة تعلن عن نفسها وتحدد خصائصها بذاتها وأدواتها · هو يجعل الجماد يتحدث · الدين يقدم لنا تصورا منزلا مفروضا لا يقبل المناقشة ·

احدى الظواهر التى تميز تاريخ الحضارة الغربية هى الصراع العنيف بين الدين والعلم · وهى ليست ظاهرة تستمد وجودها من التقاليد الكاثوليكية وانما تستمد مصادرها الحقيقية من الحضارة الاوروبية · فى فهم الدين بمعنى عام أى بمعنى المبادىء الثابتة المتقبلة فى المجتمع والتى تنسب الى الاباء على أنها تعبر عن قسط من القيم لا تقبل المناقشة لوجدنا أن الظاهرة لم تقل وضوحا فى المجتمع اليونانى · التاريخ يذكر لنا سقراط ولكن هذا ليس سوى المثل الصارخ · يجب الا ننسى أن أعداء بركليس هاجموا هذا الاخر فى شخص صديقه أسباسى وأن من بين من خضعوا لهذه الحملات يكفى أن نذكر أناكساجورا ، بروتاجوراس ، أرسطو ، تيوفراست · هذا التقليد سيطر على الحضارة الغربية عقب استقبال التقاليد المسيحية بحيث سيطر على الكاثوليكية الاوروبية ووقف عائقا أمام أى تقدم علمى · حتى أن المؤرخ لتاريخ الثقافة العلمية الفرنسى الاشهر جوسدورف يعلق على هذا بقوله : « ان الصراع بين العلم والدين هو ظاهرة خاصة بالعالم الغربى · (العلوم الانسانية ، جزء ثانى ، ص ٢٥٨) وقبل ذلك وفى مطلع القرن التاسع عشر كان قد شعر بهذه الحقيقة الفيلسوف البريطانى الاشهر جون ستيوارت ميل اذ كتب فى خطاب لصديق له : « اذا كان هناك علم علينا أن نخلقه ، أعتقد أنه هو علم العلوم ، علم البحث ، علم المناهج ·

٣ ـ فاذا انتقلنا الى التقاليد المنهجية فى الحضارة الاسلامية لهالنا الفارق · ان البحث أو التحليل فى العالم الشرقى كما تمثله التقاليد العربية أو بعبارة أدق التطبيق العربى للحضارة الاسلامية ـ أى قبل التوغل العثمانى والتركى ـ يقدم نموذجا مخالفا مخالفة كاملة وكلية للتقاليد الاوروبية السابقة على القرن الخامس عشر ويكاد يعيد جميع خصائص التقاليد الغربية الاوروبية خلال القرن التاسع عشر · فلنتابع أولا التقاليد العربية ·

نستطيع أن نحددها فى خصائص خمس :

أولا جعل التجريب أى المعرفة بالظاهرة من خلال معايشتها هو مصدر الحقيقة ·

(ثانيا) النظر الى الظاهرة الاجتماعية على أنها ظاهرة طبيعية ·

(ثالثا) تحطيم الحواجز بين الفكر والنظم والوقائع ·

(رابعا) استخدام النموذج التاريخى منطلقا لعملية بناء التجريد الفكرى ·

(خامسا) اعتبار عملية التدبر أو الحركة موضوع علم مستقل ·

المتتبع لتاريخ الحضارة الاسلامية يلحظ بوضوح كيف أنها خالفت ورفضت التقاليد اليونانية المتعلقة بمنهاجية التحليل . هى تجعل المصدر الوحيد الخالق للمعرفة العلمية هو الاستقراء وليس الاستنباط · وابن حزم فى كتابه « التقريب فى حدود المنطق » يبدأ هذا الطريق بخطوات حازمة · ثم يأتى من بعده ابن تيمية فى كتابه الاشهر «نقد المنطق» فيقرر بأن الاستقراء هو الطريق الوحيد الذى يسمح بأن نصل بالمعرفة الى مرتبة اليقين· طبق العرب هذا المنهاج بخصوص الظواهر الطبيعية كالطب والجغرافيا . ولم يقتصر الامر على المعرفة بالظواهر بل تعدى ذلك الى المعرفة الدينية فى بعض مستوياتها . واذا كنا لا نستطيع أن ندخل فى تفاصيل هذه الناحية وهى بطبيعتها تخرج عن نطاق هذه الدراسة الا أننا نكتفى بملاحظات محمد اقبال : « ان المعرفة يجب ان تبدأ بالمحسوس · وقدرة العقل على تحصيل المحسوس وسلطانه عليه هو الذى ييسر له الانتقال من المحسوس الى غير المحسوس . يقول القرآن : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » (تجديد التفكير الدينى فى الاسلام)ص (١٥) على أن امتدادات هذه المنهاجية فى التحليل الاجتماعى بصفة عامة وفى التحليل السياسى بصفة خاصة لم يقدر لها أن تغزو التقاليد الاسلامية الا على يد ابن رشد فى المغرب الاندلسى وابن خلدون فى شمال أفريقيا · ابن خلدون بصفة خاصة رفض أن يكتشف الحقيقة الا عن طريق احتضانها تجريبيا والمشاركة فى احداثها ذاتيا · وهو فى هذا سوف يرتفع الى القمة عندما يجعل من التاريخ ميدانا للمشاهدة والملاحظة خالقا أسلوبا جديدا من أساليب التحليل سوف يقدر لكارل ماركس فيما بعد أن ينتفع بدلالته ·

الناحية الثانية وهى ذات دلالة حاسمة · ولعل ما يدعو للدهشة هو كيف أنها غمضت على جميع من تابع الفكر السياسى أو تاريخ التطور الحضارى العام · فالتقاليد الغربية ظلت حتى نهاية القرن الثامن

عشر تفصل بين الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية . النظرة الى الظاهرة الاجتماعية على أنها بدورها ظاهرة طبيعية لم تعرفها الحضارة الاوروبية الا فى أواخر عصر النهضة واجمالا فى أعقاب الثورة الفرنسية . ويرتبط بذلك النظر الى الظاهرة السياسية على أنها ظاهرة عضوية . هذه النظرة على العكس أحد التقاليد الاولى فى الفكر السياسى الاسلامى . فالمدينة الفاضلة للفارابى تمثل المدينة المثالية بالجسد بل وتستخدم نفس المصطلحات العضوية فى التعبير عن أجزاء المجتمع السياسى . ورغم ان المؤرخين تعودوا ان ينسبوا المدينة الفاضلة على أنها نقل لافكار أفلاطون الا أن الواقع أن هذا غير صحيح على الاقل من حيث التأصيل المنهاجى . فالفارابى يطبق ما يسمى بالمنهاجية البيولوجية فى التحليل السياسى بأوسع معانيها ، وهو فى هذا يمكن أن يوصف بأنه أول مفكر تصور هذه الاصول الفكرية . الرئيسى لديه هو القلب ، والاعوان هم اعضاء الجسد السياسى . وهو يتابع هذه التأصيلات فى كل ما يعرض له بخصوص المدينة الفاضلة . ثم يأتى عقبة ابن خلدون ويظل أمينا على هذا التقليد بعد أن يصبغه صبغة حركية بمعنى أنه يدخل أيضا عنصر الزمان فى تحديد خصائص التطور العضوى للظاهرة السياسية .

أما عن تحطيم الحواجز بين الفكر والنظم والوقائع فهى ظاهرة أخرى تتصف بها التقاليد الاسلامية . ورغم أن هذه الظاهرة لم تكن مقصودة وانما هى نتيجة طبيعية لخصائص الثقافة العربية الا انها كانت ذات أثر حاسم فى خلق التقاليد الاسلامية . ذلك أن من خصائص المعرفة العربية هى أنها موسوعة : فالعالم تتسع معرفته الى جميع نواحى الثقافة من طب ورياضة الى اجتماع ودين وسياسة . وهوفى عرضه وتحليله لموضوعاته لا يتردد فى أن يتنقل من الفقه الى الدين الى الادب الى الظاهرة المرضية . كذلك الحواجز بين الكليات الفكرية لا وجود لها : فالنظم أو قواعد السلوك تختلط بالوقائع بالفكر . هذا التزاوج الذى يمكن أن يوصف بأنه علامة على عدم التخصص يصير مفيدا فى المراحل الاولى لخلق التقاليد العلمية وبصفة خاصة فى نطاق الثقافة السياسية : الفكر يغذى النظم ، والوقائع تدفع بالملاحظة ، والنظم تفرض التساؤلات عن دلالة الخبرة . ولم يقتصر الامر على الابعاد المجردة بل تعداها الى النواحى العملية . فالغزالى وابن رشد لم يقتصر أى منهما على التحليل الفكرى والفلسفى بل تعداه الى تقديم الحلول بمعنى الافتاء . كل هذا كان لابد وأن يخلق العلاقة الوثيقة بين التجريد والتجريب . بل ويمكن القول بأننا لا نجد مفكرا فى تاريخ الحضارة الاسلامية تعرض للسلطة دون أن يصارعها وتصارعه أو يعانقها وتعانقه . ابن سينا ، ابن خلدون ، ابن رشد ليست سوى بعض الاسماء التى لن نجد لها مثيلا أو نموذجا مشابها فى الحضارة الغربية الا فقط خلال القرن التاسع عشر .

الناحية الرابعة قد لا تعنينا كثيرا فى هذه العجالة . ولكن دلالتها فى رفض العنصرية واضحة . ويكفى أن نقارن بين ابن خلدون المؤرخ ومثيله فى روما تاسيت . الاول لا يقف عند شعب معين ويتناول الانسانية جمعاء كما تصورها . الثانى لا يعرف سوى روما ولا يتابع سوى أهل المدينة الصغيرة فى أربعين جزءا يخصصهم لتسجيل عظمة الشعب الرومانى .

ولعل خير مظهر لمدى تأثير الثقافة الاسلامية على الثقافه الغربية أن نلقى نظرة على تقسيم أنواع المعرفه الانسانية فى خلال عصر النهضة . فلاسفه العرب يميزون بين أقسام ثلاث : العمليات المرتبطة بعلاقات الفرد مع نفسه أو ذلك الذى يسمونه علم الاخلاق ، ثم علاقات الفرد مع أسرته ويسمونها الاقتصاديات ، ثم تلك المرتبطة بالجماعة ويصفونها بالاخلاق المدنية . وهذا التقسيم ليس الا عرض للتقاليد الاسلامية التى نراها فى أكثر من موضع واحد ابتداء من الفارابى حتى ابن خلدون . الغاء كلمة الاخلاق المدنيه واستخدام كلمة السياسة لن يبرز الا فى خلال القرن الخامس عشر على يد مكيافيللى عندما قطع العلاقة بين القيم الخلقية والدينية من جانب والقيم السياسية من جانب آخر .

٤ – بقيت الناحية الاخيرة وهى اعتبار عملية التدبير موضوع علم مستقل يسيطر عليه مفهوم الحركة . تحليل هذه الناحية يقودنا الى النقطة التى سبق واشرناها فى مقال سابق ولم نجب عليها بعد : كيف ومن خلال أى قنوات انتقل الفكر الاسلامى وانتقلت المفاهيم الاسلامية الى الحضارة الغربية كيف حدث التزاوج وكيف تمت عملية الاخصاب ؟

سؤال يفرض علينا الاجابة عليه أن نطرق مسالك متعددة : العرب فى صقلية ، الحضارة الاسلامية فى الاندلس ، الثقافة الاسلامية بين أبناء التقاليد الكاثوليكية ، اليهود حلقة ربط بين العالم الغربى والعالم العربى ، حركة الترجمة من العربية الى اللاتينية ، سياسة فريدريك الاسلامية ، مدرسة الشرح على المتون فى وسط وجنوب ايطاليا ، تدريس ابن رشد فى جامعة باريس ، جميعها فصول فى حاجة الى الكثير من التحليل .

ترى متى نفهم أن أهمية احياء التراث السياسى الاسلامى ليس مسألة كبرياء أو ايمان بتقاليدنا وتاريخنا الثقافى . وليس لمجرد البحث عن حلول لمشاكلنا ولواقعنا المعاصر : وانما لان هذا وحده هو الذى سوف يعيد الينا الثقة بأنفسنا وكذلك ثقة الرأى العام العالمى بحضارتنا وبمدى ما قدمنا ومدى ما تدين به الانسانية لجهود آبائنا وأجدادنا ؟

حول الإعداد للمعركة

فضيلة الشيخ عبدالوهاب محمد الساكت

تتجه الامة بكل طاقاتها الى الاعداد للمعركة : وهو اتجـــاه رضته الظروف الراهنة علينا : وحتمته الدلائل اللائحة فى الافق ن حولنا : وانه لاتجاه موفق ان شاء الله تعـــالى ان تعد لامة نفسها اعدادا متكاملا لخوض معركة ضد عدو معاند مكابر ريص اشد الحرص على ان يظل مغتصبا لارضنا مهدرا لكرامة معب فيأبى الا ان يظل طريدا مشردا : ولهذا فان هذه المعركة عد ما بذلنا من جهد وما قدمنا من حلول لا يرضى بها العدو ى الامة انه لا بديل لها فى حل تلك المشكلة بيننا وبين خصومنا سترداد ارضنا وللسيطرة على مقدراتنا ومقدساتنا .. وما نالت ة حقها السليب الا بجهاد صادق مرير يرد اليها كرامتها ، حفظ امنها وسلامتها ، ويهيىء لها حياة عزيزة كريمة : لا ذل ها ، ولا اســـتعباد ، ولا اغتصاب لحق من حقوقهـــا او ل من كرامتها ، فالامم لا تحيا الا بالجهاد [وما ترك قوم جهاد الا ذلوا] والجهاد سنة من سنن الله تعالى فى الصراع ن الحق والباطل قال تعالى [ولولا دفع الله الناس بعضهم مض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين] حيث ض المؤمنين لهلاك الظالمين وجعلهم بعون الله عبرة للمعتبرين لاعداد للمعركة يتطلب منا اولا :

ان نبتدىء بجهاد انفسنا فيعمل كل واحد منا على تخليص سه من الاهـــواء والشهوات ويوجهها الى ما به كما لهـــا سدادها فيلتزم كل منا حدوده المشروعة مع الله تعالى ومع راد امته فى المنزل وفى الشارع وفى العمل ويكون كل واحد ا عينا ساهرة على مصلحته ومصلحة وطنه فيعمل جاهدا فى قان عمله ، وحفظ ما تحت يده امينا لا يفرط فيه ، ولا يمكن دا من ان تمتد اليه يده بالخلل او السرقة والضياع متعاونا اخوانه ، ومع رؤسائه مطيعا لهم وناصحا فى رفق ولين فى سر لا فى العلانية فهذا دليل محبة الخير والتعاون المثمر : هذا تكون افراد الامة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا : ماسكين يعملون لهدف واحد هو تحقيق الخير للامة كلها بقدر ستطاع : وبهذا لا تتأثر بالشائعات والمغرضات : ولا يجـــد عداء بابا ينفثون منه سمومهم ، ويعملون منه على نشر اسباب رقة والتخاذل : وصرف افراد هذه الامة عن اداء واجبهم قدس وهو صرف جميع قواهم وكل مرتخص وغال فى ســـبيل رير وطنهم .

وثانيا ـ بجهاد الشيطان كما قال تعالى [الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا] وجهاد الشيطان بطرد وساوسه : والوعد يستعمل فى الشر استعماله فى الخير قال تعالى [النار وعدها الله الذين كفروا] اى يقول لـــكم ان عاقبـــة الانفـــاق أن تفتقـــروا ، ويأمركم الفحشاء فيغريكم على البخل ومنع الصدقات والعرب تسمى البخل فاحشا قال طرفة بن العبد « أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ، عقيلة مال الفاحش المتشدد والله يعدكم مغفرة لذنوبكم ، وفضلا اى خلفا مما انفقتم زائدا عليه فى الدنيا : وقيل ثوابا فى الاخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به عليم فعلم انفاقكم فلا يضيع اجركم وثوابكم ـ وقال تعالى [يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا] وقد امرنا الله سبحانه ان نستعيذ به [من شر الوسواس الخناس الـــذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس] : واصل الوسوسة الصوت الخفى والمراد من الوسواس : الذى يلقى الحديث فى النفس : حديث السوء وهذه الاحاديث النفسية اذا سلط عليها نظر العقل خفيت واضمحلت وسكن الموسوس عن القائها : وحديث النفس بالفواحش وضروب الاذى بالناس اذا ذكر دين الله تعالى ، واحضرت النفس مثال شرعه ـ ذهب ذلك الحديث هباء وخنس الموسوس أى رجع عن وسوسته : وكذلك اذا وسوس لك أحد من الناس : وبعثك على فعل سوء : وذكرت ذلك : وذكرته به رأيته يخنس ويمسك عن القول الى ان يجد فرصة اخرى : والخناس من خنس اذا رجع : فالله تعالى وصفه بالخناس لينهنا الى مكان الموسوس من الضعف لنلتمس السبيل الى دفعه مع الاستعانة عليه بالله وليدلنا على ان ما اصابنا من قبله : انما كان من ضعف عزائمنا وعشا بصائرنا ولو استعملنا قوانا فيما جعلها الله له ما نجح الوسواس فى نفوسنا : ولا جرنا الى سوء مصيرنا .. وبهذا ينبهنا الله تعالى الى ان نكون حذرين من وسوسة هؤلاء الذين لا يريدون استقرارا لامورنا : ولا استكمالا لوحدتنا : ولا تحقيق قوة نواجه بها اعداءنا حتى نبقى عاجزين لا نستطيع ان نمضى قدما فى سبيل تحقيق آمالنا بالنصر على اعدائنا : ينبهنا الله تعالى الى خطرهم : وان نقف فى سبيلهم : فالمخـــذلون ومروجو الاشاعات من الموسوسين الخناسين : اعاذنا الله منهم ووقى الامة شرهم ـ وثالثا ـ الايمان بالهدف

الذى تسعى الامة وتعمل على تحقيقه فالتعبئة الروحية هى القوة الدافعة للمجاهد نحو الثبات عند لقاء العدو والاقدام فى صبر وشجاعة وصمود كما قال تعالى « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ، أن كيد الشيطان كان ضعيفا » : ولان قوة الايمان تزيد على الكثرة وتتغلب عليها ، والكثرة من غير ايمان كغثاء السيل لا وزن لها ولا تستطيع الدفاع عن نفسها : بل العدو يجرفها : ويلقى بها حيثما يشاء وكيفما يريد .

ورابعا — ثم بعد ذلك : بتمرين الامة على وسائل الدفاع وحماية مرافقها فى الداخل والخارج لتستطيع حماية ظهر الجنود فلا يستطيع العدو ان يقضى على الروح المعنوية داخل البلاد .

وخامسا — بالاعداد للمعركة اعدادا يقضى على الاعداء وذلك كما قال الله تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة : ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون » فنعمل على توفير الاسلحة الحديثة التى تعيننا على هزيمة أعدائنا والايقاع بهم ، هذا هو الاعداد الصحيح الذى يجعل المجاهد ذا روح قوية عالية وعزيمة صادقة

ان الاعداد للمعركة يتطلب منا توجيه جميع القوى لخوض غمارها فى صبر وصمود واصرار والاعداد من الجهاد : والجهاد ذروة الاسلام وقمته ومنازل اهله اعلى المنازل فهم الاعلون عند الله تعالى قدرا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم المجاهدين عند الله قدرا لانه استولى على مراتب الجهاد كلها فجاهد بنفسه باللسان وباليد وبالقلب : ودعا الناس الى الجهاد بكل انواعه : دعاهم الى مجاهدة النفس والهوى والشيطان : والى مجاهدة العدو الظاهرة كما امر الله تعالى بقوله « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم : وما جعل عليكم فى الدين من حرج : ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم : وتكونوا شهداء على الناس : فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » والجهاد فى الله حق الجهاد : وهو أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيكون كل عمل المجاهد لله تعالى : ولطلب ثوابه ورضوانه ولم يعتبر الاسلام مجاهدا من حارب للشجاعة او للشهرة او لطلب المال او رجاء لشأن من شئون الدنيا « فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل للمغنم ، أى ذلك فى سبيل الله ، فقال صلى الله عليه وسلم ، من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » والجهاد فى سبيل الله تعالى والاعداد له من اكبر الفضائل الانسانية لانه تقديم النفس للموت فى سبيل الله تعالى وهو اشق احتمالا من كل ما يلحق الانسان من شدائد الحياة والباعث عليه فضيلة من أعظم الفضائل : فهو : اما لرد الاعتداء : او لتامين الدعوة الاسلامية ، او حماية المستضعفين ، ولهذا لا يصح التهاون فى أمر من أموره : والفضيلة الانسانية واجبة الرعاية فى السلم وفى الحرب ، ورعايتها فى الحرب تعلى من قدر صاحبها الذى يتمسك بها : ويصمد من اجل تحقيقها ولهذا قال الله تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية » وهو ماض الى قيام الساعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقد جعل الله المجاهدين من الصادقين فى ايمانهم المتقين لله فى كل احوالهم فقال تعالى « والصابرين فى الباساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » .

والناس بالنسبة للجهاد ثلاثة اقسام :

القاعدون لعذر وعدم قدرة على الجهاد وهؤلاء لا سبيل عليهم لانه « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وقال تعالى [ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله] فلم يعف الضعفاء ولا المرضى ولا غيرهم من المسئولية بل عليهم ان يقوموا بواجب النصح لافراد أمتهم ؟ والكلمة الطيبة تعمل عملها وتؤثر اثرها . بل قد تكون اعظم اثرا من وقع السيوف وضرب الاسنة وكلنا يعرف اثر ترويج الشائعات ممن انقطعوا عن العمل والفوا الراحة والكسل وكان كل همهم ان يتلقفوا روايات من هنا وهناك فيرددونها ويزيدون عليها من غير علم بمبلغ صدقها او كذبها ، ومن هنا لم يعف الله احدا من المسئولية فى الحرب ضد الاعداء : حتى تتجه الامة كلها الى العمل نحو هدف واحد متعاونة متحابة متآلفة : فتكون كخلية نحل قسم العمل بين افرادها كل على قدر طاقته واستطاعته : وبهذا لا يجد الدخيل بابا ينفث منه سمومه الى الامة ، عمل متكامل وحرص شديد من كل افراد الامة على تحقيق الاهداف المشتركة لخير الامة واسعادها وايضا فان الكلام لتخذيل الاعداء له اثره ممن يجيدون التخذيل ولهذا حينما قدم نعيم بن مسعود الاشجعى وكان صديقا لبنى قريظة من اليهود مع قومه من الاحزاب فقذف الله فى قلبه الاسلام اتى النبى ليلا فاسلم : فأمره ان يخذل الناس عن رسول الله وعن جيش المسلمين ، وامر ان يقول ما يشاء اذا طلب الحيلة والخدعة وكان منه انه اشار على بنى قريظه الا يقاتلوا مع قريش وغطفان الا اذا أخذوا منهم رهينة : وكذلك قال ذلك لقريش فأوقع بينهم : وبث الرعب فى قلوبهم .

وثانيا — المشتغلون بالزراعة والتجارة والصناعة وغيرهم ممن ييسرون للامة احتياجاتها وهؤلاء اقل درجة من المجاهدين « وكلا وعد الله الحسنى » اى الجنة .

وثالثا — المجاهدون باموالهم وانفسهم وهؤلاء هم الذين أشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة كما قال تعالى [أن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة الاية] وهؤلاء اعلى الدرجات عند الله تعالى .

ومن سياسة الاسلام انه فرض الجهاد على البعض لتستكمل الحياة اوجه النشاط المختلفة فتعمر الارض وتيسر امور الناس فى زمن الحرب ويمد الجيش بما يحتاجه من كساء وغذاء وآلات وذخائر وكل هذا جهاد ومعاونة للجيش وحماية له قال تعالى [فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون] فحث على ان تبقى طائفة مع النبى صلى الله عليه وسلم لسماع الاحكام ليعلموا قومهم اذا رجعوا من الجهاد واسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى أبو داوود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال «سياحة أمتى الجهاد» وروى عن أبى داوود عن النبى صلى الله عليه وسلم كما فى كتاب السير للإمام محمد بن الحسن الشيبانى قال [فى كل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد] ومعنى الرهبانية التفرغ للعبادة وترك الاشتغال بعمل الدنيا .. ولكن رسول الله بين ان رهبانية هذه الامة عمل من اشق الاعمال واحبها الى الله تعالى وهو الجهاد : وشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد بالرهبانية : لان هناك تشابها بين المجاهد والراهب فكلاهما خارج عن مألوف الناس وعاداتهم فى الحياة فهما معتزلان اهواء انفسهما : ولكن الراهب يعتزل الناس طلبا لمرضاة الله ، والمجاهد يترك اهله وماله طلبا للشهادة ورضا الله ، وكل منهما يقدم نفسه لله ويزيد المجاهد انه بجهاده يحمى دينه وشرفه ، وعمله ايجابى فهو يؤمن الناس من الاعداء ويدافع الضرر عن الغير غير مبال بما يحصل له فى سبيل ذلك من ضرر أو موت .. ولقد وردت احاديث كثيرة فى فضل الجهاد منها قوله صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا وجبت له الجنة » واجب المسلمين والعرب ان يعملوا جاهدين على اعداد انفسهم لاسترداد ارضهم والخلاص من كيد عدوهم فهذا شرف لهم وسبيل لرضا ربهم « ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم : تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين] وبالله التوفيق .

نسيان النفس

الدكتور عبد الكريم دهينة

ذكرت سابقا ، ان العلم لم يصل الى استكناه كينونة النفس ، ولا زالت الابحاث تدور حولها كما تدور الكسور العشرية ، وما قيل أنه أمكن رسم ذبذباتها في الواح معملية بالاشعة تحت الحمراء ، فقول لا أرتاح اليه ، ولا يعنينا شىء من مجال البحث حولها بقدر ما يعنينا فى الاستفادة منها ، فهى ، وعالم الملكوت ، مسخر لخدمة الإنسان ، فلا داعى لان أثقل الرأس بمتاهات علمية ، لن نخرج منها الا بصداع فى الدماغ ، وحرج فى الفهم ، وتصعد فى ضيق الصدر .

واحرى بنا أن نستمسك بكتاب الله ، ففيه الراحة ، ولا داعى لانكار عالمها ، وحمل الظواهر التخيلية والوجدانية الى الاجهزة الجسمية كما يقول بعض الاطباء ، أو الى الروح كما يقول بعض المشتغلين بالابحاث نحوها قديما وحديثا ، وقد قويت الادلة التى ناقضت هذين الافتراضين . وليس هذا موضوع بحثى .

وشرف الانسان أن يعرف مهمتها لتسخيرها ، انها اشراقة نورانية « مجهولة » اذا كانت الهاما وتقوى ، وانبثاقا بصائريا ، ذات عجائب مدهشة ، ربما رفعت الانسان الى عالم الملائكة فيجد لذة يحسده عليها أهل الترف والنعيم لو ذاقوها . وانها ظلمة معتكرة ، اذا كانت ذات فجور ودس ، ووسوسة وخنس ، فسيرى فيه الشيطان مودة وسكنا ، فيرين عليها بما كسبت ، ويمتعها ببشاشة ولذة طائشة فيها السم فى العسل .

فما يشرق على الجوارح من العبادات والصلاح فمن تزكيتها ، وما ينحط عليها من الموبقات والفواحش فمن دسها .

ولابد لعدم نسيان النفس من :

دراسة مظاهرها الشعورية : ويعجبنى الدراسات التجريبية المعملية الحديثة التى قسمت مظاهرها الى جوانب ثلاث ، جانب غريزى ، وجانب اجتماعى ، وجانب روحى ، واذكر أننى سبق أن وضحت ذلك بافاضة فى هذه المجلة بالذات ، وأقرر الان أن معرفة هذه الاقسام الثلاثة ، وكبح جماحها ، أساس طريق السالكين الى الله .

وهناك شروط لابد من معرفتها ان أردتها مركبا ذلولا للوصول للغاية المرجوة من خلافتك - ايها الانسان - عن الله ، فى هذا الكوكب الذى نعيش فيه واعلم ، أنه سبحانه وتعالى ، لم يخلق خلقا أعز عليه منك ، فاسجد لك ملائكته ، وسخر لك عوالم الملكوت ، العلوية ، والسفلية ، ووعدك بحياة أبدية ، فى جنة

عرضها السموات والارض ، فافهم ذلك ، وهاك الشروط شرطا شرطا ·

الاول ، لابد من وجود الصحة النفسية ، فيك ، وهي مقيدة بروابط الصحة الجسمية ، ولاتكون نفس عزيزة ، فى جسد هزيل واهن ، وقد وصف الواصفون صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم قائلين « فرسان النهار رهبان الليل » وللحصول على كلتا الصحتين الجسمية والنفسية يلاحظ ما يأتى :

١ ـ المنهج الوقائى : وهو ما يتبعه الفرد لتجنب الوقوع فى حال اضطراب جسدى ، أو هلع نفسى ، ولو قلبت دفات كتب السنة الشريفة ، وسير الصالحين وابطال هذه الامة العزيزة ، لوجدت مناهج هذه الصحة الوقائية ، بما يعجز عنه الاراء الصحية الوقائية الحديثة ·

٢ ـ المنهج العلاجى : وهو ما يتبعه الفرد فى علاج جسمه ونفسه اذا انحرف احدهما أو شذ ، ولابد فى كلتا الحالتين ، من عالم بأدواء الجسم وطبه ، والنفس وتقويمها ، والرجوع الى أهل الذكر والحكمة والخبرة ، واجب ضرورى ، لا ترى فيه بأسا ، ومن التواكل المذموم ترك الحالة الشاذة الطارئة جسميا أو نفسيا بدون فحص خبير لايقاف تيار سيرها ، او درء أخطارها ·

ـ ٣ ـ المنهج الانشائى : وهو ما يحتذيه المرء جسديا ونفسيا فى حال صحتهما ، من طلب الزيادة فى الكفاءة الجسدية والنفسية ، اى عدم الوقوف ، على صحتهما فحسب بل الواجب انشاء المناهج لسموهما ، بانتهاج الامل « والامل نعمة من نعم هذه الامة » كما جاء فى الحكم النبوية والسعى لتحقيقه ، فالمؤمن يعرج فى درجات لا ينتهى مداها ، ·

فاذا توافقت الوظائف الجسدية مع الوظائف النفسية ، بات الانسان بعيدا عن الاضطراب ·

ومن الخطأ العظيم ، الاهتمام بواحد منهما دون الاخر ، أو الغلو فى الميل للنفس دون الجسم ، وتلك مزالق بعض الفلسفات القديمة والحديثة ، قائلين ، ان انبثاق الطاقات الكامنة فى النفس تقتضى تعذيب الجسد ، كفلسفة اليوجا ، والبرهمية ، وسرى من هذه الاراء الضارة بعض العدوى فى هياكل الابحاث الدينية ، مما يبرأ منه منهاج الفطرة الحنيفية ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : **« ان الدين قويم فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدين احد الا غلبه ، ان المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى » ·**

ولذلك نهى الرسول صلوات الله عليه وسلم عن صيام الدهر كله ، ونهى بعض الصحابة الذين « تقالوا » عبادته عليه الصلاة والسلام وعزم واحد منهم على قيام الليل ولا ينام قط ، والثانى أن يعتزل النساء فلا يتزوج قط والثالث أن يصوم الدهر فلن يفطر قط ، وقال : أما أنا فأصوم وأفطر ، وأنا وأقوم وانكح النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى ـ او كما قال ·

فالاقبال على النفس بارهاقها وتعذيبها بتعذيب جسدها لا تقبله الشريعة الاسلامية كما لا تقبله الصح النفسية الجسدية الحديثة ، فكثيرا ما تمرض النفس فيمرض الجسم ، أو يمرض الجسم فتمرض النفس مما يقع تحت طائلة مجموعة من الامراض الحديث اسموها علميا بالامراض « النفس جسمية » أو الجس نفسية

وتقرر طبيا أن يتخصص فى هذا الفن نوع م الاطباء غير اطباء الجسم واطباء النفس ، واطبا العقل ، وأطباء الاعصاب ... الخ ·

وكثيرا ما رايت ذوى الهلاوس السمعية والبصري من دائرة هذه الامراض ، وقررت أن سبب هذ الهلاوس ، ما هو الا ارهاق النفس ، أو الجس تعذيبا ، فتختل الاشعاعات الذاتية ، فتصا الاعصاب سواء منها الارادية او اللا ارادية بارهاق وتداخل صوتى وسمعى ، ويعجز المخ عن تحديد مفهوم ، وعلى سبيل المثال ، لعلك أيها القارى الكريم ، رفعت يوما سماعة التليفون بمنزلك ، فسمع عند وضعها على أذنك أصواتا كثيرة مختلفة ف الدرجة والنوع ، وعرفت حينئذ أن التليفون قد اختل فاستدعيت مهندس الهيئة لتصليحه ، فهذه الظاه تسمى هندسيا تداخل صوتى ، ينشأ من ارهـ الخطوط وشدها وجذبها ، وما أشبه الانسان بالالة لولا تحمله للامانة ، وانبثاق روح من الله فى النفس فالهمه فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، و خاب من دساها ·

الشرط الثانى ، غذاء النفس ، فكما أننا نخت للجسم غذاء صالحا من الناحية الصحية ، طيبا حيث فيه من الناحية التشريعية ، فكذلك النفس تتغذى بما تتشرب من المعارف ، فان كانت صالحة ذ مثل عليا ، تقوى الجانب الاجتماعى او الروحى فيه وطغت على الجانب الغريزى الشهوانى ، وان كا المعارف فاسدة ، فانها تقوى الجانب الغري فيطغى على الجانب الاجتماعى والروحى ، فيهبط الانسان من عرشه الروحى ، الى أسفل سافلين ورحم الله القائل :

وراعها فى الاعمال سائمة
فان هى استحلت المرعى فلا تسم

فغذاء الجانب الغريزي : هو تشذيب أشـواكها وتعديل اعوجاجها ، وتصعيد نفاثاتها .

وغذاء الجانب الاجتماعي : هو ما يفرضه الاجتماع الصالح من مبادىء وسلوك .

وغذاء الجانب الروحي : هو الاحسان في العبادة والتهام المثل العليا ، بما تكون بواسطته رقيبة على الجوانب الاخرى .

وأوجز ما سبق ، فى أن الجانب الغريزى هو لمة الشيطان ، والجانب الاجتماعي هو لمة المجتمـع ، والجانب الروحانى هو لمة الملك .

ومن طغيان اى جانب من هذه الجوانب فىنفس، يمكن وصف النفس بأنها :

١ ـ الامارة بالسوء ، وهى التى تجمع الصفات المذمومة ، وهى المقصودة بالحكمة المعروفة « أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك » ومن علامة هذه النفس ، انها ترى المنكر معروفا ، والمعروف منكرا ، وتذعـن للشـهوات ، ودواعى الشيطـان ، وتكثر التبرير « الحيل اللاشعورية » فىقلب موازين الخير ، وتضع الشر فى لبـاس الخـير ، وما نسمعـه مـن التبريرات الاجتماعية ، عن الفن للفن ، أو الموضة ، أو التقدم ، ما هو الا حيل النفس الامارة بالسوء .

٢ ـ النفس اللوامة ، أو النفس الاجتماعية ، اى التى تغذت غذاء اجتماعيا صالحا فصارت تلوم صاحبها ان زلت قدمه ، وتلسع ضمير صاحبها ، اذا همت حواسه ، وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بفضل هذه النفس فى قـوله تعالى : « ولا اقسم بالنفس اللوامة » وصاحبها من أرباب اليمين .

٣ـ النفس المطمئنة ، تلك التى سكنت سكونا روحانيا فأصبحت ترى لذتها وسعادتها فى الاتصال بربها ، وزايلها الاضطراب الغريزى والاجتماعى ، وهى المقصودة بقوله تعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية » وأسرع طريق الى الوصول لهذه النفس ، أن تعبدالله كأنك تراه ، وان لم تكن تراه فانه يراك ، وأن ترى عندما ترفع يديك مكبرا في الصلاة ، ما كان يراه سيدنا موسى عليه السلام عندما يصعد على الطور ليناجي ربه ، وما الصلاة الا مناجاة بين العبد وربه ، اذا أديت بالخشـوع والاحسان ، فأذا جلست للتحيات ، تذكرت معراج الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يحيى ربه ، فيرد الله سبحانه عليه « السلام عليك أيها النبى » فيلهمه الله أن يقول : السلام علينا وعلى عباد اللـه الصالحين » .

والنفس ، بعد أن لزمتها صفة من هذه الصفات الثلاثة ، فى حاجة بين حين وآخر الى تحليل عالم خبير فى احابيلها وألاعيبها ، فهى لاتترك ما ركب فى جبلتها من « خنس ووسوسة » سواء أكانت أمارة بالسوء ، أو لوامة ، أو مطمئنة ، أنظر الى قول الله تعالى ، فى وصف آدم عليه السلام : « فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » . والشيطان والنفس صديقان حميمان ، ورحم الله ابا حفص ،فكثيرا ما كان يذهب الى الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان ، ويستحلفه : هل يرى فيه خصلة من النفاق ؟ !

وعمر ، وهو أحد المبشرين بالجنة ، وما أدراك ما عمر ؟ ! ان الشياطين لا تعترض طريقه كما جاء فى الحديث الشريف ..

وكان من مناهج كثير من المريدين والتلاميذ ، وضع نفوسهم تحت تحليل علمي ، أمام شيوخهم العالمين بحيل النفس ، والشيوخ أنفسهم ، يضعونها تحت الوعد والوعيد الالهى . وقد سمع أبو حنيفة رضى الله عنه قارئا يقرأ « هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهـم فيعتذرون » فغشى عليه . فلما افـاق ، رمق بعينيه مناجيا « اللهم هذا مقام العائذ بك » .

وكم أضلت كثيرا من العباد والزهاد ، وخدعتهم بحيلها الخفية التى يستعصى على كثير من العلماء فهمها ، الا من عصم الله ، وبمشيئته تعالى سأتناول ذلك فى الاعداد المقبلة .

الاسلام ومشكلات الحياة

الناس احوج ما يكونون الى شريعة تبين حقوقهم ، وتنظم شئون حياتهم ، وتغرس الخير فى قلوبهم ، وتقاوم نوازع الشر فى نفوسهم ، وتحدد واجباتهم نحو الاخرين ، وتجعلهم يؤمنون بقيم ومبادىء وتدعوهم الى تطبيق هذه المبادىء والعمل بها ، حتى يسعدوا فى الدنيا ، وينعموا فى الاخرة قال تعالى [وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ، ولاتبغ الفساد فى الارض ان الله لايحب المفسدين] ولو ترك الناس بدون تشريع سماوى لتفشت الفوضى ، وتعددت المظالم ، وسيطرت الاهواء والشهوات وأصبحت الغلبة للقوة ، وخلا المجتمع من الامن والطمانينة ، وأصبحت الحياة مادة يقدر المرء فيها بالقنطار والدينار لا بالاعمال الصالحة والاخلاق ، وانعدمت الفضائل والقيم الروحية من الحياة . والحياة متى خلت من القيم الروحية والفضائل انعدمت قيمة الانسان الحقة فيها ، اذ الانسان ماهو الا مبادىء وقيم ، واخلاق وروح ، وما بقى بعد ذلك فجسم ترابى فان ، تقدر قيمته بقيمة التراب ، جسم مكون من قدر من الدهن والماء ، وقدر من الكربون والرصاص والملح ، وقدر من الكبريت والمغنسيوم والجير والحديد ، وقيمة هذا الوزن مجتمعا فى الجسم لايعدو قيمة جنيه واحد قال تعالى [انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا]

والله جعل الاسلام خاتم شرائعه ، وجعل القرآن الكريم له دستورا ، وضمنه احكاما عامة تدعو الى توحيد الاله ، وتوحيد الامة ، وتوحيد الهدف ، وتنظم علاقة الانسان بالخالق والمجتمع ، وعلاقة الحاكم بالمحكومين ، والمحكومين بالحاكم ، وعلاقة الامم بعضها ببعض ، وتحث على أدب التعامل والحديث والاخلاق الكريمة ، وتعالج مشكلات الناس فى جميع الامكنة والازمنة رغم تنوع المشكلات واختلافها ، ولقد قام نبى الامة عليه السلام ببيان ما فى القرآن من اجمال ، وتوضيح الاوامر والنواهى ، والحث على مكارم الاخلاق ، وتطبيق الاحكام بالقول أو الفعل أو الاقرار ، وقد تفرع عن القرآن والسنة اجتهاد علماء الامة فيما يجد من مسائل ليس فيها نص من كتاب أو سنة ، وبالقيام بالقياس على مافيه نص ، ويصبح رأى العلماء المجتهدين حجة يعمل بمقتضاه ، وذلك ربطا للاحكام بالمصالح ، وبيان أن الهدف التشريعى انما هو جلب المنافع للعباد ودفع المفاسد عنهم ، وأن غاية الشرع انما هى المصلحة فحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله ، ولذلك عطل عمر بن الخطاب تنفيذ حد السرقة فى عام المجاعة مراعاة للمصلحة ، واسقط سهم المؤلفة قلوبهم من الزكاة لان الله اعز الاسلام ونصره واصبحت المصلحة تقتضى المنع قال تعالى [ما فرطنا فى الكتاب من شىء] وقال [وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا] وقال فى شان كلامه [وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى] وقال [يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث] وقال [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما] وقال النبى عليه السلام [ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم اشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم — فلا تبحثوا عنها] والقرآن الكريم نزل متفرقا فى حوالى ثلاثة وعشرين عاما ، وتدرج فى التشريع حتى يحفظ المسلمون ما نزل ويفهمونه ويطبقونه عمليا ، وحتى تروض النفوس على الطاعة عن طريق التدرج فى الامر والنهى ، وحتى يقطع دابر كل ما يثيره المشركون ، ويعجزهم فتلزمهم الحجة وكان نزوله استجابة لحوادث جدت ، أو جوابا عن سؤال فمثال الاول ما حدث عندما عرضت امرأة مشركة على صحابى ليتزوجها فعلق ذلك على استئذان الرسول ، فنزل قول الله تعالى [ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ، ولو اعجبكم]

ومثال الثانى التدرج فى تشريع الخمر — وقد كانت هى والميسر من عادات العرب فى الجاهلية ، فلما سئل الرسول عنها أجاب الله بلسانه فقال [يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما] وفى مناسبة ثانية نهاهم صراحة عن الصلاة وهم سكارى فقال تعالى [يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون] وفى مناسبة ثالثة صرح بالنهى عامة وذكر الحكم القاطع بالتحريم فقال تعالى [يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر ، والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم

الأستاذ محمد المتولي النظامي

العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله ؟ وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون] .

ومع تدرج الدين فى التشريع ، فلقد جرى على سياسة التيسير ورفع الحرج عن اتباعه ، فنجده يبيح من كل ممنوع تلجىء اليه ضرورة بمقدار هذه الضرورة كاباحة الكذب فى المصالحة وافتداء حياة انسان من ظالم ، وكاباحة اكل الميتة عند الاضطرار،ولا يجد غيرها ، وكاباحة شرب الخمر عند الغصة وفقدان الماء واشراف المرء على الهلاك . كما ان كل واجب تحول دون تحقيقه ضرورة نجده ييسر امره كاباحة الفطر فى رمضان للمريض والمسافر والعاجز ، وقصر الصلاة وجمعها لمن كان على سفر ، والتيمم عند فقد الماء أو العجز عن استعماله ، وتغيير نظام الصلاة عند المرض أو الخوف فى الحرب ، واسقاط الحج المفروض عند عدم الامن قال تعالى :

[يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر] وقال [وما جعل عليكم فى الدين من حرج] وقال [فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا] وقال [فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم] وقال [وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه] وقال [فان احصرتم فما استيسر من الهدى]

والاسلام تشريع العليم الحكيم ، وهو دين ومعاملة ، وعلم واخلاق ، وأمانة وعدالة ، ويربط الفرد بربه ومجتمعه الذى يعيش فيه ، ويقيم المجتمع على نظام الشورى حفظا للحقوق ، واحقاقا للعدل ، ويجعل أولى الامر هم أهل الشورى ، وأولو الامر هم اهل الحل والعقد الذين يقومون باختيار الخليفة، حتى يكون الاختيار اجماعا سليما ، وحتى لا يوسد الامر الى غير اهله ، ويجعل الخليفة مقيدا بمشورتهم منعا للانحراف والاستبداد واستغلال النفوذ ، ويدعو الى وضع الشخص الصالح فى المكان المناسب ، ويبين ان الله لا يضيع اجر العاملين المخلصين ، وذلك يوسف عليه السلام يبين الله جزاء أمانته وتصرفاته السليمة وبعده عن الانحراف فيقول على لسان الملك [انك اليوم لدينا مكين أمين] ويقول على لسان يوسف [اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم] ويمكن له سبحانه فى الدنيا ويجعل له الجزاء الاوفى فى الاخرة فيقول تعالى [وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون] وصدق قول الحق سبحانه [أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم] وقوله [ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون] وقال النبى عليه السلام [كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته] وذلك عنبسة بن سعيد بن العاص أمر له الخليفة الاموى سليمان بن عبد الملك بعشرين الف دينار وتوفى سليمان قبل أن يقبض عنبسة المبلغ ، فذهب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز يخبره بقصته ، فقال عمر :

عشرون ألف دينار — تغنى أربعة آلاف بيت من المسلمين ؟ كيف ادفعها الى رجل واحد ؟ ما هذا المال مالى ، وما الى ذلك من سبيل فالقى عنبسة بالصك الذى فيه المال ، فقال له عمر لا عليك ان يكون معك ، فلعله يأتيك من هو اجرأ على هذا المال منى ، فيامر لك بها ، فقال له عنبسة فى حرية رأى قابلتها سماحة نفس ورحابة صدر من الخليفة وتنفيذ عملى .. اذن فما بال جبل الورس ؟ وكان عبارة عن قطيعة لعمر بن عبد العزيز فقال عمر : ذكرتنى وطلب من غلام له أن يناوله قفصا من جريد فيه أوراق بقطائع بنى أمية ، فكلما قرأ ورقة شقها حتى لم يبق فى القفص ورقة بملكية الا شقها .

والاسلام يدعو الى العمل الايجابى فى حل مشكلات المجتمع على اساس من العدالة والاخاء فيدعو الى التسامح مع ابناء الاديان الاخرى لانهم أهل كتاب ويجعل فى أموال الاغنياء حقا معلوما للفقراء ، ويجعل الزكاة والصدقة علاجا لمشكلة الفقر، ويجعل الانفاق موصلا الى البر ، ويقرن فعل البر بالوعد بالثواب ، ويجعل البر لا يقتصر على الزكاة والصدقة وانما يشمل المعاملة الطيبة ، والبسمة الجميلة ، والكلمة الرقيقة قال تعالى [خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها] وقال [لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون] وقال [من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة ؟] وقال النبى عليه السلام [لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق]

والاسلام ينهى عن الترف والاسراف والانغماس فى الشهوات والظلم ، ويدعو الى محاربتها فى المجتمع لانها تؤدى الى الافساد ، وفقدان القوة والحرية مما يؤدى الى الفشل والهزيمة فى معترك الحياة قال تعالى [وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون]

وقال تعالى [انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق] وقال [وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين] وقال [ثم لتسالن يومئذ عن النعيم] وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بسعد بن ابى وقاص وهو يتوضأ فقال ماهذا السرف يا سعد ؟ فقال وهل فى الماء من سرف ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم نعم [وان كنت على نهر جار] .

والاسلام يدعو كل مسلم الى الجهاد فى سبيل نصرة المثل العليا والدين ، وتحقيق العزة والكرامة ، وذلك رسول الله — خير قدوة واعظم اسوة — هاجر الى المدينة وهو فى سن الثالثة والخمسين ، وأمضى بها عشر سنوات فى جهاد مستمر ونضال ، غزا فى هذه المدة القليلة سبعا وعشرين غزوة وبعث نحو مائة سرية ، ومن ذلك يتبين ان غزوات رسول الله كانت لاتقل عن غزوة كل اربعة اشهر ، فمن الواجب أن نقتدى برسول الله وان نضحى بأموالنا وانفسنا فى سبيل الحق ، فالاموال الى فناء ، والاعمار الى انتهاء وما عند ربك خير وابقى قال تعالى [قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة] وقال [يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا قليل] وقال [لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا .]

لماذا أسلمت ؟

المستشرق الألمانى المسلم فريتز كرنكو أو محمد سالم الكرنكوى

الأستاذ ابراهيم محمد الفحام

ولد (فريتز كرنكو) فى مدينة (شنبرج) فى شمال المانيا فى سنة ١٢٨٩ هجرية التى توافق ١٨٧٢ ميلادية .

وعندما توفى والده ، انتقلت والدته به وبأخته الى بيت والدها حيث اهتمت بتعليمه . وكان لديه شغف عظيم بدراسة اللغات الاجنبية ، فدرس الفرنسية والانجليزية واللاتينية واليونانية القديمة ، قبل أن يبلغ السادسة عشر من عمره . وهو السن الذى اضطر فيه ان يترك المدرسة الثانوية ويعمل فى أحد المحلات التجارية بمدينة (لوبك) .

الا انه استمر يتابع شغفه بدراسة اللغات . فدرس اللغة الفارسية من بطون الكتب ، دون أن يلجأ الى معلم . فتاقت نفسه الى أجادة هذه اللغة ، مع دراسة اللغة العربية أيضا .

وعندما بلغ العشرين من عمره ، انتقل الى (برلين) للاستزادة من العلم ، فالتقى بالعلامه (زاخاو) وكشف له عن رغبته فى دراسة اللغات الشرقية ، الا أنه نصحه بالعدول عن ذلك ، لما تتطلبه اشباع تلك الرغبة من الجهد والوقت والمال ، الذى يفوق طاقته .

وبعد سنوات نزح الى انجلترا ، حيث اشتغل فى أحد المتاجر وتجنس بالجنسية الانجليزية . ثم وفق بعد سنوات طويلة من الكفاح ، لانشاء مصنع للنسيج فى مدينة (ليستر) .

وظل ذلك المصنع فى توسع مستمر ، حتى بلغ عدد العاملين به نحو ألف عامل وعاملة . غير أنه لم يلبث ان اضطر لاغلاقه ، عندما انخفضت الاسعار ، فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، فآثر الهجرة الى استراليا ، حيث بقى نحو عام واحد ، عاد بعده الى انجلترا ، التى اتخذها وطنا له ، واشتغل بالتجارة مرة اخرى .

وكان طوال السنوات السابقة دائم الاطلاع والاستزادة من العلم ، فأجاد اللغتين العربية والفارسية ، وقرأ الكثير من امهات الكتب اللغوية والادبية ، وتبحر فى علومها ، حتى استغرق ذلك وقته كله ، واضطر فى سنة ١٩٢٧ ان يقلع عن التجارة ، ويتفرغ للعلم .

وقد أتاحت له تلك الدراسات أن يتعرف على مبادىء الاسلام ، فانشرح صدره له ، وأعلن اعتناقه له وتسمى باسم (محمد سالم الكرنكرى) .

وقد عنى - رحمه الله - بدراسة وترجمة أكثر المخطوطات الاسلامية ، ونشر بعضها لحساب (دائرة المعارف العثمانية) التى انشئت فى (حيدر آباد) بالهند كما

نشر كثيراً من البحوث القيمة ، وخاصة عن الشعراء والادباء واللغويين المسلمين ، مع تحقيق نتاجهم العلمى ، والتعليق عليه . وكان من الكتب التى حققها لحساب ذلك الدائرة :

- حماسة هبة الله بن الشجرى .
- ديوان طفيل الغنوى .
- ديوان عمرو بن كلثوم .
- ديوان الطرماح بن حكيم .
- الجمهرة فى اللغة لابن دريد .
- تنقيح المناظر للشيرازى .
- الجماهر فى معرفة الجواهر للبيرونى .
- الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى .
- المنتظم لابن الجوزى .
- المؤتلف والمختلف للامدى .
- المجتنى من المجتبى لابن دريد .
- معانى الشعر الكبير لابن قتيبة .
- أخبار النحويين البصريين للسيرافى .
- الافعال لابن القطاع .
- تفسير ثلاثين سورة لابن خالويه .
- الجرح والتعديل لابن أبى حاتم .

ومن بحوثه وتحقيقاته الاخرى التى نشرت مستقلة ، لحساب بعض دور النشر العلمية الاوروبية ، او فى بعض المجلات العلمية الكبرى مثل (مجلة الجمعية الملكية الاسيوية) ومجلة الدراسات الشرقية) و (مجلة اسلاميكا) تلك التى تناول فيها الموضوعات الاتية :

- الاصمعيات بشرح ابن السكيت .
- ديوان ابى دهبل الجمحى .
- تاريخ بغداد ، والخطيب البغدادى .
- مقامات بديع الزمان الهمزانى .
- ملاحظات على طبع المستشرق (تشارلز ليال) لاشعار عبيد بن الابرص ، وعامر بن الطفيل ، وعمر ابن قميئة .
- كتاب الجيم لابى عمر الشيبانى .
- تعليق التبريزى على قصيدة البردة لكعب بن زهير .
- فهرست الامالى لابى على القالى .
- مختصر طبقات النحويين واللغويين لابى بكر الزبيدى .
- طبقات ابى بكر الاشبيلى .
- ديوان مزاحم العقيلى .
- ديوان النعمان بن بشير الانصارى .
- ديوان بكر بن عبد العزيز العجيلى .
- المناظر لابى الهيثم المصرى .
- التيجان فى تواريخ ملوك حمير . لعبد الملك بن هشام بن وهب بن منبه
- معجم الشعراء للمرزبانى .
- ذيل مرآة الزمان للبونينى .
- كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروازى .
- حلية الاولياء
- أبو ريحان البيرونى .
- تاريخ الامام البخارى .
- الاسطرلاب .
- قطب الدين البعلبكى .
- تميم الدارى .
- الوحدة الاسلامية
- السيرة النبوية فى الكتب الشعبية العربية .
- المغيرة بن المهلب .
- الشعر الجاهلى .

وقد قام - رحمه الله - بالاضافة الى هذا الانتاج العلمى الغزير بالتدريس فى جامعة (عليكرة) الاسلامية بالهند ، فأمضى فيها سنتين سافر بعدهما الى (لندن) ثم الى (كمبردج) بانجلترا حيث توفى فى سنة ١٣٧٢ هجرية الموافقة سنة ١٩٥٣ ميلادية .

وقد قال فيه العلامة السورى (محمد كرد على) فى مجلة (المجمع العلمى العربى) بدمشق فى معرض رثائه « أحب الاستاذ كرنكو العرب والاسلام محبة لا ترجى الا من العريق فيهما » .

وقال فيه العلامة (كاظم الدجيلى) وكان صديقا حميما له .

« كان كرنكو غزير العلم ، واسع الاطلاع ، صادق القول ، أبى النفس ، مهيب الطلعة ، محبا للشرقيين عامة ، والمسلمين خاصة » .

وقد حدث أن سأله أحد الحكام الانجليز فى الهند ذات مرة عن سبب اسلامه فقال له :

« لاننى عرفت الاسلام على حقيقته » .

رحم الله ذلك العالم الجليل ، وجزاه عن خدماته للاسلام والعلوم الاسلامية خير الجزاء .

لماذا أسلمت ؟

أستاذ الموسيقى الألماني

فلت رينى

الحمد لله الذى هدانا للايمان وما كنا نهتدى لولا أن هدانا الله وصدق الله العظيم اذ يقول لرسوله الكريم ·

(انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) ·

أيها الاخوة الاعزاء قراء منبر الاسلام الغراء · يسعدنى أن نلتقى معا اليوم لنقضى لحظات مع اخوة لنا هداهم الله الى صراطه المستقيم واخرجهم من الظلمات الى النور ·

من باريس عاصمة فرنسا كبرى مدن العالم الغربى ومن وسط الظلام الذى جلبته الحضارة المادية على العالم ينبثق نور الاسلام لينير الطريق أمام من هداهم الله فنلتقى اليوم بالاخ المسلم فلت رينى من المانيا الغربية ومن مواليد ١١ يوليو سنة ١٩٣٧ بمدينة دورت مونت · ويعمل مدرسا للموسيقى ليدور بيننا الحديث لنعرف قصة انبثاق نور الايمان فى قلبه بعد أن عانى كثيرا كما قال من ظلام المادية والالحاد واخذ يبحث لمدة خمس سنوات ابتداء من عام ١٩٦٤ فى جميع الاديان السماوية حتى يجد عقيدة تسمو بالنفس وتبدل حالة القلق وعدم الاستقرار التى كان يعيشها الى الاطمئنان والراحة النفسية وانشراح الصدر · وكان السؤال التقليدى لنا :

س : متى اشهرت اسلامك ؟

ج ـ كما أخبرتك بأننى كنت أعانى كثيرا من الضيق وعدم الاستقرار وأنا اعيش الحياة المادية بكل معانيها بل كنت دائم البحث والتعمق فى الماديات لعلها تشعر بالراحة والاطمئنان بل اننى وصلت الى حالة الالحاد

يروى قصة إسلامه

اعداد: إمام المصري

فلا أومن بأى دين أو بالعقائد والمثل العليا ولا أهتم بشىء على الاطلاق بالنسبة للمجتمع الذى أعيش فيه فلم يزدنى هذا العمل الا آلاما وضياعا ثم مللت كل هذا لاننى لم أكن احس بأى متعة بل شعرت باننى حيوان بل أقل منه وشعرت بحاجة شديدة لانقاذ نفسى من هذا الضياع وقررت ان أبحث لنفسى عن طريق يقودنى الى كل ما تبغيه النفس الابية فبدأت اقرأ لعظماء العالم والفلاسفه وتعمقت فى قراءة فلسفة افلاطون ومدنيته الخالدة ثم بدأت اقرأ عن بوذا وفلسفته ثم تطورت لابحث عن دين يقتضى منطقه وتصلح قواعده ومبادئه لاصلاح حال الفرد والمجتمع حتى سافرت الى اندونيسيا عام ١٩٦٩ وتعرفت على بعض الاصدقاء من المسلمين فبدأت أشترى بعض الكتب التى تتكلم عن الاسلام وأستطعت الحصول على نسخ القرآن الكريم مترجما باللغة الانجليزية وكم كانت دهشتى عندما كنت أقرأ فيه وقد اشتد اعجابى واقتناعى بمنطقة وكم كنت أشعر براحة كبيرة عندما اقرأه وكنت انتهى من عملى فأعود مسرعا الى منزلى حتى أتمكن من القراءة فيه وعندما عدت الى موطنى (المانيا الغربية) فى أجازة بحثت عن بعض الطلبة العرب والعمال من المسلمين واستطعت ان اكون صداقة معهم وطلبت منهم ان يشرحوا لى دينهم وفرائضه فحفظت بعض الايات القرآنية باللغه العربية وتعلمت تأدية الصلوات الخمس بل اننى فى العام الماضى اديت فريضة الصيام مع صديق مسلم يقيم فى بلدتى فشعرت بشعور لم أشعر به من قبل كلما مرت الايام وازددت قراءة ومعرفة للاسلام كلما زالت عن نفسى الهموم وشعرت بالشىء الذى أفتقده وهو الاطمئنان وشعرت بعاطفة الحب لجميع الناس على اختلاف أجناسهم والوانهم وبدأت احاول كسب مزيدا من الاصدقاء وخاصة المسلمين واحاول معاملتهم بالحسنى واستطعت السيطرة على نفسى حتى اقتنعت

اقتناعا كاملا بأن ما أبحث عنه هو الاسلام فالله واحد ورسوله الكريم بشر يحمل رسالة ربه ليبلغها للناس كافة لا فرق بين فرد وآخر الا بالعمل الصالح والتقوى والصلوات الخمس تذكر الانسان وتطهره بل هى لقاء متجدد بين العبد وربه بصلة مباشرة لا وسيط فيها والحرية مكفولة للجميع والمساواة تامة وتكافؤ الفرص للجميع والعدالة مكفولة وارتباط الفرد بالمجتمع واضح وسليم فجئت من المانيا الى مسجد باريس لاشهار اسلامى واتلقى مزيدا من تعاليم الاسلام السمحة علما بأننى أسلمت لرب العالمين عام ١٩٦٩ .

س : بهذه المناسبة السعيدة ما هى الكلمة التى تحب ان توجهها الى مسلمى العالم ؟

ج : أود أن أبعث سلامى وتحياتى الى جميع الاخوة والاخوات من أبناء العالم الاسلامى فى كل بقعة من بقاع العالم واطلب منهم التمسك بشريعتهم والحفاظ عليها وعدم التأثر بالمدنية المادية التى تؤدى الى الهلاك والضياع ولينظروا الى ما فعلته هذه المدنية بشعوب العالم من انفصام وصراع وعدم استقرار بل الى الضياع واطلب من كل شاب مسلم ان يكون خير داعية لعقيدته باتباع ما أمر به الله سبحانه وتعالى والانتهاء عما نهى عنه فالقدوة الحسنة هى خير دليل على سمو العقيدة وان لا يبخلوا على أى سائل يسألهم عن شريعتهم وعن الاسلام لعل الله يهدى قلبه اذا عرف مبادىء الاسلام وسماحته وأحمد الله أن هدانى للاسلام .

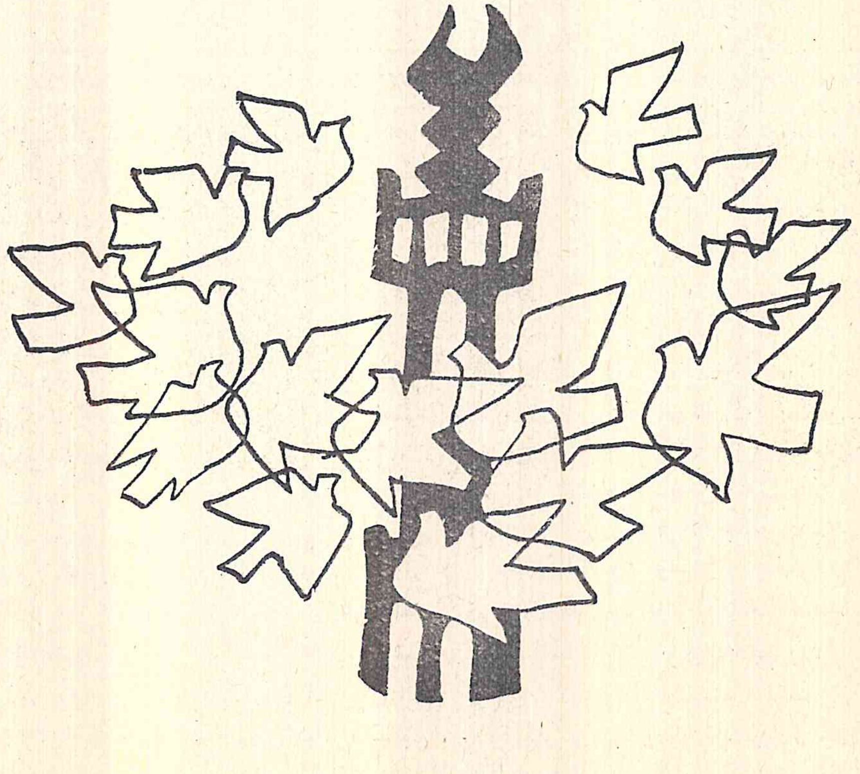

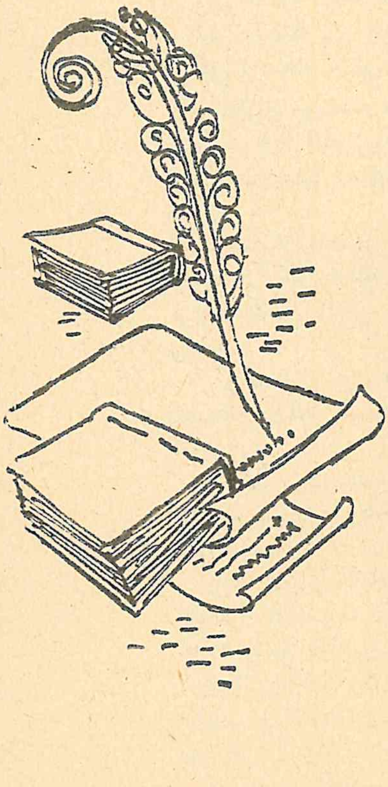

القصة

وفى عصرنا صديق : إسمه يوسف

قصة مصرية طويلة
بقلم الأستاذ
عبد المنعم الصاوى

ملخص ما نشر

لاتزال رحلتنا مع يوسف ممتدة ، بامتداد الزمان .

ولاتزال محنة يوسف تملا بالحسرة جنبات النفس .

.. فمن سجنه ، أخذ يوسف فى مطلع حلقات القصة ، يستعيد ذكريات أمس مر كالعلقم .

الطفولة الاولى ، وهو يسعد بحنان الاسرة ، ويحار مع ذلك فى غدر الاخوة !

أما أمه ، وأما أبوه ، وأما بنيامين أخوه ، فقد كانوا يحنون عليه ، ويترفقون به ، ويخافون مصيره .

وأما بقية الاخوة ، فقد ملا الحقد نفوسهم ، فأخذوا يكيلون له الكيد ، حتى أخفوه فى جب موحش .

ولولا رحمة ربه ، لضاع .

وفى قافلة تتجه لمصر ، صحبوه ، ليبيعوه .

لكن الحالة فى مصر ، قد كانت تعسة : فلم يك سهلا أن يجد مرافق يوسف ، من يدفع فى يوسف ثمنا !

وانطوى يوسف على نفسه ، يبكى حظ الانسان .

سيد هذا الكون يباع ويشرى ! أفتلك معاملة للانسان ؟ ! أفهذا وضع يتناسب مع انسانية من خلق الله على الارض ، فى أجمل صورة ؟

وبينما كان الصديق وصاحبه ينتظران الشارى ، كانت نفس الصديق تتأمل حالة مصر ، وروح الشعب المصرى ، وهو فى أزمته يعانى ، وفى مواجهة الاعداء يمنى النفس بيوم النصر ، ويصبر .

وتحول يوسف الى عينين ، وأذنين تصيخان السمع ، وقلب حساس يلتقط مشاعر قوم غلبوا ، لكن صبروا ، لتواتيهم لحظات النصر .

وعايش يوسف شعبا قد يمزح من نكباته ، لكن النكبات تصبح لمسات تضمد جرحه ، وتفتح قلبه ، وتلهب منه الهمة ، لينقض على خصمه .

وبعد مرور الايام ، عرضوه على الملك فى قصر التيه ، ليصبح جوهرة القصر ، بكل ملاحة وجهه ، ورشاقة قده : وسحر فى عينيه يشع ذكاء ونقاء وشفافية تسبى .

وبينا يوسف يؤدى عمله ، ليغير قصر التيه الى جنة تنبض بالحب وبالصدق وبالاخلاص ، بدت غزلان القصر تؤرق جفنيه ، بهواهن المسحور بجماله .

وتعرض للفتنة ، لكن رؤياه عصمته من ألوان الفتنة ، لان الرؤيا قد كانت رؤيا ربه .

ويوسف مع هذا فى القصر ، وتترى الحلقات ، لتروى بقية حلقات القصة .

أحذر !! أحذر يا يوسف !!
لقد صرت من السلطان كظله !!
لكن السلطان من السلطة ، والسلطة تعنى القوة ، والقوة ما لم يحكمها العقل ، تصبح لعنة !!
حتى العقلاء من الحكام ، ينسون العقل ، فى وهج المنصب ، وأحاديث الاطراء ، ونفاق الالسن ، ومديح الخطباء ، ومرض الكلمة !!
وصفى السلطان يايوسف ، يتعرض للغيرة ، وتآمر من يحنق ، وحسد الحساد .
ووقيعة نفر موتور ، يحزنهم أمره !
وستسمع أصواتا كالالغام ، وكلاما كالسكر ، لكن لاتنس يايوسف ان السم يوضع ايضا فى اكياس من حلوى ، ذات بريق ،
لكن لا تيأس يا يوسف ، فسيعصمك الله من الاشرار ، والسفهاء ، وسينتصر الحق ، أيا كان الثمن المدفوع ، وأفدح ما تدفعه يا يوسف ، أن تصبر !!

● ● ●

اسمع يايوسف !
هذا كاهن قد جاء يبارك مولاك ، ويلقى بنصائحه فى أذنيه ، ويخدر اعصابه بكلام ؟ يرجو منه النفع ، لا للحاكم ، ولا للناس ، ولكن النفع لديه يقاس بما يكسب !!
مولاك قد صار ، ظلا لاله الخير !
مولاك قد أضحى بركة تسرى بين الناس بالسعد !
مولاك النورانى يا يوسف ، هو ابن الله ، بل هو خالق هذا الكون وصانعه ، وصاحب أمر فيه لا يعصى !!
.. والرجل يصدق !! يطلب من كاهن آمون ، أن يمضى بحديث يطرب نفسه ، ويلمس وترا فى قلبه ، فيعجبه قول الكاهن ، ويخيل له أن الدنيا قد صارت من تحت القدمين ، كبساط مفروش ، ليدوس عليه الى الغاية !!
« ورايت يا مولاى حلما جميلا ، رأيتك تمد يديك الى الخلود ، فتقطف ثمر العافية ، لتصبح خالدا فى الارض وفى السماء جميعا » .
« أنت اله الخير يا مولاى ، وانت اله القوة » » .
« انت النعيم ، وانت النعمة » !
« .. وآمون يباركك ، ويضفى عليك صفاته الازلية ، لانك أنت .. وأنت وحدك آمون .. اله الوادى الاخضر !! » .
وتسمع يا يوسف قول الكاهن ، وتكتم ما فى نفسك ، ما تستشعره من كلمات تمزق جنبيك .
ولو سمح لك الموقف بكلام ، لفضحت الكاهن وكشفت الحيلة .
هذا الكاهن يا مولاى ، قد قال كلامه هذا ،

لكلّ الحكام من قبلك ! قدس كلّ عزيز جاء ، وخلع عليه صفات الله ، فأعطاه واعطاه ، حتى فاض القدر بما يتمناه» ! وهو - مع هذا - هذا الكاهن احترف الالفاظ المسمومة ، يتجر بها ليزيد رصيده !

وتصدق يا مولاى ؟! وتصدق انك رب الكون ، وان البركة فى ركبك !!

الا تسمع شكوى الناس خارج قصرك ؟

- ألا تسمع ما يتردد بين الناس ، آذاهم وثقوا أن الاذان لا تسمعهم ؟

.. وانشودة الضارب على العود .. ألا تسمعها ، والناس تردها فى حزن ووجوم ، كأنما كل حرف منها يحكى سطرا ، قدر عليه أن يحياه !

اسمع يا عزيز مصر ماذا تقول الانشودة .

« لمن أتكلم اليوم ؟

« الاخوة سوء ، واصدقاء اليوم لم يعودوا جديرين بالحب ؟

« لمن أتكلم اليوم ؟

« حتى القلوب صارت تميل الى اللصوصية وكل انسان يغتصب متاع جاره !

« لمن أتكلم اليوم ؟

« ان الرجل المهذب يهلك ، وصفيق الوجه تفتح له الابواب حيث ذهب ؟

« لمن أتكلم اليوم ؟

« ان الرجل السمح قد صار بائسا ، ولم يعد يصيب الخير أبدا !

« لمن أتكلم اليوم ؟

« وذلك الشرير الذى كان يثير غضب الناس ، قد صار موضع سرورهم !

« لمن أتكلم اليوم ؟

« ولم يعد هناك رجل عادل ، وقد تركت الارض للظالمين !! »

وتكاد يا يوسف ان تنبه مولاك الى ان الناس خارج قصره ، قد صاروا أحرص على الموت ، منهم على الحياة !

وتكاد أن تصيح فى كاهن مولاك ما يردده الناس عن الموت ، فى أناشيدهم ، عندما يتلاقون .

« صار الموت اليوم أمامى ، كحديقة غناء ، أو دواء لمريض يبحث عن شفاء !

« صار الموت اليوم أمامى ، كرائحة البخور الزكية أو كالجلوس تحت الشراع فى يوم لطيف النسمات !

« صار الموت اليوم أمامى ، كرائحة زهرة السوسن ، أو كجلوس الانسان على شاطىء السكر !

« صار الموت اليوم امامى ، كمجرى ماء عذب ، أو كعودة الرجل من سفينته الحربية الى بيته ! أو كاسير يعود بعد شقاء الى أهله !

« صار الموت اليوم أمامى ، كسماء صافية ، او كرجل يصطاد طيورا ذات جمال ! » .

« .. ومع هذا يا يوسف ، فان كاهن مولاك ، قد جعل من مولاك اله الخير والنعمة ، ونفخ فيه حتى خيل له ، أن السعد يقطر من كفيه !

والناس حيارى مع ذلك ، ينعزلون ليتباكوا .. ويتباكون ليخف ثقل البؤس عليهم ، ويتطلعون الى الموت ، بعد أن لم يعد غير الموت نجاة مما هم فيه !!

واسمع ايضا يايوسف ! اسمع واعجب هذا حاكم يأتى لزيارة مولاه ، يحمل أخبارا ! ان مقاطعة يحكمها قد صارت جنة ! وزاد الخير حتى فاض ، ببركة مولاه وجهده !

ويردد حاكم اقليم يبعد عن اهناسيهمسيرة أسبوع ، أنباء شتى !

ويسمع مولاك له فى نشوة .

وتسمع أنت وتعجب من هذا الكذب ، وهذى الغفلة .

لكن ماذا تصنع ، وقد قررت الصمت ،لا تتدخل فى أمر ، أو تعترض على شىء ؟

يكفيك الان يا يوسف أن تسمع .

- الناس يامولاى يسبحون بحمدك .

- .. والمحصول ؟

- زاد حتى فاض .

- والامن ؟

- كلهم امن ، يدعو لك بطول العمر .

- والادارة ؟

عدل منك وانصاف لا يختل .

- والنسل ؟

- يزيد حتى بين دواب الارض .

- والمرضى ؟

- شفوا بانفاسك يا مولاى .

- وصغار الصبيه ؟

- يشبون على التسبيح لك ، وحمدك .

- والنيل ؟

- قد صار كالبحر المالح من كثرة مائه .

- وطعام الناس وشرابهم ؟

- شهدا أو أحلى .

- وكلام الناس ؟ حدثنى .

- مولاى .. أعجز ! كلام الناس غزل فى ذاتك يا آمون رع .. يرجون العطف والدعوات والبركات .

- والارض المحتلة ؟ ماذا هى عند الناس ؟

- ستعود بفضلك . انك لاله .

- لكن الالهة كما يبدو قد تركت هذا الامر !

- بمشيئتها يا مولاى ، فان شاءت خرج الاشرار ، منها .

- وماذا أيضا ؟

- بعض هدايا أخجل أن أعرضها .

- ذهب ؟

ـ وبعض الفضة ٠
ـ ومحصول الارض ٠
ـ هذه قرابين نقدمها لالة الحكمة ٠
قربى ~
ـ ومتى ستعود الى ناسك ؟
ـ كما تامر ٠ فان شئت بقيت أتعلم منك ٠
ـ لكن الاقليم ٠٠ يحتاجك ٠
ـ لسنا حكاما الا بك ٠
ـ تعود غدا .
ـ وساترت قلبى برهان ولائى ٠
ـ اعرف ٠٠ اعرف !!
ـ تعرف !! تعرف ماذا يامولاى ؟!
تعرف أن الامر يسير كما تهوى ، وهواك مخدر ، يهدىء اعصابك !
تعرف انك تخدع نفسك ، أو يخدعك الحكام ، يلبين لهم ما يبغون ، ولا تدرى !
تعرف أن الشعب يئن ويدرف ، ويشاكى ، ولكن لا تسمع عنه ، الا ما يرويه الكهنه ، واصحاب الامر ، والوزراء ، وحاشية السوء ؟
لكن الثورة قد نفذت ، تخترق صفوفا حولك ٠
اسمع يا مولاى . هذا أحدهم صافت نفسه بالكذب ، فأعلنه رأيا فيه صراحة ووضوح ٠
كاهن هو يامولاى ، قال الحق فردده اهله
ـ أما كاهنك الكذاب ، فهو يرضيك ليتاجر بك وبالدولة !

ـ أتعرف اسمه يا مولاى ؟
الحاكم قد لا يسمع شيئا يؤذيه ، فان سمعه رفضه ٠ واعتبر القول خيانة ، ورمى بالخائن فى السجن ، وتعقبه فى رزقه !!
لكن الشعب له حكم آخر ٠
الشعب يردد قول الحق ، ويعالج بالقول الصادق جرحه .
وشعبك يامولاى يتغنى بعبارات لا تعرفها انت ، **ولا تعرف قائلها ٠**
اما قائلها فاسمه نفرر ، واحد من كهانك ، لكن صادق ٠
اسمعه يا مولاى ، بل اسمع اقواله على افواه رعيتك ٠
« انصت يا قلبى !
« أنع أرضا فيها نشأت !
« لقد اصبحت البلاد خرابا ! لا من يهتم بها ، أو يتكلم عنها !
« لا دمع يذرف اليوم من أجلها !
« أية حال هذه التى آلت اليها البلاد ؟
« لقد احتجبت الشمس ، فلم تعد تضىء ، ليبصر الناس !
« ونيل مصر صار جافا !
« نيل مصر اوشك الانسان ان يخوضه بقدميه !

« وعندما يريد الانسان أن يبحث عن ماء تجرى عليه السفن ، فسيجد طريقه قدصار شاطئا ، كما سيجد الشاطىء قد صار ماء
« كل طيب قد اختفى ، وصارت البلاد صريعة الشقاء !
« البدو الذين يغزون البلاد ، يستولون على ما فيها من طعام !
« وتتألم البلاد ٠ وهى ترى نفسها تحت غزو أسيويين انحدروا اليها !
« وليتها تكتفى بالالم !
« لقد حدث فيها ما لم يحدث فيها من قبل !
«الرجل يجلس فى عقر داره ،موليا ظهره ، بينما يذبح آخر بجواره !
« وصار الابن عدوا ، والاخ خصما ، وقد يذبح الولد اباه !
« كل القليبات ولت ، والبلاد تحتضر ، والاملاك اغتصبها الاجنبى !
« ابن البلاد صار محتاجا ، والاجنبى صار غنيا !
« ٠٠ ونقصت الارض ، بينما تضاعف حكامها !
« وشحت الحبوب ، بينما كبر المكيال ! بل هى تكال حتى يطفح الكيل !
« ٠٠ وتئن البلاد تحت غزو الاجانب ، وعقمت منطقة عين شمس ، فلم تعد تلد آلهة أبدا ! » ٠
هذا يا يوسف ما يتردد ، على شفاه الناس ٠
لكن مولاه يسمع شيئا آخر ، من أن تروى همس الناس هنا وهناك ، فتفسد خطة قوم فيهم بأس ، ولهم سطوة !
اصبر يا يوسف ٠ اسمع واصبر !
لكن كيف الصبر ٠ وهذا قائديحمل لعزيز القوم كلاما أجوف ؟

كيف الصبر ، وهو يسخر من قوات الغزو ، ويصور للملك ، ان الضيق قد كتم الانفاس بين جنود يحتلون الصحراء الشرقية ، ويمدون نفوذهم لبعض بلاد الوادى ؟
كيف الصبر يا يوسف ، والزيف قد زاد عن الحد ؟
أتصبر أيضا ؟ أم تتصبر ؟ ؟
أو تسمع ؟
ـ يا مولاى لقد عددنا كل شىء ٠
ـ وهم ؟
ـ ضجرون بما صاروا فيه ٠
ـ كيف ؟
ـ بحكم التاريخ .
ـ وهل التاريخ يحارب ؟
ـ والتاريخ لن يتركهم يستشرون ٠
ـ بالكلمات ؟ بصفحات التاريخ ؟
ـ بحضارة هذا الوادى ٠

ـ وسمح التاريخ لهم بسنين قد طالت .
ـ طالت .. لكن ستزول .
ـ متى ؟
ـ كثافة سكان الوادى تمتصهم .
ـ ولم تمتصهم بعد ؟
ـ بالصبر وطول البال تمتصهم .
ـ لكن وجودهم يضنى !
ـ أعلم يا مولاى . سنؤدبهم . صدقنى سنؤدبهم .
ـ بالنية ؟
ـ قلت لمولاى بالتاريخ . بأصالتنا .
ـ وجنودك ؟
ـ بواسل ؟
ـ وسلاحهم ؟
ـ مشحون ينتظر الامر .
ـ ومن يعطى الامر ؟
ـ مولا ى ..
فأن اعطيته ؟
ـ أيدناهم .
ـ فان عادوا فانتصروا ؟
ـ هذا أمر فوق التصديق .
ـ لكن محتمل .
ـ فى الحرب قد يحدث مالا نتوقع !
ـ مقامرة بالناس اذن ؟
ـ الناس شركاء فيم ؟
ـ فى الحرب .
ـ وفى الموت ، وفى الفقر ، وفى الفاقة ؟ !
ـ فان انتصروا .
ـ تحتكرون النصر لانفسكم !
ـ مولاى قليل الثقة بنا .
ـ المسألة امتدت ، وأخشى أن ينفجر الناس .
ـ ولماذا ينفجروا ؟
ـ بلادهم يا هذا !! ألا ينفجر الناس ، خزيا من هذا الموقف ؟
ـ فاذا كنا نتأهب ؟
ـ نتأهب .. نتدرب .. هذا شأنك . الناس يريدون جلاء الغازى .
ـ بحساب أم بالفوضى ؟
ـ طبعا بحساب ..
ـ ينتظرون اذن .
ـ الى حد موقوت .
ـ أوشكنا يا مولاى ننقض عليهم .
ـ وماذا تنتظرون ؟
ـ نتسلح قبل الحرب .
ـ وحتى تتسلح أنت ، فعلى الناس الصبر !!
ـ ألا يقنع أهل الوادى بضعف الغزو وخوفه ؟
ـ ثم .. تحدث .
ـ ونزاع بين القادة ، قد فتت صفهم ؟
ـ وستقول الجوع كذلك يهددهم !

٦

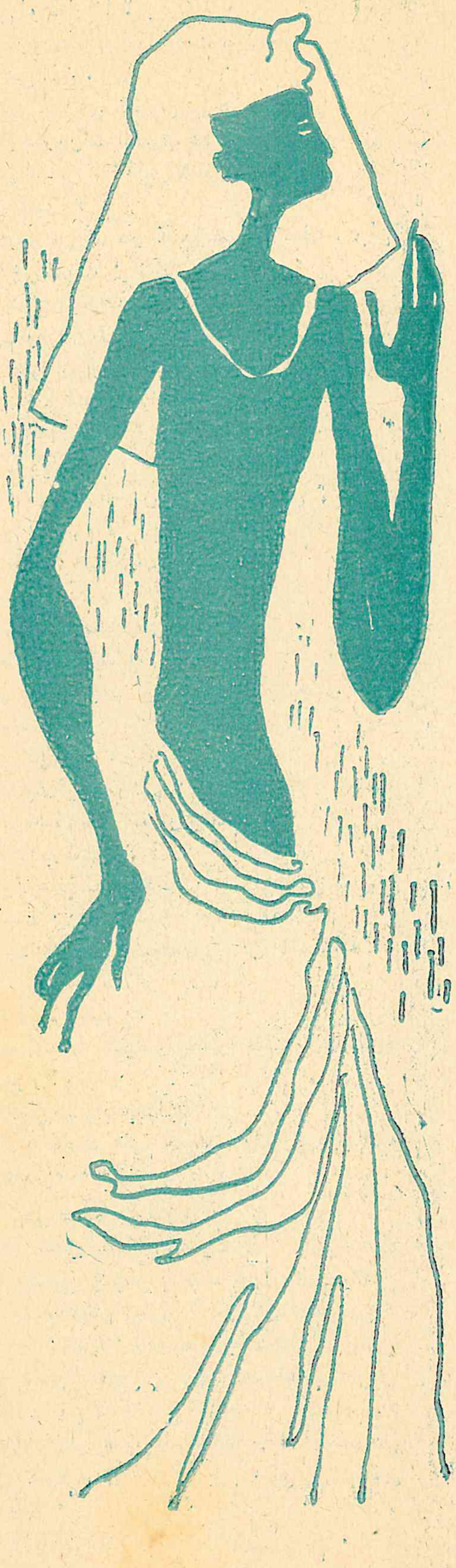

– أعجب هذا ؟ نعم يا مولاى الجوع قد أخذ يهددهم ·

– ولم تنس ظروفا اخرى ؟

– واليأس ، وادراكهم ان مصيرهم معروف، وفساد ناظمهم ، وسوقيتهم ، وضيق الناس بهم ·

– اذن فانقضوا ·

– يا مولاى ·· امرك واجب ·

– حكمة مولاى ورؤيته تحتم ان نتمهل

– لا أعرف ·· أنا لا أعرف ·

ولم تقبل يا يوسف أن تسكت ·

ان نفاق الكاهن شيء ، وملق الحكام شيء آخر ، لكن الغزو فشيء لا تقبل أن تسكت عنه ·

ونطقت كلاما عجبا ، أذهل مولاك، وأسكت قائدك المفتون بنفسه !!

ونسيت الصبر ، ونسيت الحكمة ، ونسيت انك لاجيء فى قصر التيه ، مصيرك مجهول يا يوسف ·

أو تذكر ماذا قلت ؟

– مولاى خذ الحكمة من أفواه رعيتك المقهورين ·

– وماذا هي يا يوسف ؟

– يتغنون بأوروريس فى الطرقات، وفى الحارات ، وتحت الضوء الخافت ، وبعيدا عن أسماع المسئولين ·

– وماذا عن أوروريس ؟

– هو منقذ هذا الموقف ·

– أوزوريس ؟

– نعم يا مولاى أوزوريس ·

– لكن أين هو ؟

– الناس يقولون أن عظامه ستكسى يوما باللحم ، وسيعود اليه النبض ، ليحرمهم مما هم فيه ·

– وهو ميت !!

– نعم يا مولاى وهو ميت ·

– هذا أعجب ما أسمع ·

– لان الاحياء ، فقدوا ثقة الناس ، فلجأوا للميت ·

– وهل يتحرك جدث الميت ؟

– يتحرك امل الناس ، ان لم يتحرك واقعهم ·

– خيال اليائس يشفيه من الواقع ·

– ويظل خيالا ·

– حتى يتحقق ·

– بالميت ؟

– أو بالحى ، القادر أن يتقمص ما فى الميت من سر ·

– ونحن الاحياء ·

– بعيدا عن ثقة المغلوبين يامولاى ·

□ ٢١٧ □

ـ حتى لو حاربنا ؟
ـ الحرب عند الناس ليست صنعة .
ـ ما هى اذن ؟
ـ تعبير عما فى الانفس من عزة .
ـ لكن ضرورات الحرب عديدة .
ـ ليكن الناس . الناس لا تتحرى .
ـ فان غلبوا ؟
ـ يكفيهم أن يصدر تعبيرهم كالزحف ، وأن يتساووا فى الموت .
ـ ويخرج اجلاف رحل ؟
ـ يوم يكون الاجماع منعقدا ، يطلب حرية وطن ، فعلى الغازى أن يرحل .
ـ والاجماع منعقد يا يوسف .
ـ لكن ينقصه اصرار فوق الموت .
ـ وهذا كيف يتم ؟
ـ أن يشعر كل الناس بولائهم للارض .
ـ وهى أرضهم ؟
ـ أرضهم وهى تنهب يا مولاى ؟
ـ تنهب ؟
ـ نعم تحت بصائرهم تنهب !
ـ ولماذا الصمت ؟
ـ من يتكلم يجلد أو يحبس ! أو يغتال ، أو تنزع أرضه !
ـ ومن ذا يفعل ؟
ـ حكامك يا مولا ى . وزراؤ ك . سلطات متفرقة ترصد همس الناس وتتعقبهم .
ـ ولماذا يرضون ؟
ـ نزولا على ما هو قائم .
ـ ولهذا .. ؟
ـ لهذا صاروا يعتبرون أن المسألة لا تعنيهم .
ـ وطنهم لا يعنيهم ؟
ـ حين تصير الاوطان حكرا للقلة ، فالكثرة تدع الامر ولا تعبأ .
ـ هذا شىء لا يقبله حاكم .
ـ لان الصمت يخيم حوله ، وتقارير رجاله مطمئنة للغاية .
ـ انى فى حيرة من أمرى ..
ـ **فك عقال الناس يامولاى . اترك كل الالسنة تصيح وتجار بالسدوى . اضىء النور لتظهر كل خفافيش الليل . امن كل المسويين . دع كل لسان حرا . اقتل خوف الانفس . حارب حكامك ليفكوا القيد . مكن أصحاب الراى لينيروا لك سبلك . دع الشعراء والحكماء وفلاسفة العصر يلقون الكلمات ، بلا خوف من حاكم او خوف من قطع الرزق ، او ارعب من سجن مظلم .**
ـ فاذا ذهبوا الى أبعد مما أرسمه لهم .
ـ وماذا تخشى ؟
ـ الحرية أحيانا سيف ذو حدين .
ـ هذا ما قالوه لمولاى .
ـ والواقع ؟
ـ ان الحرية لا تعدى اكثر من معناها .
ـ وقد تنحرف هى الاخرى .
ـ الحرية اذا انحرفت أسلم من ذل الانفس .
ـ وفى وسط مخاطرنا هذه ؟
ـ ليست للحرية اوقات تترك فيها ، واوقات اخرى تحجبها .
ـ فاذا برر بعض الاحرار غزو الارض ؟
ـ لا يمكن للاحرار ان ينقلبوا خونة .
ـ فاذا قامت فتنة ؟
ـ الفتنة أصلا خوف أو ظلم او استبداد او فرض ارادة نفر ، فوق كيان الامة .
ـ فان فرقت الحرية شعبى ؟
ـ قد يتفرق فى الرأ ى ، لكن التصويب سيوجه نحو الغازى .
ـ وتظن ! ماذا أقول ؟
ـ **يا مولا ى! ان الخائف ترتجف أصابعه بسهامه ! يا مولاى ! ان المضطر الى الحرب . ينتهز الفرصة ليهرب ! يا مولاى ! شعبك لن يقبل ان يدفن ، لتخلو الساحة للحكام ! يا مولاى ! صدقنى !**
ـ فان اطلقت عنان القول ، ينتصروا ؟
ـ دعهم يتولون امورهم . ان الحرية تفقد قيمتها ، بشرط يوضع .
ـ وكيف يكون ضمان النصر ؟
ـ هم صناع النصر ، مدعوهم السادة يختلفون او يتفقون ، هم أصحاب الارض .
ـ واتفرج ؟
ـ تشارك معهم فى الرآى ولك التوجيه .
ـ فان رفضوا التوجيه ؟
ـ تصدع لارادتهم .
ـ وجلال الملك ؟
ـ ان الملك هو حرية ارضك ، وحرية اهلك .
ـ لكنى فرعون . انا فرعون اله الارض .
ـ وترضى ان تملك ارضا محتلة ؟ ترضى ان يصبح شعبك ، أسير الذل ؟ اترضى هذا يا مولاى ؟
ـ لا .. لكنى لا أرضى أن أنزل عن ملكى .
ـ يوم تعود الحرية للناس ، سيحموا عرشك .
ـ ومن ادرانى ؟
ـ وما مصلحة الناس فى خلعك ؟
ـ انك يا يوسف تؤرقنى .
ـ معاذ الله ، ما هذا قصدى .
ـ لقد غيرت مفاهيمى .
ـ شعبك يا مولاى محتاج لك ، لتعطيه من الحرية قدرا أكبر

البقيه العدد القادم

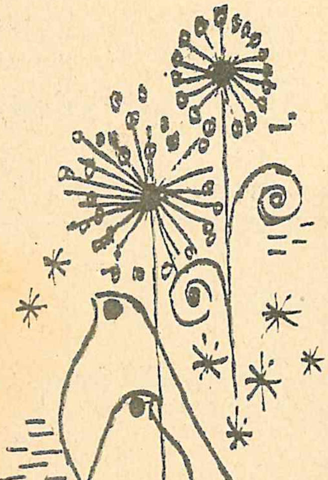

الشعر

خواطر

الشاعر عزيز أباظة

الاثم الاول

راقب اللــــه واخش أول أثـم
وتشـــدد فى ردعـــه وتــوقَ
أول الاثـم يمهـد النفس للاثـم
فتعتـــاده فتشــقى وتشــقى
واذا الصـــون والتـــأثم زالا
ســاورت النفس بين مهـوى ومـرقى

« ليت » و « لـو »

اذا لم تنـل أمـرا جهـدت لـدركه
مجـدا . فلا تـنـدم عليـه ولا تأس
ولا تلـغ فى « لــو » و « ليت » فانما
همـا مصـدرا الهم الذى يصهر النفسا

« من وضاعة النفوس »

الحـق ان لـم تحمـه قـوة
او ســلطة فالحــق مهضــوم
والنفس لا تزهـــد فى باطــل
صــالت بــه الصــيد المقاديم
والنـــاس للنفـــع تخــوض الخنى
يــا ويحهم والــرزق مقســوم

اليتيـم والمحـروم

اقرب الدور موضـعا لحواشى العرش دار قـد عز فيها يتيم
او تهادى بهـا على رفرف الفضـل غريب او بائس محروم
انما اليتم والخصاصة ذل من يزله فهـو الســعيد الكريم
يشكر الله سعيه ويرد الســوء عنه وهو الشـكور الرحيم

الـدال على الخير كفـاعله

ان عـزك الخـير تسـديه فـدل فتى
يـبذله من بـره او فـيض نائـله
وبت قـريرا بفضـل قـد دفعت لـه
فملهـم الخيـر مأجـور كفـاعله

السائل المضطر عن فاقة
جلت فمست قوت صبيانه
أعذره فالدافع اقوى يدا
من عزة الصون وسلطانه
وارفده لا تتركه يجمع الى
اذلاله صدمة حرمانه

— لاتردوا السائل —

خذ الدنيا كما تعطيك
من عدل ومن عسف
وعش عمرك لا تحفل
بما يبدى وما يخفى
فلن تدفع مقدورا
ولن تنجو من حتف
فان اثريت فاستمتع
من السعد بما يضفى
وان ضاقت بك الحال
فان الله ذو لطف
فخير الدور ما تأوى
وخير الرزق ما يكفى

— خير الرزق ما يكفى —

من لج فى اللغو بدت مقاتله
ورب قول سيىء منه قائله
فاسكت اذا عولج ما جهلته
الصمت حكم وقليل فاعله

الصمت حكمة

لا تسأل الناس تعيش مكرما
قوتك ان تسأله تغصص به
فاعمل تصب رزقا ولو ضيقا
وخير رزق المرء من كسبه

اكرم الرزق ما كسبه عملك

إن من الشعر لحكمة

فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب

عود نسائك ما جمت عوائده
وأله قلبك عما عنه ألهاكا
وانصب الجسم فيما قد نصبت له
ولا يكن لقبيح القول اصفاكا
ولا تمد لغير الخير منك يد
ولا تسر لمعاصى الله رجلاكا
ولا تمد الى الدنيا وزخرفها
عينا اذا رمت من مولاك قرباكا
وشمر الذيل ، أحى الليل مرتقبا
من فيضه النيل ، واشكر فضل مولاكا
وادرس به محكم التنزيل وادع تجب
وأكثر الجود ان الجود محياكا
واجعل مقرك مأوى الظاعنين تجد
اذا تغربت ما يأون مأواكا
وحيثما كان رب الناس منك تكن
لديه فاحرص ففى اعلاه اعلاكا
واجزم ونفذ بعزم ما حزمت ودع
لعادم الريب ما قد راب سوداكا
ولا ينجيك الا ما تقدمه
من الجميل فدع ما فيه مرداكا
وألزم النفس تقوى الله مجتهدا
فخير أمرك لو فكرت تقواكا
رزق بلا سبب يسر بلا تعب
فوز الحياتين يا من نلت بشراكا
طريق الله بينة ولكن
الى توفيقه افتقر السلوك

• • •

لا تنطقن مدى حياتك فى امرىء
وكذاك لا تسمع حياتك فيه
واجز المجامل بالجميل ، وذا الاذى
لا تجزه فصنيعه يكفيه
لا تعاشر سوى المهذب واعلم
ان طبع العشير يسرى اليكا
واذا سترت على الظلوم بظلمه
أغريته فغدوت فيه شريكه
لا تبغين من الانام ثناءهم
الا اذا اطلعوا على جدواكا
اذ ذاك تحمد أو تذم ، وانما
خط السبيل لهم بذا مأتاكا
واكتم لدائك راجيا منه له
كشفا وحاذر للورى شكواكا
واصبر على مر الدواء ولن ترى
ان زال عنك الصبر حلو شفاكا

• • •

يا صاح تب مما جنيت وقدمن
زاد التقى ، وانفض غبار كراكا
ان الصوى لله جد مضيئة
بالله لا تطمس ضياء صواكا
شمر اليه ، وخل نفسك مقبلا
واطرح لما يرضاه أمر هواكا

لمحات من حياة الرسول الأعظم

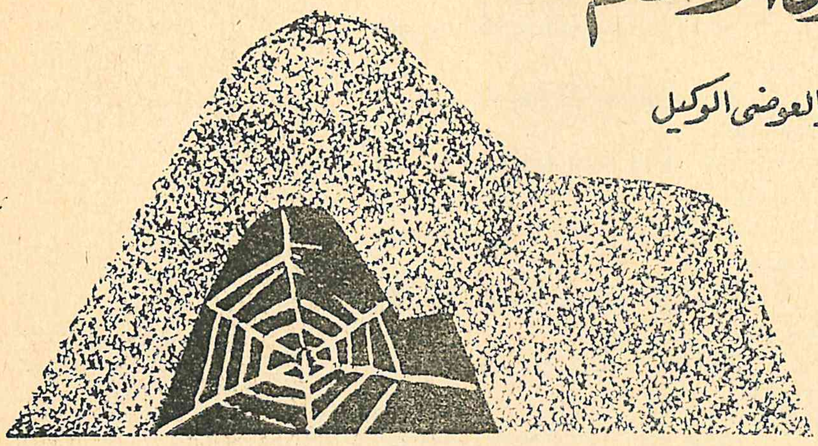

الشاعر العوضى الوكيل

١ النبى فى الغار

تأمل فالكون من حوله
أغن السكون اذا ما سجا
وأغضي فحمحم فى صدره
خفوق يناجى اله الورى
بدا من وراء طباق الدجى
ودل عليه ضياء الضحى
وراء الحياة بأدنى الوهاد
وراء الحياة بأعلى الذرى
فقال لأحلامه الساريات :
هو الله فى كل شيء بدا
تجلى وما حجبته الستور
ولم يبده للعيون السنى !

● ● ●

رأى النجم فى جنح ليل سرى
رأى البدر يطوى ظلام الدجى
رأى الشمس تبعث من موتها الـ
ـحياة .. وتغمرها بالرضا
وطافت به نسمات الصباح
ومرت به خطرات الضحى
وراء الطبيعة من حوله
تجلى البهاء بها والروا
يلم بها قلبه خاشعا
نقى المشاعر جم الهوى
فيا حالما وهو فى يقظة
ويا ناظرا وهو رهن الكرى
تلاقى بنفسك صدق العيان
اذا ما رنوت وصدق الرؤى !

٢ – النبى فى تجارة خديجة

قد رأتـه بطرفهـا النقـــاد
لا أمينـا كمثـله فى البـــلاد
قيما يصـحب التجـارة فى المرو
ح .. ويأتى والركب بالربح غــاد
ينظـر النظرة الطهـور فيبـدو
– وهو فرد – جيشـا من الافراد
حـازم ناشـط العزيمـة جلد
وقـوى كالرمح يـوم الطــراد
جـامع فى برديه أعظم ما فى الـ
نـاس .. من طيبة وطهر فـؤاد
فاستشـارت وجدانها فيه كيمـا
يصحب الركب فى الأقاصى البعاد
واستشـارت أعمـاقها ثم نـا
دته .. فما حـاد عن نداء المنادى
يا ذرا المجـد من قريش ويا من
لقصى من أكــرم الاحفـاد
ان تـكن هـذه التجـارة ترضى
فتسـلم منهـا زمـام القيــاد
ثم قالت فى نفسـها : خار لى الله
فكان المختـار خير العبـــاد
فى يديه زمـام ركبى الى الشـا
م .. وفيها غـدا زمام قيـادى

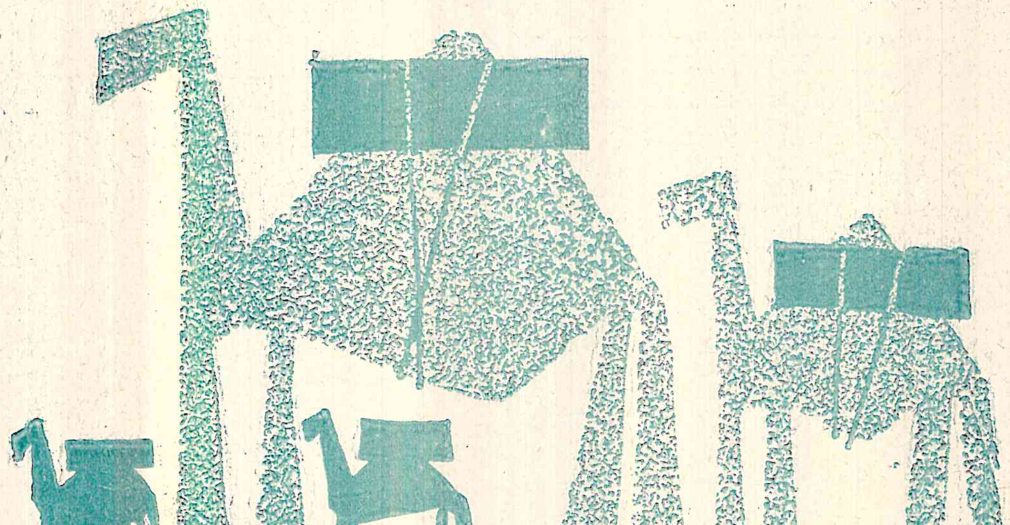

لبيك

الشاعر
محمد العفيفي

لبيك يا ربنا لبيك أدمعنا
بالنور تغمر كثبانا ووديانا
طارت بنا من حروف الحمد أجنحة
تدور حول دموع الشوق شطآنا
وكل كف مداد الطل عانقها
تخط فى صفحات الأفق قرآنا

• • •

الله أكبر حول البيت كل فم
فجر يعانق بالألحان ألحانا
وفى الفضاء قلوب حلقت وعلى
ماء البحار سفين شع ايمانا
تضىء جوف الدجى بالذكر أدمعنا
فيستهل الضحى روحا وريحانا
ونخلع الذنب أثوابا ممزقة
وللرقاع رقاع من خطايانا
فيسدل العفو سترا أنت سادله
وكم سترت بضوء الفجر عريانا

• • •

ويا رسول الهدى جئناك أعيننا
آفاق طير سجين اللحن مذكانا
وفى دياجيه فجر أنت مشرقه
وفى ضحاه يمد الليل أرسانا
فافسح بقمتك الشماء نافذة
نرى خلال ضحاها أين مسرانا
أذكر لنا كيف يغدو الحق صاعقة
وكيف ينفجر الايمان طوفانا

• • •

الكفر كان قديما تحت وطأتنا
كم زلزلت منه أساسا وأركانا
ففيم داست ربوع القدس ماشية
من اليهود ملأن الأرض أضغانا
قد أفسدوا الأرض حتى لا صلاح لها
الا اذا أذعنت للحق اذعانا
فالزيف والختل فيها رأس ناطحة
أظلافها انتثرت فى الريح أوثانا
وللأضاليل فى الآفاق عربدة
تجرى فترشقها صما وعميانا

• • •

بتنا نفتش عنا أينما انطلقت
أبصارنا فنرد الطرف حيرانا
وجوهنا فى المرايا وهى غارقة
قد اختفت ما الذى تحوى مرايانا
وللشموع أضاحيها وان نسجت
بالدمع من ليلها المسود أكفانا
وللدموع لياليها وان نثرت
طلا على فنن فى الفجر فازدانا
فيا رسول الهدى أدرك مناهلنا
فكلنا لسناها بات ظمآنا
ويا رسول الهدى أدرك مواقعنا
ولو غدونا لنار الثار بركانا

دعاء الكون

الشاعر أحمد عثمان المراغي

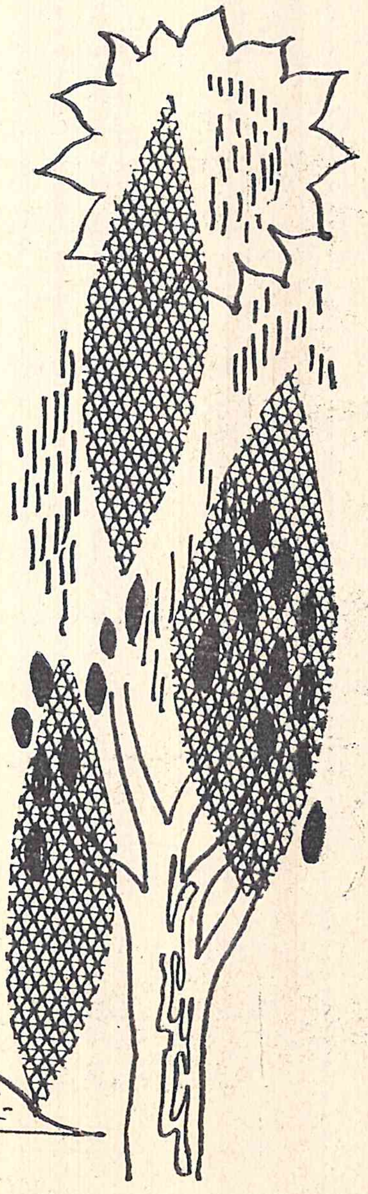

[٦]

« السماء »

كل ما فى الكون يدعو باسمك اللهم وحدك
فى قعود أو قيام كلنا ... نذكر فضلك
قلت لى يا رب كونى ظل خلقى يا سماء
فاستمعت .. واستجبت .. وامتثلت للدعاء

[٧]

« الشروق »

انى أطل على الورى فكأننى
ألقى عليه تحية وسلاما
وأبثه الاشواق حين أجيئه
بالنور يوقظ ضوءه الاناما
وترى الشروق على البرية ماثلا
ومعانقا كل الورى بساما
سبحان من خلق الورى سبحانه
جل الاله مكانة ومقاما

[٨]

« الأشجار »

الحسن يبدو فى الشجر
ويلوح فى أحلى صور
فأشد الناظرين
الى من كل البشر
أنا زينة الدنيا فكم
أعطيت للدنيا ثمر
سبحان ربى خالقى
فأنا خلقت كما أمر

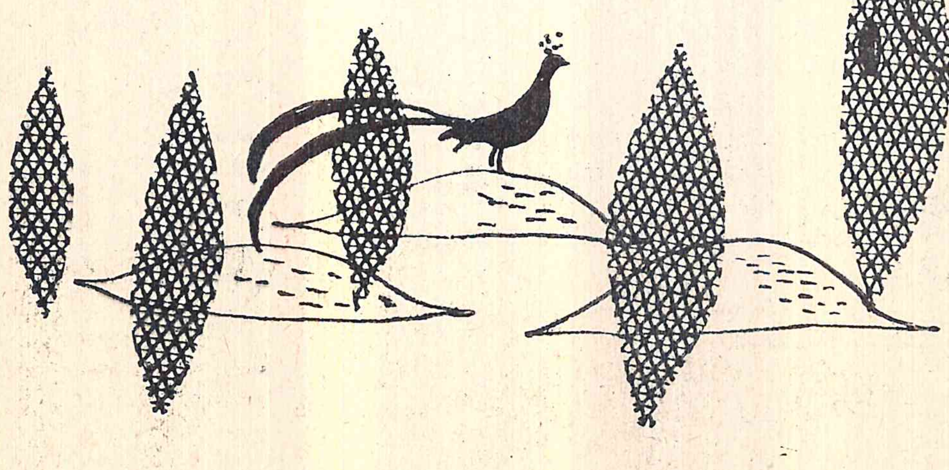

[٩]

« الانعام »

انى أقدم للعباد منافعا
وفوائدا فى سائر الأوقات
اعطيهم لبنا مصفى سائغا
وكذاك لحما طيب اللذات
واقوم يا ربى بنقل متاعهم
وأنا مسخرة طوال حياتى
يا رب انى باسم ربى خالقى
سبحت مثل الأرض والسموات

[١٠]

« الصحراء »

انى أنا الصحراء من صنع القدر
فيها المصاعب والمنافع والخطر
كم ضل فى القفر العباد وغيبوا
ولكم توارى أو تردى من بشر
ولكم رأيت قوافلا متبوعة
بقوافل تمشى على كف الحذر
يا رب باسمك دائما يا خالقى
سبحت لله العظيم المقتدر

[١١]

« المطر »

الخير كل الخير لو نزل المطر
وجرى غزيرا فوق أرض وانهمر
فتراه يحيى الأرض بعد مواتها
وتراه يروى كل أنواع الثمر
يا رب انى من فيوضك مرسل
للعالمين وكل اجناس البشر
فلاسمك اللهم اذكر دائما
يا رب انى من براهين القدر

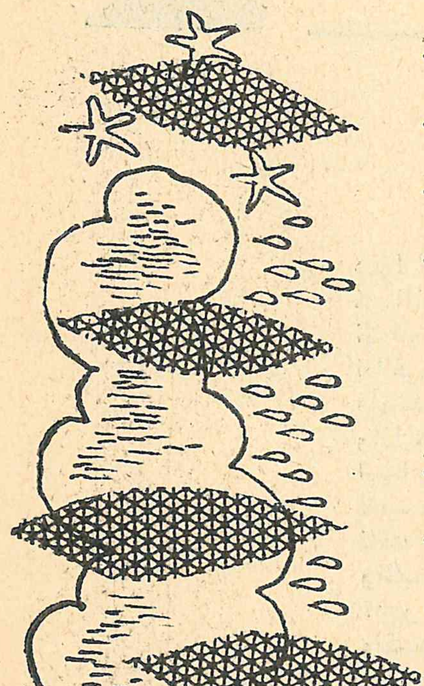
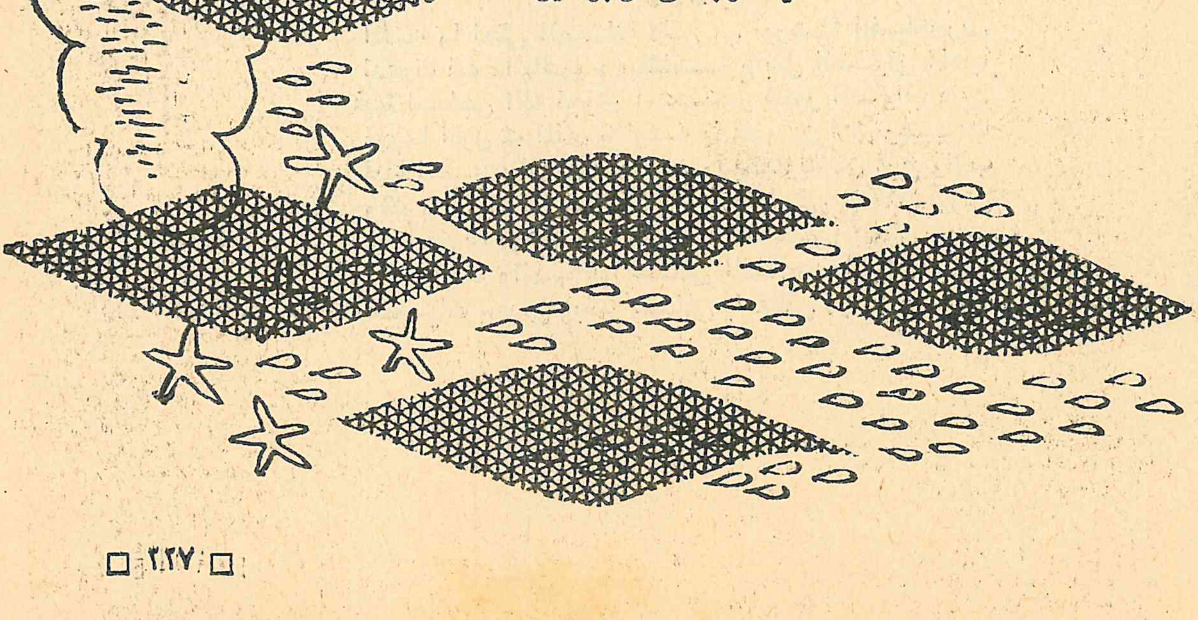

الله .. ما أحلى الصلاة

الشاعرة روحية القليني

عفوا الهى ان شكوت وعبرت بالشجو بعض دموعى
كل الشجون كتمتها عن كل من القاه بين ضلوعى
الا اليك فاشتكى واليك وحدك ذلتى وخضوعى
انا فى رعايتك الظليلة ياالله الكون كالطفل الرضيع
فامدد الى يديك يا مولاى تورق جنتى وربوعى
واذا حياتى اظلمت فانر الهى بالرضاء شموعى
أنا بعد كل فريضة ادعوك ياربى بكل خشوع
لتعيدنى من شر شيطانى وتدرأ يا كريم هلوعى
نالت عيون الناس الا مقلتان تخاصمان هجوعى
والليل يشهد كم أناجى فيه بالاى الكريم شفيعى
ادعو بكل حرارة الايمان يا ربى وخير شفيعى
وبقدرة عملاقة تمحو عذاب النفس والقلب الوجيع

●●●

الله ما احلى الصلاة لاننى فى نورها القاك ربى
ادعوك فيها بالدموع وبالخشوع بكل اشواق المحب
فيها اناجى الله نجوى المستجير ليغفر التواب ذنبى
فيها اقول له الذى اخفيته يا قلب عن اهل وصحب
فيها نسيت العالم المفتون ما يحويه من فرح وكرب
ولكم رجوت بها الاله يضيىء لى بهداه فى الظلمات دربى
ولكم ذكرت بها الرحيم وفى الصلاة يضوع ايمانى وحبى
انا لا اراك وانما فى عالمى القدس يا رباه قربى
فضياك يبهرنى ويغمر عالمى يا خالقى من كل صوب

من وحى الحرمين

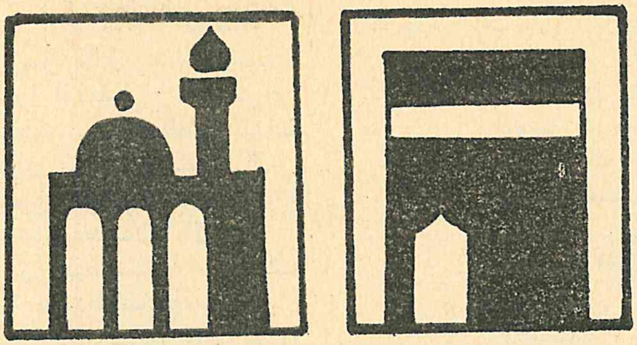

الأستاذ على الجمبلاطى

هى المنظومة الشامخة التى انبعثت بها شاعرية ؤمنة فذة لشاعرنا الموهوب [محمد مصطفى حمام] رقد كان [حمام] آخر طبقة الشعراء المجيدين فى صره كان الشاعر الناثر الراوية الخطيب لمحدث النديم الذى فقدنا فيه جيلا كاملا من أدبائنا ذ كان صاحب مواهب متعددة حلق بها فى كل أفق لا تجد لها نظيرا فى عصرنا فهو شاعر أصيل لشاعرية عربى الصياغة رقراق النظم فى مستوى لشعراء الظرفاء من العهدين [العباسى والايوبى] هو كاتب ذو مقدرة فائقة فى الصياغة حتى ظنه لناس فى كتاباته وخطبه البليغة أنه من تلاميذ ابن العميد أو الصاحب بن عباد] وهو الراوية نقادة يروى من الشعر والنثر والنوادر والذكريات ا اختاره بنفسه الشفافة الخالصة من أجمل ماقاله لادباء القدامى والمحدثون .. فكان من ظرفاء الطراز تقليدى الذى قرأنا عنه فى كتب الادب مثل [خلف حمر وحماد الراوية] وكما كان شاعر العربية بين كان شاعر العامية الرقيق ينظم الازجال هادفة الرفيعة ليسهم بها بما يجيد من التقليد مما يحسنه أبرع الممثلين اذ كان القاؤه نوعا من الخلق فنى وكان يرتل القرآن الكريم بصوت عميق وتجويد قن وكان وهو الظروب اللطيف الاذن ينظم الشعر لدا شعراء الجاهلية والاسلام تقليدا متقنا وينسبه م ليغرى الناس بالاستماع اليه فى منادمته فهو ديم الشهى الحديث وهو بقايا عصر حانت نهايته هو عصر الظرفاء] بل طويت بموته آخر صفحات رواة والندماء اذ كان حجة الادب العربى والشعبى ى يملا الاسماع فى كل مواطن العروبة ولعله صحفى الواحد الذى عمل فى صحف كثيرة كان بها من الالف الى الياء بتنويع لطيف وأفانين بعة وفكاهات عذاب كما كان يكتب لبعض زعماء سياسة خطبهم فيهزون ببلاغتها المنابر وهو بعد ذلك كله فيلسوف استطاع أن يسعد بشقاء حياته التى قضاها فى الكفاح جواب آفاق فاذا عبست له تبسم لها أو سخر منها وقد ظلمت الدنيا مواهبه فصبر عليها فى ابتسامته العميقة العريضة كان يرحمه الله بشاشة دهر محاها الزمن كما كان حلما تطاير عنه الوسن .

ولا أحسبنى أترجم لشاعرنا السامق بهذه الكلمات التى نسجلها هنا كما يستأهل فى دنيا الادب . وانما هى مقدمة لدراسة مطولته العصماء [من وحى الحرمين] وقد مر شاعرنا بمراحل انعكست آثارها فى شعره وله عدة دواوين كلها تحت الطبع أما مقاماته [الجدية والهزلية] وهى من الطراز العالى فانها تذكرنا [بمقامات الحريرى وبديع الزمان] هذا الى نثار ضخم يكون تراثا أدبيا خالدا وقد وصفه الشاعر الاسلامى [محمد الاسمر] فى قصيدة طويلة توجه بها الى أبى الشعراء [دسوقى أباظة] فأجاد الوصف حين قال عن شاعرنا [حمام] :

[وحمام] عنده ما ليس عندى
من أفانين رقة الظرفاء
عبقرى التلقيد للناس فى القو
ل .. وفى صمتهم وفى الايحاء
فهو نعم السجل للادباء
وهو نعم السجل للزعماء
هو [فيلم] لهم [وفيلم] سواهم
من رجال الغناء والقراء
فتراهم فى لفظه وتراهم
منه فى صوته وفى السيماء
شاعر ناثر لطيف ظريف
فهو عندى ريحانة الجلساء

وقد كان كما أسلفنا شاعرا عربيا مبينا لا يكتفى

في وصف شعره بأنه رصين بل انه رخيم ولقد نظمه في سن مبكرة من عمره . وهو يؤمن برسالة الشعر الى أبعد مدى ويقدر دور الشعراء أو يضعهم في صفوف الدعاة الهداة أصحاب الرسالات المقدسة قال في مستهل قصيدته التي نظمها بعنوان [جيش الشعر في معركة فلسطين] وفيها يقول :

نحن جيش من الدعاة الهداة
خلف جيش من الحماة الكماة
لا تقولوا دعوا الخطابة والشعر
وخلوا المجال للطعنات
اى سار سرى بغير دليل
اى ركب مشى بغير حداة ؟
اى سيف لم يلتمس نجدة الاقلا
م .. والالسن الفصاح الثقات
سخر الله للديانات جندا
وجلاها بمحكم الايات

وهو ينظم الشعر جادا وينظمه متفكها بل انه كان يسمح لشعره الضاحك أن يطغى على الناحية الجادة فكان يهون بشعره هذا لفح الحياة حين يهز القلوب ويطرب المسامع . وهو كما قدمنا يقلد أساليب الشعراء في اتقان لا مثيل له حتى يظن من قرأ القصيدة المنحولة أنها لصاحبها وحتى يفم ذلك على الشعراء المقلدين أنفسهم كما حدث له مع الشعراء [الهراوى وشوقي والجارم ومحمود اسماعيل] ولولا ضيق المجال لقدمت نماذج لكل ذلك . وقد كان يؤمن بالشعر الاصيل الذى ينظم على عمود الشعر ويطلق على الشعر الحديث : الهذيان أو الشعر المشوه أو الشعر المتحلل وله في ذلك مقطعات ساخرة كثيرة . وهو من شعراء الوطنية المحلقين وله في الاجتماعيات والقوميات ذخيرة غنية لا يتسع لها المقام فلنستمع اليه في قصيدته [علمتني الحياة] :

قال صحبي نراك تشكو جروحا
أين لحن الرضا رخيما جميلا
قلت اما جراح نفسي فقد
عوذتها ببلسم الرضا لتزولا
غير ان السكون عن جرح قومي
ليس الا التعامي المرذولا
كيف أرضى لامة أنبتتني
خلقا شائها وعزما كليلا
أنا أبغي لها الكرامة والمجد
وسيفا على العدا مسلولا
علمتني الحياة أني ان عشت
لنفسي أعش حقيرا هزيلا

وشاعرنا في ختام المطاف مؤمن غاية الايمان من أسرة تنتسب الى خير الخلق عليه الصلاة والسلام ولذا نسمع منه :

لي والدان بحب الله قد ملئا
وللبشير نبي الرحمة انتسبا

وقد عاش خاتمة حياته يرفل في حلل الطاع
ويتأوب الى ربه في خشوع وضراعة فتقرأ في تر
الروحي الضخم اشعاعة الروح القوية واشراق
النفس المؤمنة وانعكاس الفيض الالهي وها هو
ينظم في احدى فرائده الدينية [تحيرت في الك
ثم اهتديت] أمشاجا من حالته النفسية وخطر
ضميره ووجدانه فتسمعها الحانا ومواجد منها :

تباركت يا أحسن الخالقين
ومن لا ملاذ لحي س
دعوتك مستغفرا تائبا
ولن يخذل الله عبدا دع
ومن يتخوف عقاب السما
فحبل التخوف حبل النج
ومن يتق الله يجعل له
مخارج من كل كرب ده
ويرزقه من حيث لا يحتسب
وليس يخيب سعيا س

وهذه قصيدته الشماء موضوع مقالنا [من و
الحرمين] التي نظمها بالمدينة المنورة بعد حج
الله الحرام وزيارة المقام الطاهر للنبي عليه الص
والسلام يدبجها في نشوة روحية عميقة فتحلق
بموسيقى الحب الرباني وسط هذا الاشراق النفس
مضمخة بشذى العرف من أشرف الخلق عليه الس
— وقد أودعها انطباعاته وانفعالاته وهو في م
الحجيج وجيش الضياء يتحرك صوب مكة ال
في وله وحنين ، نظمها وهو يمضي حيث مشى
الامين وآله الاكرمين .

نستمع اليه يصف سعادته بحجة مشارق ال
ومطاف الملائكة فينفض عنه غشاوة التراب وي
من شوائب المادة ويتصل بالملا الاعلى وقد اس
الى روح حساسة مسبحة عابدة فيقول :

ومشيت حيث مشى النبي
آنست نور الله جل جلا
وبلغت أحسن ما تمنى مس
وأعز ما يسمو اليه خ
مكنت من خطى فليس بشاغ
ادباره عني ولا اقب
من يختتم سفر الحياة برجع
لله طاب ختامه
فضل من الرحمن كرمني
وهو الذى لم تجفني أفض

وهذه القصيدة الرائعة تعد من القمم التي
اليها شعر [حمام] وهي صدى لانفعال الو
الذاتي للشاعر تجد فيها انتفاضات روحية وفيو
صوفية حين يجد الشاعر نفسه وسط خضم
من امواج البشر في مهبط الوحي وحوله تلك ال
الاسلامية الكريمة التي جابت العالم من
الغربي الى أقصى الشرق وقد مثلوا في هدوء

شر المعمور وقد تدثر برداء الخشية يتخذ من عفو
ه شفيعا له فيما جناه — ويتوجه بجبهته صوب
سماء يشكر لله فضله اذ أصلح باله وبلغه آماله
ن وقف بساحة البيت المحرم فيقول :

يارب جاء اليك يسألك الهدى
عبد له أوزاره وضلاله
قد خال آفاق الحجاز تضيق عن
آثامه وبها تنوء جباله
عبر البحار الى حماك ودمعه
آماله أو دمعه أو جاله
وخطا بأرضك زاهلا وكأنما
طفقت تطارد خطوه أعماله
حتى اذا البيت المحرم ضمه
قرت بلابله وأصلح باله
يارب قد بلغتنى أملى ومن
آواه بيتك لم تخب آماله
أنزلت فى القلب اللهيف سكينة
لا روعه باق ولا زلزاله

عين تصاعد نداء الحجيج وتعالت الابتهالات
. هذا العجيج وكل يسبح فى سماء الرحمة
ت الحياة تلك الاصداء بذكر [محمد] خير
ى صلى الله عليه وسلم عاود الشاعر حنينه الى
فناه عنه من حلو الاذان ورائع الشعر فوقف
ها الافاق ويصيح من الاعماق حول المرقد
ر :

وصدحت فى حرم الرسول مؤذنا
والشعر طلق بالمديح عقاله
فكأننى فى مدحه [حسانه]
وكأنما أنا فى الاذان [بلاله]

قله القبس الوهاج من نور الرسول عليه
م الى أمجاد الاسلام واخلاد خلفائه الراشدين
ه الميامين الذين رفعوا راية التوحيد فى فجاج
، فأعزوا الاسلام وأذلوا الشرك وجاء نصر الله
ففاء الجميع الى ظل الفرقان وتغنى بشمائل
كر الصديق] وشدا بنهج [عمر الفاروق]
عنت له الاباطرة ثم انتقل الى التمدح بعترة
ى المختار وآله الابرار من الذين ذهبت
هم الفانية الى البقيع وبقيه أرواحهم الخالدة
رم . وقد نظم ذلك كله نفحة من نفحات
ان فقال :

ووقفت بالصديق عز مقامه
وأعز بأس المسلمين نضاله
وصفا لفخر المسلمين وداده
وزكت لدى الله العلى خلاله
وهتفت بالفاروق يامن نهجه
عدل ومنوال الهدى منواله
من علم الاقبال خشيته ومن
كسرت نصال المشركين نصاله
وذكرت عمار البقيع وكل من
وصلت بأسباب النبى حباله
ان الذين ذكرت آل [محمد]
أزواجه أبناؤه أنساله
أصهاره أصحابه أنصاره
الضاربون بسيفه ورجاله

وهنا يقف أمام هيول البشر التى تسبح بين مكة والمدينة فى موج يطوى الفلوات ليؤدوا مناسك الحج وعالم الصمت يرتعد وقد أضمر الخشوع فى هذا العالم العظيم والرءوس ضارعة والاذرع مرفوعة للسماء تبحث عن سند من ضياء — يحدثنا الشاعر عن روحه التى انصهرت فى الازل تنشد المتاب وتعبذ حجه المبرور مما يحبط قدسيته ويحرمه القبول والرحمة فى شعر تتردد تسابيحه من الملا الاعلى فتنطلق القلوب والارواح سابحة فى أجوائها هاتفة بألحانها فى صدق وعذوبة وايمان فيقول :

ما بين مكة والمدينة موسم
لله قد حفلت بنا أحفاله
على قضيت حقوقه عندى فلا
نقصت فرائضه ولا أنفاله
على قضيت حقوقه عندى فلا
المتكبر الحى الشديد محاله
وأعاذ حجى من رجيم همه
افساد ما قدمت أو ابطاله
على من الفرق السعيد ولست من
فرق شقى أحبطت أعماله

ويختتم القصيدة الطاهرة بشعر دينى فى حماسة متدفقة سلسلة نستمع منه ابتهالات علوية من شاعر يرى بيارق الوحدة الاسلامية تنكس فى بلاد الاسلام وترفع بدلا منها رايات الاعداء نسمع فيها دعوات صادقة من شاعر مؤمن بالاسلام دينا وأيديولوجية متكاملة الجوانب فاذا به يرى المسلمين عاجزين عن أن يأتلفوا فينشروا كلمة الله .. كما نرى فيها ضراعة المؤمن المدرك سوء مصير أمته وهو يدعو الله أن يهدى المسلمين الصراط المستقيم فيبددوا الظلام الذى طبق آفاق الاسلام .

وكثيرا ما ردد شاعرنا مثل هذه المعانى التى تبعث الاسى والشجن على حال المسلمين فى قصائده الدينية كقوله فى منظومته [المسلمون فى ماضيهم وحاضرهم] :

المسلمون كما أراهم قنع
ببقية بقيت من الاسلام

عهدى بروض الدين هبا مورقا
هل صار روض الدين غير حطام
لولا خواء قلوبنا من ديننا
كان العزيز الخافق الاعلام
وتمتعت أقطاره ودياره
وشعوبه بسكينة وسلام

ونعود الى خاتمة قصيدته [من وحى الحرمين] فنقدم قبل أن نوردها قصيدة مثيلتها نظمها شاعر الاسلام التركى [محمد عاكف] حين وقف يناجى ربه فى المزار الطاهر فى شعر مؤثر متدفق قوى هامس من قصيدته [من صحراء نجد الى المدينة] يقول فيها : [الهى لاجل القلوب المحترقة الخاشعة فى السجود .. لاجل انفاس هذه الحشود التى صارت صرخات .. لاجل كعبتك ولاجل كتابك السرمدى .. لاجل أمتك التى أصبح الخسران نصيبها الدائم .. لاجل سمائك .. رحمتك الملتفة بالارض الطاهرة هذه .. لاجل هؤلاء جميعا لتبتسم قليلا آفاق عالم الاسلام .. أما من نهاية لهذا القدر اللامتناهى من الالام ؟ فبينما ساد الاسلام العالم وحده ذاق ضروب الهوان عندما انقلب حاله وفقد عزمه واغترب بنوه عن أوطانهم .. أنت الذى سيعطيهم العزم لتسرى الدماء فى وجوههم الذابلة وتنفخ الروح فى صدورهم المنتحبة .. الهى .. الهى امنحه تلك الروح لينهض من عثرته وينشر فى الارض فيوضه ويرجع سيرته]

وهاهى ذى مناجاة شاعرنا الخالد الذكر [محمد مصطفى حمام] كأنها اللحن السماوى يدوى فى عزة وشموخ فيرتفع بالامة الاسلامية ويسمو بها ويبعث قواها الروحية والمادية على أشد ما تكون الحركة والدفعة :

يامن يحب التائبين دعاك من
صدق المتاب فهل يجاب سؤاله ؟
المسلمون ودينهم فى محنة
لم يخف حالهمو عليك وحاله
وأراهمو متفرقين كأنهم
جسم سوى مزقت أوصاله
وأراهمو قد مكنوا لعدوهم
فتملكت أعناقهم أغلاله
صال العدو عليهمو متجبرا
واشتد فيهم بطشه ونكاله
وأخال منهم من يخون عهوده
ومن الخيانة جاهه أو ماله
وأخال من فساقهم من غره
امهال رب العرش لا اهماله
واخال منهم من يتوب لعله
فاذا انقضت غلب المتاب ضلاله
يارب الزمنا صراطك تنصرف
عنا مآسى يومنا ووبال
يامن ينير الروح باهر نوره
ويزف الوان الجمال جما

واخيرا رحم الله أديبنا الكبير الذى عاش جوا
آفاق يرى المتعة فى الا يستقر وينفق ما يجمع ف
لحظة حتى كان حفظ المال عنده حرام والذى كا
صديقه يسكن الى قلبه وبقلبه والذى عاش سفير
للوداد والتعاطف بين أبناء مصر وأبناء العروبة جمع
وترك آثارا زاخرة لا يدركها الاحصاء ثم فقدنا
فافتقدناه . □

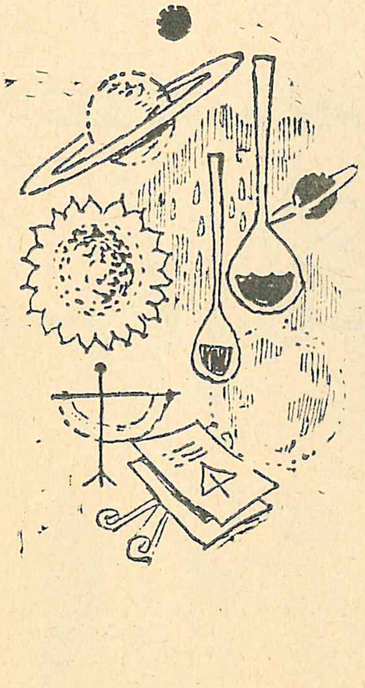

الطب فى الإسلام

الخمر بين الدين والطب

الدكتور ابتسام عبد الحليم

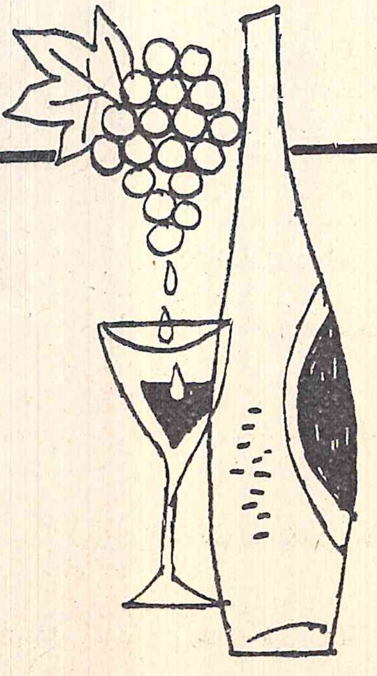

ليس عجيبا ولا غريبا أن يكون من عظمة الد
الاسلامى أن يترك للانسان حرية النظر الى ماحو
وان لا يفعل شيئا الا بعد أن يقتنع به ويؤمن بأن ا
تعالى لا ينهى عبده عن شىء الااذا كان ضارا
وبالمجتمع الذى حوله والذى هو جزء منه • هذا هو
نطرق الى مخيلتى وأنا أقرأ الاية الكريمة « ا
الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من ع
الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (المائدة)
والرجس بمعنى الخبث (الرجس بكسر الراء وض
كلها بمعنى الشىء المستقذر حسا أو معنى
(المصحف الميسر ص ١٥٥) والرجس يكون اذا
القبح منتهاه •

ووصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه
الخبائث • وقد صدرت الاية الكريمة بكلمة (انم
مبالغة وامعانا فى ذم الخمر وتشددا فى النهى
شربها •

واعتبر الله عز وجل الخمر من عمل الشي
الرجيم وحث على اجتنابه ذلك أن عمل الشي
موجبا لسخط الله تبارك وتعالى • وقد سوت
الكريمة بين الخمر والانصاب والازلام وهى من
الوثنية وهى شرك بالواحد الاحد ومن ثم هى الا
عمل من أعمال الوثنية •

ففى حديث ابى هريرة عن رسول الله صلى الله
وسلم قوله : (مدمن الخمر كعابد وثن) •

وغير خاف أن حوداث العداوة والبغضاء
يثيرها السكر وما ينشأ عن هذه الحوادث من
الدماء والنهب والسلب والفسق والفحش والف
وافشاء الاسرار والخيانة لا زالت حديث الناس فى
زمان ومكان • فقد أثبتت الحقائق والوقائع الج
أن معظم هذه الحوادث قد حدثت وأصحابها
تاثير الخمر •

وفى ذلك تفسير لقوله تعالى : « انما يريد الش
أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر وا
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منته
(المائدة) • وفى الاية الكريمة أيضا أن الخمر
عن ذكر الله وعن الصلاة وهما روح الدين و
وعتاد المؤمن وزاده

وتعتبر الخمر من الناحية الكيميائية مركبا
الكحول الايثيلى وتختلف المركبات الكحولية فى ن
الكحول فهى حوالى ٢ فى المائة فى البيرة و•
المائة فى الروم • وهذا يدعو الى التساؤل هل ا
حرام أم حلال ؟ نرجع فى ذلك الى قوله صلوات
عليه : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » •

وقال الامام أبو حنيفة : (ان الشرب الذى ي
الإسلام انما هو شرب الخمر فحسب أيا كان
الذى يشرب ولا يهم بعد ذلك معرفة مصدر الخم
المادة التى تحولت اليه) •

والكحول الايثيلى وهو أهم مادة فعالة فى
ينتج صناعيا نتيجة لتخمر السكريات أحادية ال
مثل سكر العنب (الجلوكوز) وسكر الف

الفركتوز) وينتج أيضا من السكريات ثنائية التسكر
ل سكر الشعير (المالتوز) وسكر القصب
السكروز) وهذا ما يدعو الى القول بأن الخمر هو
اعتصره الانسان من ماء العنب أو من غير العنب ٠

يقول صلوات الله وسلامه عليه : (**من الحنطة خمر
ن الشعير خمر ومن التمر خمر ومن الزبيب خمر
ن العسل خمر**) ٠

وخطب عمر بن الخطاب فقال : (**ألا أن الخمر قد
مت وهى من خمسة : من العنب والتمر والحنطة
شعير والعسل ٠ فالخمر ما خامر العقل**) ٠

**أما من ناحية علة التحريم ففى قوله الحكيم ،
سألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير
افع للناس ٠ واثمهما أكبر من نفعهما»
بقرة) ٠**

تفسير الاية الكريمة (ويسألونك يا محمد عن حكم
ر والقمار فقل ان فيهما ضرر كبير من افساد
حة واذهاب العقل والمال واثارة البغضاء
داوة بين الناس وفيها نافع كالتسلية والربح
ل ولكن ضررها أكبر من نفعها فاجتنبوها (من
**ذب فى التفسير للمجلس الاعلى للشئون
لامية**) ص ٥٠٠

**قد يتبادر للقارىء هذا السؤال : ما هو تأثير
ر على جسم الانسان ؟**

الجواب نقول ان تأثيرها أساسا على الجهاز
صبى المركزى هو مهبط اعنى
تؤثر على الجهاز العصبى المركزى من أعلى آلا
القشرة المحية ثم يؤثر على النخاع المستطيل
يحوى معظم المراكز الحيوية بالجسم فيؤدى الى
وظائفها الحيوية ٠ **والجرعة التى تؤدى** الى
الاحساس قريبة جدا من الجرعة التى تؤذيه
رعة من الكحول الايثيلى التى تؤدى الى وفاة
هى ١٥٠ سنتيمتر مكعب من الحكول النقى ٠
خذ مع الحكول بعض الادوية المنومة مثل
يتيورات تقل الجرعة التى تؤدى الى الوفاة ٠
ن الذى يتعاطى الخمر لاول مرة فان الخمر فى
بسيطة تؤثر على صحته عن المدمن ٠ وتتراوح
التى يتم فيها الوفاة بين ساعة وعشر ساعات
الى أعراض التسمم الحكولى الحاد

مهبط الجهاز العصبى المركزى من أعلى الى
٠ فعندما يصل نسبة تركيزه فى الدم الى ١٥
ة أى بنسبة ضئيلة ٠ فتتأثر أولا القشرة المخية
بالانسان الى الاحساس بالسعادة والى عدم
فى النفس ويؤدى الى **خلل فى تصرفات**
ن الشخصية وظهور بعض الميول المرضية التى

يحاول الفرد العادى اخفاءها فى حياته اليومية فيلجأ الى العنف وارتكاب الجرائم الخلقية التى يندى لها الجبين ٠

ب ـ عندما تصل نسبة تركيز الكحول فى الدم الى نسبة متوسطة فى هذه الحالة يؤثر الكحول على المراكز الحيوية السفلية ويؤدى الى عدم تناسق الجهاز العضلى الذى يكون عضلات الجسم فيمشى المتعاطى وهو يترنح فى مشيته غيرمتوازنويتلعثم فى كلامهوينطق الحروف بصعوبة ويؤثر على القدرة البصرية فتحدث زغللة فى العنين وتتراقص الاشياء امامه وتنتابهرعشة فى يديهوشفتيه كما يحدث له قىء نتيجة للاستالدهيد وهو احد نواتج اكسيد الكحول داخل جسم الانسان ٠

وهناك أيضا احساس المريض بالدفء وهذا ما يدعيه بعض ضعاف النفوس بأنهم يستعيضون به طلبا للدفء فقد وجد أن هذا الاحساس هو احساس كاذب نتيجة لاتساع الاوعية الدموية فيؤدى الى فقدان كمية كبيرة من الحرارة من جسم الانسان فتقل مقاومة الفرد ويتعرض جسمه للامراض ٠

ج ـ الغيبوبة الكحولية

وهو نتيجة للتأثير المهبط للكحول على الجهاز العصبى المركزى ٠ وتحدث الغيبوبة الكحولية عندما تصل نسبة الكحول فى الدم الى ٣ فى المائة .

ويكون المريض شاحب اللون ويغطى جسمه عرق غزير وتفوح من فمه رائحة الخمر ٠ وتقل درجة حرارته الى ما تحت العادية وتصبح دقات قلبه سريعة وضعيفة كما تقل سرعة تنفسه وتصبح ضحلة اى غير عميقة ٠

د ـ عندما تصل نسبة الكحول الى ٥ فى المائة تحدث الوفاة خلال عشر ساعات نتيجة للخلل الذى يحدث لمركز التنفس فى الجهاز العصبى المركزى ٠

وعندما نأتى الى ادمان الخمر نلاحظ التغييرات الاتية : ـ

أ ـ فقدان الشهية مصحوبا بالتهاب المعدة المزمن ٠
ب ـ التهاب الملتحمة في العين ٠
حـ ـ التهاب الغشاء المخاطى المبطن للشعب الرئوية وذلك نتيجة لنقص فيتامين أ ٠

د ـ تليف الكبد ويحدث نتيجة لنقص الفيتامينات والمكونات الاساسية فى التغذية ٠

هـ ـ كما أن نقص فيتامين ب يؤدى الى التهاب الاعصاب الطرفية ٠

و ـ تنتاب المدمن رعشة فى كلتا اليدين

والشفتين .

ز ـ يؤدى الادمان ايضا الى التهاب فى الاغشية المحيطة بالمخ .

ح ـ اما ناحية التأثير العقلى فقد وجدت هذه الاعراض : ـ

١ ـ محاولة البحث عن الخمر فى مواعيدمنتظمة

٢ ـ ينتاب المريض حالة من الهذيان عندما يمنع الخمر عنه مرة واحدة كما فى حالات الحوادث أو عندما تجرى له عمليات جراحية أو خلال فترة الحمى الحادة .

هناك ايضا الهلوسة البصرية بمعنى أن يرى الشخص اشياء ليست فى الحقيقة موجودة امامه مثل الاشباح والثعابين

٣ ـ ضعف كبير فى الذاكرة

٤ ـ ضعف كبير فى درجة الذكاء والتمييز

٥ ـ احساسه بالرغبة الجنسية وفى نفس الوقت الضعف الجنسى

٦ ـ هلوسة سمعية بأن يسمع المدمن أصواتا ليست حقيقية .

ومما سبق يتضح لنا مما لا شك فيه أن للخمر تأثيرا سيئا على كفاية الفرد ذلك أنها تقلل من انتاجه وتضعف من قدرته ورغبته فى العمل ومن ثم وجب عليه ان يتجنب الخمر وبذلك يصبح عضوا صالحا فى الجماعة يؤدى العمل الذى يمارسه أو توكل اليه بارادة قوية وفكر صاف خال من كل شائبة تشوبه .

ومع كل ذلك فان الله سبحانه وتعالى فتح باب المغفرة لمن يريد التوبة وهو التواب الرحيم . ولكل داء دواء . وقد يتطرق الى ذهن القارىء هذا التساؤل : هل للادمان علاج ؟

نعم له اذا كان المدمن صادق النية وعلاجه أسهل من علاج ادمان الافيون . ويتلخص العلاج فى النقاط الاتية : **١ ـ ان يمنع الكحول فجأةوليس تدريجيا وفى نفس الوقت تعطى مواد منومة مثل البارالدهيد اوالباربتيورات وعقاقير مهدئة مثل الارجكتيل لمنع الهذيان والرعشة .**

وتعطى مركبات فيتامين ب مثل الثيامين . ويعتنى بالمدمن من الناحية الغذائية فيجب ان يتناول وجبات تحتوى على جميع المواد الغذائية وأن يعطى له فاتح للشهية .

كما يتناول المريض عقار جديد يدعى امتوباس وهو انزيم يعطى عن طريق الفم .

ونصل الان الى نقطة التداوى بالخمر فنجد أن الاطباء بقدر الامكان يبتعدون عن وصف الادوية التى تؤدى الى الادمان .. فمن تداوى بالخمر وهو يظن نفعها فقد ارتكب معصية حتى لو أمر بها الطبيب لان الخمر فى حقيقتها داء وليست دواء . سأل طارق بن سويد رسول الله عليه السلام عن الخمر وكان يصنعها فنهاه عن صنعها فقال طارق : انما اصنعها للدواء يا رسول الله فقال عليه السلام : (ولكنه داء) وهذا القول هو الحق ويقول الرسول الامين : **(من تداوى بالخمر فلا شفاه الله)** . غير أنه اذا بلغ التداوى بالخمر حد الاضطرار اليه وتأيد ذلك بقول طبيب أمين فانه ينبغى تقدير الضرورات بقدرها غير أن الله سبحانه وتعالى أنزل الداء كما أنزل الدواء ويخشى أن تصبح الخمر مطلوبة عند المريض لذاتها لا لمجرد التداوى بها .

(ولقد قرر المؤتمر الدولى الحادى والعشرين لمكافحة المسكرات المنعقد فى هلسنكى عام ١٩٣٩ م ان الطبيب الذى يصف لمريضه شيئا من الخمر على سبيل التداوى يعتبر فى عرف هذا المؤتمر طبيبا متأخرا فى فنه بضعة عشر عاما) .

ويقول الرسول الكريم : ـ **(أتانى جبريل فقال يا محمد ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وساقيهاومسقاها)** نقل هذا الحديث عن ابن عمر .

وفى نهاية المطاف نصل الى أن الخمر تعتبر اعتداء على الدين وعلى الجماعة وخدشا للفضيلة والحياء العام . كما أنها تعتبر استهزاء بآيات الله وهذا الاستهزاء من مظاهر النفاق . وقد أوصانا الرسول الامين بقوله **(من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر)** .

نسأل الله عز وجل أن يهدينا الى سبيل الرشاد ويضىء لنا الطريق بنور الايمان .

يسر ادارة المجلة أن تعرض رسائل واستفسارات السادة قراء المجلة على الدكتورة ، كما يسرها ذكر الاجابات على صفحات المجلة ..

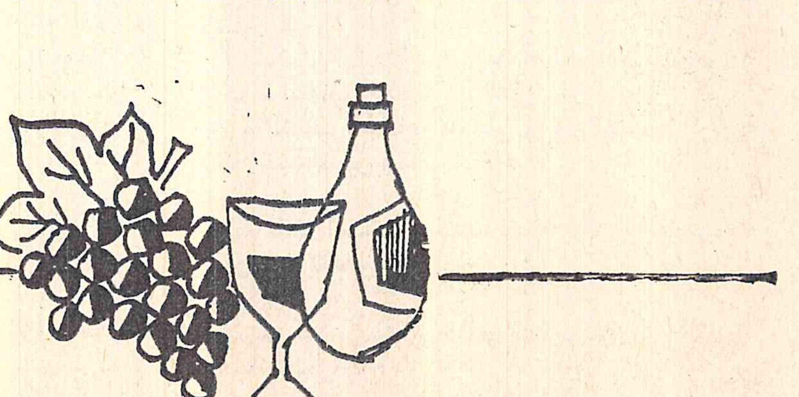

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ

الدكتور عبد العزيز شرف

الماء سبب الحياة فى الانسان والحيوان والنبات وقد قال تعالى [وجعلنا من الماء كل شىء حى] وقال كذلك [واسقيناكم ماء فراتا] . وقد سمى الله الماء مباركا فقال تعالى [ونزلنا من الماء ماء مباركا] وسماه طهورا . وكيف لايكون بركة ومنه حياة الاجسام . قال تعالى [وجعلنا من الماء كل شىء حى افلا يؤمنون]. وهو الرحمة فى قوله تعالى [فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها] وفى قوله تعالى [وينشر رحمته] وهو الرزق فى قوله [وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها] وفى قوله [وفى السماء رزقكم وماتوعدون] وهو اللباس . قال تعالى [قد انزلنا عليكم لباسا] يعنى المطر. انبتنا به النبات فاتخذ منه الناس اللباس . وهو السماء فى قوله تعالى [وفى السماء رزقكم] اراد سبحانه وتعالى المطر . وقال تعالى [انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات] . وهو الشىء . قال تعالى [وان من شىء الا يسبح بحمده] و [وان من شىء الا عندنا خزائنه] يعنى المطر. قال الواجدى : وذلك لان سبب الرزق والمعاش فلما ذكر انه يعطيهم المعاش بين ان خزائن المطر الذى هو سبب المعاش عنده. ثم قال [وما ننزله الا بقدر معلوم] يعنى ان الله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم ولا ينقصه ولايزيده ليس عام بأكثر مطر من عام غير انه يصرفه الى من يشاء حيث يشاء يمطر قوما ويحرم آخرين وربما كان فى البحر . قال ابن عباس المطر مزاجه من الجنة فاذا كثر المزاج عظمت البركة وان قل المزاج قلت البركة وان كثر المطر .

ومن احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى الماء قوله [**هى على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى**] مشيرا بذلك الى طهارة الماء ووجوب استخدامه لطهارة البدن والوضوء كما انه فيه بركة لانه من عند الله وهو لازم من لوازم الصحة والحياة. وعلى شارب الماء ان يمصه مصا والا يعبه عبا وان يشربه على دفعات والا يدفع النفس فى الاناء لئلا تنحل غازاته الرديئة فى الماء وتنتشر جراثيمه فيه . فقد نهانا الاسلام عنها شرعا كما نهى اليوم الطب الحديث عنها . ولقد جاءت احاديث شريفة كثيرة فى هذا المعنى منها : [**اذا شرب احدكم فليمص الماء مصا فانه اروى وامرأ وابرأ**] ومنها [**اذا شربه احدكم فلا يتنفس فى القدح ولكن ليبعد الاناء عن فمه**] ومنها [**لاتشربوا نفسا واحدا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث**] ومنها [**الكباد من العب**] ولا شك فان المقصود من الكباد اضطراب انبوب الهضم كله بما فيه الكبد — ومن هدى الاسلام ايضا الشرب قاعدا وفى جميع ذلك من الفوائد الصحية ما يؤيده الطب فان الشرب على دفعات وفى وضعه القعود التى تكون فيها المعدة مضغوطة بعضلات البطن ما يساعد الانسان على التوقى من الوقوع فى شرور بلع الهواء المؤدى الى ارتفاع الحاجب وضغطه اعضاء الصدر واحشاء البطن المختلفة وتوليده اضطرابات متنوعة منها تشوش نظم القلب واضطراب الهضم وغير ذلك من اعراض وامراض مزعجة . وقال عليه الصلاة والسلام [**سيد الشراب فى الدنيا والاخرة الماء**] و [**خير الماء السنم**] وكان رسول الله يكره شرب الماء الحميم اى الساخن وقال لعائشة وقد سخنت ماء فى الشمس [**لاتفعلى هذا فانه يورث البرص**] . ولاينبغى الشرب عقب الاجهاد والرياضة والخروج من الحمام واحسنه بعد ساعة يستقر بها الطعام فى البطن وقال [**اذا شرب احدكم الماء فليشرب ابرد ما يقدر عليه لانه اطفأ للمرة وانفع للغلة**] وقال [**من شرب الماء على الريق انتقصت قوته**] .

هذا هو راى الاسلام فى الماء كما جاء فى الايات البينات وفى الاحاديث الشريفة واذا تمعنا فى كنه هذه الاقوال الحكيمة من الله ورسوله لعرفنا جيدا مدى انطباق هذه الايات وتلك الاحاديث على الواقع مما اثبته الطب اليوم وفنون الزراعة والرى الحديث ومما يعزز ذلك قوله تعالى [**الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة**] وكذا [**والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها**] . وعن السماء والمطر بقوله تعالى [**فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها**] [**كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض**] وكذا [**او لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا**] .

الماء كشراب ضرورى :

من المعروف ان الانسجة الجسمانية لايمكن ان تؤدى وظائفها الا فى وجود نسبة معينة من الماء بها . كما ان الماء هو المذيب الطبيعى لكثير من المواد التى يحملها الدم لتغذية الجسم كما انه يحمل بقايا هذه الانسجة وبقاياها لطردها عن طريق اجهزة الطرد مثل الكلى . وتنتشر الماء عن طريق الاغشية المخاطية وتحفظ الكثافة النوعية للبلازما وكذا للسوائل داخل الخلايا الجسمانية . ومن هنا كان شرب الماء اساسا من اسس الصحة ووسيلة من وسائل علاج كثير من الامراض والحالات . وهذا يتضح من ان الجسم الطبيعى به حوالى ٦٥ الى ٧٠٪ من وزنه من الماء وان توزيع هذا القدر من الماء فى الجسم يعتمد على بعض الاملاح الذاتية وخصوصا املاح الصديوم والبوتاسيوم . وهناك بعض الوظائف الفسيولوجية الجسمانية تشمل استعمال الماء للقيام بواجبها . فمثلا تفرز الغدد المختلفة بالجسم حوالى ٦ الى ٩ باينت [اى حوالى ٤ — ٥ لترات] من الافرازات المائية الى الجهاز الهضمى وقد يمتص جزء منه ثانية الى الجسم وهناك مقدار من الماء يفقده الجسم يوميا يصل الى حوالى ٤ باينت [اى اكثر من ٣ لترات] وقد تزداد هذه الكمية تبعا لظروف الجو . كما ان الكلى تفرز مقدار ٤٠ — ٥٥ اوقية ماء [اى حوالى ١ — ١,٥ لتر] . والامعاء تفقد ٥ اوقيات [اى حوالى ١٥٠ سم^3] وينفد الجسم حوالى ١٠ اوقيات [حوالى ٣٠٠سم^3] على شكل بخار فى الزفير كما يفقد الجلد حوالى ٢٠ اوقية عن طريق العرق [اى حوالى ٦٠٠سم^3] وقد يزداد هذا القدر تبعا للظروف المختلفة . ومن هذا تبين ان مقدار الماء الذى يفقده الجسم طبيعيا فى اليوم وهو ٤ باينت وهذا قدر تزيد عن الذين يجب الاستعاضة عنه بشرب الماء والسوائل المختلفة .

وهناك ثلاث مصادر لمد الجسم بالماء المطلوب . فالمصدر الاول هو الاغذية الجافة وهذه غالبا ما تحتوى على نسبة ٧٠ — ٨٠٪ من الماء والاغذية الاخرى وتحتوى على ما قدره ٩٠٪ من الماء . وعن طريق خلط هذه الاغذية يمكن ان يحصل الجسم على ٢٥ اوقية من الماء يوميا [اى حوالى لتر من الماء] اما المصدر الثانى فينتج من اكسدة واحتراق المواد الكربوايدراتية والمواد الدهنية بالجسم حيث يكون الماء احد العناصر الناتجة من احتراق هذه المواد . وهذه تمد الجسم بمقدار ١٥ اوقية [اى حوالى لتر ونصف] . يوميا . والمصدر الثالث وهو ما يحصل عليه الجسم من شرب الماء والسوائل وقدره حوالى ٣٠ اوقية [اى اقل من لتر قليلا] . وهكذا يتضح انمقدار ٤٠ اوقية من السوائل هو اقل قدر يمكن ان يحصل عليه الجسم يوميا . ونظرا لان الماء بالجسم يستخدم ايضا فى تخفيف تركيز السموم والمساعدة على التخلص منها والتخلص من نفايات وبقايا الانسجة وكذا فى تنظيم درجة الحرارة الطبيعية فى الجسم فان متوسط ما يجب ان تأخذه الفرد البالغ من السوائل يجب الا يقل عن ٣ — ٤ باينت يوميا [حوالى ١٨٠٠ — ٢٤٠٠ سم^3] .

ولذلك كان الاتزان المائى فى الاجسام الطبيعية السليمة هو الحالة التى فيها يتعادل الماء الممتص من الجهاز الهضمى والماء الناتج نتيجة لتمثيل الغذاء مع الماء الذى يفقده الجسم بالتنفس والعرق والتبول والتبرز . فاذا مازاد الماء عن الاحتياجات الطبيعية فلا تحدث هناك اضطرابات فى التوازن المائى طالما كانت الكلى سليمة وتقوم بوظائفها على الوجه الاكمل لان شرب الماء غالبا يتبعه التبول بعد مدة تتراوح بين نصف ساعة وساعة ويتخلص الجسم من الزائد به بالماء بعد اربع ساعات اما اذا اخذت الماء بالفم فهذا قد يؤخر التبول بمساعدة الانسجة فى الاحتفاظ بالماء بها . وهذا يوضح السبب فى اعطاء المحاليل الملحية فى حالة الجفاف [وهى الحالة التى فيها يتخلص الجسم من جزء كبير من الماء] . اما اذا كان الماء الذى يأخذه الشخص اقل كثيرا من المفقود فان هذا يسبب اضطرابا واضحا فى توازن الماء بالجسم وما حالة الجفاف الا نتيجة لكثرة الماء المفقود من الجسم عن المأخوذ وغالبا ما يحدث الجفاف نتيجة للتقايؤ والاسهال والعرق الشديد ويتمشى مع هذا فقدان نسبة كبيرة من الملح مع الماء المفقود.

واذا ما كان الماء المفقود فى هذه الحالة يزيد نسبيا عن الاملاح المفقودة فقد يظهر على الشخص العطش . واما اذا كان الماء المفقود متسعا ولا نسبيا مع الملح المفقود فقد يحدث ضعف شديد ويمكن العطش قد يكون بسيطا .

واذا ما اعطى الماء فى هذه الحالة بدون ملح فقد يحدث تقلص فى العضلات ومن اعراض الجفاف نقص الوزن وجفاف الجلد وتجعده ، وغور العين وارتفاع فى الحرارة وزيادة نسبة النتروجين غير البروتينى فى الدم مع اضطراب فى نسبة الحموضة والقلوية بالجسم . هذا والحد من اعطاء السوائل بدون نسبة شديدة تحدث الجفاف فان ذلك يحدث قلة فى افراز البول وجفاف الفم والصداع والتهيج العصبى وقلة الافرازات الهاضمة بالقناة الهضمية مما قد يتسبب عنه التقايؤ . وقد يحدث كذلك الامساك نتيجة لقلة الافرازات المعدية . وهذه الاعراض كلها تزول اذا مازاد الماء المعطى ليقاوم حالة نقصه فى الجسم مع شرط اعطاء الملح.

واذا كان الماء هو سر الحياة فانه قد يكون مادة ضارة اذا استعمل فى غير اغراضه ، وبطرق غير مناسبة . فمن الـ

ان الماء قد يقتل اذا ما اعطى بطريقة ما وتحت ظروف معينة . فهناك فى بعض البلاد عادة قتل الخيول بقيدهم ودفعهم لشرب ما لايقل عن لتر من الماء كل ساعة . واذا ما امكن اعطاء الماء المقطر بكميات كبيرة فى الدم وبسرعة فان ذلك قد يحدث تكسيرا فى كرات الدم الحمراء . وقد يمنع دخول الصديوم الكرات الحمراء اذا ما دفع كثير من الماء الى الخلية نفسها نتيجة لزيادة الضغط الارموزى داخل الخلية . وبذلك تنتفخ الخليـــة وتتـــورم الى ان تنفجر مخرجة الهيمجلوبين الى البلازما . هذا والاكثار من المـــاء قد يؤدى الى اضطراب الهضم ومرض الاعضاء الهاضمة وذلـــك ناتج من التأثير على العصارات الهضمية وتخنيفها مما يجعلها غير قادرة على اداء وظائفها . هذا بجانب ان كثرة الماء تحدد المعدة وتسبب التكرش وتضعف الامعـــاء .

المـــاء غـــذاء ودواء :

قال الله سبحانه وتعالى ، [**وجعلنا من الماء كل شىء حى**] كما قال [**واسقيناكم ماء فراتا**] فهذه آيات بينات تشير الى ان الماء سبب الحياة للانسان والحيـــوان والنبات فهو لـــذلك عنصر ضرورى للحياة على وجه الارض وهو ركن من اركانها لازم للصحة وضرورى لتمام العافية واستعمال الماء شرط اساسى فى دوامها والمحافظة على حيوية الجسم . وتختلف تقدير حاجة الشخص من الماء باختلاف السن ونوع المعيشة ويقدر بعضهم هـــذه الحـــاجة بمقدار ٣٥ر٣سم لكل كيلوجرام من الوزن للشخص الكهل وبمقدار ٤٠ر٣سم لكل كيلوجرام من وزن الاطفال والرضع . ويسد مـــاء الاغذية ما يقرب من نصف الحاجة الى الماء وعلى هذا الاساس يلزم للكهل ان يشرب من الماء مقدار لتر او لترين يوميا على ان ينقص من ذلك ما قد يتناوله من السوائل كالاشربة المرطبـــة وغيرها . ولابد من اتباع بعض التعاليم الصحية فى تناول الماء فالاكثار من شربه ضار كالاقلال منه . وللانسان فى ذلك عادات سيئة متباينة فمنهم من يشرب الماء بقدر ما تسول له نفسه سواء كان ذلك قبل الطعام او اثناءه او بعده . ومنهم من الف الاقلال من شرب الماء ويقضى اياما عديدة ولا سيما فى الشتاء بدون ماء. وكما ان الاقلال من الماء ضار فالاسراف فى تناوله ضار ايضا . وكثرة الماء وخصوصا اثناء الطعام يؤدى الى تشـــوش الهضـــم واضطرابه وتمدد المعدة وضعف الامعاء وارتباك اعضاء الجهاز الهضمى جميعها مما يؤثر فى الجسم جميعه . وبكثرة الماء وتمدد المعدة يضطرب التنفس نتيجة لضغط المعدة على الحجاب الحـــاجز م على الرئة . وقد يرتفع ضغط الدم كذلك نتيجة لسرعة امتصاص الماء وسريانه فى الاوعية مختلطا بالدم ومزيدا حجمه مما يسبب يادة وقتية فى ضغط الدم وبتكرار ذلك قد يتأثر القلب ويضعف من الناس من الف شرب الماء البارد المثلج على الطعام الساخن هذا التباين بين برودة الماء وحرارة الاكل قد تسبب الما فى المعدة اضطرابها وتكون نتيجة ذلك اضطراب فى الدورة الدمويةوالتنفس ذلك . وهناك عادة منتشرة بين كثير من الناس هى انهم لاتقـــاء سخونة الطعام فقد اعتادوا النفخ فيه للتبريد . وهذا فيه ضرر الغ اذ قد ينقل المرض وقد نهى محمد صلى الله عليه وسلم عن تنفس فى الاناء وعن النفخ فى الطعام والشراب . ولقد اعتاد ناس كذلك صب الماء وعادة الاسراف فيه اذ قد يصل ما يشربه شخص الى خمس لترات او ست وهذا فيه ضرر محقق . وفى جـــال الاسراف فى الشراب قال تعـــالى [**وكلـــوا واشربـــوا لا تسرفوا**] وهذه الاية تنهى عن الاسراف فى الماء حتى لاتضر صـــحة .

ار الماء وأثره فى الحيـــاة :

يصعد بخار الماء تحت تأثير حرارة الشمس وأشـــعتها الى

طبقات العليا فيؤثر فى الهواء ويغير من طبيعته ثم يعود الى رض على شـــكل أمطار تنســـاب فى البحار والانهار وتروى زروعات التى هى غذاء الانسان والحيوان وتطفى ظمأ المخلوقات ذلك يكون بخار الماء كالماء مصدر الحياة ومبعث الحيوية .

ان الغلاف الهوائى مرتبط ارتباطا وطيدا بما يحمل من بخار اء لان كافة ظواهر الجو — باستثناء مواصف الرمال — انما ترتبط تماما بأبخرة المياه العالقة فى الهواء على هيئة غاز لاترآه والتى قد تصل نسبتها احيانا الى ٤ ٪ من حيث الحجم . وهناك دورة مائية ما بين البحار والمحيطات وجو الارض بمعنى ان أشعة الشمس تعمل على تبخير المياه من اسطح المحيطات وعنـــدما يحمل الهواء هذه الابخرة الى اعلى وتبرد تتحول الى نقط مـــن الماء او بلورات من الثلج أو هما معا داخل السحب ثم لا تلبث ان تنهمر هذه المكونات الى سطح الارض وتعود الى المحيط من جديد أما مباشرة أو عن طريق الانهر أو المياه الجوفية . ولاسبيل الى ايقاف هذه الدورة التى تعمل دائبة على دوام نزول المطر وعدم نفاذ ماء السماء . هذا وان صعود أبخرة المياه الى اعالى الجو انما يرجع الى أن بخار الماء اقل وزنا من الهواء الجـــاف مما يساعد على صعوده الى الطبقات التى تتكون فيها السحب . وللسحب اوزانها وتتثاقل الى الارض بمعدلات مختلفة تحت تأثير جـــذب الارض لها .

ومن العناصر الجوية التى تؤثر فى صفات الهواء الطبيعية درجة الرطوبة وهى كمية بخار الماء التى يحملها الهواء — ووجـــود بخار الماء بغير الضغط الجوى على سطح الارض ولا يخفى علينا ان اختلافات الضغط الجوى من مكان الى آخر هى التى تعطى القوة الدافعة للهواء على الحـــركة اى عنـــدما يهبط البارومتر [جهاز قياس الضغط الجوى] يكون ذلك نذيرا باقتراب العواصف كما انه عندما يرتفع يدل ذلك على تحسن الجو . وكثيرا ما يكتب على البارومترات فى السفن كلمة اضطراب عند الرقم ٥ر٢٩ بوصة وكلمة مطر عند ٢٩ بوصة وكلمة مطر غزير عند ٥ر٢٨ بوصة وكلمة عاصفة عند ٢٨ بوصة . وهذه القراءات لا تتخذ قاعدة ثابتة دائما . وقد يؤثر بخار الماء فى حرارة الجو التى يعتمد عليها الحيوان والانســـان . ويقال فى ذلك ان اصلح الاجواء ملاءمة للانسان وأكثرها موافقة له من اجل زيادة انتاجه واداء عمله ما تراوحت فيه درجة الحرارة بين ١٥ و ٢٥ درجة مئوية مع رطوبة متوسطة أو مرتفعة قليلا .

لذلك كانت درجة رطوبة الجو من العناصر الجوية الهامة التى تؤثر تأثيرا مباشرا على جسم الانسان وتزيد من شعوره بوطأة الحر . وفى هذا الصدد يلاحظ فى مصر مثلا زيادة الرطـــوبة فى نفس موسم الصيف الذى تزداد فيه درجة الحرارة وهو أيضا موسم الفيضان . وبذلك تظهر فى هذه الاونة من العام تأثير الحرارة والرطوبة معا على الاجسام بظهور الطفح الجلدى فى كثير من الافراد وغيره من أعراض الالتهابات الجلدية وقد تزداد وطأة هذا التأثير وشعور الانسان بالضيق وخصوصا فى الفترة التى تسود فيها حالات السكون أو رياح خفيفة مع جو حـــار رطب مقبض فى أواخر الصيف . والمعروف أن الانتاج البشرى فى اية بيئة مبلغ اقصى معدلاته عندما تتساوى كميات الحرارة المتولدة داخل الجسم الحى مع الحرارة التى تفقد عند ســـطحه الخارجى لطرق التبريد المختلفة ومنها العرق وتبخيره اذ أن السنتيمتر المكعب منه يستنفذ أكثر من ٦٠٠ تسعر حرارى لتبخيره فى درجات الحرارة العادية . ويزداد معدل افراز العرق بازدياد درجة حرارة الجو واثناء القيام بالمجهود العضلى . أما فى النباتات الرطبة فان رطوبة الجو تحول دون تبخر العرق ويبقى عامل التبريد معطـــلا .

واذا توفرت الحرارة والرطوبة معا فان درجة حرارة الجسم قد ترتفع رغم افراز العرق بحيث تعلو فوق درجة ٣٧ مئوية وعندها يهبط ارتفاع الدم تدريجيا وتزداد ضربات القلب ويصـــاب الانسان بالحمى حتى اذا ما وصلت حرارته حدود ٤٢ مئوية تعرض لضربة الشمس القاتلة حتى ولو لم يكن معرضا لاشـــعتها المباشرة . وهنا يجب المبادرة بتبريد الجسم بالوسائل الصناعية .

ولاهمية العلاقة بين صحة الانسان ودرجة الحرارة والرطوبة نذكر انه فى حالات الجو العادية عندما يشعر الجسم المعرى تقريبا بالراحة التامة فى درجات من الرطوبة متوسطها ٥٠ ٪ مثلا من حالة التشبع اذا كانت درجة حرارة الهواء ٣٠ درجة مئوية حيث تصل درجات حرارة الجلد الى نحو ٥ر٣٣ مئوية بينما

تشعر الاجسام المغطاة بالملابس العادية بالراحة اذا ظلت درجة الحرارة تتفاوت بين ٢٧ ، ٢٨ درجة مئوية حيث تصل متوسطات درجات الحرارة فى الجو الى نحو ٣٣ر٥ مئوية أيضا . وكلما ارتفعت درجة رطوبة الهواء فوق ٥٠ ٪ كلما قل الشعور بالراحة وخصوصا اذا ما وصلت الرطوبة الى ٨٠ ٪ من حالة التشبع حتى فى الاجواء الباردة . ونظرا لان الرياح من أهم العناصر التى تساعد على تبريد الجسم أو تبخير العرق فان الشعور بالراحة لايتم فى المناطق الحارة عندما يسكن الهواء .

وليست أهمية بخار الماء راجعة الى حرارة الجسم فقط بل ان الماء ضرورى للحياة نفسها [**وجعلنا من الماء كل شىء حى**] اذ انه عامل هام لقيام اعضاء الجسم ووظائفها الفسيولوجية . وتصل نسبة الماء فى الانسجة الى ٧٠ ٪ من وزن جسم الحيوان وهو الاساس الحيوى فى التمثيل البرد نوبلازمى الخلوى . واذا قارنا الجوع بالعطش نجد انه فى حالة الجوع فان الحيوان قد يفقد كل مخزون من الدهن والجليكوجين ونصف بروتين الجسم وخمسى وزنه الاصلى بدون ان يموت ولكن فقدان ١٠٪ من ماء الجسم بسبب اضطرابا خطيرا فى التمثيل وفقدان ٢٠ الى ٢٥ ٪ يسبب الوفاة فى كثير من الاحوال . وماء الجسم ينقسم الى قسمين : الماء داخل الخلايا والماء خارجها . ويكون الماء داخل الخلايا حوالى ٥٠ ٪ من وزن الجسم ويقوم بدور وسيط لانتشار الانزيمات والمواد المختلفة داخل بروتوبلازم الخلية .

أما الماء خارج الخلايا فيكون حوالى ٢٠ ٪ من وزن الجسم ويدخل فى تكوين بلازما الدم [٥ ٪] والسوائل الاخرى [١٥ ٪] . كما يقوم الماء خارج الخلايا بحمل المواد الغذائية والمواد العادمة من والى خلايا الجسم ويساعد على اخراج الافرازات وطردها من الجسم . ويعمل هذا الماء فى تكوين الافرازات الهاضمة والهرمونات كما يقوم بتنظيم حرارة الجسم وترطيب الجلد وغير ذلك من الفوائد الفسيولوجية . وينتشر الماء فى افراز الجسم المختلفة الا انه يقل فى الانسجة الدهنية . ودعما من زيادة الوزن فى حالة السمنة الا ان ماء الجسم لا يزداد كثيرا فى هذه الحالة . فمثلا قد يصل وزن الماء فى رجل سمين الى ٤٢ ٪ من وزن الجسم [٣٨ لتر تقريبا] الا ان ٧٣ ٪ من وزن الجسم قد تكونها الماء [٥ر٤ لتر] فى الشخص النحيف جدا .

ولذلك نجد ان بخار الماء وبالتالى الماء نفسه من عوامل الحياة مما يشير الى أن الماء دواء بجانب كونه غذاء ولذلك يجب اعطاءه للمرضى من الانسان والحيوان حتى لايحصل الجفاف وتضعف الاجسام وحتى تقوم الاعضاء الجسمانية بوظائفها الطبيعية . وكثيرا ما يعطى الماء كغذاء وعلاج الا انه قد يتعذر اعطاؤه فى حالة التقايؤ المستمر الامر الذى يتطلب أن يعطى الماء بشكل آخر بواسطة الحقن مثل ٥ ٪ محلول الجلوكوز فى الماء . ومن الملاحظ كذلك انه قد يحدث حالات من التسمم اذا ما أرغم الحيوان على اخذ كميات كبيرة من الماء مما قد يتسبب عنها رعشة العضلات الجسمانية ثم تقلصاتها . وقد يعطى الماء دائبا فيه بعض الاملاح مثل محلول ملح الطعام [٩ر٠ ٪] فى حالات التقايؤ والامساك وزيادة العرق التى فيها يفقد الجسم كثيرا من ملح الطعام به . كما يمكن استعمال محلول رنجر لاحتوائه على املاح متعددة مثل كلوروركل من الكلسيوم والصديوم والبوتاسيوم وذلك من اجل زيادة تركيز السوائل الجسمانية . هذا ويعطى الجلوكوز مزايا فى الماء [٥ ٪] بالحقن فى حالة جفاف الجسم من اجل زيادة سوائله :

استعمالات اخرى للماء :

الحمامات المائية الطبية :

هناك علاقة بين أوعية الجلد واعصابه وبين حرارة الجسم والدورة الدموية والجهاز التنفسى والجهاز العصبى . وعلى هذه العلاقة تقوم اسس العلاج بالماء بواسطة الحمامات المائية : ويمكن تقسيم هذه الى : —

١ — الحمامات الباردة للحميات : وفى هذه الحالة يوضع المريض فى حمام من الماء الفاتر [حوالى ٩٠ درجة فهرنهيت] ثم يضاف الماء البارد تدريجيا الى أن تصل الى ٨٠ ثم بالتدريج الى ٥٠ أو ٤٠ درجة تبعا للحالة . ثم يبقى فى هذا الحمام لمدة ١٠ — ٢٠ دقيقة على أن تقاس درجة حرارة المريض اثناء ذلك . وفى حالة ما اذا شعر المريض بالرعشة نتيجة للبرودة فيجب انتشاله من الحمام بأسرع وقت ويجفف ويغطى جيدا : وفى هذه الحالة يمكن اعطاؤه منبها اذا دعت الضرورة الى ذلك :

٢ — الحمامات المائية المختلفة الحرارة :

وهناك من هذه الحمامات : الحمامات الباردة [٣٢ — ٦٠ درجة فهرنهيت] وهذه تبرد سطح الجسم ونتيجة تنبه القلب والتنفس والمخ وهى فى ذلك حمامات منشطة ومنعشة . والحمامات الفاترة [٨٥ — ٩٥ درجة فهرنهيت] وهذه ترفع حرارة الجلد وتسبب اتساع الاوعية الدموية الخارجية وتحدث عرقا شديدا وتستخدم هذه الحمامات كمعرقة فى الحميات والتسمم البولى وللمساعدة على النوم . وقد تستخدم هذه الحمامات وضعيا على بعض الاجزاء الجسمانية الملتهبة لعلاجها .

٣ — حمام البخار : وهذه تسمى الحمامات الروسية وتصل حرارتها الى [٩٥ — ١١٠ درجة فهرنهيت] وتشبه لحد كبير الحمامات الساخنة وتستخدم كمعرقة فى الحميات وكذا فى الحميات وكذا فى حالة السمنة والترهل . ويستعمل حمام البخار المضاف اليه ملح كلورور الزئبق فى حالة علاج قرحات الزهرى . كما ان مثل هذه الحمامات البخارية والساخنة تستعمل كثيرا فى علاج المفاصل والالتواءات العضلية وللماء استعمالات طبية متعددة تتلخص فى اهميتها فى الحميات حيث انها تقلل الحرار الجسمانية وتزيل العطش وتساعد على افراز العرق والتخل من بقايا الانسجة والخلايا كما ان الماء مصدر للبول ويعط دائما لغسل الكلى والتخلص من الاملاح والرواسب . ويحف الماء الفم نظيفا رطبا وينشط المعدة والامعاء ويساعد على طر

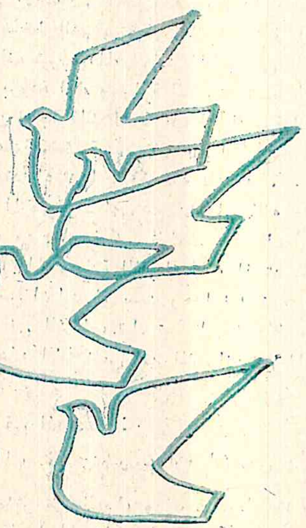

المحتويات المعوية ولذلك كان الماء ملينا ويعطى لمنع الامساك . ويستعمل الماء كمذيب لكثير من الادوية ويدخل فى كثير من المستحضرات الصيدلية المستعملة فى الطب . ومن مستحضرات الماء الطبية المعترف بها : حقن الجلوكوز فى الماء والماء العادى المنقطر والماء المقطر المعقم والماء المخصص للحقن ... الخ

المياه المعدنية :

يمكن الحصول عليها من المنابع المعدنية الطبيعية وهناك من هذه المشروبات انواع كثيرة تختلف فى تكوينها ومكوناتها وما تحتويه من املاح ومعادن تجعلها مفيدة فى الطب والعلاج وعموما فان الماء المعدنى هو ماء طبيعى يحتوى على مادة أو اكثر وعلى عناصر تختلف بها عن ماء الشرب العادى . وهذه المياه المعدنية حيث انها جاءت من الارض فقط تكون ساخنة بالنسبة لمتوسط الحرارة العادية المجاورة وقد تكون غير ساخنة . وقد تكون أيضا فوارة لاختلاطها بغاز ثانى اكسيد الكربون أو غير فوارة . ومنها ما تكون مكبرته أى تحتوى على غاز سلفيد الايدروجين . وعموما فان محتوياتها المعدنية غالبا ما تكون : الصديوم والبوتاسيوم والليثوم والمغنسيوم والكلسيوم والحديد والالنيوم والزرنيخ بشكل أملاح السلفات النيترات والكلوريد والبرميد واليدوروالبورات والسلكات . وقد وجد ان بعض هذه المحتويات قد تختلف باختلاف المواسم والسنين .

وتنقسم هذه المياه الى : **مياه قلوية** وهى التى يكون تفاعلها قلويا نتيجة لوجود الكربونات والبيكرمونات بها . وقد تحتوى هذه ايضا على البورات والسليكات مياه ملحية وهى ذات طعم ملحى وتحتوى على النيترات والكلوريد والسلفات بكميات عالية . **مياه قلوية ملحية** : وهذه يكون لها صفات المياه القلوية والملحية معا اى ان طعمها مكون ملحيا وتفاعليا قلويا . مياه حامضية وهذه قد تحتوى على حامض الكبريتيك والهيدروكلوريك .

وكل من هذه المياه المعدنية قد تحتوى على عنصر أو اكثر من عنصرين من المواد المذكورة . ويمكن كذلك تقسيم المياه المعدنية بالنسبة لمحتوياتها الى الاقسام الاتية : —

المياه الكبريتية : وهذه تحتوى على الهيدروجين المكبرت وسلفيدات اخرى وهذه غالبا تأتى من ينابيع الكبريت الحمراء أو البيضاء . فالينابيع الكبريتية الحمراء يكون لونها احمر نتيجة لتواجد الحديد بها . ومن أمثلة هذه المياه ينابيع ريتسفيلد وينابيع شارون . **المياه الحديدية** وهذه تحتوى على كميات كبيرة من الحديد بشكل سلفات أو بيكربونات الحديد . ومن امثال هذه ينابيع الاسبا الحديدية . المياه الزرنيخية وهذه تحتوى على الزرنيخ مثل مياه لفيكو . ومياه الالمنيوم : وهى ما تحتوى على املاح الالمنيوم (الشبة) مثل مياه روكبردج التى تحتوى على ٣٣٧ قمحة من سلفات الالمنيوم فى الملون وهى قابضة . **مياه الليثوم** وتحتوى الليثوم بكميات ضئيلة الا انها تحتوى على بعض المكونات الاخرى . وغير هذه **المياه الرونتن** وهى مهدئة ثم **المياه اليودية** وهذه منشطة ومطهرة **ومياه الراديوم** المشعة ويستحسن اخذها صباحة .

ويمكن كذلك تقسيم هذه المياه بالنسبة الى تأثيراتها الطبية الى الاقسام التالية : —

المياه القلوية : وهذه تعطى فى حالة زيادة الحموضة وامثلتها مياه فيشى وسلتز وغيرها وكلها تقلل من الحموضة وتدر البول وتفيد الكبد .

المياه الملينة : وهذه تشرب لتقوى حركة الامعاء وتعينها على طرد محتوياتها وتفيد فى حالة الامساك والاضطرابات الكبدية يرجع تأثير هذه المياه الى احتوائها على ملح سلفات الصديوم وسلفات المغنسيوم وكلوريد أو بيكربونات المغنسيوم وغالبا ما يكون طعم المياه المعدنية المحتوية على المغنسيوم مرا . أما المياه الملينة التى يرجع تأثيرها لوجود سلفات الصديوم فقط فهى مياه الكارلسباد والماريتباد القلوية وقيلا كابرأس المتعادلة . والمياه التى يكون تأثيرها ناتج من الصديوم والمغنسيوم فهى مياه البلوتو والروبينات والمياه الهنجارية مثل مياه ابنتا .

مياه للكبد : وهذه غالبا ما تكون مياه قلوية ملحية وتسمى الساراتوجا مثل مياه الكار لسباد والكونجرس عفيشوسلتز ومياه الصخور البيضاء . وهذه قد تلين البطن وتساعد على التخلص من محتويات الامعاء والكبد .

المياه المقوية : وهذه غالبا ما تحتوى الحديد مثل مياه الاسبا وتستعمل فى حالة ضعف الدم . وغيرها ما تحتوى على الزرنيخ مثل مياه تفيكوبور بول وهى تفيد فى التقوية العامة وفى أمراض الجلد . وقد تحتوى على الكبريت وهذه تلين البطن وتصلح الجسم وتقوى الجلد .

المياه الممسكة : وهذه تحوى املاحا قابضة مثل الالمنيوم [الشب] ولذا فانها تستخدم فى حالات الاسهال .

هذا وتستخدم المياه المعدنية على شكل حمامات وخصوصا الكبريتى منها أو تؤخذ داخليا بالفم وكلا الطريقتين مفيد للجسم وعلاجه من شتى الامراض . وغالبا ما تتحسن حالة المريض اذا ما أقام فى المصحات العالمية بجوار هذه الينابيع المعدنية ليستفيد منها بالاستحمام وبالشرب على السواء . وقد يساعد فى الشفاء الراحة والمعاملة التى يلقاها المرضى فى مثل هذه الاماكن .

المياه الغازية :

هناك من المياه الغازية ما هو طبيعى وما هو صناعى . **والطبيعى** من هذه المشروعات الغازية يؤخذ من الينابيع المعدنية مثل مياه أبولى ناريس وهى مياه قلوية تحتوى على مياه غازية بها كلوريد الصديوم وكربونات الصديوم والكلسيوم والماغنسيوم وماء بيرير وتحتوى على بى كربونات الصديوم **كمادة** اساسية بها . وماء جوها فى وتحتوى من الاملاح مايشا به الموجود عليها فى مياه ابوليناريس ولكنها اكثر منها . وهذه المياه الثلاث تصلح لان يؤخذ مع الاكل بدلا من المياه **العادية نظرا** لتأثيراتها الطبية وفائدتها العلاجية اما مياه فيشى الغازية فلها قدرة كبيرة على معادلة الاحماض وهى اكثر استعمالا فى العلاج لحالات الحموضة الزائدة . **اما الصناعى** ، من المشروعات الغازية فيوجد منها الكثير فى الاسواق وكلها **تصنع** بتركيز غاز ثانى اكسيد الكربون فى الماء تحت الضغط العالى وبذلك تكون زجاجات تعبئة المياه الغازية تحتوى الماء مذابا به ثلاثة اضعافة او اربعة امثالة فى غاز ثانى اكسيد الكربون — اما المياة السليفونية فقد تحتوى على اكثر من ذلك . وغالبا ما تضاف بعض المواد الكيماوية الى الماء قبل تركيز غاز ثانى اكسيد الكربون به فمثلا ماء **الصودا** يحتوى على ٣ — ٥ قمحات من بيكربونات الصديوم باينت « وهو عيار اقل من اللتر » وماء البوتاس يحتوى بيكربونات البوتاسيوم وماء المجتريا يحتوى على كربونات السجنسيوم وماء الليثيا يحتوى على كربونات الليثيوم — وترجع فائدة هذه المياه الغازية الى انها تعطى الغاز فانها تستخدم الحرارة ولذلك فان الماء يكون اكثر برودة من المياه العادية التى تحتفظ بها فى نفس الحرارة كما ان القلوية البسيطة فى هذه المياه تجعلها ذات فائدة فى استعمالاتها . ومن هذه المياه الغازية ماء سلتزر ويختلف عن المياه السابقة اذ تحتوى على كلورور الصديوم وبيكربونات الصديوم وكربونات المغنسيوم **وحامض** الهيدروكوريك . وهناك من هذه المياه ما يحلى بالسكر مع اضافة حامض الستريك او الطرطريك .

فشكرا لله وحمدا له فقد خلق لنا الماء — وهو سر الحياة — وجعله غذاء ودواء وخصه بكنوز وثروات ومكونات خلقها الله لسعادة الانسانية ورفاهية عباده .

وفى أنفسكم أفلا تبصرون

الانسان معجزة تكوينه معجزة وتركيبه معجزة ، والطريقة التى يفكر بها معجزة . ومن العجيب حقا أن تسير عمليات الحياة المختلفة من هضم واحساس بقوتها ونظامها وتوقيتها الدقيق دون تفكير أو تدبير ولكنه عنصر الحياة الذى أودعه الله سبحانه وتعالى فى كل مخلوقاته وقال لها كونى فكانت . استمعوا لقوله سبحانه وتعالى :

(واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) .

ولم لا ؟ أليس بمعجز حقا ذلك الجسم الذى تمتد بداخله شبكة من الاوعية الدموية يصل طولها الى عشرة آلاف ميل ، أو بما يساوى المسافة بين القاهرة وأسوان أكثر من عشرين مرة ، يحمل الدم من خلالها الى كل جزء من أجزائه . وأليس بمعجز حقا ذلك القلب الذى يدفع الدم بانتظام داخل هذه الشبكة المترامية الاطراف حتى يصل الى كل عضو بل وكل خلية ما تحتاج اليه من غذاء وهواء .

وأليس بمعجز حقا ذلك الجسم الذى يحتوى المخ الذى يصل وزنه الى ما يقرب من كيلو ونصف وزنا ويصل عدد الخلايا الموجودة على سطحه ما يقرب من ثلاثة عشر ألف مليون خلية عصبية .

وغير هذا كثير وكثير ألا فليطلع على كتب التشريح من يريد المزيد ليجد فى نفسه معجزة وفى كل عضو من أعضائه معجزة وفى كل خلية من خلاياه معجزة فيؤمن عن بصر وبصيرة . وهكذا يقول سبحانه وتعالى : (سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

وكما تحتاج أى آلة الى الوقود لتعمل تحتاج أجسامنا أيضا الى الوقود لنعمل ونتحرك ونسير ونفكر حتى ولو كنا فى سبات عميق ، فاننا دائما محتاجون الى بعض من الطاقة لتستمر عمليات الحياة المختلفة فى كل خلية من خلايا أجسامنا ، وهكذا غذاؤنا وقودنا .

فاذا أحسسنا بالجوع فلابد أن تكون أجسامنا فى أشد الحاجة الى الوقود ، فما الذى يجعلنا نحس بتلك الحاجة الى الغذاء ؟

معدتنا هى التى تدق ناقوس الخطر فتنقبض فنحس بألم الجوع . ولا تنقبض المعدة متى شاءت أو أرادت ، ولكنها تنقبض اذا انخفض مستوى السكر بالدم عن مستواه العادى : فاذا ما عاد هذا المستوى الى ما كان عليه ، هدأت المعدة الثائرة وكفت عما تعطيه من انذارات .

ولا يقتصر الامر على هذا فقط ، بل هناك مراكز بالمخ لو أتلفت لما توقف الحيوان عن الاكل ، كما أن هناك مراكز أخرى تضبط شهية الحيوان للطعام ، كما أن هناك مراكز أخرى تشعره بالظمأ ، فاذا نقص المستوى الى حد معلوم قل افراز الغدد اللعابية ، ومن ثم يجف الحلق فيشعر الانسان بالظمأ ، عندئذ تمتد يداه الى الماء فيأخذ منه ما يروى غلته ويطفىء ظمأه .

وهكذا فهناك مراكز بالجسم توحى للانسان أن يأكل كمؤشر الوقود فى الالة الذى يقول ان الوقود قد انتهى فهل من وقود . وهكذا يأكل الانسان ولان جسمه محتاج الى الغذاء ليعيش ويعمل . وهناك مراكز اخرى تقول كفى ما تناولت فلست فى حاجة الى مزيد . وهناك مراكز تقول له أنت محتاج الى الماء اشرب فيشرب . كل هذا

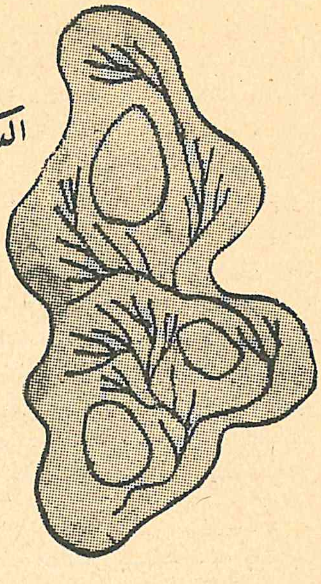

الدكتور عبد الحليم كامل

يتم دون وعى أو تفكير أو تدبير .

فاذا كانت الالة تحرق الوقود لتحصل على الطاقة فأجسامنا أيضا تحصل على الطاقة بعملية كيميائية مثل الحريق تماما ، ولكن المعجز هنا أن عملية الحرق تتم بطريقة محكمة ، وفى درجة من الحرارة أقل ، بل وأقل بكثير مما يحدث فى الالة ، والا لما بقيت لنا حياة منذ الوجبة الاولى .

ووقودنا طعامنا مهما تعددت أنواعه ومصادره ، لا يخرج عن أنواع ثلاث ، هى البروتينات والسكريات والدهون . ولكل أنزيمه الخاص الذى يؤثر فيه ليحوله الى الصورة البسيطة التى تستطيع اجسامنا أن تستفيد منها وتستفيد بما تحويه من طاقة .

يدخل الطعام من الفم ، فيمر بالقناة الهضمية التى تتكون من الفم والمرىء والمعدة والاثنى عشر والامعاء الدقيقه والامعاء الغليظة والقولون والمستقيم ، ولكل من هذه الاجزاء المختلفة وظيفته وأهميته .

يبدأ الهضم عن الفم فالقواطع تقطع والضروس تطحن وتخلط الطعام باللعاب حتى يسهل البلع . واللسان يدفع هذا الاكل الممضوغ الى الخلف حتى يبلع . ولا تقتصر فائدة اللعاب على البلع فقط : بل ان به الانزيم الذى يحول النشا الى سكر بسيط . وهكذا تبدأ العملية الاولى من عمليات الهضم داخل الفم والتى سرعان ما تقف عندما تصل كتلة الغذاء الى المعدة حيث تشتد الحموضة .

وفى المعدة تحرك أليافها العضلية الغذاء المهضوم جزئيا ثم تدفق الى الاثنى عشر وبالمعدة غدد تفرز موادا هامة أولها حامض الكلوردريك الذى يساعد فى قتل الميكروبات الضارة ، والعجيب والمعجز حقا أن هذا الحامض رغم قوته وتركيزه ، لا يضر جدار المعدة ، لان هناك غشاء قاعدى رقيق من المخاط يحمى جدار المعدة بالاضافة الى أن وجود الاكل بالمعدة يخفف من شدة هذا الحامض ، فلا ضرر ولا ضرار .

وتفرز المعدة أيضا بالاضافة الى هذا الحامض خمائرأو انزيمات تؤثر فى البروتينات والسكريات والدهون . وتنقبض جدر المعدة وتنبسط ليختلط الغذاء بالانزيمات ولا يمتص أى غذاء بالمعدة .

وعندما تصبح محتويات المعدة مهضومة جزئيا وفى صورة قوام سائل تدفعه المعدة الى الاثنى عشر ، حيث توجد عند بدايته عضلة عاصرة تفتح وتغلق ، فاذا فتحت اندفع الاكل الى الاثنى عشر لتبدأ المرحلة الثانية من مراحل الهضم .

وهنا نستطيع أن نقول أن الانسان يستطيع أن يعيش من غير معدة ، ولكنه يكون عندئذ مطالب بأن لا يأكل الا القليل . ولعل هذا يدل على أن فائدة المعدة الاولى هى الاختزان وتحضير الغذاء . وهنا نرى أنه لا تخزين من غير تحضير ، ولا تخزين من غير رعاية وحماية ، ولا تخزين من غير باب يفتح أو يغلق كلما كان هناك حاجة أو ضرورة . وهكذا كأنما هناك عقلا اليكترونيا ، بل فى الحقيقة هنا ما هو أدق وأعظم : وهو النفحة الاولى من الاله الاعظم الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى وسبحانه وتعالى القائل : (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) .

ويصب فى الاثنى عشر عن طريق القناة المرارية العامة غدد عديدة تفرز انزيمات لتكمل عملية الهضم . ولكن هذه لا تستطيع أن تعمل الا فى وسط قلوى ، لذلك كانت هذه الانزيمات مصحوبة بكربونات الصوديوم التى تعادل كل ما يصل الى الاثنى عشر من حمض المعدة .

وهنا نقف وقفة قصيرة لنرى عملية أخرى تستحق التفكير فى قدرته تعالى والتسبيح بعظمته سبحانه ، فعندما يغادر الطعام المعدة ويدخل الى الامعاء الدقاق ينشط البنكرياس فجأة ويصب افرازاته الهاضمة فى الاثنى عشر ولا يستمر البنكرياس فى افرازاته الهاضمة الى مالانهاية ، لانه لو استمر البنكرياس لكان فى ذلك اسرافا ، والله الذى خلقنا وسوانا وخلق كل شىء بمقدار ينهى عن الاسراف فى أى صورة من صوره ، لا فى المال فقط ولا فى الاكل فقط ، ولكن حتى فيما تفرزه خلايانا .

فعندما تصل محتويات المعدة الى الامعاء الدقيقة ينبه ما بها من حامض خلايا الامعاء الدقيقة فتفرز هرمونا يسمى بالسكرتين الذى سرعان ما يصل الى الدم فينبه البنكرياس ليفرز انزيماته . ولكن هل يستمر البنكرياس فى افرازه كما قلنا ، والا فما الذى يكبح جماحه . من المعروف أن افراز البنكرياس يختلط بالطعام حتى يتناقص الحمض الذى جاء من المعدة مع الطعام ، فاذا قل هذا الحمض انطفأت الشرارة التى كانت تنبه افراز السكرتين .

وعلى هذا يمكن ان يقال أن هناك عاملان يؤثر كل منهما فى الاخر ، أى أن هناك ضبط متبادل عامل يحفز وعامل يهبط ، ولتسير الحياة سيرها السوى

لابد وأن يكون هناك تعاون وتعادل بين العاملين . ولكن هل هذا الضبط المتبادل هو كل شئ أو هو العامل الوحيد فى كبح جماح البنكرياس عن الافراز ولما يزال بعض السكرتين موجودا فى الدم وعندئذ يتولى الجسم نفسه هذا الجزء المتبقى بالرعاية . فبالجسم انزيمات خلقت خصيصا لابادة هذه الهرمونات ومنها السكرتين حتى تصبح عديمة المفعول.

وعلى هذا يوحى الى البنكرياس أن يفرز فيفرز ، ثم هناك ما يوقفه ذاتيا عن الافراز فيقف . وهكذا يتم تنظيم الافراز . فيؤدى البنكرياس عمله حين يكون هناك ضروره لعمله ويمتنع عندما لا يكون هناك داعيا لافرازه . ويتم كل هذا دون أن تكون لارادتنا ارادة أو لرغبتنا سلطة أو لمشيئتنا أمر أو نهى .

ألا يدل ذلك على أن هناك قوة عليا خلقت ودبرت وكونت وصاغت كل هذا الجهاز الدقيق بأبوابه وغدده وصماماته وحركاته وسكناته . وأن لا يمكن أن يكون هذا الضبط والربط نتيجة لتصرفات عشوائية تحدث كما تشاء فى الوقت الذى تريد .

فاذا أثر السكرتين فى البنكرياس أفرز انزيماته الثلاث منها ما يؤثر فى البروتينات ومنها ما يؤثر فى السكريات وثالثها يؤثر فى الدهون . ولا يقتصر الامر على البنكرياس وحده ، بل هناك الحويصلة المرارية التى تصب هى الاخرى افرازها فى الاثنى عشر وافرازها سائل ينتجه الكبد ويختزن فى الحويصله حتى وقت الحاجة وله وظائف هضمية وكذلك به أملاح ضرورية لهضم الدهون أى الى تحويلها الى حبيبات صغيرة جدا ، يسهل عندئذ على انزيم الدهون أن يؤثر فيها .

اما باقى الامعاء الدقيقة فتفرز مخاطا لزجا يسهل مرور الطعام كما تفرز خميرتيه .

وعندما يصل الطعام الى الامعاء الدقيقة يكون مزودابكلما يحتاج اليه من خمائر ، وهو الان فى صورة سائلة تسمى كيموس . ويتم الهضم تماما فى النصف السفلى من الامعاء الدقيقة ، ويبدأ الغذاء المهضوم فى دخول الدورة الدموية بالامتصاص . ولتتم عملية الامتصاص هذه نجد ببطانة الامعاء ثنيات تغطيها خمائل وكل خميلة مزودة باوعية دموية تمتص أغلب الغذاء عن طريقها ، وفى نفس الوقت تقوم بوظيفة حيوية وهى فصل المواد الغذائية عن النفايات ، ولا تسمح جدر هذه الخمائل بمرور الجزئيات الكبيرة وكذلك الاكل غير المهضوم الى تيار الدم .

وهذه الخملات فى حركة دائمة لا تنقطع فهى على كل جانب وهى أيضا تطول وتقصر ، ويقال أن هذه الحركة تساعد عملية الامتصاص .

وليست هذه الحركات هى الحركات الوحيدة التى تحدث فى القناة الهضمية . ولكن جدر القناة الهضمية بما فيها المرئ والمعدة والامعاء لها القدرة على نوعين من الحركة . أولهما هى حركة دودية أو انلاصيه وهى موجات متتالية من الانقباضات العضليه والتى يبلغ طول موجاتها عده بوصات حاملة الغذاء معها ، وهذه الحركة مستقلة تماما عن ارادتنا ، وتتم دون ملاحظة أو تفكير . أما الحركة الثانية فهى حركة انقباضية تحدث فى الامعاء الدقيقة فقط ، وهى عبارة عن انقباضات متتالية تحدث فى الامعاء الدقيقة فتقسمها الى أقسام ، وينتفخ كل قسم منها ثم يبدأ وسط كل قسم فى الانتفاخ . وعندما تستمر هذه العملية تختفى الانقباضات الاصلية ويحدث هذا الانقسام بمعدل ست مرات فى الدقيقة الواحدة . ولا تسبب هذه الحركة ، حركة للمواد الغذائية ، ولكنها تساعد فى خلط الكيموس بالخمائر ، ولعل الاهم هو أن يلامس الكيموس الخمائل فيسهل امتصاص الغذاء .

وليس الامتصاص عملية انتشار بسيطة كما يتصور البعض ، ولكن لخلايا الامعاء القدرة على الاختيار ، فهى تختار ما تريد من المواد وتمنع فى نفس الوقت ما لا تريد . فاذا وضعنا مثلا محلولا متساويا من سكريات متشابهة كالجلوكوز والجلاكتوز والفركتوز داخل قطعة أنبوبية من الامعاء حفظت حية خارج الجسم ، نجد أن هذه السكريات لا تمر بسرعة واحدة داخل الامعاء ، ولكن الاسرع هو الجلوكوز ويليه الجلاكتوز ثم أخيرا الفركتوز . أما بعد موت هذه القطعة الانبوبية ، فان هذه السكريات الثلاث تمر بسرعة اوحدة داخل الامعاء بعملية انتشار بسيطة لانه لا حياة ولا اختيار .

وبعد الامتصاص تمر منتجات الهضم الى وعاء دموى كبير هو الوريد الكبدى البابى الذى ينقلها الى الكبد ، والكبد هو المعمل الرئيسى بالجسم . فهو يفرز المرارة ويكون الكريات الدموية الحمراء ، وفيه تستهلك الكريات القديمة . كما يختص ايضا بوقاية الجسم من بعض السموم الموجوده بالدم ، بالاضافة الى أنه يقوم بوظيفة المخزن الذى يختزن السكريات والدهون وبعض الفيتامينات ، وربما بعض البروتينات حتى وقت حاجة الجسم اليها . كما أنه يحول الاحماض الامينية الى بروتينات مرة أخرى لبناء أنسجة الجسم المختلفة .

أما ما يتبقى بعد الهضم والامتصاص فتمر الى الامعاء الغليظه حيث هناك موجة من الانقباضات على طول القولون حتى تصل البقايا الى المستقيم حيث تعطى اشارة الرغبه فى التخلص من الفضلات .

هذا هو طريق الغذاء أو الوقود . أجزاء مختلفة وحركات مختلفة وأبواب تفتح وأبواب تغلق وخمائل تختار وتمتص ما تريد وتترك ما لا تريد . كل هذا يتم دون وعى أو تفكير أو تدبير وسبحانه وتعالى حين يقول : (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) .

الخلفاء الراشدون وأعلام الإسلام

رابع الخلفاء الراشدين

فضيلة الشيخ الطنطاوى عمر

العدل فضيلة من أسمى الفضائل وخصلة كريمة من أنبل الخصال به يعمر الكون ويستقر الامن فى ربوع البلاد وتخفق عليها ألوية الطمأنينة ·

العدل عنوان الاستقامة ودليل التقوى وسبيل الهدى ورمز الرشاد ورأس الفلاح والنجاح .

العدل شعار الصالحين ودأب المتقين وأنشودة المقربين وأغنية كل ذى عقل رشيد ·

العدل مصدر كل خير ومنبع السعادة الكاملة والهناءة الشاملة ·

فلهذا حث الله تعالى عليه فى كثير من آيات القرآن الكريم فقال عزمن قائل «ان الله يأمر بالعدل والاحسان» الاية · وقال « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين » الاية ، كما حث عليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى الادب النبوى الكريم كذلك دعى اليه ورغب فيه الفلاسفة والحكماء وكل ذى قلب سليم وعقل بعيد عن الهوى والانحراف · وضمير حى يأبى الغى والظلم ·
لذا كان الامام العادل من السبعة الذين يظلهم الله تعالى فى ظله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله ومن الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم وما اتسعت فتوحات عمر ابن الخطاب وترامت اطرافها وانتظمت امور دولته وسادها الامن والهدوء الا لكونه آرسى قواعد العدل وزلزل بنيان البغى والظلم وما انتظم عمر بن عبد العزيز فى السلسلة الذهبية للخلفاء الراشدين فقال المؤرخون عنه انه خامس الخلفاء الراشدين الا لما امتاز به من فضيلة العدل فقد ضرب به المثل فيها فقال علماء التاريخ عنه انه أعدل خلفاء بنى أمية .

والامام على كرم الله وجهه الذى نحن بصدد الكلام عن عدالته التى طبقت الخافقين وشملت السهل والجبل ضرب أروع الامثلة فى العدالة يوم عيد الاضحى وكان له الحظ الاكبر فيها فكان قواما بالقسط منفذا لتعاليم الدين حتى على أهله وذوى قرابته ممن يهمه امرهم ذلك ان المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها قديما وحديثا اعتادوا ان يلبسوا الجديدمن الثياب الفاخر منها فى يوم العيد كما تعودت النساء يتزين فيه بالجواهر الكرمية والحلى الثمينة فذلك شعار الدين فى يوم العيد يوم الفرح والسرور والغبطة والحبوريوم اللهو المباح والغياء الذى ينعش الارواح ويسمو بالاشباح مصداق ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت دخل رسول الله وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر فانتهرنى وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله فاقبل عليه الرسول وقال دعهما وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سألت رسول الله واما قال تشتهين أن تنظرى فقلت نعم فأقامنى وراءه خدى على خده ويقول دونكم بنى ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبى .

ـ بغاث اسم لحصن كانت عنده وقعة بين الاوس

والخزرج وكلاهما كان ينشد أشعارا يضمنها مفاخر فكانت الجاريتان تغنيان بهذه الاشعار - السودان - الحبشة - ارفد - لقب على صنف من الحبشة جدهم الاكبر (ارفدة)

وقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يغتسل يوم العيد ويتطيب ويتجمل بأحسن الثياب ووفقا لهذه العادات ارادت بنت الخليفة الرابع أن تتزين وتتجمل بالثياب وبالحلى وكان فى بيت مال المسلمين عقد من اللؤلؤ الثمين فذهبت الى ابن أبى رافع أمير بيت المال وطلبت منه العقد لتتزين به فى أيام العيد الثلاثة ثم ترده الى بيت المال كما كان فأعطاها ابن أبى رافع العقد عارية مردودة بعد ثلاثة ايام وبينما هى متزينة به رآها والدها على بن ابى طالب فظهر الغضب على وجه امير المؤمنين على بن ابى طالب وقال لها فى شدة من اين لك هذا العقد ومن الذى اعطاك اياه فقالت وقد علا وجهها أثر الخوف أخذته من أبى رافع لكى أتزين به ايام العيد الثلاثة ثم ارده كما كان .

فأرسل الخليفة العادل الحريص الحرص كله على المحافظة على أموال المسلمين أرسل فى طلب ابن أبى رافع فلما حضر اليه انتهره وأنبه وقال له من الذى امرك ان تعطى هذا العقد لابنتى وتختصها بذلك من بين سائر بنات المسلمين فهل اخذت اذنا من المسلمين بأن تتصرف فى أموالهم كيف تشاء فقال ابن أبى رافع مستعطفا الخليفة الرابع انها ابنتك يا أمير المؤمنين ولكن كلمة الاستعطاف هذه لم تهدىء ثورة الامام العادل ولم تثنه عن قصده فقال لابن أبى رافع هل تغنى ابنتى عنى من عذاب الله شيئا أو تحمل عنى وزرى يوم القيامة فقال ابن ابى رافع لا يا أمير المؤمنين فقال رابع الخلفاء لابن ابى رافع خذ منها العقد لحينه واردده الى بيت المال لساعته واياك ان تعود لمثلها فتنالك عقوبتى فأخذ ابن ابى رافع العقد ورده الى بيت المال .

وقد صنع الخليفة الرابع مع أخيه عقيل مثل الذى فعله مع كريمته استجابة منه لنداء العدالة فقد ورد أن الامام على كرم الله وجهه كان يعطى أخيه عقيلا كل يوم مقدارا من الشعير يكفيه هو وأولاده كما كان يعطى لسائر المسلمين كذلك ولكن عقيلا كان يوفر كل يوم من هذا المقدار شيئا قليلا فلما اجتمع عنده من هذا الوفر الكثير اشترى به تمرا وسمنا وصنع لاولاده مريسا كانوا يشتهونه ثم استدعوا عليا ليشاركهم فى هذا الغذاء الشهى الذى طالما اشتاقوا اليه اشتياق المريض الى الشفاء والضارب فى ظلمة ليل الشتاء الى نور الفجر وفالق الصبح فلما قدموا له ذلك الغذاء قال لهم من اين لكم هذا قالوا كنا نوفر من عطائنا يوما بعد يوم حتى ظفرنا بشراء هذا الطعام من ذلك الذى كنا نوفره فقال لهم رابع الخلفاء العادل هـل كان يكفيكم الباقى بعد الوفر فقالوا نعم يكفينا أجابوا أجابة المؤمن الكامل الذى لا يقول الا حقا ولا ينطق الا صدقا فى جميع أحواله مهما كانت ظروفه فما كان من الخليفة العادل الا أنه انتقص من عطائهم المقدار الذى كانوا يدخرونه . فبذلك أرسى الخليفة الرابع قواعد العدل على نفسه وعلى ذوى قرابته . ولما ألح عليه أخوه عقيل بأن يبقى لهم العطاء كما كان بدون انتقاص منه قال له لا يحل لى ان ازيدكم على ما كان يكفيكم فمال المسلمين ليس ملكا لى أتصرف فيه كيف أشاء فظهر الغضب على وجه عقيل فأحمى الخليفة العادل حديدة وضعها على خد عقيل فتألم وتأوه من لذع الحديدة المحماة فقال له رابع الخلفاء تجزع وتتألم من الحديدة المحماة وأنت تريد أن تعرضنى لنار جهنم ان أنا أبقيت لكم العطاء كما كان فقال عقيل مغضبا لاخيه ومستفزا له سألحق بمن يطعمنى تمرا ويعطينى تبرا ثم لحق بمعاوية ومكث عنده برهة من الزمن فقال معاوية فى جمع من الناس لقد اختارنا عقيل لعلمه بأننا خير له من أخيه على فلما قرعت هذه القالة سمع عقيل ذهب الى معاوية وقال له فى شجاعة نادرة أخى على خير لى فى دينى وأنت خير لى فى دنياى وقد آثرت دنياى وأسأل الله تعالى خاتمة خير . كما ورد أن عقيلا سأل عليا وقال له انى فقير فاعطنى فقال له اصبر حتى يخرج لك العطاء مع غيرك من المسلمين فأنتم جميعا اخوة لا فضل لعربى على عجمى ولا لابيض على اسود ولا لقرشى على غيره ولا هاشمى على سواه الا بالتقوى والعمل الصالح أنتم جميعا فى الحق سواء كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها .

ولكن عقيلا لم يستمع لقول أخيه العادل والحف فى طلب العطاء فانتدب الامام العادل رجلا وقال له خذ بيد عقيل واخرج الى السـوق ودعـه يدق أقفـال الحوانيت ويفتحها ويأخذ ما فيها قال ذلك الامام العادل تبكيتا لاخيه وتأنيبا له على الالحاح فى الطلب فقال عقيل لاخيه على أتصيرنى سارقا أسرق ما فى الحوانيت فقال له الامام العادل وأنت كذلك تصيرنى سارقا أسرق أموال المسلمين وأعطيك أولادونهم فهل تحمل عنى وزرى او تدفع عنى عذاب ربى ألم يقرع سمعك قول النبى صلى الله عليه وسلم يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنكما من عذاب الله شيئا فقال عقيل اغاظة لاخيه على سألحق بمعاوية فقال له أنت وما تريد فسار الى معاوية فأعطاه مائة ألف دينار وقال له اصعد المنبر واذكر للناس ما أولاك به على وما أوليتك اياه فاستجاب لمعاوية وصعد المنبر ثم قال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه أيها الناس انى أردت عليا على دينه فاختار دينه ولم يهتم بسخطى وغضبى عليه لعلمه بأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق أما معاوية فقد اختارنى على دينه ايثارا منه للحياة الدنيا على الاخرة . ولما قال معاوية لخالد بن معمر لم أحببت عليا قال أحببته لثلاث خصال اتصف بها حلمه اذا غضب وصدقه اذا قال وعدله اذا حكم .

ولما بلغ على فخر معاوية عليه كتب اليه قائلا : ـ

محمد النبى أخي وصهرى
وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذى يمسى ويصبح
يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى
منوط لحمها بدمى ولحمى
وسبطا احمد ابناى منها
فأيكم له سهم كسهمى
سبقتكم الى الاسلام طرا
غلاما ما بلغت أو ان حلمى

وقد قال معاوية ذات يوم لضرار بن حمزة صف لى عليا فقال له اعفنى فقال معاوية أقسمت عليك الا فعلت ذلك قال ضرار كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطلق الحكمة من لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لانكاد نكلمه لهيبته يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم (اللديغ) ويبكى بكاء الحزين ويقول يا دنيا غرى غيرى هيهات لقد باينتك ثلاثا لا رجعة بعدها فعمرك قصير وخطرك قليل آه آه من قلة الزادوبعد السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحمه الله أبا الحسن لقد كان كذلك ولا عجب فى أن يكون الخليفة الرابع على النحو الذى وصفه ضرار فقد تربى فى أحضان الرسول ونما وترعرع تحت بصره وسمعه نهل من معين خلقه الكريم وارتوى من ينبوع أدبه الجم وتغذى بلبان فضائله ومكارمه فكان النبى صلى الله عليه وسلم خير قدوة وأفضل اسوة لذلك ترسم خطاه ونهج نهجه فى معاملته لكريمته يوم عيد الاضحى بحرمانها من التزين بالعقد فقد ورد أنه لما شفع أسامة عند الرسول للمرأة المخزومية فاطمة بنت الاسود حتى لا يقام عليها الحد قال النبى قولته المشهورة ـ انما اهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ولكانت أول هاشمية تقطع يدها ٠

ولعدل الخليفة الرابع وامانته امره النبى لما هاجر الى المدينة أن يقيم بمكة أياما حتى يؤدى عنه أمانته والودائع والوصايا التى كانت عنده ثم يلحقه بأهله وفعلا صنع ذلك وكيف لا يمثل الامام على العدالة فى أبهى صورها وأسمى مظاهرها وهو رضى الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من اسلم من الصبيان وصهر الرسول وأخوه بالمؤاخاة فقد ورد عن ابن عمر قال آخى النبى بين أصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال يا رسول الله أخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد فقال صلى الله عليه وسلم أنت أخى فى الدنيا والاخرة .

فالى ولاة أمورنا فى كافة المجالات نقدم لهم هذه الزهرة اليانعة من روضة السيرة العطرة للخليفة الرابع لكى يستنشقوا منها عبير العدالة وشذاها ويحذو كل منهم حذوه فى نشر مطارف العدالة بين المواطنين قاطبة لا فرق بين القريب منهم والبعيد والصديق والعدو ٠ وعلى كل من ولى أمرا من امور المسلمين أن يأخذ لنفسه العبرة والعظة من هذه السيرة التى يضوع اريجها فيجعل العدل رداءه والامانة ازاره حتى يجد المواطنون فى ظله برد الراحة ولذة الطمأنينة وحتى يستنشقوا من نسيم معاملته لهم شذا الرحمة وعبير الشفقة ٠ وعلى المسئولين فى قطاع التربية والتعليم أن يلقنوا شبابنا أحاديث هؤلاء الحكماء الذين تخرجوا فى مدرسة محمد بن عبد الله وتغذوا بلبانه وتطفلوا على مائدة علمه وخلقه وأن يجعلوا درر كلامهم ولالىء أقوالهم ضمن مناهج النصوص والقراءة . وعلى الوعاظ والدعاة أن يميطوا اللثام ويكشفوا النقاب عن هذه النصائح الغالية والارشادات السامية التى وردت فى أحاديث الصحابة وأقوالهم وأن يجلوها للجمهور حتى ينسج على منوال سلفه الصالح ويترسم خطاه فقد كان ولا يزال ملء سمع الزمان وبصره سار ذكرهم مسير الشمس وهب هبوب الريح

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم
ان التشبه بالرجال فلاح

فأذا نحن فعلنا ذلك سار كل انسان فى مجاله على هدى الكتاب والسنة واقتفى أثر المصطفين الاخيار من الصحابة والتابعين وتابعيهم فقد قال صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ان فعلنا ذلك هيأ الله لنا أسباب العزة والكرامة ونصرنا على عدونا نصرا مؤزرا فما النصر الامن عند الله ٠ وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ان نحن فعلنا ذلك جعل الله لنا من كل ضيق فرجا ومن كل شدة مخرجا وارسل على عدونا طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فتجعلهم كعصف مأكول والله تعالى يهدينا جميعا سواء السبيل ٠

من أعلام الصوفية

الإمام أبو حنيفة النعمان

رضى الله عنه

للأستاذ جودة محمد أبو يزيد المهدى

على طريق التوحيد واسلام الوجه لله تعالى دخل الصفوة الاولياء علماء الصوفية وصوفية العلماء فى ظل الصفات القدسية فغمرتهم تجليات الذات العلية ، وترقوا فى منازل القلب والروح حتى فنيت حدثانهم فحظوا بالبقاء فى عين الجمع يستمدون من الانوار الالهية ويحظون بالنفحات الاصطفائية أولئك أقطاب الامة المحمدية رضى الله عنهم وعنا بهم وألحقنا بزمرتهم فى الدنيا ويوم الدين .

من عين تلك النخبة من رجال الله الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه : بحر من بحور الشريعة المحمدية الغراء . وعلم من شوامخ أعلام الصوفية العظماء . انه العالم العامل ، والزاهد الواصل ، والعابد المتبتل ، والعارف المحقق ، المجاهد فى الله حق جهاده ، آالناهل من رحيق التقى واليقين زاده لمعاده ، سيدى الامام أبى حنيفة النعمان رضى الله تعالى عنه وعنا به فى معية امامنا الشافعى وسائر أئمة الدين عليهم الرضوان ورزقنا بهم الوصول الى مقام الاحسان .

يتفرع الامام الاعظم من شجرة فارسية النسب ، فقد ساق المؤرخون نسب الامام من طرق مختلفة ولكنها متلاقية عند أصله الفارسى . فابن خلكان يسوق نسبة فى الوفيات قائلا : (**الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ بن زوطى بن ماه ، الامام الفقيه الكوفى مولى يتم الله بن ثعلبة ، وهو من رهط حمزة الزيات**) . ويتفق هذا السياق مع ما أخرجه عمر بن حماد بن أبى حنيفة وعلى ذلك يكون الامام فارسى الاصل تيمى الولاء حيث أن جده زوطى كان مملوكا لبنى تيم الله بن ثعلبة . بيد أن رواية أخرى قد ساقها صاحب (تاريخ بغداد) بسنده عن اسماعيل بن حماد ابن أبى حنيفة ـ أخى عمر السابق ـ انه كان يقول : (**أنا اسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان ، من ابناء فارس الاحرار ، والله ما وقع علينا رق قط . ولد جدى فى سنة ثمانين ، وذهب ثابت الى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته . ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب دلك لعلى بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فينا**) هـ . وقد وفق الامام ابن حجر الهيتمى فى مؤلفه البديع (**الخيرات الحسان فى مناقب الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان**) بين رأيى الحفيدين فى اختلافهما فى أن والد ثابت النعمان أو زوطى ، وجده المرزبان او ماه باحتمال أن يكون لكل اسمان أو اسم ولقب أو أن معنى زوطى : النعمان ، والمرزبان : ماه . كما أجاب عن تخالفهما فى الرق بأن من أثبته أراد فى الجد ومن نفاه أراد فى الاب . بيد أن اسماعيل بن حماد قد نفى وقوع الرق أصلا اذ قال (والله ما وقع لنا رق قط) على أن وقوع الرق على أصل الامام ـ على فرض

صحته – لا يقدح بحال فى مكانة امام استرق بعلمه وامامته ملايين المقلدين والمتعبدين على مذهبه القويم · كما لا يغض كذلك من سمو منزلته أنه فارسى وعجمى فحسبه أن يصدق فيه حديث الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الذى رواه الشيخان وغيرهما (لو كان العلم معلقا عند الثريا لتناولته رجال من أبناء فارس » كما لم تمنع فارسية سيدنا سلمان رضى الله عنه من أن يقول فيه سيد العالمين صلى الله عليه وسلم (سلمان منا آل البيت) فمقياس الفضل والقربى فى الاسلام دائما وأبدا انما هو التقوى مناط كل بر وتكريم كما أكد الحق تعالى فى القرآن الكريم (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) · وقد ولد الامام أبو حنيفة رضى الله عنه بالكوفة سنة ثمانين للهجرة النبوية الشريفة · وقد ذكر شيخ الاسلام ابن حجر فى فتاويه أن الامام أبا حنيفة أدرك جماعة من الصحابة كانوا بالكوفة بعد مولده بها سنة ثمانين · واذن فهو من التابعين الذين شملهم قول الحق تعالى « والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » وقد ذكر الذهبى أن الامام قد رأى سيدنا أنسا بن مالك رضى الله عنه وهو صغير · وقال مولانا الامام عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه وعنا به فى ترجمة الامام أبى حنيفة من طبقاته « ولد سنة ثمانين من الهجرة وتوفى ببغداد سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة ، وكان فى زمنه أربعة من الصحابة : انس بن مالك ، وعبد الله بن أبى أوفى ، وسهل بن سعد ، وأبو الطفيل وهو آخرهم موتا ، ولم يأخذ عن أحد منهم » والمشهور عند الكثير من المحدثين أن مجرد لقيا الصحابى تثبت تابعية من لقيه ، اذ يقول صاحب الخيرات الحسان « وأكثر المحدثين على أن التابعى من لقى الصحابى وان لم يصحبه ، وصححه النووى كابن الصلاح » وعلى ذلك تحققت تابعية الامام الاعظم وان لم يأخذ عمن لقيهم من الصحابة رضى الله عنهم وعنا بهم أجمعين ·

ونشأ الامام النعمان بالكوفة فى بيت مسلم يجمع الى متانة الدين يسر المعيشة ، وكان والد الامام خزازا يتاجر فى الخز ويختلف الى السوق فأخذ الامام فى مهنة أبيه فى مطلع حياته قبل الاشتغال بالعلم الى أن قيض الله له الامام الشعبى فوجهه وجهة العلم وتوسم فيه الفتوح · يروى المكى عن الامام فى مناقبه أنه قال : « مررت على الشعبى وهو جالس فدعانى فقال لى الى من تختلف ؟ فقلت : أختلف الى السوق · فقال : لم أعن الاختلاف الى السوق · عنيت الاختلاف الى العلماء فقلت له : أنا قليل الاختلاف اليهم · فقال لى : لا تغفل ، وعليك بالنظر فى العلم ومجالسة العلماء ، فانى أرى فيك يقظة وحركة ، قال فوقع فى قلبى من قوله ، فتركت الاختلاف الى السوق وأخذت فى العلم فنفعنى الله بقوله » · واتجه الامام الى مجالس العلماء تحوطه عناية الرحمن لترفعه الى ذروة التفقه والرسوخ فى العلم · فبعد أن حفظ القرآن الكريم على قراءة عاصم خاض غمار العلوم بمختلف تياراتها من حديث وتفسير وكلام ونحو وأدب وشعر ، وعلا نجمه فى أفق العلم وظل يغوص بذهنه المتوقد فى أمهات المسائل ومشكلات علم الكلام حتى عمت شهرته الافاق فيروى انه كان يرتحل للبصرة ويمكث بها سنة كاملة ليجادل الفرق المختلفة فى مسائل الاعتقاد ايمانا منه آنذاك بأولوية علم الكلام على سائر العلوم لتعلقه بأشرف الموضوعات وهو العقيدة · لكنه قد ألهم بعد ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يخوضوا فيه مع توافر قدراتهم عليه أكثر وأعمق من غيرهم بل انهم قد نهوا عنه فانصرفوا الى أمور الشرع والفقه مما ينفعهم فى معاملاتهم مع الله ومع خلقه · فكره الامام طرائق الجدل ، وولى وجهه شطر التفقه فى الدين · وقد أكد ذلك عنده – كما يذكر صاحب الخيرات الحسان – انه كان يجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبى سليمان · فجاءته امراة فسألته عن رجل يريد أن يطلق امرأته للسنة كيف يقول ؟ فلم يجد جوابا فأمرها أن تسأل حمادا ثم تعلمه بجوابه ، ففعلت ، فترك الكلام وجلس فى حلقة حماد فكان يحفظ جميع مايقوله ويخطىء فيه اصحابه ، فأجلسه بحذائه فى صدر الحلقة عشر سنين · ويكمل ابن حجر الهيثمى تلك الرواية بعزم الامام على ملازمة شيخه حماد حتى يموت · وقد كان !

ولم يقصر الامام ابو حنيفة همته على الفقه فحسب · بل انه – كما قلت – خاض غمار العلوم الشرعية من وسائل وغايات حتى ان ابا يوسف كان يقول : (ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبى حنيفة ، وكان أبصر بالحديث الصحيح منى) وروى البيهقى أن الامام النعمان كان يسأل عن الاخذ عن سفيان الثورى فيقول : أكتب عنه فانه ثقة ما عدا أحاديث أبى اسحق عن جابر الجعفى ، كما روى الخطيب عن سيدى الامام سفيان بن عيينة رضى الله عنه انه قال : أول من أقعدنى للحديث بالكوفة أبو حنيفة ، قال لهم هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار !» ومن ذلك تعلم منزلة الامام أبى حنيفة الرفيعة فى علوم الاثر مما يدحض افتراء القائلين بابتناء مذهبه على الرأى فحسب دون الرجوع الى الاثر لعدم رسوخه فيه · أما عن شيوخ الامام أبى حنيفة رضى الله عنه : فقد ذكر صاحب الخيرات الحسان أن الامام أبا حفص الكبير قد ذكر من شيوخ الامام أربعة آلاف شيخ وقال غيره : له أربعة آلاف شيخ من التابعين فما بالك بغيرهم ، وعد منهم الامام الليث بن سعد والامام مالك بن أنس رضى الله عنهما . علما بأنهما أيضا من جملة الاخذين عنه · وتذكر المصادر أن الامام أبا حنيفة قد تتلمذ على أيدى نخبة من صفوة

علماء أهل البيت رضى الله عنهم وعنا بهم أجمعين ، فقد ذكر الموفق المكى فى مناقب الامام **أنه التقى بسيدى محمد الباقر بن سيدى على زين العابدين رضى الله عنهما وتناظر معه بالمدينة المنورة وفى نهاية المناظرة قام الامام الباقر وعانق الامام النعمان وقبل وجهه وأكرمه** ، كما يذكر المكى كذلك أن الامام أبا حنيفة **التقى بسيدى جعفر الصادق رضى الله عنه وعنا به** عند أبى جعفر المنصور قبل العداء بينه وبين العلويين وتذكر بعض الروايات **أن الامام أبا حنيفة قد أخذ العهد فى الطريق الصوفى على يد الامام جعفر الصادق رضى الله عنهما** .

وهكذا نهل الامام أبو حنيفة من شتى المنابع التى منحت علمه ومذهبه كل الثقة فى أعين الجميع . يروى الخطيب البغدادى أن الامام أبا حنيفة قد دخل يوما على المنصور وعنده عيسى بن موسى . فقال المنصور : هذا عالم الدنيا اليوم ! فقال له : يا نعمان ، عمن أخذت العلم ؟ قال : عن أصحاب عمر عن عمر ، وعن أصحاب على عن على ، وعن أصحاب عبد الله - أى ابن عباس - عن عبد الله ، وما كان فى وقت ابن عباس على وجه الارض أعلم منه . قال : لقد استوثقت لنفسك) !! وذكر ابن خلكان أن الامام قد سمع عطاء بن أبى رباح ، وأبى اسحق السبيعى ، ومحارب بن دثار ، والهيثم بن حبيب الصراف ، ومحمد بن المنكدر ونافعا مولى عبد الله بن عمر وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين . ومن تلك المنابع الدفاقة وبعناية الله واجتبائه وصل الامام أبو حنيفة فى العلم الى الذروة الشامخة والامامة الراسخة التى شهد له بها الائمة الاثبات ولعلنا نستعيض عن القصور عن التعريف بمكانة الامام العلمية مباشرة بما ترجمه الائمة فى عباراتهم عن الامام يروى حرملة **عن امامنا الشافعى رضى الله عنه انه قال : (من أراد أن يتبحر فى الفقه فهو عيال على أبى حنيفة ، انه ممن وفق له الفقه)** !! كما يروى الربيع عن مولانا الشافعى رضى عنه انه قال **(الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة ، ما رأيت - أى علمت - أحدا أفقه منه : لانه لم يدرك أحدا أفقه منه)** ! ويروى الخطيب من الامام الشافعى عليه الرضوان انه قال **(قيل لمالك رحمه الله : هل رأيت أبا حنيفة رحمه الله ؟ قال نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته)** !! **وقال عنه سيدى الامام عبد الله بن المبارك رضى الله عنه (كان أفقه الناس ، ما رأيت أفقه منه)** وقال النضر بن شميل : **(كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه وبينه ولخصه)** وقال الامام سفيان الثورى لمن جاءه من عند أبى حنيفة **(لقد جئت من عند أفقه أهل الارض)** .

والان لننتقل الى الحديث عن صوفية الامام أبى حنيفة رضى الله عنه سلوكا وعملا ومنهجا وتحقيقا فذلك بيت قصيدنا الذى نريد أن نقف عنده ونتعايش مع مفهومه لنستجلى الصورة التطبيقية لعلم الامام . ونبدأ بجانب العبادة فنقف أمام مثل فذ للعباد القانتين المخبتين الاوابين . ونعاين تلك الثمرة التى أثمرتها شجرة العلم لرأس مذهب فى الفقه أم باجتهاده المطلق فى الشريعة جمهورا يتأبى تعداده من المسلمين على تتابع القرون ومر الاحقاب . لقد كان هذا الامام آية من آيات الله فى التعبد والعكوف على طاعة الله ».

حتى لقد كان **يسمى لدى السلف الصالح من العباد بالوتد من كثرة قيامه بالليل** . بل يذكر صاحب الخيرات الحسان وهو ثقة صدوق - وتظاهره روايات متعددة - **أن الامام أبا حنيفة قد أحيا الليل بقراءة القرآن كله فى ركعة واحدة على مدى ثلاثين سنة بلا انقطاع !! أجل يقول الامام ابن حجر الهيثمى « وحفظ عنه أنه صلى صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن فى ركعة واحدة يسمع بكاؤه بالليل حتى يرجمه جيرانه ، وحفظ عنه أنه ختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف مرة »** !! ثم يوكد ذلك بواقعة تاريخية رويت عن الامام عبد الله بن المبارك رضى الله عنه اذ وقع فى الامام أبى حنيفة رجل عنده فقال له :« **ويحك ! أتقع فى رجل صلى خمسا وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد وكان يختم القرآن فى ركعة وتعلمت ما عندى من الفقه منه ؟؟** » !!

والرواية التى نقلت المصادر عنها صلاة الامام الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وقراءة القرآن الكريم جميعه فى ركعة واحدة وختم القرآن الكريمة سبعة آلاف مرة فى موضع وفاته ذكرت فى تاريخ بغداد مسندة الى أسد بن عمرو . وقد روى صاحب « الخيرات الحسان » سبب احيائه الليل كله أنه سمع رجلا يقول لاخر : هذا أبو حنيفة الذى لا ينام ! ، فقال لابى يوسف : سبحان الله ! ألا ترى الله تعالى نشر لنا هذا الذكر ؟ أو ليس بقبيح أن يعلم الله تعالى منا ضد ذلك ؟! والله لا يتحدث الناس عنى بما لم أفعل ! فكان يحيى الليل صلاة وتضرعا ودعاء !! والرواية بعينها ثابتة فىتاريخ بغداد . وكان الامام رضى اللهعنه يدمن الطواف بالكعبة تقربا الى الله تعالى . حتى ليروى الخطيب البغدادى عن ابى مطيع انه قال : « **كنت بمكة ، فما دخلت الطواف فى ساعة من ساعات الليل الا رأيت أبا حنيفة وسفيان فى الطواف** » . وروى الخطيب عن أبى معاذ عن مسعر ابن كدام قال : اتيت ابا حنيفة فى مسجده فرأيته يصلى الغداة ثم يجلس للناس فى العلم الى أن يصلى الظهر ، ثم يجلس الى العصر ، فاذا صلى العصر جلس الى المغرب ، فاذا صلى المغرب جلس الى أن يصلى العشاء . فقلت فى نفسى : هذا الرجل فى هذا

الشغل متى يتفرغ للعبادة ؟ لا تعاهدنه الليلة ، قال فتعاهدته ، فلما هدأ الناس خرج الى المسجد فانتصب للصلاة الى أن طلع الفجر ، ودخل منزله ولبس ثيابه وخرج الى المسجد ، وصلى الغداة فجلس للناس الى الظهر ثم الى العصر ثم الى المغرب ثم الى العشاء · فقلت فى نفسى ان الرجل قد تنشط الليلة الماضية للعبادة لاتعاهدنه الليلة ، فتعاهدته ، فلما هدأ الناس خرج فانتصب لصلاة ففعل كفعله فى الليلة الاولى ، فلما اصبح خرج الى الصلاة وفعل كفعله فى يوميه حتى اذا صلى العشاء قلت فى نفسى ان الرجل لينشط الليلة والليلة لاتعاهدنه الليلة ، ففعل كفعله فى ليلته فلما اصبح جلس كذلك · فقلت فى نفسى : لالزمنه الى أن أموت أو يموت · قال : فلازمته فى مسجده قال ابن أبى معاذ : فبلغنى أن مسعرا مات فى مسجد أبى حنيفة فى سجوده ، رحمه الله تعالى » !!

ويذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه وعنا به الوقت الذى كان ينامه الامام أبو حنيفة فى يومه ، وليلته فيقول « **وكان نومه دائما ساعة بين الظهر والعصر ، وفى الشتاء ساعة أول الليل** » !! ساعة واحدة كانت لراحة الجسد وبقية الوقت وقف على الطاعة مباشرة · بل ان الساعة التى ينامها كانت نفسها طاعة لانها تعطى الجسم قوة على الطاعة ، ولقلة ذلك الوقت الذى ينامه الامام لم يلحظه مسعر بن كدام كما يبدو فى روايته السالفة · وأيضا كان الامام شريك يقول : « **كنت معه سنة فما رأيته وضع جنبه على الفراش** » انه توفيق الله تعالى لمن أراده لحضرته واستخلصه لنفسه من عباده واجتباه لطاعته ووصاله ·

وأما عن خوفه ومراقبته لله تعالى فكان عجبا عجابا · لقد كان الليل محرابه والخلوة بالحبيب الاعلى قوته وشرابه ، يظل طوال الليل قائما باكيا حتى يشفق عليه ويرحمه جيرانه لما يعانيه من تردد صدى الوعيد فى اعماقه · يذكر الخطيب فى تاريخه عنه أنه قام رضى الله عنه ليلة بهذه الاية الكريمة : « **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** » يرددها ويبكى ويتضرع » وروى الخطيب عن يزيد بن الكميت ـ وكان من أخيار الناس ـ أنه كان يقول : « كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى ، فقرأ بنا على بن الحسن المؤذن ليلة من عشاء الاخرة (اذا زلزلت) ، وأبو حنيفة خلفه ، فلما قضى الصلاة وخرج الناس ، نظرت الى أبى حنيفة وهو جالس يفكر ويتنفس ، فقلت أقوم ، لا يشتغل قلبه ، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه الا زيت قليل ، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم قد أخذ بلحية نفسه وهو يقول : « **يا من يجزى بمثقال ذرة خير خيرا ، ويا من يجزى بمثقال ذرة شر شرا أجر النعمان عبدك من النار وما يقرب منها من السوء وأدخلة فى** سعة رحمتك » قال فأذنت فاذا القنديل يزهو وهو قائم !! فلما دخلت قال لى : تريد أن تأخذ القنديل ؟ قال : قد أذنت لصلاة الغداة · قال : اكتم على ما رأيت ، وركع ركعتى الفجر ، وجلس حتى أقمت الصلاة ، وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل » !!

وواضح كل الوضوح أن توفيق الامام الى اداء تلك العبادات وعلى هذا النحو انما هو فى ذاته من قبيل الكرامات التى أكرمه الله بها ومن ثم لا يعترض على ذكر صلاته الخمس فرائض بوضوء واحد أو قيامه بالقرآن الكريم فى ركعة · يقول الامام ابن حجر الهيتمى : (**وختمه القرآن فى ركعة لا ينافى خبر أن من قرأه فى أقل من ثلاث لم يتفقه لان محله فيمن لم تخرج له العادة فى الحفظ والسهولة واتساع الزمن، ومن ثم جاء عن كثير من الصحابة والتابعين أنهم كانوا يختمونه فى ركعة · بل ختمه بعضهم أربع مرات فيما بين المغرب والعشاء وكل ذلك من باب الكرامات فلا يعترض به** » ١ هـ · وقصارى القول ان « **من ذاق عرف ومن جهل انحرف** » وكيف يستبعد على رجال وهبوا أنفسهم لله بالكلية أن يخضع لهم نواميس الكون والطبيعة بينما هم غيروا من نواميسهم وطبائعهم ارضاء لذاته تعالى ·وأما عن زهد الامام وورعه فقد روى **عن الامام ابن المبارك رضى الله عنه انه قال قدمت الكوفة فسألت عن أزهد أهلها فقالوا : أبو حنيفة !!** وقال مكى بن ابراهيم : **جالست الكوفيين فلم أر فيهم أورع منه !** وقال عنه الحسن بن صالح : « **كان شديد الورع هائبا للحرام تاركا للكثير من الحلال مخافة الشبهة ، ما رأيت فقيها أشد منه صيانة لنفسه ولعلمه ، وكان جهاده كله الى قبره** »

وقد رووا أن الامام رضى الله عنه أراد مرة شراء جارية فمكث عشر سنين ـ وفى رواية عشرين سنة يختار ويشاور من أى سبى سالم عن الشبهة يشترى ! انها شدة الورع اللائقة بمقام الامام · وقد روى الامام الشعرانى رضى الله عنه فى طبقاته من أقوال سيدى ابى حنيفة فى الورع « **لو أن عبدا عبد الله تعالى حتى صار مثل هذه السارية ثم انه لايدرى مايدخل بطنه حلال أو حرام ما تقبل منه** » وأيضا كان ـ عليه الرضوان ـ يقول فى ذم الدنيا والدعوة الى الزهد فيها : « لو لم تبغض الدنيا الا لان الله تعالى يعصى فيها لكانت تبغض » ولندرة من قطن الى تلك المفاهيم السامية وطبقها من العلماء كان الامام يقول : « **بلغنى انه ليس فى الدنيا أعز من فقيه ورع** » !! **انها مقاييس** الصفوة الذين أضاء الله بهم حوالك القلوب وعمر بهم الاكوان · لقد امتحن الامام فى ورعه حين اراد له الخليفة المنصور أن يلى القضاء فاختار الامام أن

يصلى بنار المحنة على أن يحكم بغير ما انزل الله ارضاء للخليفة او رغبة فى الدنيا · فاذا بنار المحبة نور يجلى معدن الذهب ويطهره · واستعمل الامام كل طاقاته فى البعد عن القضاء · يروى ابن خلكان ان الربيع قال :« **رأيت المنصور ينازل ابا حنيفة فى أمر القضاء وهو** ــ أى الامام ــ **يقول : اتق الله ولا ترع فى أمانتك الا من يخاف الله ، والله ما أنا مأمون فى الرضا فكيف اكون مأمون الغضب ؟؟ ولو اتجه الحكم عليك ثم تهددتنى ان تغرقنى فى الفرات أو تلى الحكم لاخترت ان أغرق » ، ولك حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك ولا أصلح لذلك · فقال له : كذبت ، انت تصلح · فقال له : قد حكمت على نفسك · كيف يحل لك ان تولى قاضيا على امانتك وهو كذاب**

وقاسى الامام رغم ذلك من عسف الخلفاء والولاة بسبب رفضه للقضاء فقد روى الخطيب بسنده ان ابن هبيرة ــ والى مروان بن محمد على العراقيين ــ كلم ابا حنيفة ان يلى قضاء الكوفة فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة اسواط وهو على الامتناع · فلمارأى ذلك خلى سبيله · ويذكر الخطيب أيضا أن الامام كان يخرج كل يوم ــ أو بين الايام فيضرب ليدخل فى القضاء فيأبى ، **ولقد بكى فى بعض الايام فلما أطلق قال : كان غم والدتى أشد على من الضرب !! ·**

وكان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه اذا ذكر له ذلك بكى وترحم عليه ، خصوصا بعد أن ضرب هو أيضا ! **لقد عانى الامام فى عهد الامويين وفى عهد العباسيين فيروى انه بعد المناقشة التى وقعت له مع المنصور** ــ وذكرت آنفا ــ **أمر به الى السجن فظل محبوسا الى أن توفى فى السجن رضى الله تعالى عنه** · ان جهاد الائمة أقطاب الامة · ومن ثم ارتفعت منزلته بعلمه وسلوكه وجهاده وتحققه · انه عبد ربانى آتاه ربه من لدنه علما واستعمله به · **يروى صاحب الطبقات السنية عن أزهر انه قال : كنت زاهدا فى علم ابى حنيفة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وخلفه رجلان فقيل لى المتقدم هو النبى صلى الله عليه وسلم واللذان خلفه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما· فقلت لهما أسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شىء؟ فقالا لى · سل ولا ترفع صوتك · فسألته عن علم ابى حنيفة · فقال هذا علم أنتسخ من علم الحضرة !!**

انه الامام الذى رفع لواؤه فى عليين وظهر نوره فى الارض فتبرك به الائمة · يروى صاحب الطبقات السنية عن **مولانا الامام الشافعى انه كان يقول : « انى لاتبرك بأبى حنيفة رضى الله عنه وأجىء الى قبره فى كل يوم وكنت اذا عرضت لى حاجة صليت ركعتين وجئت الى قبره وسألت الله تعالى الحاجة · فما تبعد عنى حتى تقضى » !! ألا فليفقه المنكرون على الصوفية زيارة الاولياء والتقرب بهم الى الله تعالى والتبرك بأثارهم رضى الله تعالى عنك يا سيدى أبا حنيفة وعنا بك دنيا وآخرة · آمين ·**

للسيدى أبى عبد الله محمد المرشدى

للأستاذ
أحمد أحمد النحاس

نشأ سيدى (ابو عبد الله محمد المرشدى) نشأة صالحة ، وتربى تربية دينية • حفظ القرآن الكريم ودرس علوم الدين وتبحر فى التصوف وعكف على ذكر الله وتعلق حوله مريدوه وأحبابه ينهلون من علمه ويهتدون به وقصد اليه الناس من كل مكان لما ذاعت كراماته ونفحاته •

وقد اختار (منية المرشد) دارا لاقامته وسط الفقراء من الصيادين ، ولم يشأ أن يرحل الى مدينة كبيرة لانه آثر العيش مع الطبقة الكادحة التى يأتيها رزقها يوما بيوم بسطا أو قبضا يهديها ويرعاها ويحوطها بحنانه •

وما كان أروعها من مواكب وأحفلها بالدلالات والمعانى عندما يقصد اليه فى زاويته تلك التى تقع بين النيل من فرع رشيد وبين بحيرة البرلس الملك الناصر فى موكبه الفخم وعسكره الضخم يقطع كل هذه المسافات من القاهرة الى منية المرشد فى شمال الدلتا ليحظى ببركة الشيخ الصالح • وكذلك غيره من كبار الرؤساء والعلماء والامراء وذلك هو عزالتقوى وليست العجالة اليسـيرة محـلا للتفصيل فى حياته وذكر كراماته وانما الذى يعنينا ان نسـوق شهادة ثقة معاصر زاره والتقى به بعدما سمع عنه حينما هبط الاسكندرية ونصحه وليها الصالح سيدى (ياقوت) بزيارته ، ومعنى هذا ان سيرة الشيخ الصالح تقطرت بها الافاق من القاهرة الى الاسكندرية يقصده أمراء القاهرة ويذكره ويقول به سكان الاسكندرية وما بينهما •

ذكر ما ورد عنه فى رحلة ابن بطوطة

جاء فى الجزء الاول من رحلة ابن بطوطة الرحالة العربى العالمى التى سماها (تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الانصار) وأنا انقل من مندب الرحلة التى عنى بضبطها وتهذيبها العالمان الجليلان المرحومان احمد العوامرى ومحمد احمد جاد المولى وطبعتها وزارة المعارف (التربية والتعليم) بالمطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٩٢٤ • ولم نشأ ان ننقل النص الحرفى فى الرحلة الاصلية نفسها لان ذلك شىء يطول وهذا الاختصار يأتى بالمراد •

قال ابن بطوطه :

« وكنت قد سمعت أيام اقامتى بالاسكندرية بالشيخ الصالح العابد المنقطع ابى عبد الله المرشدى وهو من كبار الاولياء أنه منقطع بمنية بنى المرشد له هنا لك زاوية هو منفرد بها يقصده الامراء والوزراء وتأتيه الوفود من طوائف الناس فى كل يوم فيطعمهم الطعام وكل واحد ينوى أن يأكل عنده طعاما أو فاكهة أو حلوى فيأتى لكل واحد بما نواه وربما كان ذلك فى غير ابانه ، وذلك كله من أمره مستفيض متواتر وقد قصده الملك الناصر مرات بموضعه •

فخرجت من مدينة الاسكندرية قاصدا هذا الشيخ نفعنا الله به) .

يقول ابن بطوطه بعد ما وصف ما مر به من البلاد مثل دمنهور وفوه •

(وزاوية الشيخ ابى عبد الله المـرشدى الذى قصده بمقربة من المدينة ، يفصل بينهما خليج هنالك فلما وصلت المدينة تعديتها ووصلت الى زاوية الشيخ قبل صلاة العصر) وسلمت عليه ووجدت عنده الامير سيف الدين وهو من الخاصكية ونزل هـذا الامير بعسكره خارج الزاوية ، ولما دخلت على الشيخ قام الى وعانقنى واحضر طعاما فآكلنى وكانت عليه جبة صوف سوداء فلما حضرت صلاة العصر قدمنى للصلاة اماما •

ولما أردت النوم قال لى : اصعد الى سطح الزاوية فنم هنا لك (وذلك أوان القيظ) فقلت للامير باسم الله . فقال لى « **ومامنا الا له مقام معلوم** » فصعدت السطح فوجدت به حصيرا ونطعا وآنية للوضوء وجرة ماء وقدحا للشرب فنمت هنا لك .

كرامة الشيخ

يقول ابن بطوطه :

رأيت ليلة تلك وأنا نائم بسطح الزاوية كانى على جناح طائر عظيم يطير بى فى سمت القبلة يتيامن ثم يشرق ثم يذهب فى ناحية الجنوب ثم يبعد الطيران فى ناحية الشرق وينزل فى أرض مظلمة خضراء ويتركنى بها فعجبت من هذه الرؤيا وقلت فى نفسى : ان كاشفنى الشيخ برؤياى فهو كما يحكى عنه فلما غدوت لصلاة الصبح قدمنى اماما لها ثم أتاه الامير يلمك فودعه وانصرف وودع من كان هناك من الزوار - وانصرفوا اجمعين بعد أن زودهم كعيكات صغارا ثم

البقية ص ٢٥٦

أسيد ابن حضير

ملائكة تدنو من تلاوته

الأستاذ عبدالمنعم حسن الأدفوى

اتفق أصحاب السير على ان أسيدا أحـد العقلاء الكملة من أهل الرأى ، وكان من الشجعان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقعة أحد ، وكان من القلائل الذين حظوا بتقدير خاص من النبى عليه السلام وخليفته ابى بكر .

أسلم قبل سعد بن معاذ على يدى مصعب بن عمير ، وكان ممن شهد العقبة الثانية ، وهو من النقباء ليلة العقبة ، وجرح يوم أحد سبعة جراحات ، وثبت مع رسول الله عليه السلام حين انكشف الناس .

وقد آخى رسول الله عليه السلام بينه وبين زيد بن حارثة ، وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، وحديثه فى استماع الملائكة قراءته حين نفرت فرسه حديث صحيح ، جاء عن طرق صحاح من نقل أهل الحجاز والعراق .

وروى الاستيعاب لابن عبد البر : جاء عامر بن الطفيل وزيد الى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فسألاه أن يجعل لهما نصيبا من ثمر المدينة ، فاخذ أسيد بن حضير الرمح ، فجعل يقرع رأسيهما ويقول : أخرجا أيهـا الهجـرسان — الثعلبان — فقال عامر : من أنت ؟قال : أنا أسيد بن حضير، قال حضير الكتائب .. ؟ قال : نعم قال : كان أبوك خيرا منك قال : بل أناخيرمنكومنأبى .. مات أبى على الكفر .

وذكر البخارى فيما روى عن عائشة ، قالت : ثلاثة لم بكن أحد يزيد عليهم فضلا ، كلهم من بنى عبد الاشهل : سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر .

ومن فضائل أسيد أنه كان هو وعباد بن بشر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة ظلماء حندس ، فتحدثا عنـده ، حتى اذا خرجا أضاءت لهما عصا أحدهما ، فمشيا فى ضوئها ، فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه فمشى فى ضوئها ، وانه لضوء الايمان الذى ملا شغاف قلوبهما وامتزج بدمائهما وملك عليهما حواسهما، ومادامت القلوب عامرة بحب الله فالطريق أمامها مبصر والنهج واضح .

وقال ابن حجر فى الاصابة كان أسيد شريفا كاملا ، وقال ابن الكلبى شهد بدرا والعقبة وكان من النقباء ، وأنكر غيره عده فى أهل بـدر .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : نعم الرجل اسيد بن حضير ، وروى عن فاطمة بنت الحسين عن عائشـة قالت : كان اسيد بن حضير من افاضل الناس .

ولتقواه وورعه ، كان يقول : لو أنى أكون كما أكون على أحوال ثلاث لكنت حين أسمع القرآن وأقرأه ، أو حين أسمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا شهدت جنازة ، يعنى يريد أن يقول ان أقصى بغيته أن يسمع القرآن ويقرأه أو يسمع كلام الرسول أو يمشى فى جنازة .

وروى الواقدى أن أبا بكر كان لايقدم أحدا من الانصـار على أسيد بن حضير ، والمعروف أن لاسيد اثرا عظيما فى بيعـة أبى بكر بالخلافة .

وجاء فى أسد الغابة لابن الاثير أن أبا حضير والد أسيد فارس الاوس فى حروبهم مع الخزرج ، وكان رئيس الاوس يـوم بعاث آخر موقعة بينهم وبين الخزرج قبيل الاسلام ، حتى جاء الاسلام فألف بين قلوبهم ، وقد قتل حضير يومئذ ، وقد كانت هذه الوقعة ورسول الله عليه السلام بمكة قد ارسل ودعا الى الاسلام ، ثم هاجر بعدها بست سنين الى المدينة .

وقد ورث أسيد عن أبيه العظمة والشجاعة يقول حقاف بن ندبه السلمى فى حضير والد اسيد :

لو أن المنايا حدن عن ذى مهابة
لهبن حضـيرا يوم غلق واقما
يطوف به حتى اذا الليل جنـة
تبوأ منه مقعـدا متناعمـا

وكان أسيد بعد أبيه شريفا فى قومه فى الجـاهلية وفى الاسلام ، يعد من عقلائهم وذوى رأيهم وكان يكتب بالعربيـة فى الجاهلية ، وكانت الكتابة فى العرب قليلا ، وكان يحسن العوم ، وكان يسمى من كانت هذه الخصال فيه فى الجاهلية .. الكامل ، وكانت قد اجتمعت فى أسيد ، وكذلك كان أبوه .

وأكد ابن الاثير فى أسد الغابة ما ذكره أصحاب السير من أن أسيدا كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، وهـذه الحادثة التى نقصها عليك تكشف عن مدى صلته بربه ، فهو حين يقـرأ القرآن تجول الفرس ، وتنزل الملائكة لسماعه .

عن أبى سعيد الخدرى أن أسيدا قال : قرأت ليلة سورة البقرة وفرس « لى مربوط ، ويحيى ابنى مضطجع قريب منى ، وهو غلام ، فجالت الفرس فقمت وليس لى هم « الا ابنى - خوفا عليه - ثم قرأت فجالت الفرس ، فرفعت رأسى ، فاذا شىء كهيئة الظلة فى مثل المصابيح ، مقبل من السماء فهالنى ، فسكت ، فلما اصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : اقرأ أبا يحيى ، فقلت قد قرأت فجالت الفرس فقال : اقرأ أبا حضير فقلت قد قرأت ، فرفعت رأسى ، فاذا كهيئة الظلة ، فيها المصابيح ، فهالنى فقال عليه السلام : تلك الملائكة دنوا لصوتك ، ولو قرأت حتى تصبح لاصبح الناس ينظرون اليهم أى الملائكة .

هكذا كان أصحاب رسول الله عليه السلام حينما يقرأون القرآن ويتدبرونه يكلمهم الله وتدنو منهم الملائكة لان اخلاصهم لله ملك عليهم أقطار أنفسهم وسكن قلوبهم وسيطر على وجدانهم وشعورهم .

عن ابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : نعم الرجل أبو عبيدة عامر بن الجراح .. نعم الرجل معاذ بن جبل .. نعم الرجل أسيد بن حضير .. نعم الرجل معاذ بن عمرو ابن الجموح .

واذا كانت الرواية الراجحة تقول ان أسيدا لم يحضر بدرا ، فان تخلفه عنها لم يكن تثاقلا ، وانما كان ، لانه وغيره ممن لم يحضرها ظنوا أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه يتعرضون فقط لعير قريش حينما رجعت من الشام ، ولذلك قال أسيد لما لقى رسول الله حين أقبل من بدر : الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك ، والله يارسول الله ، ما كان تخلفى عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدوا ، ولكن ظننت أنها العير ، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدقت .

وكان هذا هو الشأن فيمن تخلف عن بدر من الانصار وقد صور لهذه الحقيقة أصدق تصوير سعد بن معاذ سيد الاوس حينما خاطب الرسول عليه السلام بهذه الكلمات النيرة المضيئة النابضة من قلب مؤمن بالله قال سعد : فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولا أطوع لك منهم ؛ لهم رغبة فى الجهاد ونية ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك .. انما ظنوا أنها العير .. يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك .

وروى عن أسيد كعب بن مالك وأبو سعيد الخدرى وأنس ابن مالك وعائشة ، روى عنه انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للانصار : انكم سترون بعدى اثره ، قالوا فما تأمرنا يارسول الله .. ؟ قال اصبروا حتى تلقونى على الحوض

وأسيد هو ابن حضير بن سماك بن عتيك بن امرىء القيس بن الاوس ، اختلف فى كنيته ، فقيل فيها خمسة أقوال .. قيل يكنى أبا عيسى .. روى معاذ بن هشام عن أبيه عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن أسيد بن حضير قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا عيسى ، وقيل يكنى أبا يحيى وأبا عتيك وأبا الحضير .. وأمه فى رواية محمد بن عمر : أم سيد بنت النعمان ابن امرىء القيس بن زيد بن عبد الاشهل ، وفى رواية عبد الله ابن محمد بن عمارة الانصارى : أم أسيد بنت سكن بن كرز بن زعوراء بن عبد الاشهل ، وكان لاسيد من الولد يحيى وأمه من كندة توفى وليس له عقب .

وكان أسيد يؤم قومه ، فاشتكى وصلى بهم جالسا وتوفى فى شعبان سنة عشرين من الهجرة ، وحمل عمر بن الخطاب السرير حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه .

وترك أسيد عليه أربعة آلاف درهم دينا ، وكان ماله يغل كل عام ألفا ، فأراد الدائنون بيعه ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فبعث الى غرمائه فقال : هل لكم أن تقبضوا كل عام ألفا ، فتستوفون به دينكم فى أربع سنين ..؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ، فأخروا ذلك فكانوا يقبضون فى كل عام الى أن قضى دينه .

بقية مقال « سيدى أبى عبد الله محمد المرشدى »

سبحت سبحة الضحى ودعانى وكاشفنى برؤياى فقصصتها عليه فقال سوف تحج وتزور النبى (صلى الله عليه وسلم) وتجول فى بلاد اليمن وبلاد العراق وبلاد الترك وبلاد الهند وتبقى بها مدة طويلة وستلقى بها اخى (دلشاد) الهندى ويخلصك من شدة تقع فيها ثم زودنى كعيكات وودعته وانصرفت ومنذ فارقته لم ألق فى أسفارى الا خيرا وظهرت على بركة ثم لم ألق فيمن لقيته مثله الا الولى سيدى محمد الموله بارض الهند) .

وينتهى كلام ابن بطوطه فى الجزء الاول .

ويذكر ابن بطوطه فى الجزء الثانى من الرحلة أنه لقى شدة مضنية وتعبا فى الهند حتى أشرف على الهلاك وهنا ظهر له منقذ أرسله الله اليه فنجاه من شدته وهو (دلشاد) وكان ابن بطوطه قد نسى ماقاله له أبو عبد الله محمد المرشدى حتى ذكره دلشاد حينما قال له اذا عدت الى مصر فسلم على أخى فى الله محمد المرشدى فهنا ذكر ابن بطوطه كلام الشيخ له حينما كان فى ضيافته فتعجب من كرامته وظهرت له حقيقة نورانيته هى التقاء أرواح (الصالحين أين كانت هذه الارواح فى الارض فى الدنيا أو فى الاخرة) .

ثم لما انتقل الشيخ أبو عبد الله محمد المرشدى الى رحمه الله دفن فى زاويته التى تحولت الى مسجد بعد ذلك . وقد طال الزمن على هذا المسجد فنال منه وأصبح مهدما محطما وأوشكت مئذنته وقبته على الانهيار مما دعانا أن نهتف بكل مسئول أن يشارك فى تجديد المسجد بجهده ، حتى تتبناه وزارة الاوقاف وحتى يصبح مسجدا يليق بكرامة الولى الكبير خصوصا وان ضريحه مقصد الزوار من كل مكان . ويقام مولده بعد حصاد القمح من كل عام .

ان سيدى محمد المرشدى فى منية المرشد تثبت تاريخه وكراماته . وسيدى ابراهيم الدسوقى فى دسوق تثبت تاريخه وكراماته . وكلاهما فى محافظة كفر الشيخ نور يتلالا وعطرا يفوح .

وقد أخذ مسجد سيدى ابراهيم الدسوقى ابهته ورونقه وبقى مسجد سيدى (محمد المرشدى) نتمنى له قليلا مما حظى به مسجد اخيه فى الله (الدسوقى) رضى الله عنهما ، ووفق كل ساع للخير وعمر بكل بيوت الله) .

ابن دقيق العيد العالم الفقيه

الأستاذ محمد عبده الحجاجي

بينما كان العالم الفقيه على بن وهب المعروف بمجد الدين القشيرى يأخذ طريقه لاداء فريضة الحج فى يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ٦٢٥ هجريه على ظهر احدى السفن وبصحبته زوجته كريمة الشيخ الزاهد الورع مفرج الدماميني أحد كبار متصوفة الصعيد فى القرن السابع الهجرى وذلك عن طريق البحر الاحمر الذى كانوا يسمونه فى العصر الاسلامى ببحر القلزم وما أن قاربت السفينه ساحل الينبع حتى حمل البشير اليه نبأ أدخل السرور والبشر على قلبه ، وهو ان زوجته قد وضعت غلاما فرفع العالم الفقيه مجد الدين القشيرى يده الى السماء شاكرا حامدا نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه المنة العظيمة . ولما قدم مكة حمل مجد الدين القشيرى رضيعه المبارك بين يديه وطاف به البيت وهو يدعو الله سائلا أن يجعله عالما عاملا . وقد استجاب الله لدعائه فوصل الفتى بجده وذكائه ومثابرته فى الدرس وتحصيل العلوم الى مرتبة قاضى قضاة المسلمين فى العصر المملوكى .

وقد كان يدعى محمد بن عبد الله بن وهب الا ان اللقب الذى غلب عليه هو ابن دقيق العيد وهو لقب جده الاعلى ، الذى كان ذا صيت بعيد ومكانة مرموقة بين أهل الصعيد وقد لقب كذلك لان هذا الجد كان يضع على رأسه يوم العيد طيلسانا ابيض شديد البياض فشبهه العامة من أبناء الصعيد لبياضه الشديد هذا بدقيق العيد .

نشأ ابن دقيق العيد فى مدينة قوص التى كانت تشتهر فى ذلك الوقت بمدارسها العديدة ونهضتها الثقافية الواسعة تحت رعاية والده الامام مجد الدين القشيرى الذى تخرج على يديه الالاف من المريدين من ابناء الصعيد ، وقد عاش شرخ شبابه تقيا نقيا ورعا طاهر الظاهر والباطن يتحرى الطهارة فى كل أمر من أمور دينه ودنياه فحفظ القرآن الكريم حفظا تاما وتفقه على مذهب الامام مالك على يد ابيه

ثم رجع وتفقه على مذهب الامام الشافعى على يد تلميذ ابيه البهاء القفطى كما درس النحو وعلوم اللغة على يد الشيخ محمد أبى الفضل المرسى وشمس الدين محمود الاصبهانى ، ثم ارتحل الى القاهرة وفيها لازم الشيخ العز بن عبد السلام حتى وفاته وأخذ على يديه الاصول وفقه الامام الشافعى وسمع الحافظ عبد العظيم المنذرى وعبد الرحمن البغدادى البقال ثم سافر الى دمشق وسمع بها من الشيخ أحمد بن عبد الدايم وغيره ثم اتجه الى الحجاز ومنه الى الاسكندرية وحضر مجالس الشيوخ فيهما وتفقه وبلغ غايته فى شتى أنواع العلوم والمعرفة الاسلامية وقد جمع بين فقهى الامامين مالك والشافعى وقد مكث فى القاهرة فترة يسيرة اتجه على اثرها الى مسقط رأسه قوص حيث تقلد منصب التدريس فى المدرسة النجيبية وهو لم يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره ، وقد التف حوله المريدين يؤخذون على يديه فى مختلف الفنون والمعرفة الاسلامية وقد عرف بغزارة علمه وسعة أفقه فذاع صيته بين الناس حيث ان والى قوص قد اسند اليه منصب القضاء على مذهب الامام مالك ثم اتجه بعد ذلك الى القاهرة وفيها قام بالتدريس بالمدرسة الفاضلية والكاملية والصالحية والناصرية وكان ثقة فى كل ما يقول أو يشرح حتى بلغ فى النفوس مكانة سامية مرموقة وقد وصفه كثير من المؤرخين كالسبكى وابن فضل الله العمرى والادفوى وغيرهم بأنه لم يزل حافظا للسانه مقبلا على شأنهوقف نفسه على العلوم وقصرها ، فأوقاته كلها معمورة بالدرس والمطالعة او التحصيل والاملاء . وحينما توفى قاضى القضاة فى مصر وهو التقى عبد الرحمن بن بنت الاعز فى ثامن عشر جمادى الاولى ٦٩٥ هجرية وخلا بموته هذا المنصب وذلك فى عهد السلطان منصور بن لاجين اشار أحد المقربين الى هذا السلطان قائلا : هل أدلك على محمد بن ادريس الشافعى وسفيان الثورى وابراهيم ابن ادهم فعليك بأبن دقيق العيد . **فكان ان تقلد ابن دقيق العيد هذا المنصب الذى ظل شاغلا له مدة سبع سنوات بلغت فيها شخصيته مكانة قوية فى الديار المصرية ويقول بعض المؤرخين : ان ابن دقيق العيد تردد فى قبول هذا المنصب حين عرض عليه وابدى الامتناع والرفض لولا تحايلوا عليه .** وقد كان رحمه الله فى قضائه وآرائه وفتواه مثلا أعلى للصدق والعدالة والنزاهة لا يخشى فى ذلك لومة لائم أو بطش سلطان ، فما كان يراه حقا يطبق عليه الشرع ولو كان ذلك غضبا للحكام والسلاطين . وقد ترتب على ذلك أن كثر أعداؤه وحاسدوه الذين كانوا يدرسون عليه ويكيدون له . **وقد أورد كثيرا من المؤرخين مواقف مشرفة تشهد له بالنزاهة والامانة فى عدله بين الناس** ، وقد كان يرحمه الله كريما جوادا بجانب انه كان له بعض ما ينسب الى الصالحين من الكرامات والمكاشفات . وقد توفى بالقاهرة فى صبيحة يوم الجمعة لتسع أيام بقيت من شهر صفر ٧٠٢ هجرية بعد ان عمر سبعة وسبعين عاما قضاها فى خدمة الدين الاسلامى الحنيف ورفع كلمة الاسلام والمسلمين بمختلف أنحاء العالم الاسلامى وقد دفن يوم السبت وكان يوما مشهودا عزيزا فى الوجود وقد وقف جيش مصر ينتظر الصلاة عليه ، **وقد ترك الكثير من المؤلفات فى الحديث وعلوم الفقه ما زالت تعتز بها المكتبة العربيه بجانب أن له ديوان شعر فى الحكم والاخلاق والمواعظ والملح رحمه الله وأثابه .**

الشيخ عبد العزيز جاويش

رمز الكفاح والتضحية

الأستاذ عبد المنعم حمادة

تاريخ مصر منذ الزمن القديم ، ومنذ آلاف السنين ، وقبل الميلاد ، حافل بجلائل الاعمال التى استمد منها العالم وسائل نهضته ، واتخذها منهاجا لرقيه ، وترسمها خطى لتقدمه .. فمن معارك حربية ظهرت فيها البطولات واضحة ، وبانت الفنون العسكرية التى بهرت أنظار العالم ، وكشفت عن أسرار لا تزال موضع البحث حتى اليوم .. الى أضواء علمية وثقافية أرسلتها الى كل ركن من أركان الارض لتنير ظلامه ، وتبعث فيه الامل والحياة .. الى رجال أفذاذ من أصحاب العزائم القوية ، والآمال العريضة ، والعلم الواسع ، والفكر الثاقب ، الذين كان لهم فى التاريخ على تعاقب العصور أدوار هامة ، ومواقف عظيمة أشار اليها الكتاب والمؤرخون خلال الاجيال جيلا بعد جيل .

ولم تكن هذه الاعمال المجيدة ، والمعارك الطاحنة وما صاحبها من انتصارات هامة ، ولم يكن هؤلاء الرجال الافذاذ وقفا على فترة من تاريخ مصر دون غيرها من الفترات ، وانما هى ظاهرة واضحة على مدى التاريخ الطويل منذ أقدم العصور حتى اليوم ، وهى ظاهرة واضحة فى العصور الاخيرة من هذا التاريخ المصرى ، الذى زخر بكثير من هذه الاشراقات ومن الابطال فى السياسة والعلوم والمعارف .

وحديثنا اليوم لن يتناول كل هذه الاعمال الجليلة الشأن ، بل سوف نقصره على مثل واحد من أمثلة الكفاح والتضحية ، هو السياسى البارع ، والمجاهد الكبير ، والمصلح القدير ، المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش ، أحد الابطال الذين ظهروا فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، ولعبوا دورا هاما وخطيرا فى تاريخ البلاد السياسى والثقافى والاجتماعى ، والذى يجب أن نقص سيرته للشباب الناشىء ليكون لهم من حياته وجهاده وكفاحه نبراسا يحتذونه ، ومثلا ينهجون نهجه ، وليكون لهم من آماله آمالا يسعون الى تحقيقها ، ويجاهدون فى سبيلها ، ويعملون على تثبيت دعائمها ، وتدعيم أركانها .

وكان مرجعنا فى سلسلة هذا البحث عن الشيخ عبد العزيز جاويش ، الذى نقدم الجزء الاول منه فى هذا العدد ، كتابين : أحدهما للكاتب الاسلامى الاستاذ أنور الجندى باسم « عبد العزيز جاويش » ، وهو ضمن مجموعة مطبوعات سلسلة أعلام العرب ، يقص فيه تاريخ حياته بالتفصيل ، ويوضح جوانب العظمة فيه .. والثانى « الاسلام دين الفطرة والحرية » ، وهو من تأليف الشيخ جاويش نفسه ، بمقدمة للاستاذ فتحى رضوان ، تعريفا بالمؤلف ، وتمهيدا للكتاب ، وقد استعنا الى جانب هذين الكتابين بكثير من بحوث ومقالات الشيخ جاويش نفسه فى الصحف والمجلات ، أشرنا اليها فى ثنايا البحث .

• • •

ومن يمعن النظر فى تاريخ الشيخ عبد العزيز جاويش ، يرى انه كان على موعد مع القدر حتى من قبل ان تتفتح عيناه على نور الحياة ، فلم يكن عبد العزيز جاويش مصرى الاصل ، غير ان القدر لعب دوره فى مستقبل هذا الانسان الذى كان لا يزال فى عالم الغيب ، فقد كان والده الشيخ خليل حسن جاويش من تجار بنى غازى فى ليبيا ـ القطر العربى الشقيق زميل الوحدة الشاملة ـ وحتى تستكمل الحلقة ويتصل طرفاها أحدهما بالاخر ، هاجر الشيخ خليل الى مصر واستقر بمدينة الاسكندرية ، حيث فتح متجرا فى سوق المغاربة ، أصبح فيما بعد من أكبر متاجر هذه السوق ، وأصبح صاحبه من أكبر تجار الواردات الليبية فى مصر .

وهكذا نرى ان القدر تدخل فى تحديد الميدان الذى يمارس منه جهاده فى سبيل الاوطان العربية الاسلامية ، ويواصل كفاحه ونضاله من أجل الحرية والاستقلال لهذا الوطن المصرى بالذات ، وفى سبيل غيره من الاوطان التى كانت فى ذلك الوقت تترنح تحت ضربات الاستعمار ، وتتاسى من آلام التفكك والانهيار ما جعلها فى حاجة الى العزائم القوية التى تخوض المعارك فى عزم وثبات تقويها المشاهدة والمعايشة ، فقد كانت تلك « أيام قلقة مضطربة لابد انه عاشها وعاشت فى أعماقه وأحاسيسه ، وقد اضطر الناس ان يغلقوا أبوابهم ويترقبوا الاحداث فى خوف ، بينما كانت تلك الخيول الصاهلة والقبعات الحمراء تجوب الاماكن لترهب الاهالى ، ولتعلن ان نفوذ بريطانيا قد سيطر ، وان أعلامها وراياتها قد خفقت فوق الموانىء والبواخر والقلاع ، وقد استبطن جاويش هذه الصورة العاصفة فى أعماقه ، فعاشت مختلطة بمشاعره ، تحمل طابع الخصومة للدخلاء ، وتحاول ان تجد منفذها فى محاولة لتأكيد الذات » .. [عبد العزيز جاويش : للاستاذ أنور الجندى ، صفحة ٣٩] .

ولم يكن انتقال أسرة جاويش من ليبيا الى مصر هو وحده الدور الذى لعبه القدر فى حياة ابن الاسرة البار الشيخ عبد العزيز ، فقد كانت هناك أدوار أخرى لازمته طوال حياته ، يمكن أن نلخصها فيما يلى :

أولا : اليقظة الوطنية التى وصلت قمتها بالثورة العرابية التى اشتعل أوارها ووصلت نهايتها فى سنة ١٨٨٢ ، أى بعد مولد الشيخ عبد العزيز جاويش بحوالى عشر سنوات •• ومعنى هذا انه نشأ وترعرع فى أحضان الثورة ، وتعودت أذناه سماع أصوات آلات الحرب والقتال فى مدينة الاسكندرية التى كانت أول مدينة يهاجمها الاسطول البريطانى ، وتمرن لسانه على ألفاظ الحرية والاستقلال والهتاف بسقوط الاستعمار ، وتفتحت عيناه على رؤية أفراد الشعب فى حركتهم المستمرة ، وتجمعاتهم ، وتظاهرهم من أجل عرابى والجيش ، ومن أجل تقديم المساعدات الممكنة ، دفاعا عن الوطن ضد المستعمرين الوافدين ، وضد الخونة المقيمين •• وليس من شك فى ان كل هذا قد أثر فى نفسه ، واختزنه فى قلبه وفى عقله الباطن حتى طبعه بطابع خاص ظهر واضحا عندما اكتمل نموه ، واشتد عوده ، وابتدأ فى ممارسة الحياة العملية •

ثانيا : اليقظة الفكرية والثقافية التى أثارها السيد / جمال الدين الافغانى ، ومن بعده تلميذه المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، فقد وصل جمال الدين الى مصر للمرة الثانية عام ١٨٧١ ، واتصل به بعض المثقفين وطالبو العلم والراغبون فى العلوم والمعارف ، وتحلقوا حوله ، وأنشأوا مدرسة فكرية خاصة بهم ترسم خطاه ، وتنهج نهجه ، وتعمل على تحقيق آماله فى التربية والتعليم والاصلاح الاجتماعى ، وتسعى فى الوقت نفسه لرسم سياسة معينة تقف بها فى وجه الاستعمار الاجنبى ، والظلم الداخلى ، والقضاء على السيطرة والتحكم •• وكان محمد عبده من أخلص تلاميذ الافغانى وأقواهم شكيمة ، وأرفعهم منزلة ، وأكثرهم رغبة فى تحقيق آماله ونجاح خطة الاصلاح التى أشار اليها •• وعلى ضوء هذا النور الجديد ، وخلال هذا التفتح الثقافى ، ولد الشيخ عبد العزيز جاويش ونشأ ، تترامى اليه أصداء النزعات السياسية والفكرية ، والاصلاحية ، التى يشير اليها الافغانى فى مدرسته ويرددها تلاميذه فى مجالسهم الخاصة والعامة •• وتركت هذه المدرسة وأنباء ما يوضع فى طريقها من عقبات وعراقيل فى نفس عبد العزيز جاويش أثرا عميقا غائر الجرح ، حتى نزف أثناء كفاحه وجهاده بعد ذلك بسنوات •

ثالثا : ولعب القدر لعبته الثالثة فى مستقبل الشيخ عبد العزيز جاويش •• فما كاد يشب عن الطوق ، حتى ظهرت فى مصر تيارات سياسية مختلفة ، وأهواء متباينة ، فالاحتلال البريطانى يسيطر على البلاد بيد من حديد ، والخديوى والقصر والطبقة التركية من ناحية ثانية تركز جهودها ، وتسعى بكل قوتها للوصول الى غاياتها وتحقيق منافعها ، وطبقة الشعب ، ممثلة فى الشبان والطلبة وجمهور المثقفين من الطبقة المتوسطة تشاركهم القوة الوطنية ، ممثلة فى مصطفى كامل وأنصاره •• كل هذا كان له أثر كبير فى تكييف نفسية الشيخ عبد العزيز جاويش ، ورسم الطريق الذى اختطه لمساره فيما بعد •• وفى هذا يقول الاستاذ فتحى رضوان : « وكان الاحتلال البريطانى أكبر الاطراف ، وأشدها قوة ، وأعظمها مرانا على القتال ، وأوفرها مالا ، وأوسعها حيلة •• وكانت السراى الملكية وصاحبها الخديوى عباس حلمى طرفا ثانيا فى هذا الصراع ، وكان بدوره داهية من دهاة السياسة ، زاده صبرا على القتال ، واحتمالا لشدائد شبابه ، فقد كان دون العشرين حينما ولى سدة الملك ، وطموحه ، فقد كان أضيق ما يكون صدرا بوجود الاحتلال البريطانى الذى يشاركه فى السلطان ، وكان ماضى جده محمد على يخلب لبه ، ويلقى فى روعه انه قادر على ان يجدد مجده الذى اندثر ، وسلطانه الذى باد •

« أما الطرف الثالث فقد كان الشعب ، الذى صدمته كارثة الاحتلال البريطانى بعد فشل الثورة العرابية ، بعد فترة قصيرة من بدايتها ، لم تزد على عام •• كان الاحتلال البريطانى حكما أجنبيا ، وصورة جديدة للادارة ، ومجموعة غير مألوفة من الافكار ، والمعتقدات ، والوسائل ، فى شئون الدنيا ، وعالم العواطف والوجدان ، لذلك انكمش الشعب ، وانطوى على نفسه فترة غير قليلة بعد ان دخلت جيوش الاحتلال البريطانى القاهرة فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ، بقيادة السير ولسلى ، بعد ان ضرب الاميرال سيمور بمدافعه فى ١١ من يوليو من نفس السنة مدينة الاسكندرية » •• [الاسلام دين الفطرة والحرية : للشيخ عبد العزيز جاويش ، المقدمة بقلم الاستاذ فتحى رضوان] •

• • •

وقد اختلف الكتاب والمؤرخون فى تحديد التاريخ الذى ولد فيه الشيخ عبد العزيز جاويش ، كما اختلفوا فى تحديد تواريخ كثير من عظماء التاريخ فى الشرق والغرب على السواء ، لاسباب كثيرة ، يرجع بعضها الى الكتاب والمؤرخين أنفسهم ، أو لظروف البيئة والعصر اللذين ولد فيهما هؤلاء العظماء ، وقد ترجع هذه الاسباب الى العظماء أنفسهم ، والاسر التى انحدروا منها ، وليس هذا البحث السريع فى حياة الشيخ عبد العزيز مجال تفصيل هذه الاسباب وتحليلها •• لقد اختلف الكتاب والمؤرخون فى تاريخ ميلاده فمن قائل انه ولد فى ٣١ أكتوبر عام ١٨٧٦ م ، مستدلا على ذلك بما قاله ابنه الاستاذ أسعد جاويش ، من ان الاسرة احتفلت فى أكتوبر عام ١٩٢٩ بعيد ميلاده الثالث والخمسين ، ومن قائل انه ولد عام ١٨٧٢ ، مستدلا على ذلك بما قاله هو نفسه فى محضر محاكمته عام ١٩٠٨ ، من أن سنه ٣٦ سنة •

والمتتبع لتاريخ الشيخ عبد العزيز جاويش ، يلاحظ انه مر فى أربع مراحل تميز فى كل منها ولفت اليه الانظار ، ويمكن ان نلخص هذه الادوار فيما يلى :

أولا : مرحلة الطفولة : حيث ولد فى بنى غازى بليبيا من والد تاجر من تجار ذلك القطر العربى الشقيق ، يسمى الشيخ خليل حسن جاويش ، والذى زين له القدر ان يهاجر الى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ويقيم فى مدينة الاسكندرية ، ويفتح متجرا فى سوق المغاربة ، ليصبح أكبر المتاجر فى الثغر ، ويصبح صاحبه من أكبر تجار الواردات الليبية فى مصر ، كما أشرنا من قبل ، **وهكذا نرى انه ولد وقضى سنوات طفولته الباكرة فى ليبيا التى تتميز بأخلاق وعادات وتقاليد مختلفة ، تقارب ما يتميز به المصريون ، ذلك لان الاثنين : ليبيا ومصر تستمدان أصول ما تتحليان به من الاخلاق والعادات والتقاليد العربية الصميمة** •• وهكذا جاء عبد العزيز ليعيش فى كنف والده بين قوم غير قومه ، وأناس لهم مطامع وآمال وآفاق فى التفكير تشبه بعض الشىء تلك التى يدين بها أهل ليبيا ، فالظروف السياسية والاحتلال البغيض قد قاربت بينهما •• واستمر عبد العزيز فى دار والده حيث الرعاية والاشراف الكاملين ، حتى بلغ سن الرابعة عشرة •

ثانيا : مرحلة الدراسة : فى هذه السن ، سن الرابعة عشرة ، بدأت المرحلة الثانية من مراحل حياة الشيخ عبد العزيز جاويش ، **حيث بدأ يتلقى علومه فى معهد جامع الشيخ ابراهيم بالاسكندرية ، الذى كان التعليم فيه متمشيا مع نظام التعليم فى الازهر ، وهنا نلاحظ انه — رحمه الله — قد خرج على مألوف ما اختطته أسرة جاويش لابنائها ، ففى الوقت الذى كانت قد اتجهت فيه الى العناية بالاعمال التجارية والمحلية وتدريب أبنائها على وسائلها ، نرى الشيخ عبد العزيز يخط لنفسه طريقا غير الطريق الذى تريده له الاسرة ، ولا يستمع الى النداء الذى وجهته اليه لترك التعليم الى التجارة ، وعلى الرغم من محاولات الاقناع بأن ما ناله من تعليم ، وما وصل اليه من تمكين فى أصول اللغة العربية ، وما حصله من ثقافة اسلامية ، فيه الكفاية •• على الرغم من ذلك ، فانه صمم على ان يستكمل دراسته ، ويتم تعليمه ، ولم يبال بغضب أهله وذويه الذين رضخوا لرغبته فى نهاية الامر ، ووافقوا على ان يسافر الى القاهرة فى صحبة صديق صباه حسين منصور ، ليستكملا معا هذه الدراسة فى الازهر الشريف** •

والتحق عبد العزيز جاويش بالازهر عام ١٨٨٩ ، « **ولكنه سمع بأن مدرسة دار العلوم التى أنشأها على مبارك سنة ١٨٧١ ،**

تفسح لمن يتمون العلم فيها فرصا للعمل أوسع ، وتهيء لتلامذتها أسلوبا للدرس والبحث ، أدنى الى ذوق العصر ، وأقل اضطرابا من منهج الدراسة فى الازهر ، الذى بقى على حاله قرونا طويلة ، يأبى أن يتطور ، أو أن يلين .. ما كاد يسمع عن مدرسة دار العلوم وما تتيحه لتلامذتها من فرص للدراسة أوسع ، حتى عقد عبد العزيز العزم على دخول الامتحان للراغبين فى الالتحاق بها ولم يثنه عن هذا العزم ما اتصل بسمعه من انه امتحان شاق ، تكاد تكون الغاية منه تعجيز الممتحنين لا الكشف عن قدراتهم ، وقياس استعدادهم ، وانه يشمل الفقه ، والتفسير ، والحديث ، والتوحيد ، والمنطق ، والنحو ، والصرف ، والمعانى ، والبيان ، والانشاء ، والتاريخ ، وكانت لجنة الامتحان تضم عشرة أعضاء وقد استطاع ان ينجح فى هذا الامتحان العسير سبعة عشر طالبا ، كان منهم عبد العزيز جاويش ، وزميله حسين منصور ، الذى أصبح أستاذا فى مدرسة القضاء الشرعى » .. [الاسلام دين الفطرة والحرية : الشيخ عبد العزيز جاويش ، المقدمة : بقلم الاستاذ فتحى رضوان ، صفحة ٩] .

وبدأت ، منذ ذلك العهد ، مخايل الذكاء والنجابة تظهر على الطالب الناشىء ، وراح يضع قدميه منذ ذلك العهد ، على أولى درجات السلم ، الذى أخذ يرتفع فوقه الى قمة الفوز والنجاح ، والى ان يصبح الشيخ عبد العزيز فى عداد المجاهدين الذين كان لهم فى تاريخ البلاد دور عظيم الشأن والاهمية لفت اليه الانظار ، واقلق رجال الاستعمار وأعوانهم فى الداخل والخارج ، وردد اسمه على ألسنة أنصار الحق والعدل والحرية والاصلاح فى كل مكان .

وهكذا هجر عبد العزيز جاويش الازهر الشريف ، مفضلا دار العلوم ، على أمل ان يجد فيها الفرص التى تؤهله ليلعب الدور الذى يرجوه ويبنى عليه الامال الواسعة لمصر والبلاد الاسلامية عامة .. وفى دار العلوم ، أثبت انه أهل لهذا الدور الكبير ، فقد ظهر بين اخوانه طالبا ممتازا ، يتحلى بكثير من الفضائل الخلقية والعلمية ، ويحتل المكان المرموق ، كأنما كان يعد نفسه لمستقبل الايام .. وفى هذه الفترة من حياته ، يقول الشاعر محمد عبد المطلب : « ولم يمض نحو شهر على هذا الفتى حتى أصبح روح اخوانه ، وريحانهم ، وقرة كل عين ، وأنس كل نفس ، وقرارة كل فضيلة وخلق كريم ، ويزيده عظمة فى أنفسهم انه كان جامعا لكثير من الكفايات التى تعدها كالصفات المتقابلة ، فبينما هو معدود بيننا من النابغين فى العلوم الكونية كالطبيعة والفلك ، اذ نراه من خيرة الاكفاء فى علوم الدين كلها .. ومع هذه الكفايات الكثيرة كان كوكب اخوانه فى الناحية الادبية ، فهو شاعر الفرقة المطبوع ، وكاتبها الضليع ، ومن عادة المدرسة ان يكون لكل فرقة زعيم فى الادب له الصدارة عنها فى مواقف القول ومحافل البيان ، فكان الاستاذ عبد العزيز زعيم اخوانه فى هذا الميدان » .. [الاسلام دين الفطرة والحرية : الشيخ عبد العزيز جاويش ، المقدمة بقلم الاستاذ فتحى رضوان ، صفحة ١٠] .

ثالثا : مرحلة الاعداد والتكوين : وهى المرحلة الثالثة من مراحل حياة المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش ، وقد بدأها منذ اليوم الذى تخرج فيه من مدرسة دارالعلوم سنة ١٨٩٧ ، ليعمل مدرسا للغة العربية بمدرسة الزراعة التى لم يمكث بها غير فترة قصيرة ، فقد رشحته أخلاقه وثقافته وعلمه الفياض وتمكنه من عمله ليكون مبعوث وزارة المعارف الى جامعة برورود بلندن ليدرس فيها الاداب والتربية ، ومكث عبد العزيز جاويش المدة التى قضاها فى هذه الجامعة ، وهى أربع سنوات ، فى تمثيل بلاده خير تمثيل ، علاوة على اجتهاده فى دراسة الحياة الاجتماعية الانجليزية ، وأخلاق وعادات الانجليز ، ونظامهم الديموقراطى ، ووسائل تعاملهم مع غيرهم من أبناء الشعوب المختلفة ، ليكون له من ذلك كله نور يهتدى به ، ويسير على ضوئه فى خدمة بلاده .

● ● ●

وعند عودته الى مصر عام ١٩٠١ ، عين مفتشا للكتاتيب فى وزارة المعارف .. وهكذا تنوعت صلته بمعاهد التعليم ، فمن الدراسة فى معهد الشيخ ابراهيم بالاسكندرية ، الى ساحة الازهر الشريف ، الى دار العلوم ، الى التدريس فى مدرسة الزراعة .. هذا التنوع فى حد ذاته أكد له ان التعليم فى حاجة الى الاصلاح ، وانه اذا بقى على حاله كان تقدم البلاد بخطوات بطيئة ، كأنها الزحف على البطون ، ومضت السنوات تلو السنوات دون فائدة محسوسة ، فأخذ يعد نفسه للقيام بهذا الاصلاح ، ويخطط له ، ويعمل على تنفيذ ما انتهى اليه رأيه من أوجه الاصلاح ، واعتبر ميدان التعليم من أهم الميادين التى اهتم بها الشيخ عبد العزيز ، وبذل فى سبيلها جزءا كبيرا من جهوده .

وشاءت الاقدار التى لعبت دورا كبيرا فى حياة الشيخ عبد العزيز – كما أشرنا من قبل – الا أن تعده لبعثة ثانية ، فقد وقع الاختيار عليه ليكون استاذا للغة العربية فى جامعة اكتسفورد ، وهكذا اتيحت له الفرصة الواسعة ليتصل بالثقافة الغربية ويأخذ عن مناهلها مباشرة ، ويلمس بنفسه وسائل التعليم وكل مايدور حوله فى بلاد ديموقراطية عريقة فى هذه الديموقراطية ، وأفاد الشيخ عبد العزيز من فترتى اقامته ببريطانيا ، تلميذا ومدرسا ، الشىء الكثير ، وكان اهم ما افاده اتقانه للغة الانجليزية ، حتى بات كواحد من ابنائها ، ثم معرفته كيف ينظر الاوربيون الى الاسلام ، وماذا يأخذون عليه ، أو يرمونه به ، ثم ماذا تكون عيوب المجتمع المصرى أو الاسلامى التى تعوق تقدمه وتحول بينه وبين التطور ، الذى يفضى الى استجماع القوة ، وتحصيل اسباب التحرر

١ – الاسلام ، دين الفطرة والحرية : الاستاذ عبد العزيز جاويش ، المقدمة بقلم الاستاذ فتحى رضوان .

ويقول الشيخ عبد العزيز جاويش نفسه عن الحصاد الفكرى والانسانى الذى حققه من وجوده فى تلك البلاد ، ومن احاطته بوسائلها فى التربية والتعليم والثقافة ما نصه : « ذهبت الى تلك الديار فوجدت الناس متمسكين بدينهم فزادونى تمسكا بدينى ، ورأيتهم شديدى الحرص على لغتهم فزادونى حرصا على لغتى ، رأيتهم يتفانون فى الدفاع عن بلادهم ، ويحرمون على الاجانب الاستيلاء على بعض شئونهم أو التصرف فى أموالهم ورقابهم ، فأخذت أحاكيهم فى هذه البلاد السيئة الحظ بالاحتلال واشياعه ، رأيتهم يحبون الصراحة ولا يخشون مغبتها ولا يتهيبون متاعبها مادام الحق لهم ، فأخذت أحاكيهم فى تلك الفضائل ، ابصرتهم يحبون العمل ويكرهون الكسل ويحضون على الفضيلة ، فعدت الى بلادى ثم صرت اشتغل بمهمة لاتعرف الملل أو الانقطاع [المصدر السابق ص ٤٨]

رابعا : مرحلة التألق والكفاح ، وقد بدأت هذه المرحلة منذ عام ١٩٠٥ ، وهو العام الذى انعقد فيه مؤتمر المستشرقين بالجزائر ، وكان ضمن من حضره المجاهد البطل محمد فريد زميل الزعيم مصطفى كامل وخليفته فى رئاسة الحزب الوطنى ، فقد حدث أن قدم المستشرق الالمانى فولرس بحثا تطاول فيه على القرآن الكريم مدعيا انه أول كتاب بالعربية ألف باللغة العامية .. وانبرى الشيخ عبد العزيز للرد على هذا المستشرق وتفنيد ادعائه معطيا للقرآن حقه من التكريم والتبجيل والتقديس مع تنزيهه عن كل نقص الامر الذى اظهر مواهبه الفائقة ، وشخصيته – الفريدة التى استحوذت على اعجاب أعضاء المؤتمر ، وتقدير محمد فريد الذى اخطر مصطفى كامل بما حدث ، وقد انتهز هذا الاخير فرصة زيارته لانجلترا فطلب من الشيخ عبد العزيز أن يسمح له بزيارته اذا لم يكن لديه مايمنع من هذه الزيارة ، وتقابل الرجلان ، واعجب كل منهما بالاخر ، وتعاهدا على أن يوجها معا جهادهما فى سبيل مصر وتحريرها من ربقة الاستعمار ، والنهوض بها والسير بها الى الامام .

« للبحث بقية »

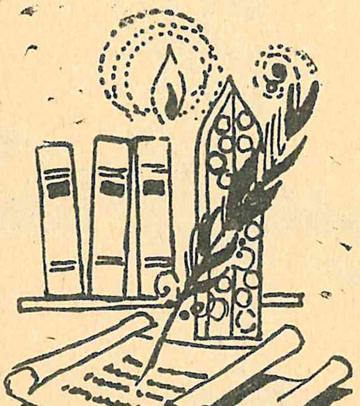

المكتبة الإسلاميّة

● ● ● ما أكثر ما نحتاجه من ضوء ، ليكشف المزيد من نواحى عدونا الاسرائيلى .. من ناحية الفكر ، والعقيدة ، والاسلوب ، والغيبيات التى تكون شخصيته . ونحن فى حاجة الى أسلوب علمى ، والى حقائق .. لكى نجد الاجابات الصحيحة عن كثير من الاسئلة ، لكى نستفيد بها فى معركتنا المصيرية الضارية . كثير من الاسئلة .. مثل كيف يفكر الاسرائيلى وكيف يتحرك ، وبم يؤمن ؟ ماذا يحب وماذا يكره ، وماذا يحمل فى شعوره وفى لا شعوره عبر التاريخ ؟ .. ما هو الاساس الذى يجعله يختار طريقة بعينها من طرائق الحياة؟ ثم ما هى مشاعره نحو الارض .. وعلى الاخص نحو القدس وسيناء ؟ .. وأسئلة كثيرة أخرى .. تلقى الاضواء على جوانب مختلفة من شخصية هذا العدو الاسرائيلى . والكتاب الجديد الذى صدر للدكتور عبده الراجحى بعنوان « الشخصية الاسرائيلية » ، يعتبر من الدراسات الجديدة الهامة ، والمنفردة أيضا .. فى تحديد معالم هذه الشخصية . وهى محاولة علمية جادة ، يجب الاستفادة منها الى أقصى مدى .

ويقول المؤلف .. أنه ينبغى أن نعترف بأننا لا نعرف عدونا معرفة حقيقية ، كما ينبغى أن تكون ، وبعد كل مفاجأة .. نسأل أنفسنا .. كيف حدث هذا .. وكيف كان ؟! . ان دراسة الاعداء لا تقتصر فقط على المعرفة العسكرية وحدها ، بل لابد من دراسة ذلك الانسان بنوازعه الظاهرة والخافية .. ولذلك اخترت « الشخصية الاسرائيلية » مجالا لهذه المحاولة العلمية فنتساءل ..

الشخصية الإسرائيلية

أهى شخصية اسرائيلية ؟
أم شخصية يهودية ؟
أم هى شخصية صهيونية ؟

أما « الاسرائيلية » فهى أقدم هذه الصفات ، لان الاسرائيليين يسمون أنفسهم هذه التسمية نسبة الى سيدنا يعقوب ، وهو الذى يعرف أيضا بسيدنا اسرائيل عليه السلام ، وهم يرون أنهم خلال عصور التاريخ قد حافظوا على هذا النسب اليعقوبى أو الاسرائيلى دون أن تختلط دماؤهم بدماء غيرهم من الاجناس !

وأما « اليهودية » فلم تطلق عليهم الا بعد دمار الدولة الاسرائيلية القديمة بجزئيها الشمالى والجنوبى ، ولقد أطلقت عليهم هذه التسمية وهم فى المنفى بعد السبى البابلى ، أطلقها عليهم البابليون لان دولتهم الجنوبية التى دمرها « نبو خذ نصر » والتى كانت تضم سبطى بنيامين ويهوذا ، كانت معروفة بدولة يهوذا .

وأما « الصهيونية » فقد أطلقت على الحركة السياسية التى تزعمت تجميع اليهود من شتى بقاع الارض ، وتوطينهم فى فلسطين باعتبارها أرض الميعاد ، واقامة دولة « يهودية » على هذه الارض .

وهناك حقيقة هامة لا ينكرها باحث ، بل لا ينكرها الاسرائيليون أنفسهم فضلا عن أنهم يعتزون بها ويدعون لها ، وهى أن « الاسرائيلية » و « اليهودية » و « الصهيونية » ألفاظ مترادفة لمعنى واحد .

وقد تناول الدكتور الراجحى « الشخصية الاسرائيلية » من زوايا مختلفة ، منها الشخصية المتدينة ، والمادية ، والحربية ، وعلاقة الشخصية الاسرائيلية بالارض ، ثم الشخصية التخطيطية .

الشخصية المتدينة

ان الدين عند الاسرائيلى هو الحياة ، والحياة هى الدين ، فليست عنده حياة دنيوية وأخرى دينية ، بل هى حياة واحدة ملاكها الاوحد هو الدين ، واذا كانت أمم كثيرة قد تخلت عن الدين أساسا لتنظيم حياتها العامة ، فان الشعب الاسرائيلى هو الشعب الذى ظل تاريخه كله ، حتى فى أحلك أوقات محنته مئات من السنين - يؤمن بشىء واحد ، وهو أن الدين اليهودى .. هو الاساس الوحيد لحياته .

وكما ارتبطت اللغة العربية بالقرآن الكريم ، فان اللغة العبرية لها عند الاسرائيليين قداسة خاصة ، وهى جامعة تجمع بينهم على تشتت الديار ، وتباعد المسافات ، واللغة وعاء الفكر ، فهى اذن تؤدى الى درجة من « الوحدة الفكرية » مهما تشتتت تلك الديار ، أو مهما تتباعد هذه المسافات .

وأول ما يدرسه الغلام اليهودى هو اللغة العبرية ، واسفار موسى الخمسة . فاذا بلغ العاشرة من عمره بدأ يدرس « المشنا » وفى الثالثة عشرة يأخذ فى دراسة الاجزاء الرئيسية من التلمود ، ومن شاء منهم أن يكون من العلماء واصل دراسة « المشنا » و « الجمارا » من الثالثة عشرة الى العشرين من عمره أو ما بعدها .

ويرجع الاسرائيليون عقيدتهم الى سيدنا ابراهيم عليه السلام ، ويدعون أنه جدهم الذى لا يشركه فيه غيرهم ، لكن القرآن الكريم قد حسم هذه القضية حسما واضحا :

« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » ثم بالنسبة الى ذريته فى قوله الكريم :

« أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى ، قل أأنتم أعلم أم الله : ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون » .

و « التلمود » كما يدل أسمه كتاب أرضى لم يصدر عن وحى سماوى ، . فالتلمود » يعنى « التعاليم » وهو مجموعه من التعاليم التى تضم حشدا من القواعد والاحكام والوصايا والشرائع والشروح وضعها الاحبار الاسرائيليون بعد تدبير الدولة ، واعتبروها «سنة» عن موسى ودونوها سياجا للعهد القديم ، لكن طبيعة التلمود الارضية وملاءمتها للعقلية الاسرائيلية لم تجعله يمثل المصدر الثانى للتشريع ، بل وضعته قبل كتاب العهد القديم فى تنظيم الحياة الاسرائيلية .

والتلمود تلمودان : أورشليمى وبابلى . أما الاورشليمى فقد وضعه أحبار اورشليم فى طبرية وبدىء فى كتابته فى القرن الثانى واكتمل فى القرن الرابع الميلادى ويحتوى تسعة وثلاثين بحثا .

أما البابلى فقد وضعه أحبارهم قرب بغداد أواخر القرن الخامس ويضم ستة وثلاثين بحثا ، وهو المتداول الان بين اليهود .

وهذه العقيدة الاسرائيلية الغريبة ، تثير الدهشة ، ومع ذلك فهى فى أعماق كل اسرائيلى . فنستعرض مثلا سطورا قليلة جدا من التلمود :

« وقد خلقت الارواح جميعا فى الايام الستة الاولى للخليقة ، ثم أودعها الله مخزنا فى السماء تخرج منه واحدة كلما حملت امرأة ، وتمتاز أرواح اليهود بأنها جزء من الله ، وأما نطفة غير اليهودى فمثل نطفة الحيوان .. والجنة لا يدخلها سوى اليهود ، أما النار فمأوى الكفار نصيبهم فيها البكاء والالم ، وهى أكبر من الجنة ستين مرة ، وسيخلد فيها المسلمون أبدا لانهم لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم ، وسيخلد فيها المسيحيون لانهم لا يختتنون . واليهود هم الصفوة الممتازة من البشر بل هم أفضل من الملائكة . أما بقية البشر فكلاب بل ان الكلاب أفضل منهم .. ويجب ألا تاخذ اليهود بهم شفقة أو يحيوهم بتحية ما لم يخشوا ضررهم ، والتحية هنا نفاق ، والنفاق مباح مع الكفار الخارجين عى دين اليهود .. ولليهودى ملك الدنيا جميعا ، وعلى اليهودى ألا يسرق من يهودى أما غير اليهودى فماله وعرضه مباحان .. ومن المحرم على اليهودى أن ينقذ غير اليهودى من هلاك أو يخرجه من حفرة سقط فيها لانه بذلك يحفظ عليه حياته » .

وهاجموا السيد المسيح عليه السلام بعنف وضراوة فى كثير من نصوصهم . وهكذا فان قراءة التلمود توكد أن هذا الشعب العجيب قد احتفظ بكل هذا الذى خلقه عقيدة وشريعة ، ملازم الايمان به طوال تاريخه .

واهم معلم من معالم الدين الاسرائيلى أنه « دين مغلق » لان الاسرائيليين يرون أن دينهم « خاص » بهم وحدهم . ولهذا لم يستوعبوا فكرة الذوبان فى

المجتمعات الاخرى • وهذا الانغلاق الدينى والعنصرى تظهر الدعوى الاسرائيلية المعروفة « بنقـاء » الدم الاسرائيلى • وهذا الدين « المغلق » هو الذى حدد العقيدة الاسرائيلية نحو فكرة « الله » ، فالله الموجود فى السماء •• هو اله « قبلى » خاص ببنى اسرائيل وحدهم ، وعلى الاخرين أن يبحثوا عن آلهة أخرى •

ويقول المؤلف ، ولهذا ظهرت فكرة « الشعب المختار » وهى من أخطر ما عرف التاريخ الانسانى من أفكار وأبعدها أثراً فى حركة الصراع الدائر فيه ، وكل الافكار التى تدور فى هذا الفلك من الاستعلاء العنصرى أو الاحساس بتفوق الجنس أذاقت العالم من الويلات ما لم تنته آثارها حتى الان • والاسرائيليون يختلفون عن النازيين فى أنهم يقيمون فكرة التفوق العنصرى على أساس دينى •

الشخصية المادية

ويتناول المؤلف الشخصية الاسرائيلية المادية بالتحليل ، فيقول « ان الاسرائيليين ماديون عقيدة وشريعة • فهم أصحاب الاقتصاد فى العالم القديم والحديث ، ويحتل « الذهب » من حياتهم محل الاله المعبود الذى لا يدانيه اله آخر • ومن أمثالهم الشعبية « الغنى يكثر الاخلاء ، والفقير يفارقه خليله ، وجميع اخوة المعوز يبغضونه » • وانتشر الاسرائيليون فى العالم ، يأمرهم دينهم بالمادية ، وتتغنى أمثالهم بالتجارة ، وجاء مقررات حكماء صهيون فى العصر الحديث لتجعل الاقتصاد محور الحركة • والصفة المادية للشخصية الاسرائيلية أدت الى شخصية « بخيلة » •• تحرص على المال والحياة •

الشخصية الحربية

ان الحرب بين الاسرائيليين وبين الشعوب العربية قدر لا مفر منه على الاطلاق • لان الاسرائيليين يرسمون مخططاتهم على أساس «من النيل الى الفرات » وهم دائما يعتقدون أن « الله » لا يكاد يكون له عمل الا أن يحارب مع « شعبه المختار » • ونقول أن الشخصية الاسرائيلية شخصية حربية ، وليست شخصية محاربة • لان الصفة الاساسية للشخصية الاسرائيلية هى « الجبن » • فالاسرائيلى طوال تاريخه جبان لم يخرج الى الحرب بمعناها الحقيقى • فكما قلنا أن الاسرائيلى مادى ، والمادى بخيل ، والبخيل حريص على ماله ، والحرص على المال من أقوى أسباب الحرص على الحياة • على عكس العرب الذين تهون عليهم حياتهم فى سبيل العقيدة والمبدأ •

وهذا الجبن أيضا يؤيده الواقع المعاصر ، لان الحروب التى وقعت حتى الان بين الاسرائيليين والعرب ، لم تكن حروبا بالمعنى المعروف • فهم ينتهزون فرصة الغفلة والحذر ، والغدر ، ويخشون التقاء الجيوش بجيشهم ، والا حاقت بهم هزيمة مؤكدة • وهذا الجبن يؤدى أيضا الى شراسة اليهودى حين يقع أعداؤهم فى أيديهم ، فهم يقتلونهم ، ويجدون اللذة فى تعذيبهم • وهى شريعة « الجبان » حين ينتصر على خصمه بالغدر •

الشخصية والارض

والارض •• تلتصق التصاقا وثيقا بالشخصية الاسرائيلية •• وهى الارض الموعودة •• أرض الميعاد •• فلسطين • ودائما يضعونها نصب أعينهم أينما كانو •• لتحقيق هذا الامل •

الشخصية التخطيطية

والعجيب أن الشخصية الاسرائيلية تتميز بأنها شخصية تخطيطية ليس على مدى خمس سنوات أو عشر سنوات •• بل ان تخطيطهم يتمثل فى مائة عام • وعلى كل جيل أن يحقق جزءا من الخطة الكبرى وهى « من النيل الى الفرات » • ولتحقيق ذلك يقومون بوضع الوسائل لتحقيق خطتهم ، منها •• هدم الدين ، وخنق القومية ، والدعوة الى العالمية ، والروحية وأنشأوا الجمعيات السرية الخطيرة •• مثل الماسونية ، والجمعيات الروحية ، وجمعية شهود يهوفا « يهوه » •

وبعـــد

ان كتاب « الشخصية الاسرائيلية » للدكتور عبده الراجحى •• من الدراسات الجديدة الهامة جدا ، لمعرفة الشخصية التى نحاربها •• معتقداتها ، ايمانها ، مثلها •• ونخرج من الكتاب بأمر واحد ينبغى أن يعرفه كل عربى •• الصراع بيننا وبينهم صراع طويل ومتكامل •

لكن الشئ الوحيد الذى سوف يحكمه هو أنه لابد أن يكون :

صراع ايمان مقابل ايمان •

هؤلاء آمنوا بما لا ينبغى أن يؤمن به انسان •

ولعلها حكمة الله أن يختار أرضه المقدسة لتكون ميدان هذا الصراع •• ولقد كانت يوما ميدانا لهذا الصراع ••

فالاسرائيليون ليسوا أعداء للعرب وحدهم •• لكنهم أعداء للبشرية جمعاء •• تماما مثلما كان التتار •

فلعلها حكمة الله أن تكون على أرضه وبين أمته نهاية اسرائيل •• مثلما كانت نهاية التتار •

لكن جوهر الامر كله •• سوف يظل دائما •• هو الايمان ••

والايمان دائما •• بأننا لابد أن نكون !!!

الإفتاء • المرأة المسلمة
الرياضة
بريد القراء • بريد التعارف

انت تسأل ؟!

والمفتي يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور محمد محمد الفحام

س ١ : من سلامة فران ـ طرابلس

يقول : انا تزوجت بزوجة ثيب وتوفيت ولم تنجب مني اولادا ولكن لها من زوجها الاول اولاد ٠٠ فهل يحق لي النصف مما تركت ٠٠ أو الربع ؟

الجواب :

يحق لك الربع بنص القرآن مادام لزوجتك اولاد سواء منك أو من زوج آخر ٠٠ قال الله تعالى : « ولكم نصف ما ترك ازواجكم أن لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين » سورة النساء ٠

س ٢ : من احمد يوسف شومان ـ منشاة شومان ـ بلقاس

يقول : اذا كنت متوضأ ولمست يدى زوجتى أو سلمت على امرأة أخرى تحل لى ٠٠ هل ينقض وضوئى ولا يصح لى الصلاة الا بوضوء آخر علما بأنى شافعى المذهب ؟

الجواب :

قالت الشافعية : ان لمس الاجنبية ـ التى يحل الزواج منها ـ ينقض الوضوء مطلقا واستثنوا من بدن المرأة شعرها وسنها وظفرها فان لمسها لا ينقض الوضوء ٠

وقالت الحنفية : ان اللمس لا ينقض الا بالمباشرة الفاحشة او اذا التذ بسبب اللمس فرز شيء قبله .

وقالت الحنابلة : ينقض الوضوء بلمس المرأة بشهوة بلا حائل لا فرق بين كونها اجنبية أو محرما ولا بين كونها حية أو ميتة ٠

وقالت المالكية : يشترط فى نقض الوضوء باللمس ان يكون اللامس بالغا وان يقصد اللذة أو يجدها ولو بدون قصد وان يكون الملموس عارى البشرة أو مسترها بساتر خفيف ٠ وعلى ذلك فالسائل يقرر انه شافعى المذهب فينقض وضوءه بلمس زوجته او امرأة ليست من محارمه ٠ مادام ليس هناك حائل بين بشرة اللامس والملموس ٠

س ٣ : من طلعت محمد السيد ـ طنطا

يقول : اريد الزواج من فتاة لم ترضع من والدتى ولم ارضع انا من والدتها ولكن لى أخت هى التى رضعت من والدتها فهل تحل لى شرعا ؟

الجواب :

يحل لك الزواج من هذه الفتاة مادامت لم ترضع من والدتك ولم ترضع انت من والدتها وأما رضاع اختك من والدتها فالتحريم ينصب عليها فلا يجوز لها ان تتزوج واحدا من أولاد هذه المرأة لانها صارت بمثابة الام لها واولادها صاروا اخوة لها من الرضاع ٠

س ٤ : من راوية محمد على ـ بنها

يقول : ابن خالتى رضع على اختى الكبرى ٠ وانا لم ارضع قط وهو يريد الزواج منى فهل يجوز هذا الزواج ؟

الجواب :

لم تبين صاحبة السؤال ممن رضع ابن خالتها ، ونحن نقول : لا يجوز الزواج من ابن خالتك اذا كان قد رضع من امك لانها تكون حينئذ بمثابة امه تماما واولادها جميعا اخوة لـه لان القـاعدة الشرعيـة (يحرم من الرضـاع ما يحـرم من النسب) ٠

واذا كان قد رضع مع اختك الكبرى من ثدى آخر غير ثدى الام فلا يحرم بذلك زواجه منك ٠

س ٥ : من سناء توفيق سيد ـ الاسكندرية ـ كلية التجارة

انا أرتدى الزى الاسلامى ٠ ولكن زميلاتى يهزأن بى ٠ وأمى تطلب منى ترك هذا الزى حتى أتزوج علما بانها ترتدى الزى المحتشم وقد تقدم لى بعض الازواج ولكنهم أصروا على أن أترك هـذه الملابس مجاراه للمجتمع ولكنى رفضت ذلك محافظة على دينى ٠ فما هو حقيقة موقفى هذا من الشريعة الاسلامية ؟

الجواب :

ان موقفك هذا موقف كريم وسيكافئك الله عليه وينصرك على من يهزأون بك ٠ لان الاسلام امر المرأة بالاحتشام ٠ قال الله تعالى **(يأيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما)** سورة الاحزاب ٠

وأوجب الاسلام أن تكون ثياب المرأة فضفاضة لا تجسد بدنها وان تكون سميكة لا تشف عما تحتها وان تكون سابغة تستر بدنها كله ما عدا الوجه والكفين ٠

وعلى ذلك ما دمت على الحق وهـذه أوامر الله تعالى فلا يضرك كلام الزميلات ولكن حاولى ان تكون معاملتك لهم على نهج قويم من السلوك الاسلامى حتى تجـذبى انتباههم الى حظيرة الايمـان بأسـلوب حكيم واما والدتك فحاولى ان تقنعيها بأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وان الله سبحانه وتعالى كفيل بـأن يتولـى من يتبع شريعته ويرزقه بالـزوج الصالح . ولا عبرة بكثرة المخالفين للشريعة الاسلامية فان الله تعالى يقول **(وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله)** سورة الانعام وقال **الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس »** . ولتعلمى يابنيتى ان الخاطب الذى يطالبك بترك هذا المظهر الشرعى ويشترط استجابتك لتقدمه اليك ليس بالزوج الصالح ٠ وتركه انما هو بركة من بركات الحشمة ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقهـا واجلها **فاتقوا الله واجملوا فى الطلب** ٠ هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

س ٦ : من السائلة نفسها تقول :

ما معنى قول الله (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون) ؟ ٠

الجواب :

جرت العادة أن من جرى مسرعا أخذ ذيل الثوب بيده أو بأسنانه ليتيسر لساقه سرعة الانطلاق ٠ دون ما عائق ٠ ويفعل ذلك عادة من فزع من شىء وطلب النجاة بكل طاقته وبذل فى سبيل ذلك غاية جهده فأصبح كشف الساق كناية عن شدة الفزع والالحاح فى الهروب ٠ وقد قرر البلغاء أن استخدام أسلوب الكناية يراد به اعطاء المعنى مقرونا بدليل . وقد عبرت الاية الكريمة بهذا الاسلوب الى شدة الاهوال التى تجتاح الناس فى هذا الموقف الرهيب والذى تصوره سورة الحج فى آيتيها الاوليين ٠ وأحب أن أطمئن أهل الايمان والاستقامة ٠ فأولئك لا يحزنهم الفزع الاكبر والحديث فى الاية عن الذين رفضوا منطق الايمان ومقتضياته ٠ يقول الله تعالى لهم وقد جاءوه فرادى كما خلقهم أول مرة ورهقتهم الذلة اسجدوا على نار جهنم لانكم رفضتم الاذعان فى الدنيا فلا يستطيعون ذلك وقد ساروا الى هذا المصير لانهم رفضوا الصبر فى هذه الدنيا وهم سالمون ٠

س ٧: من عبد الله اسماعيل عمار ـ بيلا ـ كفر الشيخ

يقول : هل الغناء عند الفقهاء محرم ٠٠ وما هو حكم الشريعة الاسلامية فيها ؟

الجواب :

حكم الغناء عند الفقهاء على النحو التالى :

قالت الشافعية : ان الغناء أقسام كثيرة ٠ فمنها ما تترتب عليه فتنة أو محظور دينيا بألفاظ مستهجنة فهذا حرام لما فيه من اثارة الشهوة والافتتان والتهتك والمجون وقسم آخر هو الحداء وذكر مواطن الذكريات وتحسين الصوت بألحان مثل الاشعار فمباح .

وقالت الحنفية : التغنى المحرم ما كان مشتملا على ألفاظ لا تحل كوصف المرأة ووصف الخمر وهجـاء المسلم ٠ أما اذا كان التغنى يشتمل على وصف الرياحين والازهار ومواطنها أو اشتمل على وصف الحياة والمياه والجبال والسحاب فليس بحرام ٠

وقالت المالكية : ان الغناء محرم لما فيه من الفتنة والذى يجوز منه الرجز الذى يشبه ما جاء فى غناء جوارى الانصار

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم

ولولا الحبة السمراء لم نحلل بواديكم

وقالت الحنابلة : لا يحل من الغنـاء الا ما كان بعبارات الوعظ والحكم وقراءة القرآن لان تحسين الصوت والترنم فى ذاته مباح وقد قالوا انه مستحب عند تلاوة القرآن اذ لم يفض الى تغيير حروفه أو الى زيادة النطق والا حرم ٠

س ٨ : من فتحى أحمد عبد المطلب مهندس زراعى بملوى

يقول ما هـــو أفضل : اذا دخل رجل للمسجد فى صلاةالجمعة أثناء الخطبة فهل يصلى ركعتين تحية المسجد أم يجلس لسماع الخطبة أولا ثم يؤدى تحية المسجد فيما بعد واذا كان من الافضل الجلوس لسماع الخطبة فهل يجوز للخطيب وهو على المنبر أن ينبه هذا الرجل الى الجلوس اذا رآه يصلى ؟

الجواب :

للمذاهب فى هذا الامر أحكام متعارضة ولكل وجهته ونحن نختار الرأى القائل أن الخطبة انما تلقى لتسمع والمفروض أن الخطيب يخاطب جمهور المصلين وأن الله تعالى ما جعل لرجل من قلبين فى جوفه فاذا اتجه الى الصلاة شوشت عليه الخطبة واذا اتجه الى الخطبة فهو يصلى صلاة آلية · ومن هنا نختار المذهب الذى يدعو جمهور المسجد الى سماع الخطبة ما لم يكن المصلى فى صلاة فرض كالصبح مثلا اذا أساء وأخرها الى هذا الوقت فلا خلاف أن هذا ليس بحرام ونرى أن من الافضل أن يترك الامام كلا لمذهبه ولا بأس بعد الصـــلاة أن يعلن توجيهه اذا أراد للرأى الذى ارتأيناه من أقوال الائمة الفقهاء ·

س ٩ : من خديجة عبد الهادى البيه :

هل يصح للمرأة أن تصلى امامة للنساء فقط وكم يكون عدد النساء وراءها حتى تنعقد صـلاة الجماعة ·· ؟

الجواب:

يجوز للمرأة امامة النســاء وتقف وسطهن لحديث ربطه الحنفية قالت : أمتنا عائشة فقامت بيننا فى الصلاة المكتوبة ولحديث الوليد بن جميع عن أمه أم ورقة أن النبى صلى الله عليه وسلم أذن لها أن يؤذن لها ويقام وتؤم نساءها · ولهذا قالت الشـافعية والحنابلة تستحب الجماعة لنساء اجتمعن منفردات عن الرجال سواء أكان أمامهن منهن أم لا وهو رواية عن مالك والرواية الاخـرى تشترط الذكورة فـى الامام ·

وقالت الحنفية : تكره جماعة النساء وحدهن فان فعلن تقف الامامة وسطهن وجوبا لفعل عائشة وأم سلمة ذلك حين كانت جماعتهن مستحبة ثم نسـخ الاستجاب ومال الكمال بن الهمـــام الى جواز جماعتهن بدون كراهة لانه لا دليل على النسخ وعليه فلا كراهة فى قيام امامة لهن ·

وعلى ذلك فيجوز للمرأة امامة الصلاة ولو بامرأة واحدة فما فوقها ·

س ١٠ : من السيد حطاب فليس ـ الجمهـوريـة التونسية

زوجتى ورثت مالا من رجل تبناها قانونا قبل وفاته وهى طفلة صغيرة وأبواها الحقيقيان مازالا على قيد الحياة فهل هذا المال الذى ورثته حلال أم حرام وما الذى نفعله ·· ؟

الجواب :

ان هذا المال الذى ورثته الزوجة حرام لانه ليس بطريق مشروع لان الله تعالى هدم قاعدة التبنى قال الله تعالى :

« وما جعل ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل أدعوهم لابائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانهم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به » سورة الاحزاب

لان التبنى كان معمولا به فى الجاهلية الى أن حرم الاسلام التوارث بالتبنى بقوله تعالى « **ادعوهم لابائهم هو أقسط عند الله** » ·

وعلى ذلك فيلزم السائل أن يعرف زوجته أنها لا ترث هذا الرجل فلا يحل لها شىء من ماله وعليها أن تعيد ذلك المال الذى أخذته الى ورثته الشرعيين مالم يتنازلوا لها عن هذا المال فيكون ذلك ابتداء عطية منهم لها قال تعالى :

« وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا » ·

س ١١ : من أحمد ابراهيم السياس من البحـر الاحمر ·

توفى رجل وترك شقيقه وابن أخ له والتركة كلهـا ستة عشر قيراطا فما نصيب كل وارث ·· ؟

الجواب :

للاخ الشقيق كل التركة وليس لابن الاخ شىء لحجبه بالاخ الشقيق ·

س ١٢ : من أ · ر · ج · تركيا ·

هل خروج شىء غير البول والغـائط من أحـد السبيلين مثل الدود ينقض الوضوء ·· ؟

الجواب :

مذهب الشافعية أن الوضوء ينقض بكل ما خرج من السبيلين ولو كان الخارج دودا ومذهب المالكية عدم النقض بالخارج غير المعتاد وهو معفو عنه حتى لو خرج وهو فى الصلاة يتمها ولا يقطعهـا ·

وعلى ذلك فالافضل أن يتوضأ خروجا من الخلاف بين المذاهب ·

س ١٣ : من ج · ر · س ـ أسبانيا ـ

اذا كنا نعتبر أن الذين يدعون أن المسيح هو ابن الله كفارا فلماذا حل الزواج من النصرانية ·· ؟

الجواب :

ان الاسلام يعتبر المخالفين له كفارا لا نكارهم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانما أبيح الزواج من أهل الكتاب مع مخالفتهم لنا وتمسكهم

بدينهم لقوله تعالى : « **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن** » اى مهورهن فلابد من العقد عليهن كما نعقد على المسلمة والاسلام أباح الزواج من الكتابية لانها أقرب الى الاعتراف بالاديان السماوية وذلك بخلاف المشركة التى لا تعترف بدين من الاديان . وانما الكتابية يمكن ان تتبين الحق وفضل الاسلام .

س ١٤ : من السائل نفسه :

يزعم أعداء الاسلام انه انتشر بالسيف وبطريق الارهاب والحرب ولم كانت الجزية فى الاسلام ؟ .

الجواب :

ان هذا الزعم باطل من أساسه فلقد فتحت الباكستان والهند وبلاد العجم عن طريق الجيوش الاسلامية وذهبت الى أندونيسيا والجزر الاسيوية عن طريق التجار الذين كانوا يذهبون من اليمن وغيرها لبيع بضاعتهم وشراء بضائع من تلك البلاد ويرجعون بها وكانوا مسلمين وتجارهم مسلمين فعرضوا الاسلام على أهل هذه البلاد فدخلوا مختارين .

والذى تسأل عنه هو تعليل الفتح فى البلدان التى دخلها الاسلام فتحا والامر هين وسهل ومنطقى فان الاسلام لما ظهروانتشر عودى منخصومه وقد صنعوا كل ما يستطيعون لتعويق الدخول فيه وصد الناس عنه فمما قوى الاسلام كان عليه وعلى الخلفاء والرؤساء أن يذهبوا بجيوشهم وبعلمائهم ليعرضوا الاسلام على هؤلاء الجيران قائلين لهم : لما لم تتركونا وشأننا جئنا كم بالحجه والدليل والبرهان فظهر مما نحن عليه من دين فان أعملتم عقولكم ورضيتم بدعوتنا عن اقتناع فمرحبا وأنتم معنا على سواء فى نصرة هذا الدين وان أبيتم الدخول فيه فلن نكرهكم على الدخول فيه ، قال الله تعالى : « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** » ولكننا لن نترككم معوقين للدين ولا صادين عن سبيل الله فاذا دخلتم أتباعا للبلاد الاسلامية فعليكم أن تدفعوا لنا أجرة رمزية وهى الجزية اجرة للحماية لكم ولاموالكم ولتكون رمزا لغلبتنا ولعيشكم تحت ظل الاسلام وبعد المخالطة ستعرفون مبادىء الاسلام وعندئذ ستطيب نفوسكم وستختارون الانصراف عما أنتم عليه من باطل .

وهكذا كان الاسلام يهدف بالجيوش الى تأديب المحاربين له والى اعطاء الفرصة العملية لرؤية أعدائه له والاختلاط بأهله وكمكانت تلك الطريقة مجدية ومنتهية الى الدخول فى دين الله أفواجا ولكن أعداء الاسلام حين يذكرون انتشار الاسلام يعرضونه اجمالا فى صورة وحشية ودكتاتورية وما شاء الله تعالى بعد قوله « **لا اكراه فى الدين** » شاء الله تعالى أن يجعل أتباعه وحشيين أو ارهابيين .

س ١٥ : من س . م . ع ـ شبرا .

أنا آنسة أحافظ على الصلاة ولكن يـنزل منى افرازات مهبلية وذلك يتكرر كثيرا وخصوصا عند مداعبة خطيبى لى فهل يجب على الغسل أم الوضوء فقط .. ؟

الجواب :

يجب الغسل بخروج المنى من الرجل أو المرأةقليلا كان أو كثيرا على لونه المعتاد أو على لون الدم ولكن الشافعية يشترطون فى ايجاب الغسل علامة من ثلاث .

١ ـ التدفق ٢ ـ التلذذ ٣ ـ أن تكون رائحته وهو رطب كرائحة العجين أو طلع النخل وان كان جافا تكون رائحته كرائحة بياض البيض . ويجب بخروجه الغسل سواءخرجت منه أو بنوماو بجماع أو غيرهبنظر أو حاسة أو فكر وعند الحنفية والمالكية يشترطون خروج اللذة فان خرج بدونها لم يوجب وان تحقق فيه الدفق والرائحة وعند الحنفية والمالكية والحنابلة يشترط التدفق فان خرج سيحا من غير تدفق لم يوجب الغسل عندهم .

وقد ورد فى الحديث الصحيح ان امرأة من الانصار **جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله فقالت : يا رسول الله ان الله لا يستحى من الحق هل على المرأةمن غسل اذا هى احتلمت ؟ فقال : « نعم اذا رأت الماء » وفى رواية : « انما الماء من الماء »** . أى ماء الغسل من أجل ماء المنى » .

وعلى ذلك فالسائلة تنظر الى ما ينزل منها من افرازات بناء على هذه الاحكام الشرعية فان وجب عليها الغسل اغتسلت والا طهرت هذا المكان وتوضأت للصلاة فقط . وأريد أن أوجه نظرك الى أن مداعبة خطيبك لك لا يجوز شرعا الا اذا تم العقد . فما دمت محافظة على الصلاة فلتربئى بنفسك عن الوقوع فى هذا الذنب الكبير . الذى قد يؤدى الى مالا يحمد عقباه .

س ١٦ : من سلامة عكوش ـ طرابلس

توفى رجل وترك زوجته وبنتا واخوين . فمن يرث ومن لا يرث ؟

الجواب :

للزوجة الثمن فرضا وللبنت النصف فرضا .. وللاخوين الباقى تعصيبا اذا كان شقيقين . او لاب . أما اذا كانا لام فمحجوبان بالبنت وعليه فتأخذ البنت النصف فرضا . والباقى ردا . والله أعلم .

س ١٧ : من ابراهيم محمد سلامة ـ محافظة المنيا

يأمرنا الاسلام باخراج الزكاة ـ فلمن نعطيها ـ ونرجو شرح الاية الكريمة التى تنص على ذلك . ؟

الجواب :

الزكاة تعطى لمستحقيها كما قال الله تعالى : « **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل** » .

فالاصناف الثمانية : الفقير وهو من يملك أقل من النصاب والمسكين هو من لا يملك شيئا والعامل هو الساعى الذى نصبه الامام لجمع الزكاة والمؤلفة قلوبهم كانوا ثلاثة اصناف فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ صنف منهم أعطاه من الزكاة والفه ليسلم وليسلم قومه باسلامه ٠ وصنف أسلم ولكن على ضعف فأعطاه من الزكاة ٠ يريد تثبيته على الاسلام ٠ وصنف أعطاه لكف شره عن المسلمين ومذهب أبى حنيفة والمشهور عن مالك أنه قد سقط سهمهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ والاصح من مذهب الشافعى ٠ ان سهمهم باق وفى الرقاب وهم المكاتبون يعطون من الزكاة لفك رقبتهم من الرق . والغارمين : الغارم هو من لزمه دين ولا يملك نصابه فاضلا عن دينه فيعطى لقضاء دينه وفى سبيل الله المرادبه فقراء الغزاة ٠ أو الحاج المنقطع وابن السبيل هو من كان له مال فى وطنه ووجد فى مكان لا شىء له فيه ولا يجد من يقرضه فيعطى من الزكاة لحاجته عن الائمة الثلاثة ٠ وعن الامام أحمد ولو وجد مقرضا فيعطى منها لحاجته .

واتفق الائمة على أنه لا يجوز دفع الزكاة الى الوالدين وان علوا أو المولودين وان سفلوا الا مالكا فانه اجاز الى الجد والجدة وبنى البنين لسقوط نفقتهم عنده .

واجمعوا على تحريم الصدقة المفروضة على بنى هاشم بن عبد مناف وعلى عتقائهم وقال الشافعى لابد من تعميم الاصناف ولا يقتصر على اقل من ثلاثة من كل صنف ٠ ويشترط لصحة اخراجها النية ٠ ويسن ان يقول عند دفعها للمستحق « اللهم اجعلها مغنما ولا تجعلها مغرما » ٠

ويسن ان يقول الاخذ للمعطى آجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وجعله لك طهورا » ٠

س ١٨ : من س ٠ ح ٠ من اليمن الديمقراطية

ما هو حكم من يأتى زوجته من الدبر وما جزاء ما يفعل ذلك ؟

الجواب :

قال الله تعالى : « **فأتوهن من حيث أمركم الله** » فان الذى يأتى امرأته من دبرها يعمل بعمل قوم لوط ٠ وهو اكبر الجرائم بل من الفواحش المفسدة للخلق والفطرة والدين والدنيا بل وللحياة نفسها ٠

وقد عاقب الله عليها باقصى عقوبة فخسف الارض بقوم لوط وامطر عليهم حجارة من سجيل ٠ جزاء فعلتهم القذرة . قال الله تعالى « **ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون** » ٠ الى ان قال « **وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** » ٠ سورة الاعراف ٠

وقد امر الرسول عليه الصلاة والسلام بقتل فاعله ولعنه فعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به** » .

واللواط عملية شاذة وطريقة غير كافية لاشباع العاطفة الجنسية وذلك لانها بعيدة الاصل عن الملامسة الطبيعية لا تقوم بارضاء المجموع العصبى شديدة الوطأة على الجهاز العضلى ٠ سيئة التأثير على سائر اجزاء البدن ٠

واذا نظرنا الى فسيولجية الجماع والوظيفة الطبيعية التى تؤديها الاعضاء التناسلية وقت المباشرة ثم قارنا ذلك بما حدث فى اللواط وجدنا الفرق بعيدا والبون بين الحالتين شاسعا ٠ ناهيك بعدم صلاحية الموضوع وفقد ملائمته للوضع الشاذ . وانك اذا نظرت الى اللواط من ناحية اخرى وجدته سببا فى تمزيق المستقيم وهتك انسجته وارتخاء عضلاته ٠

فاللواط لوثة اخلاقية ومرض نفسى خطير ٠ فتجد جميع من يتصفون به سيئوا الاخلاق فاسدوا الطباع لا يكادون يميزون بين الفضائل والرزائل ويصاب مقترفيه بضيق الصدر وخفقان القلب وينتهى بهم الامر الى عدم القدرة على ايجاد النسل والاصابة بالعقم مما يحكم على اللائطين بالانقراض والزوال ٠

وأحكام الفقهاء فى مرتكبى هذه الجريمة ثلاثة آراء :

١ ـ مذهب القائلين بالقتل مطلقا ٠

٢ ـ ومذهب القائلين بان حده حد الزانى

٣ ـ ومذهب القائلين بالتعذير .

وعلى ذلك فيجب الاقلاع عن هذا العمل الشنيع والرجوع الى الله تعالى بالتوبة النصوح ٠

ردود خاصة :

١ ـ الى القارئة : م ٠ م ٠ ر

اعتصمى بالله واعلمى أن النصر مع الصبر ٠ وان المؤمن يبتلى ويمتحن ليظهر ايمانه وصبره . قال الله تعالى « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم** » سورة محمد ـ أما عن ظلم الزوج لك ففوضى أمرك الى الله وعسى أن يهديه الله تعالى ويثوب الى رشده ٠ فعامليه برفق واطيعيه فيما ليس فيه معصية الله تعالى ٠ ولا تعتقدى أن هناك نفعا أو ضرا من سحر وخلافه الابأمر الله تعالى ٠ قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون** » سورة التوبة .

٢ ـ الى زوجة حائرة : غيورة على دينها

اصبرى فانك على الحق وحاولى أن تنصحى زوجك برفق وحكمة للاقلاع عن هذا العمل المشين لان سب الدين أمام الاولاد يجعلهم يقلدون هذا الفعل الشنيع ولا ترتدى الملابس الخليعة ارضاء لاحد مهما كان فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق** » ٠

٣ ـ الى السائل : ح ٠ ع ٠ ع من أسيوط

استعن بالله على نفسك واستمسك بحبل الله المتين

وأصدق التوبة لعدم الاصرار على المعصية واكثر من مجاهدة نفسك بالصيام وقراءة القرآن ومصاحبة الاخيار وترك الاشرار ولا تيأس من رحمة الله • ومن عدم قبول توبتك قال الله تعالى « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » .

٤ – الى س : ا • ص – غربية •

اعتصم بالله تعالى وثق فى معونته لك • ما دمت على هذا الحال من الاتجاه الى الدين والغيرة له • وحاول أن تنصح والدك بحكمة ولباقة . للاقلاع عن هذا العمل ولا تترك البيت والهروب منه اطلاقا ، فبعد العسر يسر أن شاء الله •

٥ – الى ف • م • ب شبرا

اتجه الى الله تعالى بعزيمة قوية وارادة صلبة واعلم أن هذا العمل الشنيع الذى وقعت فيه لابد من أن يقتص منك فى عرضك ان لم تبادر الى التوبة النصوح وتجاهد نفسك الامارة بالسوء مستعينا بالله تعالى على هداك •

٦ – الى أ • م • ع بالسودان

النظر الى العورة لغير حاجة مكروه وامتناعك عن اظهارها لا دخل له فى الطلاق وعلى ذلك ليس لها الحق فيما تقول ولم تطلق منك •

٧ – الى م • ن • م كفر على اغا طنطا

ان ما ذكرت فى رسالتك يشير الى ضعف الارادة واستسلامك للشيطان ولكن باب التوبة واسع لا يغلق فى وجه احد . قال الله تعالى **يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم** » • ولن تصح التوبة اذا عودت هذا الخطأ الجسيم وانما يحسم الخطأ ويمنعه قوة الارادة ومضاء العزيمة •

٨ – الى احمد س • ط طب الاسكندرية

اعلم يا بنى ان هذا العمل حرام لانه لا يحل لك شرعا ملامسة أى امرأة أجنبية بقصد الشهوة وعليك أن تتوب الى الله تعالى من هذا الذنب والله يتولاك •

٩ – الى م • خ • القاهرة

ان جريمة الزنا من أبشع الجرائم التى توعد الله مرتكبيها بأقسى العقوبات وأشد العذاب ولكن الله تعالى فتح باب التوبة الى من أراد الرجوع الى الله وعدم الاصرار على معصيته فان صدقت التوبة والاقبال على الله بعدم العود الى هذا الفعل الشنيع وكثرة الندم والاستغفار والاعمال الصالحة فان الله واسع الرحمة والمغفرة •

وأما ما ذكرت من ناحية الريب والشك الذى يراودك فى أن هذه الزوجة ربما تكون بنتك بطريقة الزنا فعلى فرض وقوع ذلك فان الشافعية قالوا بأن ماء الزنا لا حرمة له وعلى ذلك وما عليك الا أن تتوب الى الله تعالى •

س ١٩ : من : ك • ع • ١ • طالبة بالجامعة تقول انها فتاة جامعية وتضطر لركوب المواصلات فاستبدلت بالثوب الطويل بنطلونا طويلا واسعا وترتدى الجورب تحته وعلى رأسها ايشاربا لا يظهر سوى الوجه والرقبة وتسأل • ان كان هذا الزى يرضى عنه الاسلام • ويتفق مع الاية الكريمة **يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما : كما تسأل عن حكم اختلاطها بزملائها** الطلبة فى قاعة الدرس • **اختلاطا لا يتعدى المصافحة** والتحدث معهن فى المسائل العلمية **وتقول انها تذهب الى السينما مكتفية بمشاهدة أفلام التليفزيون وتريد معرفة حكم الاية فى ذلك •**

الجواب :

نحن نحيى فى هذه الفتاة الجامعية تمسكها بتعاليم دينها وحرصها على الظهور بالمظهر الاسلامى الذى يشرف كل فتاة . تحافظ عليه ونحيطها علما بان كل ما تأتيه مما ورد فى خطابها لا يتعارض مع الشريعة الاسلامية ما لم يتعدى الحدود الاسلامية المقررة فالاسلام لا يمنع الحديث ولكنه يمنع الخلوة به والاسلام لا يمنع مشاهدة الافلام بالتيفزيون أو غيره مالم تكن الافلام مثيرة للغرائز او مؤدية الى الفتنة فحينئذ يكون عرضها حراما ومشاهدتها حراما •

س ٢٠ : من الحاجة حديدة سبورتنج بالاسكندرية

تقول ان زوجها توفى وتريد ان تحج عنه وقد سبق لها الحج قبل ذلك وتسأل ان كان ذلك يجوز شرعا وهل يسقط عنه **الفريضة وتقول : ان له اسم شهرة غير** اسمه **المقيد بشهادة الميلاد • فهل تحرم باسمه المقيد به فى شهادة الميلاد أم باسم الشهرة أم بهما معا •**

الجواب :

نعم يجوز لهذه السائلة فى مثل هذه الحالة ان تحج عن زوجها وتسقط عنه فريضة الحج ان شاء الله تعالى • لقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن ذلك (**أرأيت لو ان على أبيك دينا اكنت تقضيه قال نعم**)

س ٢١ : من عزيز خلوفة من فلسطين :

يقول : اذا غبت عن زوجتى فى أمريكا حوالى أربع سنوات أ وثمانية ثم حضرت هل يحق لى أن أنام عندها بدون عقد نكاح •

الجواب :

اذا كنت تزوجت امرتك بعقد نكاح صحيح بايجاب وقبول شرعيين وتوفرت للعقد شروطه فان العقد يظل صحيحا وتترتب عليه آثاره فمهما غبت عن زوجتك فان العقد باق على صحته ولك أن تمارس حقوقك الزوجية حين حضورك ما لم يكن قد حدث بينكما طلاق منك لزوجتك او تطليق من احدى المحاكم لامر من الامور •

البقية ص ٢٧٨

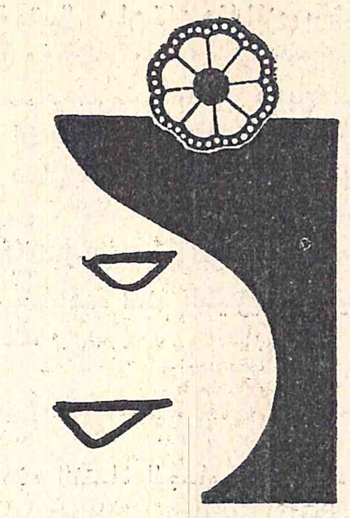

المرأة في الإسلام

■ الدكتورة ليلى صقر

تكلمنا فى المقال السابق عن وضع المرأة فى الجاهلية قبل مجىء الاسلام ثم عن وضعها بعد مجيئه ورأينا كيف خص الله تعالى المرأة بفضله واعتنى بها عناية فائقة حتى أوضعها الموضع اللائق بها ووضح لها طريق الحياة السليمة الكريمة .

لم يدع النبى الشريف أيضا شئون النساء دون أن يبرز اهتمامه الكبير بها فهناك عشرات بل مئات الاحاديث الشريفة التى توضح هذه الشئون وتبين حكم الله فيها ، وهنا نذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما النساء شقائق الرجال » . ولا نستطيع أن نترك هذا المجال دون أن نذكر أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه نوه بشأن النساء فى خطبته المشهورة التى عرفت بخطبة الوداع لانها كانت فى العام الذى انتقل بعده الى الرفيق الاعلى ، ولم يعش بعدها الا احدى وثمانين ليلة كما هو معروف فى السيرة المطهرة .

ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتناول فى خطبته هذه الا المبادىء العليا والاحكام الكبرى ، على نحو من الاجمال ، وفى صورة التوصيه والتبليغ والاشهاد ، كما يفعل من يحس بدنو أجله ، فانه حينئذ يهتم بالتوصية بأعز ما يحبه . وبأجل ما يجله ، وفى هذه الخطبة يقول صلوات الله عليه وسلامه : « أيها الناس ، ان لنسائكم عليكم حقا ، وان لكم عليهن حقا : لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم ان تعضلوهن ، وتهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وانما النساء عندكم عوان ، لا يملكن لانفسهن شيئا ، اخذتموهن بأمانة الله واستحللتموهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا . الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد » ..

من ذلك يتضح أن الله ورسوله قد عنيا بالمرأة وشئونها ومشاكلها عناية فائقة . وسنبدأالان دراسة شئون المرأة ومشاكلها دراسة تفصيلية من وجهة نظر الاسلام .

١ ـ نظرة الاسلام الى المرأة :

لقد كان أول ما قرره الاسلام وأكده أن هذه الجموع من بنى الانسان انما تدين فى وجودها الى الذكر والانثى مجتمعين فلا فضل لذكر على انثى ولا لانثى على ذكر الا بالعمل الصالح وقيام كل بواجبه . فلقد خلق الله النوع الانسانى من ذكر وأنثى وقدر بقاءه على التزاوج والتناسل فكل من الرجل والمرأة مكمل لصاحبه لازم لا غنى لاحدهما عن الاخر قال تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

وقال سبحانه وتعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » ففى هذه الاية من القرآن الكريم يقرر الله سبحانه وتعالى ما يلى :

أولا : يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » وهو خطاب للناس كافة رجالا ونساء يعلن

اليهم فيه أنه خلقهم من نفس واحدة فهم فى الانتساب اليها سواء ، وهذه النفس الواحدة هى نفس آدم عليه السلام . والمرأة بهذا النص انسان يرث نفس الخصائص التى يرثها الرجل لان كلا منهما منحدر من نفس واحدة وليست كما كان يتصورها الرجل فى الجاهلية .

ثانيا : « وخلق منها زوجها » أى خلق الله حواء من نفس آدم عليه السلام لا من طينة أخرى ولا من طبيعة غير طبيعته فهى بهذا قطعة منه تمثل نفس خصائصه وتحمل عناصر الطبيعة التى يحملها ، وبهذا رفع شأن حواء وسواها من حيث بشريتها وانسانيتها بزوجها آدم ورفع تبعا لذلك من شأن كل أنثى .

ثالثا : « وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » أى وبث من آدم وحواء رجالا ونساء فالمرأة على هذا صنو الرجل والرجل صنو المرأة لانهما انحدرا من أب واحد وام واحدة وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **انما النساء شقائق الرجال** » ولهذه الاخوة مقتضيات كثيرة منها أن المرأة كفء الرجل فى انسانيته ومساوية له فى القدر ولا نستطيع أن نحكم بالاخوة بينهما دون أن نقرر تلك المساواة والمماثلة . ومن مقتضيات تلك الاخوة أيضا وحدة الميراث النفسانى فيما يرث الشقيقان من خصائص الاب والام .

وبهذا فلا محل للقائلين أن المرأة اقتضى الناموس أن تكون مخلوقا دنسا وانها انما ورثت طبع الخطيئة والدنس من أمها حواء التى أغرت زوجها بالمعصية وفتنته على أمر الله ، اذ لا معنى أن يرث أحد الاخوين ما لايرثه الاخر . نعم فقد تختلف حظوظ الاخوة فيما يرثون من خصائص أبويهم فتظهر بعض الصفات فى أحدهم أكثر مما تظهر فى الاخر ولكن هذا لا يبلغ أن ينفرد الذكر على مدى الاجيال بميراث خصائص أبيه وان تنفرد الانثى على مدى الاجيال بميراث خصائص أمها ذلك على فرض ان الام تنفرد عن زوجها بأنها رأس الشر فكيف وقد تقرر أن الام بضعة مخلوقة من الاب تحمل عناصر طبيعته وتمثل نفس خصائصه ؟ !

فالاسلام بهذا قد انتشل المرأة من الهوة المظلمة الدنسة ومسح وصمة العار من على جبينها الوضيء واقامها على وضح الحياة الى جانب شقيقها الرجل على أساس من تعادل القدر وتماثل الخصائص والصفات . ومن شأن تلك الاخوة التى نحن بصددها انبثاق عواطف المودة والمحبة والرحمة بين الاخوين أى بين الرجل والمرأة فلا اضطهاد ولا وأد ولا حرمان ولا تحقير ولا بيع كما تبـاع السلعة ولكن مودة ومرحمة ومساواة لانه مقتضى انفصالهما من رحم واحدة وانتسابهما اليها معا ، ولذا أشار الله سبحانه وتعالى فى ختام الاية الكريمة الى هذه الرحم ووجوب مراعـاة حقها فى كل ما بينـا من معاملة بقوله تعالى ، « واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام أن الله كان عليكم رقيبا »

ذلك هو نظر الاسلام الى انسانية المرأة ومكانها فى الحياة مع الرجل .

وقد جعل الاسلام المرأة مسئولة أمام الله عن جميع أعمالها مسئولية الرجل على السواء فوعدها بالحسنى اذا أحسنت كما وعد الرجل وأنذرها بالعقاب ان أساءت وقاس أعمالها بنفس المقاييس التى تقاس بها أعمال الرجل فى قوله : من عمل صالحـا من ذكـر أو أنثـى فلنحيينـه حيـاة طيبـة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »

ولقد فرض الاسلام على المرأة كل ما فرضه على الرجل من عبادات وفرائض وأركان غير مفرق بين الرجل والمرأة فى أى جزئية من هذه الاجزاء بل لقد جمـع بين الرجل والمرأة فوجـه الخطاب اليهما فى كل عباراته حتى صار من الاحكام المقررة فى الشريعة الاسلامية أن كل ما كلف به الرجل فالمرأة مكلفة به الا اذا استثناها القرآن أو السنة بصريح اللفظ أو دلت على ذلك شواهد الحال .

وحسب الانسان أن يطالع هذه النصوص لكى يتبدد فى نفسه كل ظل للشك فى نظرة القرآن للمرأة والرجل « **ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** » . فهذه نصوص شاملة جامعة لـكل ما يمكن أن يوصف به الرجل من فضائل وآداب وكل ما يزاوله من أعمال وسعى وجهاد قد وجه القرآن فيها الحديث للمرأة مثل توجيهه للرجل . **وليس وراء ذلك مطمع لارقى النساء فى العصر الحاضر اللواتى يحاذين الرجال بالمناكب وينادين بالمساواة المطلقة مع الرجال من حيث الكرامة والمكانة والتمتع بالحقوق العامة .**

ذلك موجز لنظرة الاسلام الى المرأة وبيان أهليتها للايمان والعبادة وأحوال مسئوليتها بين يدى الله عن كل تصرفاتها .

الإسلام

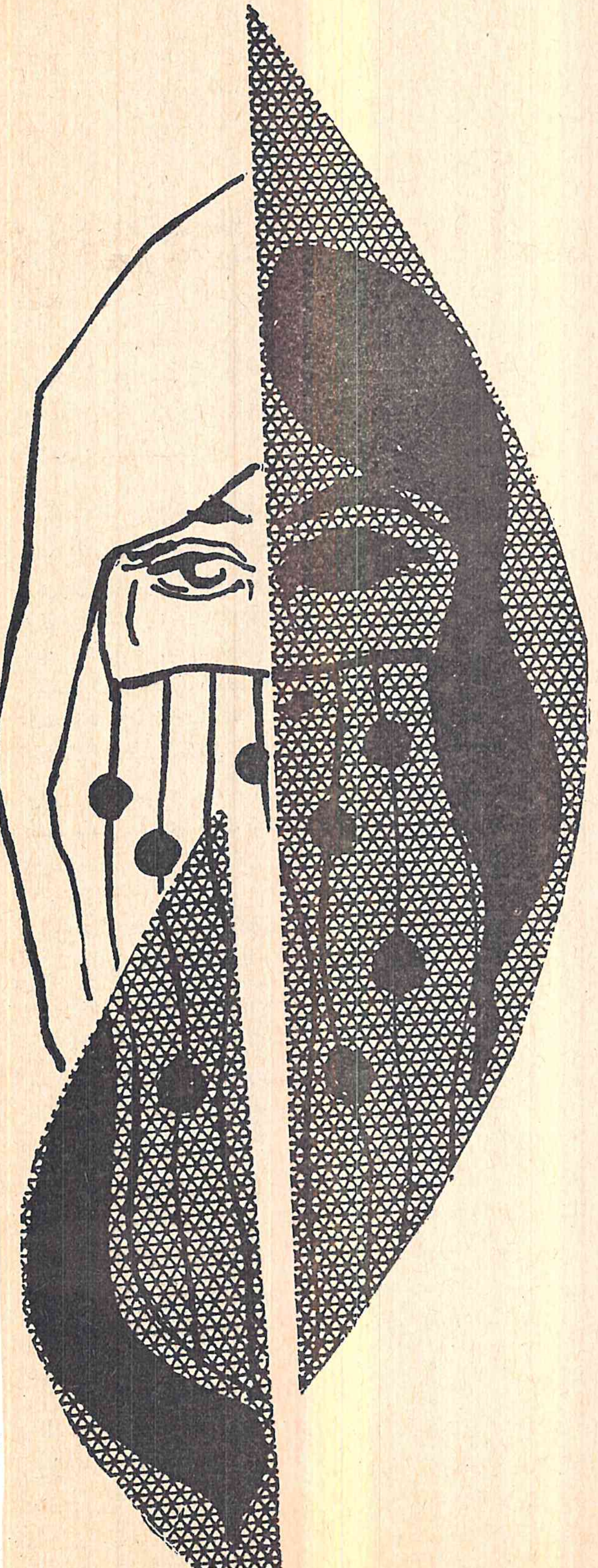

نشرت مجلة العربى الكويتية مقالا للاستاذ الشيخ احمد حسن الباقورى فى العدد [١٦٢] ربيع الاول ١٣٩٢ مايو آيار ١٩٧٢ بعنوان « النبى قدوة للمؤمنين » دعا فيه بدعوة غريبة مخالفة لقواعد الشرع الاسلامى ، ومنافية لتعاليم سيد المرسلين عليه افضل الصلاة وازكى التسليم .

ولشد ما راعنى واقلقنى ان يكون عنوان المقال عن نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم ووجوب اقتداء المسلمين به ثم يتعرض الكاتب لحادثتين حدثتا منه صلوات الله وسلامه عليه اولها انه صلى الله عليه وسلم دعى ومعه السيدة عائشة الى طعام لدى جار له فأجاب الدعوة واصطحب معه السيدة عائشة رضى الله عنها ، والثانية انه دعى الى وليمة عرس وقامت العروس بنفسها بخدمة الضيوف .

ويستنتج الكاتب من هاتين الحادثتين ان ما تعارف عليه الغرب الان وما ينقله عنهم بعض المسلمين من اصطحاب زوجاتهم الى الحفلات او سماحهم لهن باستقبال الضيوف ليس الا سنة عرفية سنها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم يستطرد الكاتب فى قوله « ومن اجل ذلك كان غريبا اشد الغرابة ان يستقر فى المجتمع العربى الاسلامى عرف بالحجاب الثقيل الذى فرض على المراة فحيل بينها وبين مجالس الرجال . مع ان النساء فى هذه المجالس حواجز عن الكلمات النابية ودوافع الى ان يؤثر الرجل اللائق من السلوك ويتخيروا المحتشم من الكلام » ويقول « ان الرجل – بحكم الفطرة التى فطر الله الناس عليها – شديد الحرص على الظفر بتكريم المراة له واحترامها اياه ، فهو لذلك يبذل من ذات يده بل من ذات نفسه ما يقربه اليها ويظفره بتقديرها له واعجابها به » .

ولا اجد غرابة اشد مما قاله فضيلة الشيخ فيما نقلناه عنه من استغرابه ان يستقر فى المجتمع عرف بالحجاب فهذا الذى

وحجاب المرأة

الأستاذ توفيق على وهبة

بقوله يتنافى كلية مع حكم الاسلام . ولا ادرى كيف سول له فكره وعقله ان يقول مثل هذا الكلام .

ليعلم فضيلته - واظنه لا بد يعلم - ان الحديثين اللذين استند اليهما كانا قبل ان يضرب الحجاب على النساء ..

وليعلم فضيلته - واظنه لا بد يعلم - ان من السنة ما هو ناسخ وما هو منسوخ .. منها ما ينسخ بالسنة . ومنها ما ينسخ بالقرآن . وحكم هذين الحديثين منسوخ بالسنة وبالقرآن كليهما - ؟ وان غرابته لا تلبث ان تزول امام الاحكام الثابتة والمستقرة فى كتاب الله وسنة رسول الله والتى سار عليها المسلمون طوال عهودهم الزاهرة حتى كان ابتلاؤنا بالاستعمار الذى نقل الينا فيما نقل من مساوىء كثيرة سفور المراة واختلاطها بالرجال بلا مبرر ولا مسوغ .

والحجاب معروف فى الامم السابقة قبل الاسلام منذ عهد سيدنا ابراهيم وحتى عهد الاسلام .

الحجاب فى الامم السابقة :

كانت الامم السابقة من رومان ويونان ويهود يضربون الحجاب على نسائهم وجاء ذكره فى الكتب المقدسة التى يدين بها اليهود والمسيحيون .

١ - ففى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين ان « رفقه » رفعت عينيها فرات اسحق فنزلت عن الجمل وقالت للعبد : من هذا الرجل الماشى فى الحقل للقائى ؟ فقال العبد هو سيدى فاخذت البرقع وتغطت .

٢ - وفى الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين ان تامار مضت وقعدت فى بيت أبيها ولما طال عليها الزمان خلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت » .

٣ - فى نشيد سليمان تقول المراة : « اخبرنى يا من تحبه نفسى اين ترعى عند الظهيرة ؟ ولماذا اكون مقنعة عند قطعان اصحابك » .

٤ - وفى الاصحاح الثالث من سفر اشعياء ان الله سيعاقب بنات صهيون على تبهرجهن والمباهاه برنين خلاخيلهن بأن ينزع عنهن زينة الخلاخيل والضفائر والاهلة والحلق والاساور والبراقع والعصائب .

٥ - ويقول بولس الرسول فى رسالة كورنثوس الاولى ان النقاب شرف للمراة .

هذا عن اليهودية والمسيحية . اما اليونان والرومان فكانوا يحرمون على المراة الظهور بالزينة فى الطرقات وكانت لاتظهر الا وهى محجبة خلف البرقع .

الحجاب فى الاسلام :

جاء الاسلام والعالم على ما هو عليه من تقاليد وعادات ، فلم يقر الاسلام الاوضاع السائدة كما هى وانما وضع من النظم ما يكفل به توقير المراة وحفظها وسترها .

ادلة الحجاب فى الاسلام :

اولا : من القرآن الكريم :

١ - يقول الله سبحانه وتعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم . ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن اوابناء بعولتهن اواخواتهن اوبنىاخوانهن اوبنى اخواتهن

او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير أولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء . ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » [سورة النور] .

ويرى جمهور الفقهاء والمفسرين ان المقصود بالزينة فى هاتين الايتين هو الوجه والكفين . وان كان البعض يرى ضرورة ستر الوجه ان كان يؤدى الى النظر الى المراة بريبة ..

٢ — ويقول تعالت كلماته : « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض . وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجـاهلية الاولى » [سورة الاحزاب] .

والحديث فى هاتين الايتين موجه الى نساء النبى ومن ثم الى جميع نساء المسلمين بألا يتكلمن بكلام لين مع الرجال حتى لا يثرن فى قلوبهم الشك ويحرك شهواتهم ثم يأمرهن الله سبحانه وتعالى بالقرار والبقاء فى البيوت وعدم الخروج منها اذ لا يجوز للمراة ان تخرج الا لحاجة . وليس من الحاجة استقبال الرجال او الاجتماع معهم لادخال البهجة الى نفوسهم ؟؟ !!

٣ — يقول جل علاه : « يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن . ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين » [سورة الاحزاب] .

ومعنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى يامر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يكلف زوجاته وبناته ونساء المؤمنين بالحجاب الذى فرضه الله عليهن صيانة وسترا فيعرفن بالحشمة والوقار فلا يتعرض لهن الفساق والفجار . فالمراة اذا احتجبت عرفت بالعفة والستر . اما العاريات المستهترات فيغرين الفســاق والفجار بهن فيتعرضن لمعاكساتهم ومضايقاتهم .. ويحدث بينهم بعد ذلك مالا يحمد عقباه ولا يخفى على عاقل .

ثانيا : ادلة الحجاب من السنة النبوية المطهرة :

١ — عن ام سلمة رضى الله عنها انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونه قالت فبينما نحن عنده اقبل ابن ام مكتوم . فدخل عليه وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احتجبا منه . فقلت يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افعمياوان انتما ؟ الستما تبصرانه ؟

٢ — قال صلى الله عليه وسلم للامام على رضى الله عنه : « يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليس لك الاخرة »

٣ — قال عليه الصلاة والسلام : « الرافلة فى زينتها فى غير اهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها » .

٤ — وقال صلى الله عليه وسلم : « ما خلا رجل بامراة الا كان الشيطان ثالثهما » .

٥ — وفى الحديث القدسى : « النظرة سهم من سهام ابليس من تركها مخافة منى ، ابدلته ايمانا يجد حلاوته فى قلبه » .

٦ — قال صلى الله عليه وسلم : « من نظر الى محاسن امراة اجنبية عن شهوة صب فى عينيه الانك يوم القيامة » [ومعنى الانك اى الرصاص المذاب والعياذ بالله] .

٧ — عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والدخول على النساء فقال رجل من الانصار : يا رسول الله : افرايت الحمو ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الحمو الموت » قال الليث بن سعد الحمو اخو الزوج وما اشبهه من اقارب الزوج : ابن العم ونحوه .

٨ — وقال عليه الصلاة والسلام : من مس كف امراة ليس منها بسبيل ، وضع على كفه جمرة يوم القيامة » .

٩ — عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النساء يبايعهن كلاما ولا يأخذ ايديهن فى يده فقالت : « لا والله ما مست يده يد امراة قط فى المبايعة . ما يبايعهن الا بقوله قد بايعتك على ذلك » .

١٠ — اما عن خروج المراة للحاجة فعن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجت سودة رضى الله عنها بعدما ضرب علينا الحجاب لتقضى حاجتها . وكانت امراة جسيمة . تفرع النساء جسما لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال : يا سودة . والله ما تخفين علينا فانظرى كيف تخرجين . قالت فانكفات راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى وانه ليتعشى وفى يده عرق . فدخلت فقالت : يار سول الله : انى خرجت . فقال لى عمر كذا وكذا . قالت : فاوحى اليه . ثم رفع عنه وان العرق فى يده ما وضعه فقال « انه قد اذن لكن ان تخرجن لحاجتكن » .

هذا قليل من كثير من الاحاديث التى تأمر النساء بالحجاب وبالبقاء فى البيوت وعدم الاختلاط بالرجال . ولا ادرى كيف يقول فضيلة الشيخ الباقورى :

« على ان الذين يتعصبون لحجاب المراة ويحرصون على الدعوة اليه ويسوغونه للقائمين به لو كان دافعهم الى ذلك هو الدين لكان الخطب به سهلا وقبوله امرا ميسورا ، ولكنهم فى ذلك كله لا يصدرون عن الدين » .

قل لى بربك وهل ما تقوله انت فى هذا المجال من الاسلام فى شىء ام هــو تبرير للوضــع الراهن وتزيين الخطأ الذى وقعت فيه المراة بل الخطيئة التى ترتكب جهارا نهارا فى بلاد الاسلام بخروج المراة سافرة عارية تتبختر فى الطرقات تلتهمها انظار الرجال من كل صوب واصبح حالهن لا يرضى به انسان فهن المقصودات فى حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه :

« صنفان من امتى لم ارهما قط : قوم معهن سياط كاذناب

البقر يضربون بها الناس . ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كاسنمة البخت المائلة [كسنام الجمال] لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » .

فهذا الوصف للنساء منطبق تماما عليهن هذه الايام [كاسيات عاريات ، مائلات مميلات] – وانا لله وانا اليه راجعون ...

ان القول بأن الحجاب ليس من الاسلام زور وبهتان واجتراء على شرع الله سبحانه وتعالى . وما جعلنا ننحدر الى هـذا المنحدر الخطر الذى وصلنا اليه الا مثل هذه الجراة فى تحريف كلام رب العالمين وسـنة خاتم المرســلين ليـوافق اهـواء اصحاب الهوى والغرض .

ان المراة كلها عورة . جسمها عورة . وصوتها عورة . ولا يجوز للرجل ان ينظر الى عورة الرجل او الى عورة المراة . كما لا يجوز للمراة أن تنظر الى عورة الرجل او عورة المراة .. فما بالنا وقد سارت النساء كاشفات لعوراتهن لدرجة ان ملابسهن اصبحت تشف عما تحتها بل وتصف العورة المغلظة ايضا .. وهذا التهاون من المراة هو سبب ازدياد فجورها وغيها ..

ان الحكومات الاسلامية مطالبه امام الله وامام شعوبها ان تتدخل لتمنع هذا الانهيار الاخلاقى فان الله سبحانه وتعالى يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

فاذا كان اولياء المراة لا يستطيعون منعها من تبرجها وابتذالها فولى الامر مطالب باصدار القوانين الصارمة التى تمنع هـــذا التبرج المبتذل .

ولقد سرنى جدا ما اصدره جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية من اوامر بهذا الخصوص والتى تتضمن مايلى :

١ – منع دخول النساء الى المسجد الحرام والمسجد النبوى متجملات فى لباس غير محتشم .

٢ – منع خروج النساء الى الاسواق والدكاكين فى وضع يدعو الى الاغراء والفتنة واختلاطهن بالرجال فى المعارض .

٣ – منع بائعى الاسطوانات من فتحها على الاغانى الخليعة لان هذا يدعو الى الفساد .

٤ – منع ارسال بعض الشباب لشعورهم تشبها بالخنافس والتختم بالذهب .

٥ – منع الصور الخليعة من المعارض والدكاكين .

وقد نص الامر على فرض عقوبات على كل من يتهاون فى تنفيذ هذه التعليمات .. اننا نطالب جميع حكام المسلمين ان ينهجوا هذا النهج الكريم ويصدروا مثل هذه الاوامر حتى يمكن القضاء على الخلاعة والمجون المنتشر فى كل مكان .

ان الاسلام لا يمنع خروج المراة للعلم او لقضاء حوائجها وممارسة شئونها ما دامت غير متبرجة تستر عورتها كما امرها الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وطالما كانت بعيدة عن مظان الفتنة . كما لم يمنعها الاسلام حقا منحه للرجل بل اعطاها حقوقها كاملة غير منقوصة واراد ان يكرمها ويحافظ على عرضها وشرفها ويحفظها مصونة عفيفة فامرها بالحجـاب وبعدم الاختلاط بالرجـال الا للضرورة . واذا اختلطت بهم فـلا تخضع بالقول فتتكلم بكلام لين متكسر فيطمع فيها اصحاب النفوس الضعيفة وذوى الاغراض الخبيثة .

وليس من الاسلام فى شىء ان تغشى المراة مجالس الرجال لكى تتسامر معهم وتتجاذب اطراف الحديث . فان الرجل الذى يبذل من ذات يده ومن ذات نفسه ما يقربه الى المراة الاجنبية عنـه ويظهره باعجابها وتقديرها رجل ذو نفس مريضة والعياذ بالله . بل ان عمله هذا اعتداء على هذه المراة وعلى اوليائها ..

ندعو الله سبحانه وتعالى ان يحفظنا من هذه الموبقات . وان يوفقنا بمنه وكرمه الى ما يحبه ويرضاه ..

س ٢٢ من سائلة لم تذكر اسمها

تقول : ما الحكم فى طلاء الاظافر .. وهل الطلاء قبيل الوضوء يمنع الوضوء ؟

الجواب :

طلاء الاظافر من زينة النساء التى يبيحها الاسلام ما لم تؤدى الى فتنة وما لم يكن المقصود بها لفت نظر الرجل الى المرأة والافتتان بها فانه فى هذه الحالة يكون زريعة الى الحرام . وما يؤدى الى الحرام فهو حرام . أما بالنسبة لصحة الوضوء فان كان جرم فلا يصح الوضوء معه لانه فى هذه الحالة يكون مانعا من وصول الماء الى جزء من اليد وهى الاظافر فان لم يكن للطلاء جرم كان شانه شان الحناء لا يمنع وصول الماء الى الاظافر فيصح الوضوء . فاذا توضأت المرأة ثم طلت أظافرها بعد الوضوء كان الوضوء صحيحا . وللسائلة سؤالا آخر حول رؤيا رأتها فى منامها وتكررت رؤياها وللرؤيا علاقة بصوتها وقصر ملابسها وهى فى حيرة من أمرها وتخشى أن يكون ما راته دليلاعلى غضب اللهعليها ونحن نهمس فىادنها الا تعير هذه الرؤيا كبير اهتمامها وننصحها بالا ترتب على ما تراه من احلام امورا تنغص عليها حياتها وتشككها فى نفسها او فى علاقتها مع ربها وعليها أن تظل فيما هى عليه من استقامة فى دينها وأن تؤدى فرضها وتطيع ربها وما دامت متمسكة بتعاليم دينها قد يكون من المفيد لها أن تعلم أن الزى الاسلامى للمراة قد حدده القرآن الكريم فى قوله تعالى « **ياايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن منجلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلايؤذين وكان الله غفورا رحيما » . سورة الاحزاب .** وقوله تعالى : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو ابائهن أو اباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهم أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**

س ٢٣ : ومن نفس السائلة تقول ،

كيف يغسل الثوب النجس ؟ بلعاب الكلب . بالتراب لتطهيره وهل ينجس البلاط بشم الكلب وهل تعيد الصلاة اذاشكت وهى تصلى فىعدد الركعات.

الجواب :

لا يغسل بالتراب للتطهير من نجاسة الكلب الا الاوانى فقط لان الافضل التطهير بالماء فقط والغسل بالتراب جاء على خلاف الاصل فيكتفى فيه بمورد النص والنص ورد فى الاوانى فقط لقوله صلى الله عليه وسلم (**اذا ولغ الكلب فى اناء احدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب**) ولا ينجس البلاط بشم الكلب الا اذا مس البلاط لعابه ولا تعيد الصلاة بالشك فى عدد ركعاتها بل عليها ان تبنى على القليل بمعنى اذا شكت انها صلت ثلاث ركعات أو أربع ركعات اعتبرتها ثلاثا واتت بالركعة الرابعة ولكنها تجلس بعد الثالثة لقراءة التشهد قبل ان تقوم الى الرابعة لاحتمال ان تكون الركعة الثالثة فى تقديرها هى الرابعة فى حقيقة الامر فلا يفوتها الجلوس الاخير وبعد الركعة الرابعة تسجد للسهو ـ والله أعلم .

س ٢٤ : من مقاتل على احمد الالفى ـ الوحدة رقم ٨٢٣١ ج ٢٥

يرغب فى الزواج من فتاة رضع اخوه الاكبر من امها مع اختها الاكبر منها اما السائل فانه لم يرضع أبدا من امها ويسأل ان كانت تحل له او لا تحل ؟ .

الجواب :

اذا كنت ايها السائل لم ترضع من ام الفتاة التى ترغب فى الزواج منها كما لم ترضع هى من امك ولم ترضعا كلاكما من ثدى امرأة اخرى فانها تحل لك اذ ليس بينكما علاقة الرضاع المحرمه ورضاع اخيك من امها يحرمها عليه هو ولا يحرمها عليك لانها اخته من الرضاع وليست اختا لك قال تعالى فى أية التحريم (**حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة الى آخر الاية** » .

س ٢٥ : من عبد القادر فرشط ـ من الاردن

يقول : هل يكون مسلما ويصلى اذا مات من لا يصلى ولا يزكى وقد يتعاطى المشروبات المحرمة ؟

الجواب :

اذا نطق الانسان بالشهادتين (أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) وكان يؤمن بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الاخر فهو مسلم تجرى عليه احكام المسلمين فى الدنيا فاذا مات وجب على المسلمين تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه فى مقابر المسلمينوأما تفريطه فى فرائض الاسلام من صلاة وصيام وزكاة واقترافه المعاصى فأمره فى ذلك مفوض الى ربه فهو سبحانه يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله تعالى يقول : (**ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) وقال صلى الله عليه وسلم : (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقها وحسابه على الله**) .

القيم الروحية أصل فى رعاية الشباب

الأستاذ ناصف سليم

الحديث عن الشباب فى مصر تجدد هذا الاسبوع .. هناك بحوث جديدة عن برامج الشباب واعداده ، وتدل الاحصائيات أن الشباب الذى تعد من أجله هذه البرامج يزيد فى مصر على ١٦ مليون شاب ، لان رعاية الشباب تبدأ من مرحلة الطفولة وتستمر حتى سن الخامسة والثلاثين .

وهذا الطور الجديد من أطوار الحديث عن الشباب وبرامجه ، يحتاج منا الى وقفة قصيرة ، عساها ومن خلال ما تقدم توضح أن المقصود من رعاية الشباب ليس رعايته صحيا فحسب ، ولا رياضيا ، ولا ثقافيا فقط ـ لان ذلك يأتى من حيث الواقع فى المراحل التالية بعد رعايته روحيا ، وماذا تكون الفائدة من شاب قوى الجسم موفور الصحة ممتلئا بحيوية الشباب ، ولكنه يضم قلبا خاليا من القيم الروحية . وماذا تستفيد الامة الاسلامية من بطل يدوى اسمه فى العالم دون أن يكون قدوة للشباب المسلم فى كل مكان ، حريصا على أن يحمل راية الاسلام فى مختلف الظروف ، يعيش خادما لدينه ، قبل أن يكون خادما لدنياه .

لقد تقرر أن يندمج نشاط الرياضة ونشاط الشباب .. وأن يكون جهازهما واحد ، والتخطيط لهما متسقا مع أهداف الامة فى مرحلتها الراهنة ، وذلك الذى دعانى الى أن أطرق هذا الموضوع . وأطرقه من تجربة عملية وأقدم للاجهزة المسئولة على اختلاف أنواعها ، رأيا اقتنع به معظم العاملين فى مجال رعاية الشباب ، لان الواقع أيدهم .. والتاريخ سجل صدق آرائهم :

الرأى الذى يجب أن نصدر به هذا البحث الموجز ، هو أننا نحن العاملين فى ميدان الرياضة والشباب ، قد ثبت لنا بما لا يدع مجالا للبحث : أن الرعاية الصحية ، والرعاية الثقافية ، والرعاية الجسمانية ، والبطولة ، كلها فروع للرعاية الدينية . فالقيم الروحيه هى الاصل ، وهى التى تمهد الارض للغرس والبذر ، وهى الرعاية الصحيحة أو الشجرة الاصيلة التى يتفرع منها كل شىء ، حتى تؤتى أكلها بأحسن الثمر ..

● فاذا كنا نريد منذ البداية أن نغرس فى نفوس الشباب حب النظافة ، كان ذلك عن طريق الدين . لان النظافه من الايمان .. وبالدين ، نحل هذه المشكلة المستعصاه ، تحلها لان الذين يدخلون تحت برنامج هذه الرعاية يزيدون على ستة عشر مليونا .. وكل الشباب المصرى الذى سافر الى الخارج فى مهام رياضيه أو ثقافية أو ترفيهية ، عاد يتحدث عن الفارق فى نظافة المدن التى زارها فى الخارج ومستوى النظافه . وعندنا فى الداخل ، مع أنهم هناك يطبقون مبدأ النظافة .. بوازع من الضمير ، لا بسلطان القانون .. وعندنا الدين أقوى من القانون . العقيدة لها السيطرة الاولى ، فلماذا لا نستغلها فى حل هذه المشكلة !

● واذا كنا نريد من الشباب الامانة بكل ما تحمل من معان فلن نجدها فى كتاب كما وجدناها فى كتاب الله ، كلنا مطالبون بتنفيذ الامر الالهى : ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .

● واذا كنا نريد اعداد الشباب للجهاد ، فلن نرى

أروع من آيات القرآن تحث وتهدد من يتردد فى أداء هذه الفريضة ، بماله أو نفسه .. وذلك داخل فى نطاق اعداد الشباب سياسيا ، لانه يوصلنا الى الهدف المطلوب من اسرع طريق ، لن نلف او ندور ، فآيات الجهاد سياسة .. هى دين ودنيا ، وآخرة .

ونحن الان نعيش بقلوب مفتوحة وعقول مستنيرة . لا تعتبر حث الشباب على مقاومة الباطل بكل أنواعه وبذل بالنفس فى سبيل الحق ، سياسة مرفوضة ، لان هذا هو الدين الذى يعد الانسان عقائديا ، وصحيا وثقافيا وجسميا ، ثم يدفع به نحو الهدف الاسمى وهو اعلاء كلمة الله .

● وتحضرنى فى هذه المناسبة قصة العالم الكبير الذى تطوع لدعوة الشباب الى الجهاد فى سبيل الله عام ١٩٤٨ ، وقبل أن يلقى بحديثه فى المسجد نهض اليه عمدة القرية قائلا :

عندى منشور حكومى .. يحذر من الحديث فى السياسة داخل المساجد !!

وقال العالم الفاضل : لن أتحدث فى السياسة .. كلامك مسموع .. ورغبتك مجابة !

وبدأ الشيخ يتحدث مبتدئا بقوله تعالى :

« يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال » الاية

وهنا وقف العمدة صارخا : هذه هى السياسة التى يطلبون منى منعها !!

وهكذا ، كان الحديث عن الجهاد سياسة مرفوضة ، أما اليوم ، كلنا نعلم أن **الجهاد فريضة ، وأن اسرائيل لم تتقدم نحونا ، أو تعشعش فى اراضينا العربية ، الا حين أهملنا أداء هذه الفريضة .. ولم نوفها حقها من التضحية والبذل .**

● ولست أرى فى برامج الشباب بالداخل او الخارج برنامجا يوفى حاجات الشباب ويملأ قلبه ما لم يكن مرتبطا بالدين الاسلامى الحنيف ، اننا بوضع القيم الروحية ، فى مقدمة البرامج نعبد أرض العمل والجهاد أمام الشباب ، يصبح طيعا .. لا أنانية فيه ولا أثرة ، بل حبا للاخرين وايثارا .. وهذا هو المطلوب !

وقد قمنا بتجربة كل البرامج من مختلف المعسكرات ، مع التطوير بما يناسب التقاليد ، ولكن الهدف لم يتحقق ، ذلك لان البرامج المستوردة كالازياء لا تناسبنا ، ينفر منها معظمنا ، ويراها خارجة لا تتفق مع ذوقه وبيئته ، فلماذا لا نجرب هذا البرنامج الذى رسم خطته الرئيسية القرآن ، ووضع بنوده وفقراته التفصيلية الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقام بتطبيقه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز .

نريد من تطبيق هذا البرنامج شبابا صالحا يتشرف به كل مسلم ، ويكون أهلا لحملة راية الاسلام .. وليس هناك من وضع أصول التعامل مع الشباب كمحمد عليه الصلاة والسلام ، فهو لم يفصل الناس ، الى رياضيين وشباب ، ومجاهدين وعقائديين ومثقفين وغير مثقفين . بل اندمجوا كلهم فى برنامج واحد ، بدأ من سن الطفولة فعلا ..

فالذين مر عليهم الرسول عليه الصلاة والسلام وهم يصوبون نبالهم فى الفضاء تدريبا ولهوا مباحا ، كانوا أطفالا ، تواضع لهم القائد وقال لهم عندما توقفوا عن الرماية أدبا وحياء : ارموا بنى اسماعيل فان اباكم كان راميا !

وغضب الفريق الاخر ، لان الرسول هم بالرماية مع الفريق المنافس ، فقال لهم :

ارموا .. وأنا معكم كلكم !

حديث جليل من خلال مظهر مبهج للنفس ، فاللعب مباح . والرسول يشاهد اللاعبين ، وتواضعه يدفعه لان يلعب معهم ويشجعهم ويحثهم ويذكرهم بأمجاد ابائهم ، ثم يعدل بينهم .. وهم جميعا فى سن الطفولة أو شرخ الشباب .

وما دعانى لسرد هذه القصة .. ليس فقط ـ كل هذه الاستنتاجات من واقع حياة القائد الانسانى العظيم الذى أرسله الله رحمة للعالمين ، بل أريد أن اقول ان أهم عوامل النجاح فى رعاية الشباب أن تكون هناك معايشة بين القائد والمقودين .. وأن يكون هناك حب وعطف متبادلين ، لان قيادة الشباب من المكاتب المكيفة لا تجدى .. وقيادة الشباب مع الاستعلاء لا تفيد .. وقيادة الشباب دون تفقه فى الدين وتمسك به كحرث فى البحر .. وضرب فى الحديد البارد .

لهذا اجدد الحديث عن الرياضة والشباب ، وكلى ثقة فى أن الاتجاه الجديد يدعو للتفاؤل .. واقبال الشباب المسلم على المساجد ، وتكاثر الملتزمين بالقيم الروحيه فى كل مكان .. نقطة انطلاق جديدة ، ساعدت عليها نسمات الحرية بعد حركة التصحيح التى قادها الرئيس محمد انور السادات .

وفى عام الحديبية ، حفظ الله مكة من أجل البيت الحرام ، فحبس عنها ناقة النبى ، كما حبس عنها الفيل . وكان مع النبى ألف وأربعمائة من الصحابة أرادوا أن يدخلوا البيت الحرام ليحجوا ، ولو أدى ذلك الى امتشاق الحسام ، فأراهم الله مكانة الكعبة وأبرك ناقة النبى ، قال ابن كثير فى تفسيره صفحة ٤ وصفحة ١٨٤ :

وهو صلى الله عليه وسلم أكمل البشر على الاطلاق وسيدهم دنيا وأخرى ، ولما كان أطوع خلق الله وأشدهم تعظيما لاوامره ونواهيه ، قال حين بركت به الناقة :

حبسها حابس الفيل ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : [والذى نفسى بيده ، لا يسألونى اليوم شيئا يعظمون به حرمات الله الا أجبتهم اليها] ، فلما أطاع الله فى ذلك وأجاب الى الصلح قال الله تعالى له **« انا فتحنا لك فتحا مبينا ... الخ »** .

ولقد تجلت مكانة البيت فى قلوب العرب — رغم ما كان يكتنف الكعبة من عديد الاصنام — عندما شرعوا فى تجديده اثر حريق أصابه ، فتنادوا فيما بينهم بأن لا يدخل فى نفقات تجديده مال من ربا ولا أجر زانية ولا مهر بغى ، وكان ذلك فى السنة الخامسة أو العاشرة قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وعندما وصل البناء الى موضع الحجر الاسود ، تنافست القبائل على شرف الاستئثار بوضعه ، وأوشك أن يصل بهم التنافس الى حرب مبيدة فحسم الخلاف محمد بن عبد الله — عليه الصلاة والسلام — قال أبو هبيرة المخزومى يصف هذا :

فلما رأينا الامر قد جد جده
ولم يبق شىء غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع
يجىء من البطحاء عن غير موعد
ففاجأنا هذا الامين محمد
فقلنا رضينا بالامين محمد
فجاء بامر لم ير الناس مثله
أعم وأرضى فى العواقب والبد
أخذنا باطراف الرداء وكلنا
له حصة من رفعه قبضة اليد
فقال ارفعوا حتى اذا ماعلت به
اكفهم وافى به غير مسند
وكل رضينا فعله وصنيعه
فاعظم به من رأى هاد ومهتد
وتلك يد منه علينا عظيمة
يروح بها هذا الزمان ويغتدى

أجل انها عناية الله منذ الازل ببيته الحرام ، واستجابة لدعوة الخليل ابراهيم عليه السلام ، الذى رفع القواعد من البيت وبناه واتجه داعيا ربه الذى اصطفاه قائلا : [**رب اجعل هذا البلد آمنا**] ، وظل بيت الله الحرام آمنا ومن حوله مكة بتاريخه المقدس المجيد المهيب ومكانته السامية السامقة فى قلوب الملايين متجددة ما مرت السنون ، رباطا وثيقا لأوائل الانسانية المؤمنة بأواخرها ، حتى اذا أراد الله للرسالة بالختام ، ولد وبعث فى رحاب البيت محمد عليه السلام ، فكان الرباط أحكم ، والميثاق أوثق ، وحجة الله على العباد ، أتم وأعم ، فكما كان بيت الله محفوظا منذ القدم للجميع ، بعث الله خاتم الرسل من رحابه للجميع ، وبذا تم للانسانية من ربها الفضل وهو بيت لله عتيق عتيد ، ورسول يجمع شعوبها على كلمة سواء ، الا نعبد الا الله ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . وان محمدا خاتم النبيين ورسول الله الى الخلق أجمعين ، ودينه الاسلام ، الذى ارتضاه الله لعباده منذ الازل ، وبعث به اليهم الرسل ونفى كل دين سواه ، فقال عز من قائل « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** » .. كما صدع بذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه الامام مسلم فى صحيحه ، عن أبى يونس رضى الله عنه ، قال : قال صلى الله عليه وسلم :

[والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أهل النار] .. ولقد قال الامام البوصيرى فى ذلك :

الله اكبر ان دين محمد
وكتابه اقوى واقوم قيلا
لا تذكر الكتب السوالف قبله
طلع الصباح فاطفىء القنديلا

انه دين الاسلام المشتق من السلام الذى رفرف فوق البيت الحرام منذ القدم ، كما أشار اليه الحق جل شأنه ، بقوله تعالى : « **ان الدين عند الله الاسلام** » .. وبه وصى ابراهيم بنيه قال تعالى : **« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون »** .. وهو هو الاسلام الذى جاء به محمد عليه السلام ، اذ يقول تعالى : « **ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم**

المسلمين من قبل ...» .. وبين ابراهيم ومحمد أنبياء دعوا أممهم اليه ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر **«ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم»** .

نسب شامل ورابطة جامعة للمسلمين فى أقطار الارض ، تآخى فى ظلالهما العجمى والعربى والابيض والاسود متجمعين حول البيت ، مستسلمين لرب البيت ، وسيظل البيت الحرام ما دامت السموات والارض على القرب والبعد مثابة للناس وأمنا . ولا يزال صدى آذان سيدنا ابراهيم من فوق جبل الصفا يتردد فى ارجاء الدنيا ، استجابة لامر الله له بعد ان بناه **«وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم»**

وهو ينادى بأعلى صوته قائلا :

[يا أيها الناس ، ان الله قد بنى لكم بيتا فحجوه] .. ويأتى من بعده حفيده محمد عليه السلام ، فيجدد النداء بين الجموع المسلمة قائلا : أيها الناس :

[ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا] فيستجيب المسلمون فى أقطار الارض ، وتفد الى بيت الله وفودهم القادرة فى كل عام ، معتمرين وحاجين ، ليشهدوا منافع لهم ويربطوا حاضرهم بماضيهم ، ويجددوا العهد لربهم ، لامسين الحجر الاسود ، رمز يمين الله فى بيته ، وقد انمحت بينهم الفوارق ، فلا حواجز بين المشارق والمغارب ، ما داموا يستهدون بهدى الله القائل **«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا»** .. فيشعر الجميع بالاخوة الاسلامية تلفهم ، ان شعر جزء منهم بألم ، تألموا له جميعهم .

وبعد ... فهذا هو بيت الله الحرام ورسالته بين عباد الله من قديم الزمان الى الان ، بل والى ان يرث الله الارض ومن عليها ، فسبحان الله المشرع الحكيم ، جمع عباده على كلمة سواء ، وقبلة واحدة هى للجميع ضياء ، حتى لا تختلف بهم الاهواء **«ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا»** .

فيا أيها المسلمون فى أقطار الارض — ونفحات أشهر الحج تهب عليكم — الا ان ربكم واحد وقبلتكم واحدة ، ومناسككم واحدة ، توحى اليكم أن اتحدوا ، وأحكموا صلاتكم فيما بينكم ، وأصلحوا ذات بينكم ، ولا تتفرق بكم الاهواء فيهون أمركم على عدوكم ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم **«واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله»** وعودوا الى رحاب دين الله اخوانا كما خلقكم : أشداء على الكفار ، رحماء بينكم وكونوا بحق خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتأبون الضيم والذلة فى دينكم ودنياكم ، وتؤمنون بالله ، ينصركم الله ويثبت أقدامكم .. فهل من مذكر ؟

مع القراء

تقديم : فؤاد هيبة

لا مناص من القول ان امتنا العربية تمر بفترة عصيبة سيسجلها التاريخ وهو يقطر أسى على الرغم من قدرته على استيعاب المواقف والاحداث مهما كان شأنها ومهما كان اثرها فى تاريخ الامم .

فالامة العربية غير قادرة رغم وحدتها الفكرية والتاريخية التى صاغتها لغة مشتركة . ورغم تجانس البيئة وتكامل الاقتصاد .. اقول ان الامة العربية رغم هذا الاشتراك والتجانس والتكامل غير قادرة على اتخاذ موقف موحد تجاه العدو الذى لم يخف عداوته وشراسته ورغبته الاكيدة فى التوسع على حساب الاراضى العربية والمقدسات الدينية والقيم الاخلاقية التى أفاء الله بها على الامة العربية وجعلها حملة لواء الشريعة الاسلامية وشعلة الحضارة الانسانية وصاحبة المعطيات الفكرية والعلمية والثقافية التى ظلت تضىء ظلمات اوروبا لعصور متتابعة وما زالت تسهم بهذا التراث الاصيل الصادق والصادر عن ينابيع أثراها الله بالعلم والايمان .. واتقوا الله ويعلمكم الله ..

فما هى العلة وماهو الداء وماهى سبل الخلاص من هذه الفترة العصيبة ؟!

ولا بد هنا — لنا من وقفة فاحصة متانية .. مصدرها الايمان بالله والوطن ، وباعثها تلك الفترة العصيبة ، وهدفها الايضاح والافصاح عن حقائق عزبت عن الاذهان وغربت عن الرؤية ، وبعدت عن الحديث ، رغم وجودها حية تنبض بالامل ، وتتحدى الزمن بفضل ما اودع الله اياها من اصالة وسداد .. ولن تجد لسنة الله تبديلا ..

وهى أن الامة العربية قوية تستمد قوتها الروحية من الشريعة المحمدية التى حباها الله اياها ، وتستمد قوتها المادية من خيراتها البيئية ، وصلابة رجالها وقدرتهم الفائقة على مغالبة الاحداث بفضل التكامل الالهى ، والترابط الابدى الذى تحققه تعاليم الشريعة الاسلامية بين القوة الروحية والقدرة المادية ومن هنا كان صلاح الشريعة الاسلامية لكل زمان ومكان ، بل ان التطور الحضارى ، والتقدم الفكرى ، والطفرات العلمية التى تهدف سعادة الانسانية تجد لنفسها مسارا امينا وركنا ركينا فى رحاب الشريعة الاسلامية ..

ولكن .. لامر اراده الله .. استطاع الغزو الفكرى سواء منه المتطرف المغامر ، أم المتواكل الخاضع أن يحدث فى بنيان الامة العربية هزات وتصدعات وانحرافات حادت عن سبيل الهدى فتفرقت بهم السبل وضاقت عليهم الارض بما رحبت وزلزلوا زلزالا شديدا نسوا الله فانساهم انفسهم .

وبدت الامة العربية كفريسة سهلة المنال تكالبت عليها المطامع فكانت الثورات فى العالم العربى وكان راب الصدع ، وكانت الوحدة والانفصال دليل صحة وصدق رؤية ، الى أن كان اتحاد الجمهوريات العربية كجسر خلاص وسبيل نجاة للامة العربية ، ومخرج صدق لها من الفترة العصيبة التى ما زالت قائمة ثم كانت الوحدة الشاملة كغطاء جوى ، ومظلة واقية ، وحصن امين ، وقاعدة انطلاق أكيد لتحقيق رد فعل على ما يضمره الاعداء وبيبته العملاء من شرور .. ولكن هذا يستلزم بالضرورة حركة احياء ،وخطة بعث للكيان الفكرى العربى على المستوى القومى حتى لا نظل وحدنا فى المعركة .

وهو ما عبر عنه الرئيس انور السادات فى خطابه بالغ الاهمية عرض فيه الرئيس امام اعضاء مجلس الشعب واللجنة المركزية بعض خطوات العمل المستقبلة قال الرئيس : ان علينا جميعا ان نتنبه وان نسمع صوت النداء ، وان نلبى داعى الواجب المقدس ، وقد مررنا بفترة عصيبة ، وآن لنا أن نخلص انفسنا من أسارها : وان نجند كل حيوية فينا ، وان نقبل التحدى بل وان نتقدم نحن بالمبادأة

وهذا النداء يفرض على الامة العربية وعلى الاقلام المحركة للفكر والمدعمة للوعى ان تجند نفسها للمعركة بعيدا عن المهاترات والجدل الشخصى مهما كان هدفه ومهما كانت دوافعه .. فالوطنية الحقة تفرض علينا جميعا ان نتناسى المصالح الشخصية حتى نفرغ للتصدى للمخططات العدوانية فكريا وذهنيا وماديا ، فى توثب واصرار على اثبات حقنا فى حياة حرة كريمة .

ان هؤلاء الذين يسعون لاحداث بلبلة فكرية ، والانحراف بالمسيرة الوطنية عن مسارها المقدس بعد أن قطعت شوطا كبيرا فى طريق اللقاء المقدس منذ ١٤ مايو حتى الان حيث اصبحنا جميعا حكومة وافرادا وتنظيمات فى حالة أعداد مستمر ، وتحفز رهيب ، وتوقيت دقيق للذود عن كرامتنا وحريتنا ومقدساتنا ..

اقول انه لا بد لهذه النعرات وتلك الصيحات والمحاولات التخلفية من ان تثوب الى رشدها وأن تعلم تمام العلم ان الهدف الاول والاسمى هو توحيد الصف « فقواتنا المسلحة لا يمكن ان تؤدى دورها الا اذا كانت هناك — قبل السلاح — جبهة داخلية قوية ومتماسكة » « وان تحرير الارض هو التزامنا الاساسى ويجب ان تتجه اليه كل الاعمال بل كل النوايا » .

أن للمعركة مسالك واصول على راسها الفداء والتضحية وانكار الذات وهى سمات غرسها الايمان فى قلوبنا وطبقتها مناسك الحج فى حياتنا

فلا مناص لنا من المسارعة الى الاخذ بها فكرا وعملا وسلوكا موحدين بلا اشراك ، مهاجمين بلا ادبار ، ملبين بلا تخاذل ولا انحراف الا لقتال ..

ان الامل فى الامة العربية كبير وفى .. الله اكبر .. لا اله الا الله وحده .. صدق وعده .. ونصر عبده واعز جنده .. وهزم الاحزاب وحده .

● ● ●

رسالة العراق

يبعث بها الصديق الاديب حيدر عبد الله ويستهلها بقوله :

أستهل رسالتى بالدعاء والشكر العميق لجميع من ساهم بالكتابة فى مجلة منبر الاسلام مع تمنياتى بالصحة والسعادة لجميع العاملين فيها ..

عزيزى

بعد انقطاع دام حوالى السنتين عادت مجلة منبر الاسلام للقاء قرائها فى العراق ولى ملاحظة وان كانت لم تؤثر على شخصيا ولكن لها أثر بصورة عامة بين صفوف القراء وهى أن سعر المجلة قبل الانقطاع كان لا يزيد عن [١٣٠ فلسا] أما الان فقد ارتفع الى [١٥٠ فلسا] وقد قبلنا ذلك ولكن عدد شهر رمضان أصبح [٢٠٠ فلسا] وسؤالى : هو هل الزيادة فى السعر تكون من ادارة المجلة نفسها كما يدعى مكتب التوزيع فى بغداد أم فى مكتب التوزيع .

والمجلة اذ تشكر للصديق هذا الاهتمام الذى ان دل على شىء انما يدل على تجاوب كريم مع مجلته الحبيبة التى آلت ادارتها على نفسها الا ترفع سعر المجلة فى عدد رمضان الماضى رغم التكاليف الزائدة كما هو واضح .. وستعمل المجلة على اتخاذ اللازم بالتنبيه على الجهات المختصة لعدم تكرار مثل هذا التلاعب الواضح .

● ● ●

رسالة فلسطين

يبعث بها الصديق محمود أحمد علاف ص.ب ٤٨٤ كنتين وكالة الغوث جبل الحسين — عمان يقول فى رسالته :

من حسن حظى لقد نظرت فى يوم من الايام الى احد بائعى الجرائد بعمان وشاهدت مجلتكم منبر الاسلام فنظرت فى صفحاتها وفرحت فرحا شديدا واشتريتها وأخذت أقرأ كل يوم مقالا .. واقول جزاكم الله عنى وعن كل قراء منبر الاسلام خيرا ووفقكم الله الى التقدم والدفاع عن هذا الدين الحنيف ..

والمجلة يسرها اذ تنشر لك بعض الابيات التى وردت برسالتكم نشكر لك دقة الملاحظة وصدق الالهام :

فيا سيدى يا رسول الله
قام الباطل والحق نام
فيا ليلة القدر عودى لنا
بأرض فلسطين أرض السلام
ويا رب صلى على المصطفى
صلاتين مقرونتان بالسلام

رسالة اليمن
والاشتراك والتعارف

يبعث الصديق الاديب على عبد الله ابراهيم الجهمى المصباحى تعز اليمن ص.ب رقم ١٠٢٥ يقول فى رسالته :

أنا من قراء منبر الاسلام والمعجبين بها جدا وما يحمل فى طياته من الرسالة الدينية وأنا أشكركم وأدعو الله أن يأخذ بيدكم ويحقق لكل الامال ويجعل كلمة الاسلام هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وينصر الدين وأهله : آمين والمجلة اذ تشكر للصديق هذا الشعور الاسلامى الفياض يسرها أن تنشر صورته ببريد التعارف فور ارسالها .. وتلفت نظر الصديق الى أن قيمة الإشتراك بالمجلة ترسل بحوالة بريدية باسم السيد رئيس التحرير .

● ● ●

رسالة الجزائر
« وحب مصر »

يبعث بها الصديق الاديب الحبيب عبد القادر اجقاوه بالمعهد الوطنى للتعليم الفنى — حاس مسعود — الجزائر

وفى مطلع الرسالة يقول :

أشكركم على حسن استقبالكم لعقيدتى « تبصرة فى العالمين» التى نشرتم لى منها أبياتا بالعدد الخامس من مجلتنا المحبوبة وها انذا أبعث لكم بقصيدتى « أحب مصر » تعبيرا عن خواطرى ازاء أرض الكنانة كما اننى اتمنى أن أزورها ولو مرة فى الحياة

تقبلوا فائق التحيات وشكرا .

والمجلة يطيب لها أن تفسح صفحاتها للصديق الاديب تجاوبا منها مع أديب حبيب :

دعنى أغازل مصر فى العالم الرحب
فقد بريت جسمى صبابة ذا الحب
كنانة ربى فى البلاد بوسعها
يا مصر أنا أهواك بالعقل والقلب
على النيل أنت وردة أزلية
فناهيك من عطر وناهيك من عذب
وأهرامك العظمى نقر بهامها
عن أعجوبة فى الكون صارت مع العجب
أبو الهول فيها خافرا برموزه
معالم اخوان تدل على الدرب
وهل دربنا غير المؤدى الى عل
وهل كنت الابرة بمنى العرب
وهل كنت فى الكيان الا ذخيرة
لتوعية الاسلام والضاد فى الركب

● ● ●

رسالة الاسكندرية
وخطاب الرئيس القذافى

حول خطاب الرئيس معمر القذافى الذى ألقاه بمناسبة ذكرى انتصار الشعب الليبى فى معركة المشط ضد الاحتلال البريطانى .. يقول الصديق الاديب عبد الفتاح الصحن — مدرس أول بمدرسة الميناء الشرقى قسم الانفوشى بالاسكندرية .

للحق أقول .. اننى قد تأثرت كثيرا للكلمات الصادقة النابعة من القلب التى قالها هذا الزعيم الوطنى المؤمن .. لقد كانت كلماته مشاعل ايمان مضاءة . وقنابل حارقة على كل معتد أثيم ، ولقد بكيت كثيرا حينما اختتم الزعيم المحبوب خطابه بقوله : نحن شعب مؤمن ، لا نرضى عن الايمان بديلا ، نحن مع الله ، لا نبغى غير رضا الله ، لا نخشى الا الله ، لانعمل الا ما هو فى سبيل الله ، وما دمنا مع الله ... فالله معنا » .

الاسم : خضر شوكت كيجه ياتماز
البلد : الجمهورية العراقية
السن : ٢٠ عاما
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل الصور
العنوان : كركوك – محلة بريادى بواسطة محل ابراهيم محمد

الاسم : محمد عبد الحق الشال
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ٣٠ عاما
المهنة : مدرس
الهواية : تبادل الرسائل والرحلات
العنوان : الشهداء سلامون بحرى منوفية

الاسم : عبد القادر التركى
البلد : الجمهورية التونسية
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : تبادل الاراء وقراءة الكتب الدينية
العنوان : منزل رقم ١٦ نهج ١٠٠٦٠ [ماتيل دفيل]

الاسم : سيد حسن طنطاوى
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب
الهواية : القراءة وتبادل الاراء والافكار والمراسلة
العنوان : طنطا – سيجر

الاسم : حسين عبد السلام
البلد : الجمهورية التونسية
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب بمدرسة البناء
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع والهدايا
العنوان : مسعود المرغبى نهج الجزائر قنطرة الفحص

الاسم : سيد كامل بدوى احمد
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٨ عاما
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة مع شباب العالم الاسلامى وجمع وتبادل المناظر والطوابع والهدايا والمجلات
العنوان : البحر الاحمر – رأس غارب المدرسة الثانوية

الاسم : ماجد سعيد عبد الهادى
البلد : المملكة الاردنية
السن : ١٦ عاما
المهنة : طالب اعدادى
الهواية : تبادل الطوابع والمناظر الطبيعية
العنوان : الاردن ـ المفرق ـ مدرسة المفرق الاعدادية للبنين

الاسم : احمد السيد اسماعيل الشحات
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ٢١ عاما
المهنة : طالب تجارى
الهواية : كتابة القصة وقرض الشعر وكرة القدم
العنوان : كفر العزازى ـ ابو حماد ـ شرقية

الاسم : زياد صالح عطية
البلد : المملكة الاردنية
السن : ١٤ عاما
المهنة : طالب اعدادى
الهواية : المراسلة وتبادل الطوابع والمناظر الطبيعية
العنوان : الاردن ـ المفرق ـ مدرسة المفرق الاعدادية للبنين

الاسم : سمير محمد عنانى
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ٢٤ عاما
المهنة : مهندس بالمقاولين العرب
الهواية : القراءة والمراسلة والرحلات
العنوان : ٩ ش عمر بن عبد العزيز ـ اسيوط

الاسم : الياس حاج يوسف
البلد : الجمهورية العراقية
السن : ٢٣ عاما
المهنة : موظف
الهواية : المراسلة وتبادل الاراء والافكار
العنوان : محلة ـ حسنكوى ـ قرب مدرسة التضامن رقم الدار ٦٧٧ . محافظة نينوى ـ الجمهورية العراقية

الاسم : عبد الله ابراهيم
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ٢٠ عاما
المهنة : طالب بالكلية الفنية الجوية
الهواية : مطالعة الكتب الدينية ممارسة الرياضة
العنوان : الكلية الفنية الجوية ص ١١٢٠ البليدة

الاسم : مجدى عبد السميع عبد الحميد
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب بكلية التكنولوجيا والتربية
الهواية : المراسلة والرحلات والقراءة
العنوان : حدائق زينهم بلوك ١٦ م أ ش ٨ ـ القاهرة

الاسم : تهامى سلامة حمد احمد
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٥ عاما
المهنة : طالب بمعهد القاهرة الثانوى [الازهر]
الهواية : تبادل الصور والمراسلة والهدايا
العنوان : حدائق القبة ش ترعة الجبل ٩٢ ـ القاهرة

اقرأ في هذا العدد

الم الطريق

نص رسالة السيد الرئيس محمد انور السادات الى المؤتمر الاسلامى بداكار والتى تلاها السيد محمد توفيق عويضه امين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ورئيس الوفد المصرى الاسلامى ١٩٧٢/١٢/٧		٣
نص الخطاب الهام الذى القاه السيد الرئيس محمد انور السادات امام اعضاء مجلس الشعب ١٩٧٢/١٢/٢٨		٦
المذاهب الفقهية	فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وزير الاوقاف وشئون الازهر	١٤

فقه وتشريع

سورة القمر	الاستاذ احمد حسين	١٨
انا نحن نزلنا الذكر وانا لـه لحافظون	الشيخ عبد الجليل عيسى	٢٧
ذكـــر الله	الاستاذ فتحى رضوان	٣٠
وفى الدنيـــا عقاب	الدكتور احمد العوفى	٣٣
من احكام الشريعة الاسلامية وآدابها	فضيلة الشيخ محمد خاطر	٣٥
من معانى القراءات واسرارها	فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى	٣٧
متشابه الصفات بين السلف والخلف	الدكتور عبـــد الغنى الراجحى	٤٠
الجدل فى اطار القرآن والسنة	فضيلة الشيخ محمد هلال عبد الرسول	٤٣
من فقه الاسلام	الدكتور محمد عبد المنعم القيعى	٤٦
شروط رواية الحديث المصححة لرواية الراوى	الدكتور محمد سعاد جلال	٤٩
تعاليم الاسلام العامة الزكاة	سماحة الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى	٥١
حديث بلا زمان ولا مكان	الاستاذ احمد زين	٥٣
من قصص السنة المساواة	فضيلة الشيخ محمود احمد هاشم	٥٧
مادة الحب فى كتاب الله	فضيلة الشيخ احمد كامل الخضرى	٥٨
صور من ضبط النفس	فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	٦٢
ملائكة وملائكة	فضيلة الشيخ احمد البسيونى	٦٥
القرآن والنظر العقلى	الدكتور محمد عبد الستار نصار	٦٨
نعم الله علينا وواجبنا نحوها	فضيلة الشيخ محمد عبد المنعم اليونسى	٧٠
التقوى مناط التكريم	الدكتور عزت على عطيه	٧٣
قطـــوف	الاستاذ على الجندى	٧٥
السيرة فى ضوء القران الكريم	الاستاذ محمد شديد	٧٨
الصوفية فى الهامهم [الصحبة فى الله تعالى]	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	٨٢
من اخلاق القرآن [الدفع بالحسنى]	الدكتور احمد الشرباصى	٨٦
الطوفان فى التوراة والقرآن	الاستاذ محمود محمد عمارة	٩٠
النصيحة وعناية الاولين بها	فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع	٩٣
من حياة الانبياء والرسل [هود عليه السلام]	الاستاذ ابراهيم الابيارى	٩٥
اصول العقائد الاسلامية فى سورة [يس]	فضيلة الشيخ عبد الاله عبد اللطيف الخضيرى	١٠١
لا نامت اعين الجبناء	الدكتور حسن احمد مرعى	١٠٤
اثر الرحمة فى حياة المسلمين	الدكتور محمد كامل الفقى	١٠٦
اضواء من كتاب الله	فضيلة الشيخ حسن صالح	١٠٨

الحج والعمرة

قصة الحج وجولة بين مشاهده	فضيلة الشيخ الصاوى شعلان	١١٢
الحج والعمرة ودعاء الرسول	فضيلة الشيخ احمد عبـــد المحسن المنشاوى	١١٥
الحج تـكفير وتطهير	الدكتور على حسن عبد القادر	١١٨
الحج فى الاسلام وقبله	فضيلة الشيخ منصور الرفاعى عبيد	١٢٠
الليـــالى العشر	فضيلة الشيخ رجب العايدى	١٢٢
المعنى الاسلامى للحج	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف	١٢٤
الحج فريضة وذكرى	الاستاذ محمد عباس محمد	١٢٦
المسجد الحرام	فضيلة الشيخ عبد الفتاح على شهاب	١٢٨
البلاء المبين والصبر الجميل	الاستاذ محمد السباعى الديب	١٣٠
اصول العقائد الاسلامية طواف بالفكر والروح	الاستاذ احمـــد وافى	١٣٢
معالم الجلال على طريق الجج	الاستاذ احمد يوسف احمد	١٣٤
مؤتمر الحج الاكبر	الاستاذ محمد شهاب	١٣٧

	هجة الرسول صلى الله عليه وسلم	الدكتور عبد الله محمود شحاته	[illegible]
	وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم	الاستاذ صلاح عزام	[illegible]
	معالم الانسانية فى خطبة الوداع	الاستاذ محمد حسن عبد العزيز	١[illegible]
	صاحب القليس يفشل فى القضاء على الكعبة	فضيلة الشيخ مصطفى الحديدى	١٤٤
	يوم عرفه بين التاريخ والتشريع	فضيلة الشيخ محمد مصطفى ابو العلا	١٤٧
	مناجاة العيد	فضيلة الشيخ فراج احمد دردير	١٥٠
	مسيرة الايمان	عبد الحكيم النجار	١٥٣
	فريضة الحج والتعبئة للمعركة	فضيلة الشيخ عبد الرحمن العدوى	١٥٥
	العيد الاكبر	فضيلة الشيخ السيد خليل الجراحى	١٥٨
■ العلم والايمان	الجانب الروحى والاخلاقى فى التنمية الاقتصادية	الدكتور صلاح الدين نامق	١٦٢
	هل من ثورة علمية	الدكتور محمد محمد خليفة	١٦٥
	العدل فى الاسلام	المستشار عبد الستار آدم	١٦٧
	دعائم ثلاث للمجتمع الاسلامى	الاستاذ عبد المنعم مغربى	١٧٠
	تكامل الرسالات السماوية	فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار	١٧٢
	التامين وموقف الشريعة منه	الدكتور محمد الدسوقى	١٧٤
	من اعلام الطريق الى الايمان	الاستاذ مصطفى عبد الحليم الجندى	١٧٦
	عالمية الاسلام تأمين المجتمعات من الانحراف	الاستاذ انور الجندى	١٨١
	نور رسول الله صلى الله عليه وسلم	الاستاذ محمد عبد السلام الشاذلى القوصى	١٨٣
	افريقية وحضارتها الاصيلة	الدكتور احمد شلبى	١٨٧
	الاسلام والمشكلات الاجتماعية	الاستاذ عامر العقاد	١٨٩
	نحن بين امانتى القول والعمل	فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور	١٩٢
	حرب الاشاعات والافتراءات	الدكتور على حسنى الخربوطلى	١٩٣
	الاصول الاسلامية فى حضارة عصر النهضة	الدكتور حامد ربيع	١٩٥
	حول الاعداد للمعركة	فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت	١٩٩
	نسيان النفس	الدكتور عبد الكريم دهينة	٢٠١
	الاسلام ومشكلات الحياة	الاستاذ محمد المتولى النظامى	٢٠٤
■ لماذا أسلمت ؟	لماذا اسلمت	الاستاذ ابراهيم الفحام	٢٠٦
	لماذا اسلمت	الاستاذ امام المصرى	٢٠٨
■ القصة	وفى عصرنا صديق اسمه يوسف	الاستاذ عبد المنعم الصاوى	٢١٢
■ الشعر	خواطر	الشاعر عزيز اباظه	٢٢٠
	ان من الشعر لحكمة	فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب	٢٢٢
	سمات من حياة الرسول الاعظم	الشاعر العوضى الوكيل	٢٢٣
	لبيك	الشاعر محمد المفيفى	٢٢٥
	دعاء الكون	الشاعر احمد عثمان المراغى	٢٢٦
	الله ما احلى الصلاة	الشاعرة روحيه القلينى	٢٢٨
	من وحى الحرمين	الاستاذ على الجمبلاطى	٢٢٩
■ الطب	الخمر بين الدين والطب	الدكتورة ابتسام عبد الحليم	٢٣٤
	وجعلنا من الماء كل شىء حى	الدكتور عبد العزيز شرف	٢٣٧
	وفى انفسكم افلا تبصرون	الدكتور عبد الحليم كامل	٢٤٢
■ الاعلام	رابع الخلفاء الراشدين	فضيلة الشيخ الطنطاوى عمر	٢٤٦
	من اعلام الصوفية [الامام ابو حنيفة النعمان رضى الله عنه]	الاستاذ جودة محمد ابو يزيد المهدى	٢٤٩
	سيدى أبو عبد الله محمد المرشدى	الاستاذ احمد احمد النحاس	٢٥٤
	اسيد بن حضير الملائكة تدنو من تلاوته	الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوى	٢٥٥
	ابن دقيق العيد ــ العالم الفقيه	الاستاذ محمد عبده الحجاجى	٢٥٧
	الشيخ عبد العزيز جاويش	الاستاذ عبد المنعم حماده	٢٥٨
■ المكتبة الاسلامية	الشخصية الاسرائيلية	عرض وتحليل الاستاذ فتحى الابيارى	٢٦٢
■ الافتاء ـ المرأة المسلمة ـ الرياضة ـ القراء ـ التعارف	انت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد محمد الفحام	٢٦٦
	المراة فى الاسلام	الدكتورة ليلى صقر	٢٧٢
	الاسلام وحجاب المراة	الاستاذ توفيق على وهبه	٢٧٤
	القيم الروحية اصل فى رعاية الشباب	ناصف سليم	٢٧٩
	مع القراء	اعداد فؤاد هيبة	٢٨٣
	بريد التعارف		٢٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

يسر

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يقدم
للعالم الإسلامي

المصحف المجوّد

" ١٢٠ اسطوانة "

لأول مرة يتم تسجيل القرآن الكريم
مجوّدا بأصوات كبار القراء

كل جزء من القرآن الكريم على أربعة
اسطوانات طويلة المدى بتجويد القراء الأربعة سرعة ٣٣ ١/٣ لفة

" مع كل اسطوانة غلاف فاخر "

سعر بيع الاسطوانة الواحدة ٦٤ قرشا

البيع نقدا وبالتقسيط لموظفي
الحكومة والقطاع العام

المصحف المعلم

٧٥ أسطوانة لتعليم القراءة والنطق
الصحيح لآيات القرآن الكريم

كل جزأين على ٥ أسطوانات

الثمن للجزأين ٢ ج / ١٨٢ مليم

البيع نقدا وبالتقسيط لموظفي
الحكومة والقطاع العام

أسطوانات القرآن المرتّل

" رواية حفص عن عاصم "

	جنيه	مليم
٤٤ أسطوانة مع كتيب بالآيات القرآنية وغلاف فاخر	٢٣	٨٢٦
٤٤ أسطوانة مع غلاف عادي ...	١٩	٣٥٢

رواية ورش عن نافع

	جنيه	مليم
٦٨ اسطوانة	٢٩	٩٠٩

سرعة ٣٣ ١/٣ لفة في الدقيقة

مخازن البيع

القاهرة :
مخازن القرآن المرتل :
٧٦ شارع الجمهورية : الدور الثالث

الاسكندرية :
فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٤٢ شارع سعد زغلول - الدور الرابع

أسطوانات تعليم الصلاة والأذان والوضوء

٧ اسطوانات داخل كتيب مشروحة بالكلمة والصو[رة]

باللغات : العربية ، الانجليزية ، الفرنسية ، الألمانية
واللغات الآسيوية : الاندونيسية ، الأوردية
واللغات الإفريقية : السواحلية ، الفولانية
ولغات أمريكا اللاتينية : الأسبانية ، البرتغالية

سعر البيع
للكتيب . مو...
٥٠ ق

مطا